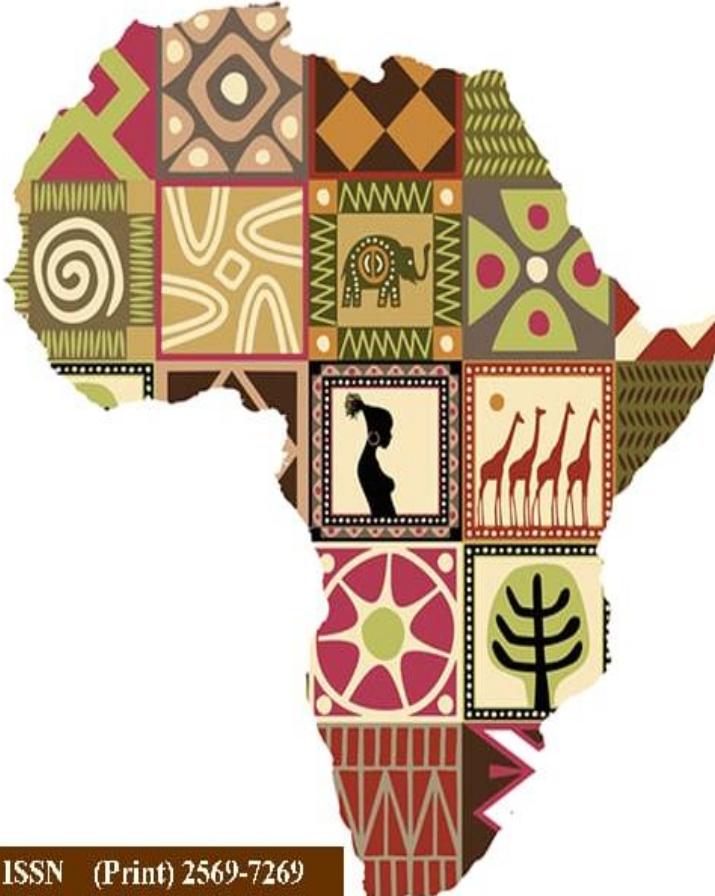




الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية
علمية محكمة



ISSN (Print) 2569-7269
ISSN (Online) 2569-734X

المزيد على الموقع

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل



Journal of african studies & river nile basin

International scientific periodical journal



المزيد على الموقع
Democratic Arabic Center

مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل

مجلة دورية محكمة

تصدر عن "المراكز الديمقراطى العربى" ألمانيا - برلين.

تُعنى المجلة بالدراسات والبحوث والأوراق البحثية عموماً في مجالات
العلوم السياسية وال العلاقات الدولية وكافة القضايا المتعلقة بالقاره
الأفريقية ودول حوض النيل.

المجلد الخامس/العدد التاسع عشر- آذار- مارس 2023.

الترميز الدولي:

ISSN (Print) 2569-7269

ISSN (online) 2569-734X

التصنيف حسب AIMGSJ

B+

المراكز الديمقراطى العربى-ألمانيا، برلين

Berlin 10315 Gensinger Str: 112

Tel: 0049-Code Germany

030- 54884375

030- 91499898

030- 86450098

mobiltelefon: 00491742783717

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

رئيس التحرير:

د. إبراهيم الأنصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

نائب رئيس التحرير:

د. سعيد كمبي: تخصص الجغرافية البشرية، المركز الجهوي لمدن التربية والتقويم ببني ملال، المغرب.

نائب رئيس التحرير التنفيذي

د. ادريس الدعيفي: تخصص علم الاجتماع، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الخمسية، المغرب

مدير التحرير

د. عبد الله الحجوي: تخصص جغرافية الأرياف، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، المغرب

نائب مدير التحرير

د. شيماء الهواري: دكتورة في القانون العام والسياسات العمومية، جامعة الحسن الثاني الخمسية، ومتخصصة في الإعلام السياسي

الدولي، المغرب

أعضاء هيئة التحرير

- د. فاطمة الزهراء زنواكي - جامعة ابن طفيل القنيطرة - المغرب.

- د. محمد أبجير - المركز الجهوي لمدن التربية والتقويم ببني ملال - المغرب.

- د. جمال الدين ناسك - المركز الجهوي لمدن التربية والتقويم ببني ملال - المغرب.

- د. إبراهيم النجار: نائب رئيس تحرير الأهرام ومدير المركز المصري للتواصل الحضاري ومناهضة التطرف الفكري، باحث في مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام.

- حسن كلي وري، موظف في وزارة الشؤون الخارجية/قسم التكامل الإفريقي، التشاد، محضر درجة الدكتوراه، جامعة محمد الخامس بالرباط أكاديمية. كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية الرباط.

- د. ليلي حنانة - جامعة محمد الخامس الرباط - المغرب.

التنسيق والمراجعة اللغوية:

✓ اللغة العربية:

- ليلي حنانة، باحثة في السيميائيات، جامعة محمد الخامس.

- د. فاطمة الزهراء إلهامي، باحثة في السوسيولوجيا.

- د. خالد العلوى، باحث في الجغرافيا.

- أنور بيعيش: عضو هيئة التفتيش التربوي بأكاديمية طنجة الحسية تطوان - المغرب.

- احمد هيئات: مفتش تربوي للتعليم الثانوي بأكاديمية بنی ملال خنيفرة - المغرب.

- حسين حسين زيدان: د. العلوم التربوية والنفسية الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي العراق.

- فضيل ناصري: مفتش التعليم الثانوي، تخصص اللغة العربية-جهة العيون الساقية الحمراء (المغرب)

- شكاك سعيد: ذ. بالمركز الجهوي للتربية والتكوين الدار البيضاء-سطات المغرب.

- د. أيوب أيت فارية أستاذ اللغة العربية بجامعة ابن زهر أكادير - المغرب.

- د. مصطفى محمد أبو النور أستاذ اللغة العربية بجامعة الشارقة.

- د.بوجمعة وعلي - المركز الجهوي لهن التربية والتكوين بنی ملال - المغرب.

اللغة الفرنسية:

- ذ. عبد الرؤوف مرتضى - المركز الجهوي لهن التربية والتكوين بنی ملال - المغرب.

- ذ. عمادي عبد الحكيم: ذ. اللغة الفرنسية-المركز الجهوي لهن التربية والتكوين بنی ملال - المغرب.

اللغة الإنجليزية:

- ذ. خالد الشاوش كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة السلطان مولاي سليمان (المغرب).

- ذ.هشام معدان المركز الجهوي لهن التربية والتكوين بنی ملال

رئيس اللجنة العلمية:

د. إبراهيم الأننصاري: تخصص الهجرة الدولية بإفريقيا، جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق، المغرب

اللجنة العلمية:

- الدكتورة إيمان مختارى: دراسات استراتيجية-المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية-الجزائر.

- د. آمال خالي: دكتوراه دراسات دولية/المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية- الجزائر.

- د. لطفي صور: علوم سياسية ودراسات دولية - جامعة معسکر - الجزائر.

- د. حلال أمينة: علاقات دولية ودراسات أفريقية- جامعة الجزائر 3.

- د. عبد الرزاق أبو الصبر، ذ. باحث، المركز الجهوي لهن التربية والتكوين بنی ملال خنيفرة، المغرب.

- د. محمد حسان دواجي: دراسات دولية ونظم سياسية مقارنة/جامعة مستغانم - الجزائر.

- دة. وفاء الفيلالي: أستاذة التعليم العالي تخصص القانون الدستوري وعلم السياسة كلية الحقوق الرباط -المغرب.

- د. عبد الواحد بوبرية: أستاذ التعليم العالي، الجغرافيا البشرية، جامعة سيدى محمد بن عبد الله المغرب.

- د. عبد المالك بنصالح، أستاذ باحث، المركز الجهوي لهن التربية والتكوين، بنی ملال خنيفرة، المغرب.

- د.بوجمعة وعلي - المركز الجهوي لهن التربية والتكوين بنی ملال - المغرب.

- عيسى البوزيدي، أستاذ التعليم العالي، شعبة الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة

- د. البشير المتقي: أستاذ التعليم العالي، القانون الدستوري بجامعة القاضي عياض مراكش - المغرب.
- د. عبد العزيز والغاري: أستاذ الجغرافيا بجامعة ابن زهر أكادير - المغرب
- د. سعيد كمكي، أستاذ باحث، المركز الجهوي لهن التربية والتكتوين،بني ملال خنيفرة، المغرب.
- د. الحسين عماري: دكتوراه في التاريخ - المركز الجهوي لهن التربية والتكتوينبني ملال - المغرب
- د. بليبول نصيرة: أستاذة علم الاجتماع بكلية العلوم الاجتماعية جامعة زيان عاشور الجلفة - الجزائر.
- د. رحماني ليلي: أستاذة حاضر قسم ب، معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية-المركز الجامعي نور البشير البيض الجزائر.
- د. غادة أنيس أحمد البياع: مدرس الاقتصاد، كلية الدراسات الأفريقية العليا، جامعة القاهرة مصر.
- د. عبد الواحد شيكر، ذ باحث، المركز الجهوي لهن التربية والتكتوين خريبكة، المغرب.
- د. سالم تاخوت، ذ. باحث، المركز الجهوي لهن التربية والتكتوين، الدار البيضاء، المغرب.
- د. بوعروج ملياء: أستاذة حاضرة قسم أ بجامعة عبد الحميد مهري قسنطينة.
- د. حطاب أسمهان: أستاذة مؤقتة في جامعة الجزائر 3 قسم العلوم السياسية والإعلام والاتصال الجزائر.
- د. إدريس بوزيدي: دكتور في القانون العام واللغة والتواصل جامعة الحسن الثاني الحمدية المغرب.
- د. رانيا عبد النعيم العشران: دكتوراه الفلسفة في علم الاجتماع / الجامعة الأردنية.
- د. آمنة حسين محمد سرحان: دكتوراه علوم سياسية مسار علاقات دولية من جامعة القاهرة مصر.
- د. جامع سموك: كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية جامعة القاضي عياض مراكش - المغرب.
- د. محمد جلال العدناني: أستاذ اقتصاد جامعة السلطان مولاي سليمانبني ملال - المغرب.
- د. بن عمارة محمد: أستاذ جامعي: بجامعة ابن خلدون تيارت - الولاية تيارت الجزائر.
- د على عبودي نعمه الجبوري أستاذ جامعي وباحث في إدارة الأعمال جامعة الكوفة العراق أستاذ تسويق والموارد البشرية العراق.
- د. أوان عبد الله الفيضاي، كلية الحقوق - جامعة الموصى، العراق.
- د. أحمد عبد السلام فاضل مهدي السامرائي، التاريخ الحديث والمعاصر، العلاقات الدولية المغرب، اسبانيا-العراق.
- د. خاليد الحاضري كلية الاداب والعلوم الانسانية مراكش
- د. محمد بوساط: أستاذ حاضر قسم أ كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف.
- د. مشرفي عبد القادر: أستاذ حاضر كلية الحقوق والعلوم السياسية جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- د. سمير بوعافية: أستاذ حاضر بكلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة البشير الإبراهيمي -الجزائر.
- محمد عدار ابن علي وعميروش بحجة: أستاذ حاضر(ب) جامعة "أحمد بوقرة" بمودانس المدرسة الوطنية التحضيرية للدراسات مهندس -باجي مختار-الرويبة -نـعـ 1ـالـجـزاـئـرـ.
- د. قحطان حسين طاهر: دكتوراه علوم سياسية أستاذ مساعد جامعة بابل العراق.
- د. محمد بوبوش: أستاذ التعليم العالي، الكلية المتعددة التخصصات-الناظور-جامعة محمد الأول المغرب.

- د. بوذریع صالح: أستاذة محاضرة علوم بيئية جامعة حسيبة بن بوعلی شلف الجزائر.
- د. قاضي نجاة: أستاذة محاضرة كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وجامعة خميس مليانة الجزائر:
- د. جاسم محمد علي الطحان رئيس قسم الإدارة والاقتصاد أستاذ مساعد كلية الرشيد للتعليم المختلط تركيا.
- د. سالم محمد ميلاد الحاج: ذ مساعد جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم مسلاطه، علم الاجتماع، ليبيا.
- د. لحوش عبد الرحيم: أستاذ مؤقت، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، غردية الجزائر.
- د. عمرو محمد يوسف محمد المدرس: أستاذ بقسم الاقتصاد والمالية العامة المعهد المصري أكاديمية الإسكندرية للإدارة والمحاسبة وزارة التعليم العالي جمهورية مصر العربية.
- د. بوصبيع صالح رحيمة: أستاذ محاضر "أ" جامعة الشهيد حمـه خضر بالوادي الجزائر.
- د. حسن رامو: أستاذ التعليم العالي مؤهل، معهد الدراسات الأفريقية - جامعة محمد الخامس -الرباط المغرب.
- د. خليدة محمد بلکبیر أستاذة محاضرة، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التجارية وعلوم التسيير جامعة الجيلالي بونعامة الجزائر.
- الدكتور عبد القادر التايري أستاذ الجغرافيا البشرية بجامعة محمد الأول، وجدة.
- د. جواد الزروقي أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء

شروط النشر بالمجلة:

1. أن يكون البحث أصيلاً معدّ خصيصاً للمجلة، وألا يكون جزءاً من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.
2. ألا يكون البحث قد نشر جزئياً أو كلياً في أي وسيلة نشر إلكترونية أو ورقية.
3. أن يرفق البحث بسيرة ذاتية للباحث باللغة العربية واللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
4. يرسل الباحث البحث المنسق في ملف مايكروسوفت وورد، إلى البريد الإلكتروني:
africa@democraticac.de
5. تخضع الأبحاث والترجمات إلى تحكيم سري من طرف هيئة علمية واستشارية دولية، والأبحاث المرفوعة يبلغ أصحابها دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.
6. يبلغ الباحث باستلام البحث ويحول بحثه مباشرةً للهيئة العلمية الاستشارية.
7. يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر بقرار اللجنة العلمية وموافقة هيئة التحرير على نشرها.
8. الأبحاث التي ترى اللجنة العلمية أنها قابلة للنشر وعلى الباحثين إجراء تعديلات عليها، تسلم للباحثين قرار المحكم مع مرفق خاص باللاحظات، على الباحث الالتزام باللاحظات في مدة تحددها هيئة التحرير.

يستلم كل باحث قام بالنشر ضمن أعداد المجلة: شهادة نشر وهي وثيقة رسمية صادرة عن إدارة المركز الديمقراطي العربي وعن إدارة

المجلة تشهد بنشر المقال العلمي الخاضع لتحكيم، ويستلم الباحث شهادته بعد أسبوع كأقصى حد من تاريخ إصدار المجلة.

9. للمجلة إصدار إلكتروني حصري صادر عن المركز الديمقراطي العربي كما أنها حاصلة على التميز الدولي:

ISSN 2569-734X

10. لا يراعى أي أسلوبية في نشر المواد العلمية ضمن أعداد المجلة، بحيث أن المعيار الأساسي لقبول النشر ضمن أعداد المجلة هو جودة وأصالة المادة العلمية وسلامة اللغة والعنابة بكل ما يتعلق بالضوابط المنهجية في البحث العلمي.

11. أي تقرير صادر من اللجنة العلمية بما يتعلق بالسرقة العلمية فسيحمل الباحث تبعات وإجراءات كما هو متعارف عليه في سياسات المجلة العلمية الدولية.

12. تعتبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها، كما يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة.

13. تعرض المقالات إلى مدققين ومراجعين لغويين قبل صدورها في أعداد المجلة.

14. لغات المجلة هي: العربية، الإنجليزية والفرنسية.

15. في حالة الترجمة يرجى توضيح سيرة ذاتية لصاحب المقال الأصلي وجهة الإصدار باللغة الأصلية.

كيفية إعداد البحث للنشر:

- يكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتعريف موجز بالباحث والمؤسسة العلمية التي ينتمي إليها.

- الملخص التنفيذي باللغة العربية - الإنجليزية، ثم الكلمات المفتاحية في نحو خمس كلمات، كما يقدم الملخص بجمل قصيرة، دقيقة وواضحة، إلى جانب إشكالية البحث الرئيسية، والطرق المستخدمة في بحثها والنتائج التي توصل إليها البحث.

- تحديد مشكلة البحث، أهداف الدراسة وأهميتها، وذكر الدراسات السابقة التي تطرقت لموضوع الدراسة، بما في ذلك أحدث ما صدر في مجال البحث، وتحديد مواصفات فرضية البحث أو أطروحته، وضع التصور المفاهيمي، تحديد مؤشراته الرئيسية، وصف منهاجية البحث، وتحليل النتائج والاستنتاجات.

كما يجب أن يكون البحث مذيلا بقائمة ببليوغرافية، تتضمن أهم المراجع التي استند إليها الباحث، إضافة إلى المراجع الأساسية التي استفاد منها ولم يشر إليها في المowams، وتذكر في القائمة بيانات البحوث بلغتها الأصلية (الأجنبية) في حال العودة إلى عدة مصادر بعدة لغات.

- أن يتقييد البحث بمواصفات التوثيق وفقا لنظام الإحالات المرجعية الذي يعتمد "المركز الديمقراطي العربي" في أسلوب كتابة المowams وعرض المراجع.

- تستخدم الأرقام المرتفعة عن النص للتوثيق في من البحث، وينظر الرقم والمرجع المتعلق به في قائمة المراجع.

-ترتّب أرقام المراجع في قائمة المراجع بالترتيب، وذلك بعد مراعاة ترتيب المراجع هجائياً في القائمة حسب اسم المؤلف وفقاً للإتي:

أ- إذا كان المرجع بحثاً في دورية: اسم الباحث (الباحثين) عنوان البحث واسم الدورية، رقم المجلد، رقم العدد، أرقام الصفحات، سنة النشر.

ب- إذا كان المرجع كتاباً، اسم المؤلف (المؤلفين)، عنوان الكتاب، اسم الناشر وبلد النشر، سنة النشر.

ج- إذا كان المرجع رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه: يكتب اسم صاحب البحث، العنوان، يذكر رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه بخط مائل، اسم الجامعة، السنة.

د- إذا كان المرجع نشرة أو إحصائية صادرة عن جهة رسمية: يكتب اسم الجهة، عنوان التقرير، أرقام الصفحات، سنة النشر. يراوح عدد كلمات البحث بين 2000 و7000 كلمة، وللمجلة أن تنشر بحسب تقديراتها، وبصورة استثنائية، بعض البحوث والدراسات التي تتجاوز هذا العدد من الكلمات.

يتم تنسيق الورقة على قياس 21/25، بحيث يكون حجم ونوع الخط كالتالي:

-نوع الخط في الأبحاث باللغة العربية هو **Sakkal Majalla**

-حجم 16 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، 14 غامق بالنسبة للعناوين الفرعية، و14 عادي بالنسبة لحجم المتن.

-حجم 11 عادي للجدواں والأشكال ، وحجم 12 عادي بالنسبة للملخص والهوامش.

-نوع الخط في الأبحاث باللغة الإنجليزية **Times New Roman** ، حجم 14 غامق بالنسبة للعنوان الرئيس، حجم 12 غامق للعناوين الفرعية ، 12 عادي لتن البحث وترقيم الصفحات، 11 عادي للجدواں والأشكال، 10 عادي للملخص والهوامش.

-يراعي عند تقديم المادة البحثية، التباعد المفرد مع ترك هوامش مناسب 2,5 على اليمين واليسار و 2 أعلى وأسفل، قصد تسهيل عملية تنسيق المقالات والأبحاث فإن الجلة تضع رهن إشارة المهتمين قالب يحترم الضوابط الشكلية.

وتعتمد "مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل" في انتقاء محتويات أعدادها المواصفات الشكلية والموضوعية للمجلات الدولية الحكمة. والمجلة تصدر بشكل ربع دوري "كل ثلاث أشهر" ولها هيئة تحرير اختصاصية وهيئة استشارية دولية فاعلة تشرف على عملها. وتستند إلى ميثاق أخلاقي لقواعد النشر فيها والعلاقة بينها وبين الباحثين. كما تستند إلى لائحة داخلية تنظم عمل التحكيم، وإلى لائحة معتمدة بالحكامين في الاختصاصات كافة.

وتشمل الهيئة الاستشارية الخاصة بالمجلة مجموعة كبيرة لأفضل الأكاديميين من الدول العربية والإفريقية حيث يتوجب على الاستشاريين المشاركة في تحكيم الأبحاث الواردة إلى المجلة. حيث أن "المؤتمر الدولي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية

والاقتصادية" جهة إصدار "مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل"

ر.ت	مؤلف/مؤلفو المقال	عنوان المقال	الصفحات
	Author(s)	Title	Page Range
01	بclaim: الدكتور سعيد واحيبي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب	افتتاحية العدد	11
02	محمد المنتفع	التمثيل الاجتماعي حول المغرب وإفريقيا في الطابع البريدي الاستعماري	25-12
03	النعمنة بوشامة	سيكولوجية البيطان بمنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب	36-26
04	بويزكارن هشام	التضامن المغربي مع حركات مقاومة الاستعمار الأجنبي بإفريقيا خلال القرن 20م	46-37
05	أحمد سليمان أبكر	التقارب والتباين في العلاقات السودانية الأمريكية يناير 1956م - أكتوبر 2022م	62-47
06	مصطفى المترجي، نسمة بوزيـد	التراث الثقافي بمدينة آسفي: المؤهلات وامكانيات الاستثمار في التنمية المحلية: التراث الثقافي ذو الطابع الديني أنموذجا	80-63
07	محمد ناصيـي، محمد الراضـي	أبي الجعد في القرن التاسع عشر من خلال رحلة شارل دوفوكـو	92-81
08	يونس سيف النصر	الفلاحة الجبلية: استراتيجيات التنمية والتربية حالة جهـة بـني مـلال خـنيفرـة بالـمغرب	100-93
09	عبد الكـريم سـومـع	رهـان التـنـمية المـسـتدـامـة بـيـن التـحـولـات المـجـالـية وـمـحدودـيـة المـوارـد الطـبـيعـية بـإقليم الدـريـوش (حـالـة جـمـاعـة تمـسـمانـ)	114-101

134-115	دور الآليات المحاسبية لحكومة الشركات في تحقيق جودة التحاسب الضريبي (دراسة ميدانية على ديوان الضرائب بولاية الخرطوم)	الجيلي إبراهيم أحمد سليمان، الهادي آدم محمد إبراهيم	10
154-135	دور التراث العمراني في تنمية السياحة بمنطقة تماسخت أدرار- الجزائر	عمروش تومية، أوزير مليكة	11
175-155	دور الدينامية التهيرية في الاستغلال الفلاحي في المجالات الفيوضية لواد محاصر(جهة بني ملال خنيفرة، إقليم ازيلال، دمنات، المغرب)	عبد الله الوعزاني، محمد الغاشي	12
193-176	النفايات المتنزية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة: الواقع والمخاطر.	محمد جاد، عبد الفتاح دالي	13
212-194	دور الدولة في إنتاج المجال الحضري، حالة مدينة تاوريرت (شمال شرق المغرب)	عبد اللطيف اعمiro	14
226-213	دور التعاونيات الفلاحية في التنمية المحلية بالجهة الشرقية للمغرب: إقليم تاوريرت نموذجا	بندحو شهرزاد، بلغيثري الحسن	15
241-227	الهجرة غير الشرعية من إفريقيا جنوب الصحراء وتعدد مظاهر الانحراف بمدينة وجدة (دراسة ميدانية)	عدنان زروالي	16
251-242	هزيمة اسلامي عام 1844 وتبعاتها	الصافي عبد الرزاق	17
266-252	تطور التخطيط الحضري بالمغرب، بين ضبابية الرؤية وهيمنة النزعة التحكمية	حميد بوكرين	18
284-267	الجفاف المناخي بمجال الريف الأوسط (المغرب): حالة سهل النكور-غيس	خالد بوتزضيت، محمد الراجي	19
298-285	تدحرج الأراضي بهوامش بحيرة سد سيدى محمد بن عبد الله: منطقة أربعاء السهول نموذجًا (المغرب)	فتتحة ويحيى، نادية مشوري	20
305-299	تادلا خلال العصر الوسيط والحديث	غزلان حيداوي	21
317-306	الأهمية الجيوسياسية لحوض النيل	سلمي عثمان سيد أحمد الشيخ	22
349-318	الدعم المغربي للثورة الجزائرية 1956-1962	محمد بن ترار	23
359-340	AIN AOUADA un centre périphérique: état des lieux et perspectives de développement	fatimazahrae Hmama	24
368-360	L'enseignement de la langue amazighe au Maroc : état des lieux	Daoudi Hamou	25

افتتاحية العدد:

للقارة الأفريقية إمكانات هائلة وأهمية استراتيجية للنحو والتنمية، جعلتها محطةً للأنظار، وساحة للصراعات بين القوى الامبرالية إلى يومنا هذا، حيث استفادت كثيراً من الثروات الطبيعية والبشرية لهذه القارة منذ سنين خلت، وكذا أسواقها الكبيرة المفتوحة لتنمية اقتصاداتها، عكس الدعاية الغربية التي تعمل بكل الوسائل لإبرازه القارة الإفريقية على أنها بؤرة للصراعات، والجماعات الإرهابية، والهجرة القسرية، ومصدر للأمراض والأوبئة والمجاعة، وعلى أنها منطقة عاجزة عن تحقيق احتياجات مواطنها، وسخرت كل الوسائل لتصدير هذه الرواية السلبية التي انتشرت على مدى عقود تعزيزاً للمزيد من إحكام قبضتها عليها.

صحيح أن إفريقيا تعاني من العديد من المشكلات المتفاقمة، أعادت نهوض الحياة فيها، وتحقيق مفهوم تنمية شاملة ومستديمة، وعليه فمنذ مطلع القرن الحالي والقارة الإفريقية تشهد صراعاً محتملاً في الأفكار والتوجهات، بحثاً عن الموقع الصحيح في ميادين النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وتبلورت من خلالها قائمة من التحديات الكبرى: مكافحة الفقر المدقع الذي تعاني منه أكثر شعوب إفريقيا جنوب الصحراء، وقف الغرب الأهلية والصراعات المسلحة من أجل إحلال السلام والاستقرار، وما يستتبعه ذلك من بنية تضمن حقوق الإنسان، وتحفز على الإنتاج والابتكار والاستثمار.

فرغم كل العوائق والإشكاليات التي تعيق دون تنمية حقيقة، فإن القارة الإفريقية لها من المقومات ما يحقق لها النهضة الشاملة، ذلك أن العبرة من مواجهتها ترجع بالمقام الأول إلى إعطاء قيمة لقدراتها ومؤهلاتها الذاتية، وتعزيز الكفاءات من أجل الاستغلال الكامل والحكيم لمقوماتها، من خلال استثمار جميع الطاقات المتاحة في مشاريع تنميّة، طبيعية كانت أو بشرية، واستغلالها بشكل علمي عبر التخطيط الوعي المطابق لمصادر الإنتاج المحلي، والتخطيط لإقامة صناعات مطابقة للإمكانات المتاحة في دولها، ووضع خطة للتعليم على أساس توفير الأطر العلمية الوطنية على المدى الطويل، تحقق الاستقلال العلمي والتكنولوجي، فالاستقلال الاقتصادي السياسي لا قيمة له ما لم يتحقق الاستقلال العلمي والتكنولوجي، حتى لا تستمر مربوطة بعجلة التخلف العلمي مادام اعتمادها سيكون مقتضراً على الخبرة الأجنبية، مع الاعتماد على القوى الخارجية في حدود شروط معينة تراعي الواقع التنموي لبلدان القارة الإفريقية والقطع مع التبعية المطلقة لها.

كما أنه لا يمكن إنجاز التنمية لبلدان القارة الإفريقية إلا بمشاركة جميع القوى الفاعلة في مجتمعاتها، مما يتطلب:

- العمل على محو الأمية، ليس فقط أبجدياً، وإنما من خلال تعليم برامجهما بمتطلبات العمل والإنتاج والحياة وتعاملهما.

- تحسين الخدمات التعليمية الصحية خاصة في صفوف الفئات الهشة، بما يؤهلها أن تقوم بدورها الإنتاجي والمشاركة في التنمية.

- توجيه السياسات الاقتصادية والاستثمارات للأخذ بيد المشروعات الصغيرة، ودعم قدراتها ومساعدتها على الاندماج في القطاعات الإنتاجية.

- تشجيع وتحفيز القطاعات الإنتاجية الوطنية الكبيرة والمتوسطة على القيام بدورها الاقتصادي والاجتماعي.

- تنمية الوعي السياسي للفئات الهشة، وتفعيل مشاركتهم وانخراطهم في العمل السياسي.

- تعظيم دور الأنشطة والعمليات المنتجة.

- تقليل أنشطة الإنفاق غير المنتج.

ويبقى الفساد المستشري في مختلف مناحي الحياة بمعظم بلدان إفريقيا المعمق والمفرمل الحقيقي لأي تنمية منشودة، وتحجيمه في أفق القضاء عليه سيخلصها لا محالة من التبعية واستغلال ثرواتها وامكانياتها.

بكلمة: الدكتور سعيد واحيبي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب

التمثيل الاجتماعي حول المغرب وإفريقيا

في الطابع البريدي الاستعماري

Social representation about Morocco and Africa in colonial postage

محمد المنتفع¹

الملخص:

أصبحت الطوابع البريدية اليوم مرجعاً وثائقياً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه، نظراً لما تحمله من مواضيع ذات أهمية كبيرة، خاصة تلك المتعلقة بالمرحلة الاستعمارية، من خلال تجسيد الذاكرة التاريخية للمستعمرات وإضفاء شرعية الاحتلال عليها، واعتراف المجتمع الدولي بسيادة المستعمر على تلك المناطق بعد أن سوق الأطروحات التحريرية عنها، والتي شملت تشويه عاداتها وتقاليدها، وعرض الجانب الفيزيولوجي للإنسان الإفريقي بشكل مشوه في محاولة منها تدجينه وترويضه. لذا، يروم هذا المقال إلى البحث عن جدة هذا التوجه في الكتابة التاريخية خاصة بعد أن أصبح الطابع البريدي يشكل موضوعاً مشوقاً ومثيراً للباحثين في التاريخ الثقافي وتاريخ العقلية والتاريخ الاجتماعي.

الكلمات المفاتيح: الطابع البريدي؛ الذاكرة؛ الدعاية؛ الإثنوغرافية؛ الاستعمار.

Abstract : Postage stamps today has become an important reference documentary Because of what it carries subjects of great importance, especially those indispensable, Through the embodiment of the historical memory of the relating to the colonial phase, And the recognition of the international colonies and to legitimize the occupation on them, community's sovereignty over those areas colonized after the presentation of theses Which included the distortion of customs and traditions, and derogatorily about them, presented the physiological side of African man in a distorted manner in an attempt to domestication and tame. So; this article aims to find the novelty of this trend in historical writing, especially after the Postage stamps has become a subject interesting and exciting for researchers in the history of culture and the history of mentalities and social history.

key words: Postage stamps; memory; Propaganda; ethnographic; colonization.

مقدمة

- أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس- فاس (المغرب).¹

أصبحت الطوابع البريدية الاستعمارية، حول المغرب وإفريقيا، والتي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، من المواد الأرشيفية المهمة في الكتابة التاريخية، باعتبارها مواد شاهدة على وقائع تاريخية معينة للدول الاستعمارية والمستوطنات التابعة لها رغم أنها تكرس تمثيلاً اجتماعياً فظاً ومشوهاً عن شعوب المستعمرات الإفريقية بتزييف حقائقها التاريخية وتغيير مقوماتها الحضارية باستعراضها لبعض الظواهر الاجتماعية والثقافية بشكل مشوه، إذ تقصى التفاصيل الأكثر تعقيداً حول السكان المحليين، وتقدمه في تصنيف مادي ومفاهيمي غريب عنها. ويحمل هذا الإنتاج صوراً أخرى تعكس المزايا الاستعمارية من التقنيات الحديثة، والرعاية الاجتماعية، والخدمات الصحية.

نظراً للغموض الذي تثيره رموز وعلامات الصورة البريدية الاستعمارية، حول المغرب وإفريقيا، أصبحت من الأسئلة المنهجية التي تشغّل اليوم بالمؤرخين، خاصة وأنها عدت إحدى الوسائل الناجعة لخدمة المشروع الإمبريالي، إذ وظفت في فهم المكونات العرقية والثقافية لهذه المستعمرات عبر رصد تفاصيل قد تشمل على أبعاد غير واقعية. هذا الأمر دفع بالباحثين إلى مساءلة هذه الصورة، التي اتخذت أشكالاً متعددة من تاريخ إفريقيا، ودراسة نظام التمثيل البصري الأوروبي وطرق تلقي الصورة البريدية. فما هي أبعاد دلالات الصورة البريدية الاستعمارية حول المغرب والمستعمرات الإفريقية؟ وما مدى واقعية الإنتاج البصري البريدي حول التركيبة العرقية والدينية، والمميزات الثقافية والاجتماعية لهذه المناطق التابعة للاستعمار الإسباني والفرنسي.

1. الصورة البريدية والبعد الإيديولوجي: متابعة متتالية لحياة الأهالي

وظفت حكومات الدول الأوروبية المتتصارعة، منذ الحرب العالمية الأولى، الطوابع البريدية، إلى جانب مواد إعلانية أخرى، في حملاتها الدعائية متلاعبة بالرأي العام بجعله يقتنع بمصالحها في احتلال المستعمرات.² فحملت بذلك صور الطوابع رموزاً ودلالات سياسية وإيديولوجية معلنّة، تمثلت أولاً في تقديم متابعة حقيقة لأنماط الاجتماعية والثقافية للسكان المحليين، مستعرضة إياها في شكل مقروء من قبل المتلقي الأوروبي، فاحصة مختلف مكوناته في شكل متكامل. وثانياً نشر دعايتها الاستعمارية بهذه الأرضي من أجل إدخال القيم الغربية الحديثة، والمزايا الحسنة للاستعمار لتطوير إفريقيا وتحديثها في مختلف المستويات.

² - Luis Benito García Álvarez, «Las Representaciones De La Filatelia Franquista », in Historia Contemporánea, 40, 2010, p. 219.

سعت الإدارة الاستعمارية، بالغرب الصحراوي والغرب الإفريقي، نحو تقديم متابعة للسكان المحليين باستعراض أنماطهم المعيشية وهيئتهم الجسدية، من أجل إدماجهم في قيم الحداثة الغربية، ومحاولة تهذيبهم وثقيفهم، على اعتبار أنهم أجناس سفلية. وقد ارتكزت هذه المهمة الحضارية، في نظرها، على الدعاية، مثل تقديم عادات وتقاليد الأهالي ومختلف أشكال الحياة اليومية، في المناسبات الوطنية والدولية، وتقديم بلدانها، وما تزخر به من موارد طبيعية، كوجهة سياحية واستثمارية. وتظهر هذه المتابعة في طوابع بعض مناطق الصحراء الغربية، والتي أبرزت من خلالها الحماية الإسبانية عروض تقديمية مختلفة للسكان عبر تحديد سماتهم العرقية وملابسهم الخاصة، ونمط معيشتهم. (الصورة 1-2) وهو الشأن نفسه بالنسبة لطوابعها في غرب إفريقيا. (الصورة 3-4) كما طغى على طوابعها إدراج صور حول غنى الموارد الحيوانية لمناطق الصحراء الغربية كما هو الحال بالنسبة لمناطق غرب إفريقيا في كل من غينيا، و"ريو موني" Rio Muni عام 1961، و"فرناندو بوبو" Fernando poo عام 1966. (الصور من 5 إلى 10)

وتشير الفتنة الأخرى من الطوابع إلى "الثقافة الأصلية والfolklor"، وضمنها يمكن رؤية الجوانب المتعلقة بحياة السكان الأفارقة، مثل التقاليد أو الاحتفالات أو الموسيقى أو الألعاب أو غيرها من الأحداث الشعبية، (الصورة 11-12) وتمثل هذه النوعية من الطوابع نسبة 5.1% من إجمالي الطوابع الصادرة نحو المستعمرات الإسبانية في إفريقيا، وتظهر أكثر في مناطق الصحراء الغربية.³ (الصورة 13-14) وما يمكن ملاحظته في ثيمات طوابع الحماية الإسبانية بغرب إفريقيا هو تكرار موضوع المسيحية، بينما لا تظهر على الإطلاق في طوابع الجنوب المغربي، ويرجع سبب ذلك إلى كونه بلداً إسلامياً، كما هو الحال بالنسبة لسكان منطقة غرب إفريقيا المجاورة، بينما كانت غينيا ذات المعتقد الروحي منطقة للتبرير المسيحي الإسباني، وهو ما انعكس في صور الطوابع الصادرة بها.⁴ (الصورة من 15 إلى 18)

³ - Andrés Prieto, La propaganda a través de los sellos postales de las colonias españolas en África (1924-1975), in Historia y comunicación social, 26 (1), 2021, p. 87.

⁴ - Ibid, p.87- 88.



Andrés Prieto, La propaganda, op.cit, p. 86- 88.
Stampworld.com/en/stamps.

استندت السياسة الإسبانية في غينيا وفرناندو بو وريو موني على الإدماج، من خلال تحويل السكان الأصليين إلى إسبان وكاثوليك وعمال للسوق الإسبانية، خلافاً للمغرب الصحراوي، الذي اتخذت رؤيتها نحوه صبغة أبوية، بحيث أظهرت بعض التسامح السياسي والديني خلال نظام فرانكو. ورغم جهود النظام الإسباني في محاربة العادات الوحشية لبعض المستعمرات الإفريقية، إلا أنه كان مدركاً، حسب رأي "بريتو أندرى" Prieto Andrés، عدم قدرة سكانها على استيعاب الثقافة الأوروبية مما أسهم في محدودية وصولهم إلى التعليم والوظائف المؤهلة.⁵ وهو ما جعل النظام الإسباني يظهر احتراماً ضئيلاً للتنوع الثقافي واللغوي والعرقي للسكان المحليين مقارنة مع الاستعمار الإنجليزي، الذي سمح ببقاء بعض العناصر الثقافية الإفريقية، مثل اللغات الأصلية، المستخدمة في المدارس.⁶

أما في المناطق الإفريقية الغربية التابعة للاستعمار الفرنسي، فقد تجلت متابعة الأهالي في النموذج الأول من الطوابع الصادرة نحو هذه المجالات، وقد تميزت بكونها ذات صور منفردة، بحيث عرضت مشاهد أو شخصيات أو جوانب أخرى من الحياة الاستعمارية، مع بنية سيمائية بسيطة ظاهرياً، يمكن للمرء أن يكتشف من خلال رموزها رغبة الاحتلال الفرنسي في التلاعب الأيديولوجي. (الصورة 19-20-21) في حين يجمع النموذج الثاني من هذه الطوابع بين عناصر سيمائية متعددة ومعقدة، إذ تم تأطيرها من خلال نموذج هيكلٍ أوروبيٍّ أساسٍ يحمل شعار النبلة، وفيه يتم إخفاء عبئية المزاج بين الرموز المحلية ورموز الاستعمار لجعل الصورة البريدية تبدو طبيعية لدى المتلقٍ الأوروبي.⁷ (الصورة 22-23).

وقد اشتمل هذا النموذج من الطوابع على نظرة شمولية للسكان تمحور حول صور الأهالي ذكوراً وإناثاً، وأيقونات تعبر عن مظاهر حياتهم اليومية.⁸ (الصورة من 25 إلى 32) وصوراً للمناظر الطبيعية والحيوانات، وركبت، بشكل كبير، على العادات والتقاليد المحلية. (الصورة 33-34) وهي مواضيع تحمل نظرة أثربولوجية للسكان الأصليين، ونجدتها، بشكل واضح، في فترة ما بين الحربين، حيث تسريحتات الشعر، ومظهر الزينة، والألبسة المحلية لكلا الجنسين. والجدير بالذكر، أنها نقوش وهياكل اتخذتها جميع مستعمرات القارة الإفريقية تقريباً. (الصورة من 35 إلى 40)

وكان الهدف من ذلك "فهم ميكانيزمات التركيب الاجتماعي من عادات وتقاليد وممارسات، لكي يفرغها من محتواها في كيانه، وذلك في فضاء مشروع سياسة الإلحاد".¹⁰ وبناء على محتوى هذه الصور وتصاميمها وطرق إنجازها وجب

⁵ - Andrés Prieto, *La propaganda*, op.cit, p. 83.

⁶ - Ibidem.

⁷ - David Scott, L'image ethnographique: le timbre-poste colonial français africain de 1920 à 1950, in *Protée*, vol. 30, n° 2, 2002, <https://doi.org/10.7202/006730ar>, p. 47.

⁸ - Ibid, p. 48.

⁹ - Ibid, p. 49.

¹⁰ - سمير بوزويته، مكر الصورة: المغرب في الكتابات الفرنسية (1832-1912)، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007، ص. 223.

دراستها ونقدتها باعتباره جزءاً إضافياً من الفن الشمولي لهذا المعنى، وقد أدرك هتلر وقاده الحزب النازي القيمة الدعائية التي يتمتع بها الطابع البريدي، وبالتالي، فقد خدم مرات عدة مصالح النازية والقوى الاستعمارية الأخرى بإظهار قوتها وقدراتها في مختلف المستويات.¹¹



¹¹ - Luis Benito García Álvarez, op.cit, p. 222.



David Scott, op.cit, pp. 48- 52.

<https://www.stampworld.com/fr/maps/Africa>

رغم وضوح صورة الطابع البريدي وجودتها فإن أغلب الشخصيات التي تم تصويرها تشير إلى صور غريبة ومثيرة للخيال في أحيان كثيرة¹², حيث اصطبغت بالتوحش والتشویه، فالاستعمار كان يرى فيها مجتمعات فقيرة بدائية، تنتظر قوة أوروبية لإعادة النظام إليها وتطوير طاقاتها وتحقيق الرفاهية لجميع سكانها.¹³ وهكذا، يظهر من خلال هذه الطوابع، أن المغرب الصحراوي وإفريقيا عامة تعني كل ما هو غريب ومدهش، فهي تتجسد عبر المخيلة الأوروبية، باعتبارها عالم آخر فيما وراء البحار تستدعي بدائيته إدخال قيم الحداثة الغربية إليه، فكانت أيديولوجيتها ترتكز على مبدأ: "واجب الأجناس العليا تحضير الأجناس السفلية".¹⁴

2. البعد السياسي للصورة البريدية: إدخال قيم الحداثة الغربية إلى المستعمرات

¹²- David Scott, op.cit, p. 49.

¹³- سمير بوزوينة، مكر الصورة، مرجع سابق، ص. 196.

¹⁴- سليمان بومدين، "صورة الأهالي في الخطاب الكولونيالي: الجزائر نموذجاً"، مجلة شؤون اجتماعية، العدد 117، ربيع 2013، ص. 185.

ركزت السياسة الاستعمارية على نشر دعاية دور الاستعمار في التنمية المحلية، كوسيلة هادفة لإقناع هذه الشعوب والرأي العام الأوروبي بفوائد الاستعمار في مجال الأشغال العمومية، والتعليم والصحة، والنقل.¹⁵ فجاء محتوى الطوابع الإسبانية والفرنسية في المناطق الإفريقية زاخرا بعناصر الحياة والثقافة المحلية الممزوجة برموز الحداثة الأوروبية، مثل دمج القاطرة، والطائرة، وخيوط التليغراف، والسفن والمنشآت الصناعية في مجموعة من الأنماط المحلية.¹⁶ وهي محاولة لتأسيس علاقة حقيقة بين الصورة التي يقترحها الطابع البريدي والواقع الذي يستجيب له، وبعبارة أخرى، خلق حلقة وصل بين الرموز الدالة على الحداثة الأوروبية والرموز المحلية داخل الطابع الاستعماري.¹⁷ وفي عام 1959 أقدمت إسبانيا على إدخال المزيد من عناصر الحداثة الأوروبية على المشهد المحلي بمناطق الصحراء الغربية، وخاصة بمنطقة سidi إيفني، مثل الشاحنات، والعربات، والطائرات، والتليغراف، والموانئ والسفن. (الصورة من 41 إلى 44) والرياضة الأوروبية. (الصورة 45-46) والعديد من الخدمات كالمستشفيات، والمدارس، ومكاتب البريد، والكنيسة. (الصورة من 47 إلى 50)¹⁸ وكان الهدف من ذلك تقديم منطقة "سيدي إيفني" الحديث له علاقة حقيقة مع إسبانيا.



¹⁵- Eloy Martín Corrales, Marruecos y los marroquíes en la propaganda oficial del Protectorado (1912-1956), in Mélanges de la Casa de Velázquez [En ligne], 37-1 | 2007, <http://mcv.revues.org/2942>, p. 84.

¹⁶ - David Scott, op.cit, p. 52.

¹⁷ - Ibidem.

¹⁸ - Eloy Martín Corrales, op.cit, p. 100.



Stampworld.com/en/stamps/Morocco/

عرفت الطوابع الاستعمارية الإسبانية والفرنسية، الصادرة نحو المغرب الصحراوي وإفريقيا الغربية، تحولات كبيرة، ما قبل الحرب العالمية الثانية وما بعدها، حيث كانت تطغى على طوابع فترة ما قبل الحرب صفة "الغرابة" على الأهالي عبر تصوير بدائية أنماطهم المعيشية ومقارنتها بالتفوق الحضاري الأوروبي، وبعد الحرب بدأت تظهر أشكال أخرى من الوجود الأوروبي، مثل صور عن الطب الغربي والتجارة والصناعة، وتم مع هذه المزايا الاستعمارية حضور الرجل الأبيض في الطابع البريدي.¹⁹ وهذا الأمر كان نابعاً من فكرة المصالحة مع المستعمرات التابعة للحماية الفرنسية، والتي كانت تروج لها قبل اندلاع الحرب، ففي خطاب وزير المستعمرات الفرنسية عام 1937 صرخ فيه بما يلي: "يجب أن يكون هدفنا الأساسي هو تحقيق الاستعمار من طرف السكان أنفسهم". لقد ولّى عهد الشركات الكبرى ذات الميثاق وعهد الأسواق الكبرى، وبدون تعاون الشعوب المحلية سيكون من المستحيل علينا الذهاب بعيداً في إعطاء بلدان ما وراء البحار قيمتها، وهو أمر في مصلحتها ومصلحة فرنسا".²⁰ لكن المواجهة والمقارنة بين العالم الأوروبي والإفريقية ظلت قائمة، ويمكن ملاحظتها أو متابعتها عبر الأنظمة التصويرية المتطرفة، التي احتزل بعضها جوانب غير متجانسة لواقع الأهالي، ففي طابع فرنسي إفريقي لعام 1950 أظهر طبيب أوروبي يعطي حقنة لطفل أسود، وهذا العمل ليس موجهاً إلى أم الطفل الإفريقي فحسب، بل هو يعني مجموعة كاملة من أجناس القارة، وهي وجوه تظهر على الجوانب اليمنى واليسرى للطابع البريدي.²¹ (الصورة 51) وهي صورة تشكل جوهر مسيحي، حيث تكون فرنسا قادرة على منح مستوطناتها إداريين أكفاء في مستوى الأخلاق المسيحية، وقدرين على كسب ثقة الأهالي.²²

¹⁹ - David Scott, op.cit, p. 49.

²⁰ - عبد الله بن المليج، التاريخ السياسي للمغرب إبان الاستعمار- البنية السياسية، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص. 271-270.

²¹ - David Scott, op.cit, p. 49.

²² - سمير بوزيطة، مكر الصورة، مرجع سابق، ص. 25.

إن مطابقة حضارتين في أيقونة دقيقة هي، في الأسماء، خدعة استغلت في العديد من الطوابع الاستعمارية في أربعينيات وخمسينيات القرن العشرين، حيث بدأت تظهر، بشكل واضح، في الطابع البريدي رموز دالة على الحداثة الأوروبية، إلى جانب الثقافة والعادات والحياة اليومية العادمة للأهالي، ومثال ذلك الطابع البريدي للكاميرون في سنة 1946، الذي يظهر وجود تقارب بين محارب كاميروني وقناع إفريقي مع مروحة طائرة.²³ (الصورة 52)

وبالتالي، فعادات وتقاليد سكان المستعمرات تكون دائمًا دونية، في مقابل التطور الأوروبي الذي جسده مرحلة الطائرة، كما تعكس ذلك صورة دمج الطائرة الفرنسية في مجموعة من الأنماط المحلية للسينغال عام 1942. (الصورة 53) وهذا التقابل بين الحضارتين نجده في طابع الداهومي لعام 1942، الذي يظهر شاباً إفريقيا يستفيد من التعليم الأوروبي، وهو ينظر إلى خريطة لإفريقيا بجواره كومة من الكتب، تحت أسماء أهم رواز ومروجي السياسة الأهلية في إفريقيا، أمثل "غاليوني" Golliéni و"ليوطى" Lyautey.²⁴ (الصورة 54) كدليل على دور المستعمر في تحديد إفريقيا وتطورها من خلال نشر التعليم الأوروبي. كما يظهر هذا التقابل في طابع بريدي للطوغو في عام 1947، وفيها يعبر ساعي بريد شاب الغابة حاملا رسالة في نهاية عصا إلى جانب طائرة تحلق فوق المشهد المحلي للطوغو.²⁵ (الصورة 55) كما هو الشأن بالنسبة لطابع الكاميرون الفرنسي عام 1948، حيث تظهر صورة طائرة لوكهيد كونستلشن الجديدة Lockheed Constellation، التي تمثل فيه الحداثة والتقدم وسرعة الاتصالات الحديثة وتسريع التنمية الاستعمارية التي جلبها الاستعمار، وتعبر عن الهيمنة الأوروبية مع إيقاع جديد على حياة الأهالي.²⁶ (الصورة 56)

ومن ثمة، فوظيفة هذا التقابل بين الصورتين غير المتكافئتين عرض رسالة التقدم التي حققتها النقل الجوي الأوروبي، وهناك رسالة أخرى وهي أن تقاليد السكان الأصليين على وشك أن يتم تسجيلها في المتاحف الأوروبية، كذاكرة لهذه المجتمعات البدائية، والتي قد تثير فضول المتلقين الأوروبيين مما يساعد الأجهزة الاستعمارية على تبرير احتلالها وتشمين غزوها لهذه البلدان. لكن خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات سيحدث تحول سريع في تصوير حياة السكان الأصليين في الطوابع البريدية، حيث أصبح يتم التعبير عن التقابل بين نظامي الأيقونتين الأوروبي والإفريقي عبر فرض الهيمنة التدريجية للنموذج الأوروبي.

وهكذا، نجد في طابع إفريقيا الاستوائية الفرنسية من عام 1954 شاب إفريقي يرتدي قميص "بولو" polo أوروبي، يقوم بقيادة جرار، وفي خلفية الصورة يظهر مشهد صناعي تحلق فوقه طائرة. (الصورة 57) وعلى نحو مماثل، نجد في

²³ - Ibid, p. 50.

²⁴ - Janice Deledalle-Rhodes, L'iconographie du timbre-poste tunisien pendant et après la période « coloniale »: prise de conscience d'une identité nationale, *Protée*, 30 (2), Université du Québec à Chicoutimi, 2002, p. 64.

²⁵ - David Scott, op.cit, p. 51.

²⁶ - Ibid, p. 50.

طابع من الكوت ديفوار لعام 1961، نفس ساري البريد على استعداد لارتداء زي عامل البريد ومبادلة عصاهم بالدراجة وترك الغابة لدخول مكتب البريد الجديد. (الصورة 58) ومع ظهور استقلال المستعمرات الإفريقية، خلال مرحلة الستينيات، بدأت الصورة البريدية تتخذ شكلا آخر قائما على تمثيل البطل الأسود وإحياء ذكراه كما هو الحال في الطابع البريدي الذي يمثل استقلال السنغال في عام 1961، حيث نجد رمز الجمهورية الفرنسية "ماريان" يتحول إلى "ميريان سوداء"²⁷، تحتضن طفل إفريقيا للدلالة على منح إفريقيا حريتها واستقلالها. (الصورة 59)



David Scott, op.cit, p. 50- 52. Hassana, Les timbres du Cameroun : 1884 – 2010, Mémoire d'études approfondies DEA D'histoire, Université de Ngaoundere, 2007- 2008, p. 35.
<https://www.stampworld.com/fr/stamps>.

إن المستجدات التي أدخلها الاستعمار الأوروبي إلى المناطق الإفريقية، من سيارات وتقنيات الزراعة والصناعة ووسائل النقل، لا تعود تكون سوى وسائل لاستغلال القارة الإفريقية ومواردها ولتشجيع المعمرين على الاستثمار بها. ولم ينحصر المشروع الاستعماري على جلب أشياء المتحضر إلى إفريقيا، بل ركز على الجانب الاجتماعي والثقافي لخلق وهم

²⁷ - David Scott, op.cit, p. 50- 51.

عند المتلقى الأوروبي والإفريقي بأهمية الاستعمار وحسن نوايا المستعمر، فحملت بذلك الطوابع البريدية، كوسيلة للدعاية، رموز رعاية الطفولة، ورموز التعاون بين الأوروبيين والأفارقة.²⁸

ويجسد ذلك الطوابع الإسبانية الصادرة نحو منطقة سيدي إيفني سنة 1950 و1952 والتي تحمل دلالات على رعاية إسبانيا للطفولة، (الصورة 60-61). ونجد في طابع آخر صادر عام 1965 يظهر طبيب إسباني يعطي حقنة لرجل صحراوي. (الصورة 62) كما هو الأمر في صورة طابع بريدي لгиния الصادر عام 1942، والذي يظهر الخدمات الطبية الفرنسية. (الصورة 63) وهذه الأعمال والخدمات الاستعمارية موجهة إلى جميع أجناس القارة الإفريقية.



David Scott, op.cit, p.50- 51.

Stampworld.com/en/stamps.

لم تكن رموز التعاون والتضامن بين الأوروبيين والأفارقة في الطوابع البريدية الإسبانية والفرنسية إلا وسيلة للدعاية الاستعمارية بهذه البلدان، والتعریف بحسنات الاستعمار ومزاياه، عبر تسجيل متّال للمنجزات دون أن الإغفال عن استعراض حياة الأهالي، وفحص مكوناتهم الاجتماعية والثقافية في شكل مقروء من قبل المتلقى الأوروبي. ليظل بذلك الطابع الاستعماري لغة رمزية ودلالية تخفي تفاصيل معقدة، تحمل رسائل سياسية وأيديولوجية قائمة، في الأساس، على تدجين المستعمرات عبر بناء وهم التألف بين ثقافة البلاد المحلية والثقافة الأجنبية.

²⁸ - Janice Deledalle-Rhodes, L'iconographie, op.cit, p. 64.

حملت الطوابع البريدية الاستعمارية، بالغرب الصحراوي وإفريقيا، بعدها إيديولوجيا واضحا، حيث إن شكلها ومضمونها كشف عن رغبة المشروع الاستعماري في ترسيخ صورة تحمل قدرا من التمثيلات السلبية التي تصب في تحصير هذه المجتمعات والنظر إليها نظرة دونية. لذلك، ارتكزت وظيفتها أولاً في تقديم مبررات كافية للرأي العام الأوروبي بمدى التقدم الحضاري الذي أصبح يحتله، وجعله يتقبل فكرة عدم قدرة المستعمرات الإفريقية على تسيير شؤونها من جهة، وحاجتها إلى التحضر من جهة أخرى. وثانياً في محاولة جعل المستعمرات الإفريقية تدرك البون الشاسع بينها وبين الدول الاستعمارية المتحضرة، التي أثبتت عن تفوقها السياسي والإداري والعسكري والاقتصادي والثقافي.

وعموما، يبقى الطابع البريدي، كوثيقة تاريخية مهمة، يحمل مستويات متعددة لها مغزى ودلالات وشعارات وممارسات يحتضنها المشروع الإثنوغرافي الأوروبي حسب رأي "دافيد سكوت" فهو يعد جزء من أرشيف سياسة الاستعمار الأوروبي، بين الحرين، يحمل رسائل إيديولوجية واضحة، لا تختلف عن النموذج المألف في الكتابات الإثنوغرافية المفعمة بالنظرة الغرائزية للسكان المحليين، إذ يمكن اعتباره سلil الإنتاجات الاستعمارية الأخرى، جاء هو الآخر من أجل إثارة الفضول الأجنبي حول طرق حياة السكان ومعيشتهم ومظاهر ثقافتهم وتقاليدهم، ووظف للمقارنة بين عوالم هذه المجتمعات البدائية الفقيرة وما توصلت إليه أوروبا على مستوى التقنية الحديثة. وترجمة مضمون الصورة البريدية ومحفوتها يؤدي إلى تكوين رؤية وتصور حول تاريخ البلدان الإفريقية ومجتمعاتها، بل إنها تتيح تعقب الأيديولوجية الاستعمارية ومخالف أنماط تصورات دوائر الفكر الاستعماري. وبالتالي، فالطوابع البريدية تعد إرثاً كولونياليا ما زال إلى يومنا هذا عملاً يحتاج إلى البحث والتنقيب في مدلولاته ومغزاها، وتوثيقه في أعمال أكاديمية مؤثقة.

لائحة المصادر والمراجع

• باللغة العربية

- ابن المليح عبد الله، *التاريخ السياسي للمغرب إبان لاستعمار- البنيات السياسية*، ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
- بوزويته سمير، *مكر الصورة: المغرب في الكتابات الفرنسية (1832- 1912)*، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007.
- بومدين سليمان، "صورة الأهالي في الخطاب الكولونيالي: الجزائر نموذجاً"، *مجلة شؤون اجتماعية*، العدد 117، ربىع 2013.

• باللغات الأجنبية

- Alvarez Luis Benito García, «*Las Representaciones De La Filatelia Franquista* », Historia Contemporánea, 40, 2010.
- Corrales Eloy Martín, «*Marruecos y los marroquíes en la propaganda oficial del Protectorado (1912-1956)* », *Mélanges de la Casa de Velázquez* [En ligne], 37-1 | 2007, <http://mcv.revues.org/2942>.
- Deledalle-Rhodes Janice, «*L'iconographie du timbre-poste tunisien pendant et après la période « coloniale » : prise de conscience d'une identité nationale* », Protée, 30(2), Université du Québec à Chicoutimi, 2002.
- Hassana, «*Les timbres du Cameroun: 1884 – 2010* », mémoire d'études approfondies DEA D'histoire, université de Ngaoundere, 2007- 2008.
- Prieto Andrés, «*La propaganda a través de los sellos postales de las colonias españolas en África (1924-1975)* », *Historia y comunicación social* 26 (1), 2021.
- Scott David, «*L'image ethnographique: le timbre-poste colonial français africain de 1920 à 1950*», Protée, vol. 30, n° 2, 2002, <https://doi.org/10.7202/006730ar>.

الموارد الإلكترونية:

<https://www.stampworld.com/en/stamps/>

سيكولوجية البيطان بمنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب

The psychology of Moor in the regions of Saguia al-Hamra and Wadi al-Dahab

النعمه بوشامة - أستاذ في علم الاجتماع، المغرب

naama.bouchama@gmail.com

ملخص:

يأتي مقالتنا هذا التقديم مقاربة علمية حول أبرز تجليات النفسية الصحراوية لدى البدو الرحل المستقررين في مجال الجنوب المغربي بمنطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب في الفترة المعاصرة، إذ شهد مجتمع هذا المجال ولا يزال في عقوده الأخيرة تحولات عميقة شملت العديد من بنياته لم يشهد نظيرها في تاريخه الماضي، وذلك راجع بالأساس إلى كون مرحلة استقراره ضمن حواضر ومدن أغلبها على مقربة من السواحل البحرية قد أدى إلى بروز قيم وسلوكيات جديدة، الأمر الذي حفزنا إلى البحث العلمي الدقيق حول بعض مظاهر البنية النفسية الصحراوية، مسلطين الضوء على موضوع سيكولوجية الإنسان الصحراوي بمجال الدراسة وذلك سعياً منا لمواصلة خدمة البحث العلمي والأكاديمي حول هذا المجال، معتمدين في ذلك على تقنية المقابلة المباشرة التي استهدفت خمسة عشر مبحوثاً من فئات عمرية مختلفة.

الكلمات المفتاحية: سيكولوجية، الممارسات، القيم.

Abstract: Our article comes to provide a scientific approach on the most prominent manifestations of the desert psyche among the nomadic Bedouins who settled in the southern Moroccan field in the regions of Saguia al-Hamra and Wadi al-Dahab in the contemporary period. This is mainly due to the fact that the stage of its settlement within metropolises and cities, most of which are close to the sea coasts, has led to the emergence of new values and behaviors, which motivated us to conduct accurate scientific research on some aspects of the desert psychological structure, highlighting the subject of the psychology of the desert man in the field of study, in an effort to We want to continue serving scientific and academic research in this field, relying on the direct interview technique that targeted fifteen respondents from different age groups.

Key words: Psychology, practices, values.

مقدمة:

يعد علم النفس أحد التخصصات الأساسية في حقل العلوم الإنسانية الذي اهتم بدراسة النفسية الفردية ومشاكلها خاصة خلال مرحلتي الطفولة والراهقة، وذلك من أجل فهم الاضطرابات النفسية التي قد يكون الشخص أصيب بها في طفولته الأولى، وذلك لتحليلها ثم علاجها إذا أمكن ذلك، كما انبىء هذا العلم إلى دراسة بعض الطقوس الشعائرية والممارسات لفهم الأفكار والمعتقدات المؤطرة للمجتمعات، لذلك اهتمت الدراسات النفسية بمقارنة القوانين والمؤسسات المشكلة للمجتمع لتفسير حاجياته وكيفية تغيير أعطابه دون عنف، ولذا فإننا سنحاول في هذا المقال التطرق لمقاربة نفسية الإنسان الصحراوي، وذلك من خلال الإجابة عن إشكالية الملامح المشكلة للنفسية الصحراوية ؟ وما هي استراتيجيات التعامل مع الحياة اليومية ؟ خاصة في أنماط تدبير الأسرة، العمل، العلاقات، التفكير.. ؟

ما يجعل هذه الدراسة تحمل على عاتقها رهان التفكير والتشريح العلمي هو إعادة فهم صيغ ومعنى سيكولوجية البيظان بمناطق يعتبر الاجتماعي فيها بمثابة حقل يحدد فيه مسار الصراعات، الأمر الذي حفزنا إلى البحث العلمي الدقيق حول بعض مظاهر البنية النفسية الصحراوية، مسلطين الضوء على موضوع سيكولوجية الإنسان الصحراوي بمجال الدراسة، وذلك سعياً منا لمواصلة خدمة البحث العلمي والأكاديمي حول هذا المجال، معتمدين في ذلك على تقنية المقابلة المباشرة التي استهدفت خمسة عشر مبحوثاً من فئات عمرية مختلفة.

إن استخدام مناهج علم النفس في دراسة المجتمع الصحراوي راهناً من شأنه أن يفيدنا في فهمه بشكل إيجابي، ذلك أن فهم سيكولوجية الإنسان الصحراوي يساعدنا في معرفة سبل التعامل معه ومع المجال الذي يقطنه، ولهذا سيرتكز موضوعنا هذا بشكل مباشر على جمع المعطيات الشفوية وذلك اعتماداً على تقنية المقابلة المباشرة (وحتى غير المباشرة) وتقنية الملاحظة بالمشاركة، وكذا جمع المعطيات الدقيقة المفسرة لسيكولوجية الإنسان الصحراوي، من خلال اعتماد آلية المقابلات المباشرة لفهم الميكانيزمات المتحكمة فيها خاصة ما بعد الاستقرار بالمنطقة، وأثار ذلك على البنية والعلاقات الاجتماعية، من خلال فهم أنماط تكيف البدو المستقررين مع واقع المدن الحضرية ومؤسسات الدولة وانعكاسات ذلك على البنية الأسرية التقليدية للساكنة، وكيفية تدبير العلاقات وضغطوط الحياة والعمل، والقيم والمبادئ المؤطرة لعقلية هذا الإنسان.

لقد شكل اعتمادنا على تقنية المقابلة اعتباراً إلى كونها تتيح للمبحوثين فرصة التعبير عن تمثاليتهم وقناعاتهم وتصوراتهم حول الأسئلة المتعلقة بموضوع هذا المقال، مع التدخل لضبط المعلومات كلما تم الخروج عن صلب الموضوع، وذلك لجمع المعطيات المتعلقة بالإشكالية المركزية التي يدور حولها موضوع مقالتنا هذا، كما أن اختيار وضبط فئات العينة المتنوعة ما بين كبار السن والشباب جاء بناءً على استحضار عامل المقارنة بين ماضي المنطقة والتحولات الراهنة الحاصلة بها، وقد تم إنجاز هذه المقابلات بمجال الدراسة بداية من شهر مايو 2018م إلى حدود أواخر صيف تلك السنة، وذلك جهداً من

أجل إثراء وتعزيز البحث والدراسة الميدانية حول موضوع مقالتنا المنصب على مقاربة أبرز سيكولوجية الإنسان الصحراوي بالمنطقة المدرسة.

في البدء: تحديدات مفاهيمية:

سيكولوجية: هو العلم الذي يهتم بدراسة الخصائص العقلية والسلوكية عند الأفراد من خلال الاهتمام بمقاربة مواضيع عديدة من قبيل الشخصية، العاطفة، السلوك، الإدراك، والعلاقات بين الأشخاص.. وذلك عبر توظيف النظريات العلمية المفسرة للسلوك والتفكير بهدف التوصل إلى فهم هذا السلوك وتفسيره والتنبؤ به وبالتالي التحكم فيه.

البيظان: اصطلاح محلي كان يقصد به تمييز مجال الدراسة وما جاورها من مناطق أخرى عن بلاد السودان، وقد اتخذ هذا المفهوم بعده ثقافياً أكثر مما ارتبط بالعرق أو بلون البشرة، حيث صار البيظان هو ذلك الشخص الذي يتحدث اللهجة الحسانية، ويرتدي زياً محلياً خاصاً بأهالي هذا المجال، وله موروث ثقافي يميّزه عن الثقافات المجاورة الأخرى، وقد أطلق المؤرخون تسميات عديدة على بعض أجزاء مجال البيظان من قبيل "صحراء الملثمين" و"المجاورة الكبرى" و"بلاد التكرور" وهو "إسم كان يطلقه مؤرخو تنبكتو على منطقة غرب إفريقيا التي اعتنق أهلها الإسلام"¹.

الساقيية الحمراء ووادي الذهب: تقع في أقصى شمال غرب إفريقيا يحدها شمال إقليم الطنطanan، وجنوباً رأس بوجدور، وشرقاً لحمادة، وغرباً المحيط الأطلسي، وتعتبر العيون عاصمتها. تنتهي المنطقة للصحراء الأطلantية، والتي تمتد من وادي درعة شمالي لكونية جنوباً، والحدود الجزائرية شرقاً، والمحيط الأطلسي غرباً. وكانت منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب تحت الاحتلال الإسباني من سنة 1884 حتى خروج آخر جندي إسباني منها سنة 1976 أي أنها خضعت للاستعمار قرابة قرن من الزمن، وسميت آنذاك بالصحراء الإسبانية، كانت تقطنها مجموعة من القبائل وهي قبائل الرقيبات والعروسين وإزركيين وأولاد تيداريين وأولاد دليم (حيدارة بشر أحمد، 1998 ، ص 23).

أولاً. نفسية الإنسان الصحراوي:

لدراسة نفسانية المجتمع الصحراوي لابد من الرجوع للعقلية المؤطرة له من خلال ما يحكمها من سلوكيات ونظرته للأخر وللذكون، وتبني أهمية دراسة الذهنية الصحراوية وخصائصها من الدور الفعال الذي يتبعه الفكر في تحليل الواقع وإصدار الأحكام المحددة للسلوك، لذلك لا بد لنا أن نكون منهجيين في مقاربة النفسية الصحراوية، ومن خلال هذه المحاولة الأولية

¹ المختار ولد حامد، حياة موريتانيا: الجغرافيا، 1414-1315، جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، معاجم وموسوعات (1)، الرباط 1994، ص.

التي لا نفترى أنها تقدم نتائج قطعية بل إنها تبقى مجرد استشراق للموضوع المثار عبر استحضار معطر الملاحظة والمعايشة اليومية وكيفية تعامل مجتمع الدراسة مع قضيائاه اليومية.

ما سجلناه إزاء هذه القضايا اليومية لمجتمع الدراسة هو قدرته على تطوير مجاله الرعوي القاسي، مما يؤشر على عدم قصور الفكر البدوي والترحال من ناحية، وعلى قدرته من زاوية أخرى على السيطرة الذهنية على سلوكاته وانفعالاته، حيث استطاع تدبير المجال والعنف وال العلاقات القبلية، مما يجعلنا نؤشر له بتجاوز مركبات النقص التي من شأن هذا المجال أن يطرحها عليه، دون أن نغفل الممارسات الخرافية والميتولوجية التي كان يوظفها الإنسان الصحراوي خلال مرحلة الترحال كلما واجهته قوى طبيعية أو مادية فوق طاقته، لذلك لا غرو أن وصفنا سمة هذه المرحلة بالقوة الذهنية القادرة على ابراز الذات وتأكيد مقدرتها على مواجهة المحيط الصحراوي بكل تحدياته، وهي حالة من الامتداد النفسي لوضعية التلامم والتضامن الاجتماعي العشائري والقبلاني.

لقد تطلب هذا التطوير جهداً فكرياً قصد تحليل الواقع المحيط بهؤلاء البدو حديثي الاستقرار، الأمر الذي جعل الثقافة الشفهية الصحراوية خزانة فكرياً ومعرفياً ولذلك أطلق علماء الصحراوين مقوله "كلام اللولين ما اكذبواه لكتوب"، ومعناه أن ممارساتهم نابعة من فكر خاضع للتجريب مما جعل كتابات جيل اليوم غير قادرة على دحضه أو الطعن فيه، ويمكننا اعتبار أهالي منطقة الدراسة وبحكم ما فرضته عليهم طبيعة المجال الصحراوي قادرین على استيعاب الصعب المحيطة بهم، فكانت وضعية السيطرة هذه دليلاً على قوة قارتهم وتفكيرهم مما جعلهم في النهاية يتباهون أمام الآخر بهذا الذكاء الفطري، على اعتبار أن هذه السليقة والحداقة كانت الوسيلة الوحيدة للتعامل مع الآخر في زمن البداوة والترحال الدائم. انه "من السهل تنظيم حملة إلى قلب الصحراء ولكن من الصعب النفاد إلى نفسية الصحراوي الذي يغلف أحاسيسه بابتسمة وخضوع ظاهري"² ، هذه النفسية الموسومة بصعوبة الاختراق لنجد أقرب من تحديد لها من مجال الصحراء الذي يقطنه هذا الإنسان، حيث نحتته وشكلته بصورة خاصة جعلت من الصعوبة قراءة ملامحه، هذه الملامة الرئيسية لنفسية وذهنية انسان الصحراء والتي ستصبح أفكاره بنمط محدد فرضته هذه البيئة القاسية وما فرضته كذلك آليات تدبير العنف، كما أن هذه القساوة الشديدة بالصحراء وما يطبعها من شطوف العيش حيث فرض فقرها الناتج عن توالي سنوات الجفاف وقلة نباتاتها وارتفاع حرارتها على قاطنيها إلى مضاعفة جهدهم وكدهم وتقشفهم والأهم من كل هذا عمق تفكيرهم، وذلك من أجل تكيفهم مع واقع هذه البيئة القاسية وأنسنته محیطها حتى تكون فضاء قابلاً للحياة والبقاء والاستمرار، لذلك نجد أن "الصحراوي يكتفي بالقليل من الطعام والأقل من الشراب وهو كثوم يحرص على أسرار قومه وعاداتهم"³ ، الأمر الذي تربّ عنه ظهور أنماط للفكر والعمل تسعى إلى تحسين وترشيد كل الوسائل المتاحة وتطويرها،

² محمد دحمان، الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الاستعمارية (1885-1933)، ط.1، الرباط، 2014، ص.97.

³ نفس المرجع السابق، نفس الصفحة السابقة.

بينما ذهب "كول الى نعيم بالمكر والريبة والخذر والغيرة، وعدم التصريح بالحقيقة، ويعد صفاتهم كالكرم، والضيافة، والوفاء للتقليد، والعدل والثرثرة، والفوضى والكسل".⁴

اننا أمام عقلية تقييد عادة بشروط عديدة قبل اتخاذها لأي قرار، وهنا يبرز ما أطلقوا عليه بـ"مجلس أيت أربعين"⁵ كتمثيلية قبلية تقوم بطرح حلول متعددة للمشاكل التي تعترى القبيلة، ومن خلال مناقشة هذه المشاكل يتم ترجيح الحل الأنسب، لتوضع للبنات الأخيرة للتنفيذ والأدوات والآليات الكفيلة به، غالباً ما يتم الاسترشاد بفتنة الكهول من الرجال المعروفين بتاريخهم المشرف كحكماء قصد الاسترشاد بنصائحهم لسلوك الطريق السليم.

ان ما يميز الذهنية الصحراوية هو التشبيث بعناصر الكد والجلد وعلى رأس ذلك المثابرة والروح القتالية، حيث نجد أفراده ما إن يركزون على أمر ما حتى ي CABDON بكل ما استطاعوا في تسليط التفكير حوله دون تعب أو كل، مما يفسر الجهد الذاتي الطويل والنفس المركز، لذلك كان هذا الإنسان البدوي لا يؤمن بالنجاح السريع ولا يسعى لاقتناص المناسبات التي تحمل الحظ والحظوة للارتفاع، وهو ما يفسر ملاحظة لطالما اشتهر بها أثناء حروبها الدائمة وهو أن المقاتل منهم عندما يسقط سيف خصميه لا يقوم باقتناص فرصة غدره لقتله، بل يعطيه لحظة لالتقاط سيفه حتى لا يسمى جباناً، فهو يسعى دوماً لنيل شرف القدرة ويعطي أهمية لتقدير الأمور ولما يمكن أن تشيعه من كلام في أنحاء محيطه، إذ لا مجال عنده للهوان أو الاستهتار، وهنا نجد أن الأمر يقتضي الالتزام بالواجبات وتحمل المسؤوليات، والقدرة المتناهية على الوفاء بالتعهيدات التي يقطعها على نفسه لأنه يختار أن يشع في سمعه على بطنه، لذلك فكل تفاصيل حياته اليومية تتم بالشكل المطلوب بدءاً من خيطة الخيام إلى تنفيذ الغزوات الحربية إلى حرث واستصلاح الأرض، فنجد دوماً دقيقاً ومنضبطاً ما دامت المسؤوليات الملقاة عليه جسيمة وأولها قساوة الطبيعة الصحراوية المحطة به.

كما أن الإنسان الصحراوي لا يعيش ليومه بل يخطط للسنوات القادمة مع قدرته على التنفيذ والوصول للأهداف المرسومة، مما يؤشر لقوة إرادته، لهذا لا نجده يتشاءم عند لحظة عصبية مر منها كما أنه لا يفرط في تفاؤله أمام حدث آخر بل يوازن بين كل هذا، اننا أمام ذهنية اتصف بالصفاء لا تكتفي بما هو آني مما يفسر شساعة المجال الحيوي الذي يشكل فضاءً مفتوحاً لممارساته وأفكاره، لذلك نجد إنساناً يبذل تصحيحاً للأمور التافهة، ولا ينظر للقضايا التافهة من زاوية الإفراط في تحليلها لأن له قضاياً أعلى درجة منها، مما يجعله يركز على أكثر محورية من قبيل توسيع المجال الرعوي وتنمية الثروة الحيوانية والمادية والتركيز على صقل القيم المعنية، لذلك فإنه "عندما توضع الظواهر المحلية في إطار أعم

⁴ نفس المرجع السابق، نفس الصفحة السابقة.

⁵ مجلس أيت الأربعين: مجلس يضم حكماء وشيخ القبيلة المشهود لهم بالحكمة وال بصيرة، ويوكِّل لهم مهام تسيير شؤون القبيلة سواء في تدبير المجال الرعوي أو اتخاذ قرارات الحرب والسلام مع القبائل المجاورة، ويتم تداول رئاسته وينتخب أعضاؤه بناءً على انتداب كل مكون من مكونات القبيلة لممثلية، وهناك من يعزّو التسمية لكونه يضم أربعين رجلاً في تشكيلته بينما يرجع البعض الآخر أن أصل التسمية تعود إلى رفض الانضمام إليه دون أن يبلغ الرجل أربعين سنة.

وأشمل تأخذ حجمها الطبيعي، ضمن نظام عام من القوى، مما يسمح بسيطرة أكبر على الواقع.. وبذلك ينحصر طغيان الانفعالات وما يرافقها من نكوص⁶.

اننا أمام مجتمع ليس بعجز عن العمل كما يحلو للبعض بوصفه بالكسول، ويلاحظ ذلك في قدرته على امتهان مختلف النشاطات وتحمل المسؤولية فيها، وذلك راجع للبنية الاجتماعية التقليدية التي لا تؤمن بالاعتباط والجمود، فنجد أنه يعلم أفراده ضبط الانفعالات من خلال اتخاذ المواقف المناسبة، ونبذ كل أشكال القمع سواء داخل الأسرة أو في حق الفئات الضعيفة من منظورهم (المرأة، الصبيان، الكهول، ذوي الاحتياجات الخاصة..)، مما يؤكّد عقلانية أفراد المؤمنين بالحوار الهادئ والتريث في اطلاق الأحكام المسبقة، فهم لا يحبذون الصراخ أثناء النقاش بل يستعيضون عنه بتقديم الحجج والاقناع، لذلك نجدهم في حالة المرأة المطلقة على سبيل المثال والكارهة لزوجها يطالبونها بتقديم الدليل القاطع حول طلب الخلع وذلك سداً لباب الترحال الزواجي.

ان ما عرضناه من بعض ملامح الذهنية الصحراوية وما يصاحها من حالات نفسية سواء من ناحية القوة الذهنية ونبذ الانفعالات اللحظية واحتواء الفئات التي تعاني من بعض الاضطرابات النفسية ويعتبرهم حالات قابلة للتعايش بل والنجاح بدل الإهمال والطرد، مما يؤكّد قدرة هذا المجتمع على السيطرة المرنة سواء على أفراده أو على المجال المحيط به، وهو ما يفسر قدرته على الاعتماد على امكانياته الذاتية مهما كانت تتسم بالندرة والشح ورغم بدويته، لذلك استطاع أن يتكيّف مع كل التطورات الراهنة وأثبت على جدارته في بناء نظام علاقات اجتماعية لا تزال محكومة بالتضامن والترابط في إطار أسلوب حياة حضرية لا تزال تنهل من مribعات التقليد لمواجهة تحدياته وقضاياها الراهنة، هذه التحديات التي ستنستنطها في المحور الآتي من خلال التطرق لما جرى لمنظومة القيم داخل المجال المدروس.

ثانياً. التفكك القيمي بمجال الدراسة:

إن طبيعة المجتمع الصحراوي وتحولاته القيمية والنفسية والسلوكية جعلت من الأفراد سلعة قابلة للمساومة، بل أن التحدي الراهن الذي بات يواجهه مجتمع الدراسة ليس خطر تحصيل الحياة المادية بمختلف أشكالها، وإنما هو خطر الرلازل والمتغيرات الجارية على مستوى منظومة القيم والمبادئ والتي أصبحت تعرف تحولات بنوية فاصلة.

وأولى أسباب حدوث التحولات القيمية يعزّوها أحد مبحوثينا إلى عامل تراجع التربية الصحراوية التقليدية الصارمة من قبل الآباء والأوصياء على أبنائهم، ذلك أن "التربية تغير فيها ياسر، أرجاج كان إلى عاد أكبر منك يعملك ما تعرفوا اللي كالك تعذلوا، يسوى هو شنهو، وذريك تغيرت إلى عاد حد لاهي ينصح حد خصو إعود كريب لو، خصو إعود أكبر منو، أمال بكري كان لا يعمل أرجاج كبير إكول شي لحد أتعجي لأخبار وافية، تغيرت اليوم لأنه ذاك اللي لاهي إكول شي لحد أتعجي لأخبار وافية،

⁶ مطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سociology الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط.9، 2005، ص.67.

تغيرت اليوم لأنه ذاك اللي لاهي اكولوا خص أتعود عندو وصاية على ذاك الانسان اللي لاهي اكولها لو، مثلاً إكد يفرض وجودوا عليه⁷، وهنا يطعننا مستجوبينا هذا على أن التربية الخاصة بالنشء قد طرأت عليها تغيرات جمة، ذلك أنه في الماضي كان الطفل اذا كان شخص ما أكبر منه سنا على الرغم من أنه لا تربطه به أية قربة دموية، إذا أمره بشيء ينفذه مباشرة احتراماً وتوقيراً له، أما اليوم فالمفروض لتقديم النصيحة لأي كان، خاصة فئة النشء أن تربطك بهم قربة دموية، وبالتالي أصبحت مسألة "الوصاية" ضرورية اليوم في تربية وتكوين وتوجيه كل من تربطك به علاقة من الأبناء لفرض توجيهاتك وقراراتك عليه، وإلا فإنك تصبح في باب المعدين ونصححتك لا سياق أو معنى لها، الامر الذي كان من نتائجه الكارثية كما أخبرنا مستجوب آخر بأن: "القيم هاذى ما أنشأت أسر جديدة، سلطة الأسرة كان عندها غياب منذ فترة التمانينات والتسعينات، هناك غياب واضح، خالكين وحدين حاضرين غابيين كيف العسكر والمهاجرين، وحالكين وحدين وخاضرين يغیر غابيين، يغیر الناس عادت ترجع وعادت تستفاد، لأنه طرات أسر جديدة متطرفة معنويًا ودينيًا هي مستقبل المجتمع الصحراوي، تحافظ على سلطة العائلة من خلال حسن المعاملة والتدليل والثقافة الدينية، وعادت الناس متوجهة للدين وهو كاع الأصل"⁸، ونجد أن مستجوبينا هنا قد وضح لنا أن القيم الحالية لم تؤسس لبروز أسر جديدة اليوم بما تحمل الكلمة من معنى، بل أنه خلال سنوات السبعينات والتمانينات حصل غياب كبير لسلطة الأسرة بالمنطقة خاصة لدى الأسر التي كان رب العائلة شبه غائب بفعل طبيعة المهن التي يزاولها (الجيش، الهجرة..)، كما أن بعض الآباء بالرغم من كونهم حاضرين ميدانياً إلا أنهم واقعياً غائبين، نظراً لغياب قوامتهم المادية ولربما حتى المعنوية، وهو الوضع الذي تسبب في "وقوع بعض التصدعات في الرابطة الاجتماعية التي تؤلف بين مكونات المجتمع"⁹، غير أنه في ظل الظروف الراهنة بمجتمع الدراسة يخبرنا نفس مستجوبينا أن الأسر اليوم بمجال الدراسة باتت تعود لسابق عهدها وتستفيد من أخطاء الماضي، حيث برزت أسر جديدة بالمنطقة قوية معنويًا ومتشبثة دينياً وهي ما بات يعول عليه في مستقبل هذا المجتمع، حيث حافظت على سلطة العائلة داخلها، من خلال بلورة قيم "حسن المعاملة" و "التدليل" أو حضور "الثقافة الدينية" التي أضحت أفراد المجتمع متوجهين لها بشكل لافت للنظر، وهي شكل من أشكال "عناصر المقاومة والصمود المتمثلة في الدين والتقاليد التي تخترق كل المجتمعات.. حافظت على قدر كبير من خصوصيات كل التجمعات البشرية، وإن كانت بنسبة متفاوتة"¹⁰.

⁷ مقابلة أجريت مع مقاعد من صفوف القوات المسلحة الملكية بمدينة العيون جنوب المملكة المغربية صيف سنة 2018م.

⁸ مقابلة أجريت مع مدرس بمحضرة أهل أبي حازم بالعيون جنوب المملكة المغربية صيف سنة 2018م.

⁹ رشيد جرموني، التحولات القيمية بال المغرب: الشباب نموذجاً، المجلة العربية لعلم الاجتماع "إضافات"، مجلة أكاديمية فصلية محكمة، مركز دراسات الوحدة العربية،

ع. 8، لبنان، خريف 2009م، ص. 160.

¹⁰ م. س، ن. ص. س.

ومن نافلة القول الإشارة إلى أن "نظام القيم ليس مجرد خصال حميدة، أو غير حميدة يتصرف بها الفرد فتكون خلقة له، بل هي بالدرجة الأولى معايير للسلوك الاجتماعي والتديير السياسي ومحددات لرؤى العالم واستشراف المطلق"¹¹، هذه المعايير والمحددات المؤطرة للقيم يطعننا على بعضها أحد المبحوثين قائلاً: "مفهوم المدينة أو الحاضرة وفتقاطعها مع مجتمع الصحراء أعطانا إيجابيات وسلبيات من حيث القيم، مثلاً مفهوم الحق فالتعبير أنتج لنا ممارسات ايشوفها الرعييل الأول على أنها مجانية للأخلاق كفتح نقاش مع الوالدين بصوت يمكن ايشوفوه علنو حاد أو مرتفع وايشوفوا الشباب بأنه ما يمس بحرمة الوالدين، هاذى الأمور ماتلا يراعى لها، إلا فأمور قليلة، ودخول النسوية للدار ماتلا رهين بوقت معين أو محمد أو بوجود محرم، وعاد استقبال الغريب بالبيت إلا حالات قليلة من طرف نسوة البيت وهن منقبات خاصة أثناء أكلهن أو شربهن، والطفل كان ما يتكى أو يتمرفك كدام به وذا عاد إلا نادراً"¹²، وبذلك أشار هذا المبحوث إلى ظهور ممارسات وسلكيات غير أخلاقية سواء في كيفية تعامل الأبناء مع آباءهم اليوم، أو في ملبيهم وطريقة تحليق رؤوسهم، ليطعننا مبحوث آخر حول هذا التحول بدقة أكثر قائلاً: "عادوا عندنا أسر تعتمد على المظاهر، الطفل معدل حسانة طايزن وتشويكة وخطيطات فالراس، والطفلة لباسها كامل متعرى، اذن لا الأسرة ولا الأطفال خصهم إعادة التربية، كان عندنا فالصحراء شي ينكلو شيخ التربية، اعلموهم طريقة الأكل والشراب والكلام وجميع الأمور، هاذ الشي اليوم ما تلا خالك، ومن شيوخ التربية مثلاً: الشيخ الولي رحمه الله شيخو هو محمد الأمين ولد السالم فقيه وشيخ من شيوخ التربية الملقب بدادا، كالي كان اعلموا جميع الأمور فالثلاثينيات والأربعينيات وتوفي سنة 1976م ذو الشيخوخة ماتلاو خالكين. ما يكعد الطفل مع لعاليات أو الطافيات، يختالط ألا مع الرجال ومنين امرکوا يسول الطفل عن ما استفادوا منهم، وهذا ما تلا خالكين.. هاذوا الناس اللي ايجونا من موريتان ويتندوف ايكولوا عن لهجتنا خاسرة، ومنين تغيرت لهجتنا تغير تفكيرنا وعاداتنا وبالتالي تغيرت أخلاقياً وقيمياً"¹³، ومعنى ما قدمه هذا المبحوث هو ظهور بعض الأسر الجديدة التي تعتمد على الموضة والمظاهر في تربية أبنائها، حيث نجد أبنائهم الذكور يقومون بحلق رؤوسهم بطرق غريبة على عادات أهالي المنطقة (طايزن، تشويكة، خطيطات فالراس...). بينما الفتيات تخرجن وغالب لباسهن شبه عاري، ولذلك من الأبدى إعادة التربية الآباء والأبناء على حد سواء، وهو وضع متنافي مع ما كانت عليه طرق تربية النساء في زمن البداوة والترحال، حيث كان يختص بعض "شيوخ التربية" مثل "الشيخ محمد الأمين ولد السالم" الملقب بـ "دادا" والذي أشرف على تكوين وتربية العالم والفقير "الشيخ الولي" رحمه الله، حيث كان هؤلاء النساء يتعلمن الجلوس مع أقرانهم وحتى مع الرجال الأكبر منهم ومنعهم من الإخلاط مع النساء الإناث، وعندما يخرج الضيوف من الرجال يسأل الفتى عما استفاد من جلوسه معهم، وهذه الطرق في التربية لم تعد اليوم موجودة بمجال الدراسة، بل حتى اللهجة الحسانية المحلية تغيرت بدليل بأن القادمين من

¹¹ محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في نظرية الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.2، لبنان 2002م، ص. 46.

¹² مقابلة أجربت مع شاب سائق سيارة أجرة بالعيون جنوب المملكة المغربية شهر مارس 2019م.

¹³ مقابلة أجربت مع رجل من كبار السن بمدينة العيون جنوب المملكة المغربية صيف 2018م.

أقصى جنوب المنطقة (موريانا، تيندووف..) يعتبرون بأن لهجة أهالي المنطقة قد وقع بها لحن، لذلك فإن تغير اللهجة معناه تغير التفكير والعادات وبالتالي تغير الأخلاق والقيم، وهكذا بتنا نعيش "وقوع تحولات قيمية مست جميع الشرائح والفتات والأوساط، لكن بدرجة أكبر فئة الشباب، على اعتبار أنها تمثل مرحلة عمرية عنوانها العريض هو التوتر والبحث عن الذات وتشكل الشخصية، والتمرد على القيم التقليدية والمجتمعية، واستلهام النماذج من عدة عوالم كالرياضية والفن.. وأيضا التماهي مع آخر صيحات الموضة سواء في الاتجاه التقليدي أو الحداثي"¹⁴، وهو ما يسعنا لقراءة تمظهرات هذا الاستلهام في أشكال اللباس وطريقة الحديث وقصاصات حلق الرؤوس وكذا في الاستههامات، التي تنهل إما من الثقافة العربية الإسلامية (كما هو الشأن في طريقة لباس الرداء الخاص ببعض الحركات الدينية الجديدة على المنطقة، والذي بدأ يتخذ آخر صيحات الموضة)، أو من خلال ما تروج له بعض الوسائل الإعلامية خاصة على منصات شبكة التواصل الاجتماعي في نقل بعض القيم والمفاهيم والسلوكيات والتمثيلات الطارئة على أهالي المنطقة.

ويطلعنا مبحث آخر بأن التحول الحاصل على مستوى القيم التقليدية المحلية بات محل تدرج "حالك تحول لكن بنسب قليلة، فالداخلة لحسانة عند التركيبة قليلة عندهم، وزال حالك الإحترام، أهل الداخلة من بكري أناس المتعلمين، نجبرو رجاله كبار يتكلموا الإسبانية، وتجرب الطفل مع بوه كأנו صديقو، والإحترام زال حالك"¹⁵، أي أنه على مستوى مدينة الداخلة كأبرز حواضر منطقة وادي الذهب لايزال هنالك احترام وتقدير وتوقير الشباب للفتات العمرية المسنة، ولا يزال هنالك غياب تام لأشكال الحلاقة الشبابية المستجدة من بلدان أخرى لدى الكثير من شباب اليوم بالمنطقة، كما أنه لوحظ وجود علاقة قوية ما بين الآباء وأبنائهم بحكم ارتفاع مستوى تعلم الآباء، حيث لا يزال الكثير منهم يتحدثون اللغة الإسبانية إلى اليوم، الأمر الذي يجعل الآباء يظهرون في وضعية وكأنهم أصدقاء مع أبنائهم، وهذه بارقةأمل وسط الواقع الأليم للجيل الحالي وهنا يصدق البيت الشعري الدائع الصيت لدى أهالي المنطقة:

"حر من لحرار"

افوت الذيب العام امحاديه

ما يكُلُّ شيءٍ منْ لِهَار¹⁶

¹⁴ رشيد جرموني، التحولات القيمية بال المغرب: الشباب نموذجا، م. س، ص. 160.

¹⁵ مقابلة أجريت مع شاب موظف في قطاع المتصرفين بمدينة الداخلة جنوب المملكة المغربية صيف سنة 2018 م.

¹⁶ مقتطف من مقابلة أجريت مع أحد السيدات من كبار السن بالعيون جنوب المملكة المغربية صيف سنة 2018 م.

ومعنى البيت الشعري (الكاف) أعلاه أن الحر يبقى حرا، حتى ولو تكالب عليه اللئام والمنحرفون قصد إسقاطه في شباك الإنحراف والسلوكيات المشينة، فإنه يبقى حرا ومتمسكاً بقيمه المجتمعية، ولا تسقط أصالته وقيمه النبيلة دعوات الإنحراف المحيطة من حوله.

ويسترد مبحث آخر في نفس موضوع تحول القيم معتبراً أن "اللي شفت تغير يا خي وهو أخلاقياً عادت شوي من العنصرية، كانت الناس سابقاً أيعود لفرييك أو المحضرة، إلى عاد حاصل واحد من الرجال الكلمة لو إسوق بها الرجل كامل، والناس الصغيرة تالبتو، عمي، خالي.. الكلمة لو هو وهو الكبير من بعد الله، اللي انكال ينفذ، واليوم تغير ذا الجانب، ماتلا الجيل الحالي راضي بما النوع، وعادت خالكة العنصرية مبين الناس، هذا هو اللي تغير فقيم الناس اليوم"¹⁷، وهنا يوضح لنا هذا المبحث أن المجتمع المحلي عادت إليه مسحة من العنصرية الإثنية، كما أن شباب اليوم لم يعد يولي أي اهتمام لكلمة من هو أكبر منه، بل صار غير راض بأي تعليمات مباشرة قد تصدر من هؤلاء الكبار دون حوار ونقاش مقنع، نظراً لتعلم الأبناء وانفتاحهم الخارجي على ثقافات أخرى، الأمر الذي جعل سلطة جيل الكهول تتوارى للخلف أمام التحولات الجارفة بالمجتمع المحلي.

إن ظهور ثقافة الفردانية وتبني فئة الشباب لنوع من شبه الاستقلالية في تصرفاتهم وسلوكياتهم وحتى في قراراتهم المصيرية، بل إن الشباب اليوم بشكل عام باعتباره مصدر التغيير الاجتماعي والسياسي داخل المجتمعات أصبح من أول الشرائح التي أصبحت تنادي بإسقاط القيم التقليدية، وهي القيم التي يرى أنها تعرقل نمو المجتمع وتقدمه واحلال قيم جديدة، الأمر الذي أفضى إلى حدوث حالة من الصراع مع جيل الكبار، يرى فيه الآباء محاولة تمرد الأبناء على الثقافة التقليدية بل وضريباً من العقوق، لدرجة أنهم أطلقوا على هذا الوضع مثلاً شعبياً محلياً مفاده "اللي كان يكتل ماتلا أحشم"، ومعناه أن الممارسات السلبية التي كانت مرفوضة محلياً أصبحت اليوم من الأمور التي لا يخجل النشء من ارتکابها، بينما يرى فيها جيل هذا الشباب عيشهم في ثنایا زمن السرعة والتحضر حيث لم يعد يقبل بالقوالب التقليدية الجاهزة، وأمام هذا الجدال نكون "أمام تحولات تدحض القناعات وتفرض علينا تنوع وسائل تحليلنا السوسيو أنثروبولوجي، بل قبول تجاوز مفاهيمنا ونماذجنا النظرية الجاهزة، وجعلها موضع نقاش".¹⁸

استنتاج:

¹⁷ مقابلة أجربت مع أحد ممثلي الأعمال الحرة بالعيون جنوب المملكة المغربية صيف سنة 2018م.

¹⁸ محمد دحمان، المجتمع الصحراوي بين التابت والمتحول، "الصحراء الأطلنطية: المجال والانسان"، وكالة الجنوب، الرباط، 2007، ص. 237.

لم يكن غرض هذه المحاولة التوصل إلى نتائج بقدر ما كان إثارة قضايا للنقاش، ذلك أن استخلاص النتائج يتطلب دراسة مونوغرافية وليس مجرد مقاربة استكشافية كالتي تكلفت بها، إلا أن مواجهة الواقع قد قادتنا إلى ركوب غمار شرف محاولة طرق موضوع بكر داخل المجتمع الصحراوي بالجنوب المغربي. وبالمحصلة، لعبت عوامل الترحال الدائم وما حمله من قيم هي نتاج قرون من التجارب في أرض قاسية صقلت شخصية انسان الصحراء، الأمر الذي انعكس على نفسيته من خلال الممارسات والسلوكيات التي يوظفها إزاء الظواهر والأزمات، وهو ما يفسر استمرار تمسكه وارتباطه على الرغم من ما يهدده من تغيرات عديدة، إلا أنه -باختصار- استطاع ولو نسبياً مقارنة مع باقي المجتمعات الأخرى أن يحافظ على خصوصياته وما تختزنه من حمولات ثقافية وفكيرية وسيكولوجية.

قائمة بعض المراجع المعتمدة:

- المختار ولد حامد، حياة موريتانيا: الجغرافيا، 1414-1315، جامعة محمد الخامس، منشورات معهد الدراسات الإفريقية، معاجم وموسوعات (1)، الرباط 1994.
- رشيد جرموني، التحولات القيمية بالمغرب: الشباب نموذجاً، المجلة العربية لعلم الاجتماع "إضافات"، مجلة أكademie Faschle محكمة، مركز دراسات الوحدة العربية، ع. 8، لبنان، خريف 2009م.
- مطفي حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط. 9، 2005.
- محمد دحمان، الساقية الحمراء ووادي الذهب في الكتابات الاستعمارية (1885-1933)، ط. 1، الرباط، 2014.
- محمد دحمان، المجتمع الصحراوي بين التابت والمتحول، "الصحراء الأطلنطية: المجال والانسان"، وكالة الجنوب، الرباط، 2007.
- محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي: دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في نظرية الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط. 2، لبنان 2002م.

التضامن المغربي مع حركات مقاومة الاستعمار الأجنبي بإفريقيا خلال القرن 20م

Moroccan solidarity with the resistance movements against foreign colonialism in Africa during the 20th century

بويزكارن هشام: باحث في التاريخ والتراث، الأكاديمية الجبوية للتربية والتکون لجهة بني ملال خنيفرة، البريد الإلكتروني:

hicham.bouizgarne@gmail.com

الملخص: يسعى هذا المقال الذي يتناول التضامن المغربي مع حركات مقاومة الاستعمار الأجنبي بإفريقيا خلال القرن 20 إلى إبراز أدوار المغرب وأهميتها في حصول مجموعة من الشعوب المستعمرة على حريتها واستقلالها من المستعمر خلال فترة تميزت باستغلالها في عدة مجالات وبآليات مختلفة، ساهمت في معاناة هذه الشعوب مدة طويلة، وذلك بالوقوف على الأسس والدواعي التي قام عليها هذا التضامن ثم أشكال الدعم التي قدمها المغرب لبعض دول إفريقيا وحركاتها المقاومة في سبيل الاستقلال، دون إغفال مجموعة من المواقف المختلفة للمغرب في هذا الإطار سواء من داخل بعض المؤسسات الدولية أو من خلال بعض اللقاءات التي تناولت موضوع الاستعمار والاستقلال منها التي استضافها المغرب ومنها التي عقدت في دول أخرى.

وكل هذا للخروج بأهمية هذا التضامن في بناء علاقات وطيدة للتعاون مع الدول الإفريقية التي ما زالت مستمرة إلى الآن بأشكال مختلفة وفي ميادين متعددة.

الكلمات المفاتيح: الاستعمار الأجنبي، المغرب، إفريقيا، حركات مقاومة

Abstract : This article, which deals with Moroccan solidarity with the foreign colonization resistance movements in Africa during the 20th century, seeks to highlight Morocco's roles and importance in obtaining freedom and independence from the colonizer for a group of colonized peoples during a period characterized by its exploitation in several fields and various mechanisms that contributed to the suffering of these peoples for a long time, by standing on the foundations and reasons on which this solidarity was based, and then the forms of support provided by Morocco to some African countries and their resistance movements for independence, without losing sight of a set of different positions of Morocco in this framework, whether from within some international institutions or from during some meetings that dealt with the topic of colonialism and independence Some of which were hosted by Morocco and some of which were held in other countries.

All this is to highlight the importance of this solidarity in building close relations of cooperation with African countries, which continue to this day in various forms and in various fields.

Key Words : Foreign colonialism, Morocco, Africa, resistance movements

مقدمة:

عانت مجموعة من الدول بإفريقيا وأسيا خلال القرن 20م من هجمة استعمارية، استطاعتاحتلال أراضيها واستغلالها مدة طويلة بأشكال متنوعة من الاستغلال، استهدفت استنزاف ثروات هذه البلدان وجعل سكانها تحت هيمنتها وفي خدمة مشاريعها الاستيطانية المختلفة في جميع الميادين والقطاعات الاقتصادية المختلفة من الفلاحة والصناعة وغيرها.

جعل هذا الاستعمار مجموعة من الدول ومنها المغرب تأخذ بأشكال مختلفة من النضال والمقاومة لإخراج المستعمر من بلدانها، تعددت أشكال هذه المقاومة وتغيرت ظروفها بتغيير المستعمرين ووسائلهم، بالإضافة إلى إمكانيات المقاومة عند المقاومين في المواجهة سواء البشرية أو العسكرية أو السياسية، وهذا يظهر في بعض أشكال المقاومة التي ظهرت مثلاً في الهند بزعامة ماهاتما غاندي والمغرب بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي وعسو أبيسلام.

استطاع المغرب بفضل موقعه وسط القارة الإفريقية وموافق شعبه وسلطانيته خلال القرن 20 وخاصة محمد الخامس والحسن الثاني، أن يكتب تاريخاً مجيداً في سجل مقاومة الاستعمار الأجنبي سواء على المستوى الداخلي ببطولات مقاوميه ومعاركهم الكبيرة ضد فرنسا وإسبانيا أثناء التدخل العسكري بين 1912 و 1934، أو على المستوى الخارجي بمواقفه السياسية في مناهضة الاستعمار وجميع أشكال الاستغلال في عدة هيئات وملتقيات دولية كان حاضراً فيها للتنديد ومساندة الشعوب المستعمرة.

ولقد سجل التاريخ العالمي مواقف متعددة لمحمد الخامس والحسن الثاني وبعض رجال الحركة الوطنية في هذا الإطار، لازل إلى اليوم يتم استحضارها خاصة عند الحديث عن تضامن المغرب مع الشعوب المستعمرة كاعتراف بما قدمه هؤلاء في سبيل حصول مجموعة من الشعوب على استقلالها سواء في إفريقيا أو آسيا.

وسعياً منا لاستحضار جوانب مهمة من هذه المواقف المغربية في سبيل النضال من أجل الحصول على الاستقلال يأتي هذا المقال لتسلیط الضوء على بعض أوجه التضامن المغربي مع بعض البلدان المغاربية والإفريقية خلال القرن 20، وأهمية حضور المغرب على المستوى الدولي في التعريف بقضايا الاستعمار، وحقوق الشعوب المستضعفة التي عانت من ويلاته واستغلاله. وكل هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أهمية هذا التضامن وهذه المواقف في بناء أسس للعلاقات ثنائية مع عدة دول، بقيت إلى اليوم تساهمن في بناء ذاكرة مشتركة معها تقوم على أسس من التعاون المتبادل بينها في مجموعة من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أما فيما يخص إشكالية هذا المقال فهي ستنتظم في مجموعة من الأسئلة سنحاول الإجابة عنها من خلال محاور هذا المقال وهي كالتالي:

ـ ما أبرز المجهودات التي قام بها المغرب في إطار التضامن مع الشعوب المستعمرة بالقارة الإفريقية؟

ـ كيف ساهم المغرب في استقلال بعض الدول بإفريقيا من خلال مواقفه على المستوى الدولي؟

ـ إلى أي حد يمكن أن يساهم التضامن المغربي مع بعض الدول في بناء ذاكرة تاريخية مشتركة بينها وخاصة في إفريقيا؟

وبخصوص الإجابة عن هذه الأسئلة فسيكون دليلاً في إنجاز هذا المقال اتباع المنهج التاريخي المبني على استعراض بعض الواقع والأحداث التي تبين انحراف المغرب في مقاومة الاحتلال الأجنبي خلال القرن 20م، واستغلالها في بناء الموضوع وفق المحاور التي سندرجها فيما بعد، وكذلك الانفتاح على المنهج الوصفي والتحليلي عند عرض بعض مظاهر وأشكال التضامن المغربي مع حركات المقاومة بإفريقيا.

أولاً_ دواعي وأسس انخراط المغرب في التضامن مع حركات مقاومة الاحتلال الأجنبي:

لم يكن اهتمام المغرب بمساعدة الدول المستعمرة في إفريقيا من فراغ، وإنما جاء من عدة اعتبارات وأسس مختلفة مرتبطة بوضعية البلد وهويته، وكذلك إحساسه بمعاناة الشعوب التي تعيش تحت نير الاستعمار، الشيء الذي حرك جميع فعالياته ومكوناته من أجل الدفاع عن حقوق الشعوب في الحصول على الاستقلال، ومن أهم الأسس التي جعلت المغرب ينخرط في حركة التضامن مع الشعوب في مقاومتها وحصولها على الاستقلال خلال القرن 20م نجد:

غالية روح القيم الإسلامية المرتبطة بالنضال والوحدة والحرية والجهاد على المغاربة، واستئثارها لهمهم عند استعمار المغرب وتطبيق عليه نظام الحماية في 30 مارس 1912م، خاصة وأنه عان من التدخل الأجنبي منذ عدة قرون خلت في سواحله، كان الجهاد ضده وسط المغاربة والذي قاده مجموعة من الأبطال والمقاومين من بين وسائل رد هذا التدخل كما برب شكل جلي في معركة واد المخازن سنة 1578م التي انتصر فيها المغاربة انتصاراً كبيراً⁴⁷.

وهذه القيم وحدت مجموعة من الشعوب في إفريقيا وأسيا وجعلتها تتعاون فيما بينها لكسر هذا الاستغلال والظلم الممارس على السكان بجميع أشكاله؛ فكان التعاون فيما بينها وسيلة في سبيل ذلك، عبر ربط اتصالات مع حركات المقاومة الأجنبية ومحاولة الاستفادة منها وتبادل معها جميع أنواع الدعم الممكنة من أجل الحصول على الاستقلال. بدأ صيت هذه القيم والدعوة إلى الحرية من داخل المغرب منذ إصدار الظهير البريري سنة 1930 ومحاولة فرنسا التفرقة بين العرب والأمازيغ، وذلك لكسر معتقداتهم الدينية وضرب أسسها ولو باستعمال القوة واحتلال حتى المساجد (احتلال مسجد القرويين بعد أحداث فاس)⁴⁸. فكان الإسلام عاملاً للوحدة بين المغاربة في مواجهة الظروف الصعبة التي أعقبت إصدار هذا الظهير، حيث بدأ الناس يتجمعون في المساجد لقراءة اللطيف.

دور البطولات الوطنية لبعض رجال الحركة الوطنية في إعطاء نماذج يقتدي بها في المقاومة من قبل العرب والمسلمين وخاصة ثورة محمد بن عبد الكريم الخطابي في الشمال على الإسبان وانتصاراته التي ذاع صيتها ووصل إلى خارج المغرب⁴⁹؛ حيث جعلت حركات المقاومة تأخذها كنموذج للاقتداء بها لأنها كانت ثورة وطنية تستهدف تحرير التراب الوطني من المستعمر بكل من إفريقيا وأسيا التي بدأت تتنظم من أجل الدفاع عن حقوقها.

نشاط الحركة الوطنية أثناء الحماية في الخارج بمجموعة من الدول الأوروبية والعربية ودورها في التعريف بالقضية الوطنية والتأكيد على التعاون والتضامن بين الشعوب من أجل إخراج المستعمر، وقد ظهر هذا بشكل جلي في مشاركة المغاربة في المؤتمر الإسلامي بالقدس في شخص السيد مكي الناصري سنة 1931⁵⁰، وذلك بهدف البحث في وضعية المسلمين خلال هذه الفترة، وفي سبل حماية الأماكن المقدسة وخاصة المسجد الأقصى من الطامعين في السيطرة عليها، وفي جميع الشؤون التي تهم المسلمين. بالإضافة إلى المساهمة في تأسيس جبهة شمال إفريقيا في نوفمبر 1944 برئاسة الشيخ محمد بن لخضر بن الحسين التونسي بمصر، والتي كان فيها الطلبة المغاربة فاعلين أساسيين؛ حيث لعبوا دوراً مهماً في التعريف بالقضية الغربية ونشر دعایتها في المشرق، خاصة بعد تأسيس رابطة الدفاع عن مراكش في مصر سنة 1943 من

⁴⁷ بنكري حليمة، معركة وادي المخازن وأثرها السياسي والمالي 1578-1603، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، العدد: 2، السنة: 2000، (صص: 91-109).

⁴⁸ أحمد عسه، المعجزة المغربية، دار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1، السنة: 1974/1975م، ص: 193.

⁴⁹ نفس المرجع، ص: 179.

⁵⁰ عسه، المعجزة المغربية، ص: 194.

قبل الطلبة المغاربة الذين ذهبوا لإتمام دراستهم في هذه البلاد⁵¹، وقبلها كان تأسيس جمعية الشباب المسلمين والهداية الإسلامية والتي منعها السلطات الفرنسية⁵².

العلاقات التاريخية القديمة بين المغرب وبعض الدول الأفريقية بالخصوص والتي كانت تشمل مجموعة من المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ترسخت في العصر الوسيط مع المرابطين والموحدين، وتطورت مع السعديين والعلوبيين خلال العصر الحديث⁵³، وساهمت أمام معايشة نفس الأحداث والوضعية في تقرير وجهات النظر حول قضية الاستعمار ومقاومته، وكذلك التعاون في سبيل الاستقلال وتحسين أوضاع هذه البلدان، عبر تبادل جميع أشكال الدعم وباستعمال جميع الوسائل الممكنة.

الرؤية الاستشرافية للسلطان المغاربة فيما يخص بناء علاقات مختلفة مع الدول المستعمرة في عدة ميادين خاصة بعد الاستقلال، باستغلال تضامن ومقاومة الاستعمار من أجل وضع أسس لعلاقات أخرى في مجالات متعددة عبر توقيع مجموعة من المعاهدات المشتركة مع عدة دول عربية وإفريقية، وهذا ظهر في عدة أحداث دولية ومواقف المغرب منها خاصة أثناء الحرب العالمية الثانية ومساندة الحلفاء في وجه دول المحور⁵⁴. ثم كذلك التعاون الثنائي مع مجموعة من الدول فيما بعد وتوقع معها عدة اتفاقيات وبروتوكولات في مجالات مختلفة تستهدف تطوير التعاون فيها بأشكال مختلفة. وقد عقدت في هذا إطار مؤتمرات مختلفة خصصت لتشجيع وثمين التعاون بين الدول النامية يكفي أن نذكر منها مؤتمر بيونيس أيرس بالبرازيل سنة 1978⁵⁵.

وما تمثل الحسن الثاني علاقات المغرب مع العالم العربي وإفريقيا في كتابه التحدي بشجرة تمتد جذورها في إفريقيا وفروعها تتطلع إلى أوروبا لا خير معبر عن حسن العلاقات التي كان يربطها المغرب مع جيرانه منذ فترات قديمة⁵⁶؛ حيث تشمل هذه الأخيرة مجموعة من المجالات، كانت تتغير بحسب الظروف التي تعيشها هذه البلدان وتقوم على أساسها لتجاوز كل الإكراهات وخدمة لشعوبها.

ثانياً_ أشكال دعم المغرب لحركات المقاومة من أجل الاستقلال بإفريقيا:

تبليور تضامن المغرب مع دول إفريقيا ومع جيشه بمجهودات السلطان المغاربة الذين عايشوا أحداث القرن العشرين من محمد الخامس وأبنه الحسن الثاني، الذي كان دائماً إلى جانب الحركة الوطنية المغربية والمغاربية والإفريقية مدعماً لها بالإمكانيات التي توفرت للبلد، خاصة مع تزايد اتصالات هذا الأخير برجال الحركة وسعيه إلى تكثيف الجهود من أجل توحيد النضال ضد الاستعمار في المغرب والجزائر وتونس وموريتانيا وغيرها من الدول الأفريقية، خلال فترة تميزت بصعود الحركات التحريرية والمقاومة للمطالبة بالاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية. ومن أهم أشكال الدعم التي قدمها المغرب لبعض الدول الأفريقية نجد:

1_ الدعم العسكري:

تبليور هذا الدعم منذ استقلال المغرب سنة 1956م، حيث ما فتئ البلد ومعه الحسن الثاني الذي كان أندالك رئيس أركان القوات المسلحة يدعم الحركات التحريرية بتقديم لها إلى جانب والده كامل الدعم العسكري واللوجستيكي

⁵¹ علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، نشر مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة: 6، السنة: 2003، صص: 269، 270

⁵² الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص: 240

⁵³ رضوان العنبي، العلاقات المغاربة الإفريقية: التاريخ والرهانات، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، عدد خاص، يناير 2020، (صص: 451-468)، صص: 454، 453

⁵⁴ عسه، المعجزة المغربية، صص: 218، 219

⁵⁵ الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص: 454

⁵⁶ الحسن الثاني ملك المغرب، التحدي، المطبعة الملكية، الطبعة: الثالثة، السنة: 1415هـ/1995م، ص: 295

الذي كان يلزمها خاصة في المناطق الشرقية للمغرب⁵⁷، والتي استضافت عدة مدنها مراكز لتدريب المقاومين في البلاد مثل مدينة الناظور والدريوش وغيرها من المراكز الأخرى المخصصة لهذا الجانب، والتي كان يشرف عليها الحسن الثاني بحكم مهماته على رأس القوات المسلحة عندما كان وليا للعمد. وقد استطاعت المقاومة الجزائرية بفضل هذا الدعم أن تأخذ بزمام الثورة في الجزائر بمساندة معلنـة من المغرب حتى الحصول على الاستقلال في سنة 1962م.

و قبل ذلك لا ننسى إسهام المغرب في تحرر شعوب شمال إفريقيا ومعها الأوروبية فيما بعد من احتلال دول المحور البعض أراضيها خاصة إيطاليا وألمانيا التي كان لها تواجد مهم في المنطقة بشكل كبير خاصة في المرحلة الثانية للحرب بين 1942 و 1945م؛ حيث قدم المغرب قاعدة عسكرية لنزول الحلفاء بمدينة القنيطرة وسهل مأمورية تحركات جيشه، بالإضافة إلى المساعدة بعدد مهم من الجنود المغاربة الذين شاركوا في هذه الحرب وساهموا في انتصار الحلفاء على النازية، والذين لقوا اعترافاً من أعلى السلطات في هذه البلدان بعد نهاية الحرب مثل فرنسا.

كما عمل المغرب على تقديم الدعم العسكري لبعض الدول الإفريقية وما زال، والتي عانت من مجموعة من الاضطرابات بعد الاستقلال وساهم في تهدئة الأوضاع بها سواء في إطار التعاون الثنائي بينه وبين هذه البلدان أو في إطار مهام بعثات حفظ السلام التي تقودها منظمة الأمم المتحدة بإفريقيا، وقد استشهد في هذه العمليات مجموعة من الجنود المغاربة، مضحين بأنفسهم في سبيل هذا الاستقرار. وإلى اليوم ما زال المغرب فاعلاً مما في إطار هذه البعثات الهادفة إلى حفظ السلام سواء في جنوب القارة أو شرقها، إلى جانب بطبيعة الحال مساحته في الحرب على الإرهاب في المنطقة خاصة في غرب إفريقيا.

2_ الدعم السياسي:

تعددت أشكال هذا الدعم واختلفت باختلاف وضعية البلد وظروفه الداخلية خلال القرن 20، ورغم أن المغرب «اضطر الانزواء على نفسه في العهد الأخير [من الحماية] عن حريته فإن التاريخ يثبت أنه كلما أحـس القوة من نفسه اتبـع سياسة خارجية حـرة وربط عـلاقات حـسنة مع مختلف الشعـوب الأجنـبية»⁵⁸. وهذا ما ظهر من مختلف المواقـف التي تبـناها المغرب تجاه قضايا الاستعمار في إفريقيـا والتي سـنـرـكـزـ عـلـيـهاـ فيـ هـذـهـ النـقـطـةـ.

يسـجـلـ خـلـالـ الفـتـرـةـ التـيـ سـبـقـتـ اـسـتـقـلـالـ الجـزاـئـرـ سـنـةـ 1962ـ المـوـاقـفـ الجـريـئةـ لـلـمـغـرـبـ معـ الـفـرـنـسيـنـ الـذـيـنـ كـانـواـ بـيـحـثـونـ فـيـ مـفـاـوـصـاتـهـمـ عـنـ إـمـكـانـيـاتـ لـتـقـويـضـ الـحـرـكـةـ الـثـورـيـةـ الـجـزاـئـرـيـةـ باـسـتـخـداـمهـ،ـ حـيـثـ رـفـضـ جـمـيعـ التـسـوـيـاتـ معـهـمـ فـيـ سـبـيلـ اـسـتـقـلـالـ جـبـرـانـهـ،ـ فـمـلـكـ الـمـغـرـبـ رـفـضـ تـسـوـيـةـ مشـكـلـ الـحـدـودـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الـجـزاـئـرـ معـ فـرـنـسـاـ قـبـلـ أـنـ تـحـصـلـ عـلـىـ اـسـتـقـلـالـهـاـ،ـ لـأـنـ ذـلـكـ يـعـتـبـرـ طـعـنـاـ لـجـبـرـانـهـ مـنـ الـخـلـفـ⁵⁹ـ،ـ مـطـالـبـاـ بـتـأـجـيلـ التـسـوـيـةـ حـتـىـ يـمـرـ الـبـلـدـ مـنـ مـحـنـتـهـ الـتـيـ كـانـ يـعـيـشـهـاـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ،ـ رـغـمـ أـنـ الـجـزاـئـرـ فـيـ السـنـوـاتـ الـموـالـيـةـ لـنـ تـقـدـرـ هـذـاـ الـمـوـقـفـ وـسـتـحـاـوـلـ نـزـعـ مـنـ الـمـغـرـبـ مـجـمـوعـةـ مـنـ أـرـاضـيـهـ عـلـىـ الـحـدـودـ مـسـتـغـلـةـ مـشـكـلـ الـاـسـتـعـمـارـ،ـ مـاـ تـرـتـبـ عـنـهـ نـزـاعـاتـ بـيـنـ الـطـرـفـيـنـ،ـ حـاـوـلـ الـحـسـنـ الثـانـيـ قـيـادـتـهـ بـحـسـنـ نـيةـ وـمـرـاعـيـاـ لـحـقـوقـ الـجـوـارـ،ـ رـغـمـ مـحاـوـلـاتـ هـذـهـ الـأـخـرـيـةـ اـسـتـغـلـلـ جـمـيعـ الـذـرـائـعـ لـنـسـفـ الـاـسـتـقـرـارـ مـعـهـ وـشـنـ الـحـربـ عـلـيـهـ كـمـاـ وـقـعـ أـنـدـلـاعـ حـرـبـ الرـمـالـ سـنـةـ 1963ـ،ـ وـالـتـيـ اـسـتـمـرـتـ أـيـامـ مـعـدـودـةـ،ـ وـانـهـتـ بـوـسـاطـةـ لـلـجـامـعـةـ الـعـرـبـيـةـ وـمـنـظـمـةـ الـوـحدـةـ الـإـفـرـيقـيـةـ بـيـنـ الـطـرـفـيـنـ.

⁵⁷ حنيفي هاليبي، المغرب والثورة الجزائرية 1954 – 1962 دعم وتضامن، ضمن الندوة الدولية: جلالة المغفور له محمد الخامس كفاح وتضامن من أجل الاستقلال ودعم لحركات التحرير الإفريقية، 14 و 15 نوفمبر بالرباط، نشر المندوبيـة السـامـيـةـ لـلـمـقاـوـمـةـ وـأـعـضـاءـ جـيـشـ التـحرـيرـ،ـ السـنـةـ: 2005ـ،ـ صـ: 33ـ

⁵⁸ الفامي، الحركـاتـ الـاسـتـقـلـالـيـةـ،ـ صـ: 295ـ

⁵⁹ الحسن الثاني، ذاكرة ملك، أجرى الحوارات إيريك لوران، كتاب الشرق الأوسط، الطبعة: الثانية، السنة: 1993، ص: 48ـ

وبخصوص احتلال تونس فإنه قام خلال هذه الفترة تضامن كبير من الشعب المغربي مع تونس في مجموعة من المحطات نذكر منها موقف المغاربة من اغتيال زعيم المقاومة التونسي فرحات حشاد سنة 1952، والذي ظهر في أحداث الدار البيضاء ضد فرنسا والتي كانت تعبرها عن رفض السياسة الفرنسية وأعمالها تجاه الشعوب المغاربية واستعمارها. وكذلك تعاون رجال الحركة الوطنية مع حركة المقاومة في تونس من خلال المساهمة في جمع شمل المقاومة سواء أثناء مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بالرباط أو في إطار لجنة المغرب العربي.

وهذا التعاون تعزز أثناء حصول البلدين على الاستقلال؛ حيث توثقت العلاقات بتبادل الزيارات بين محمد الخامس والحبير بورقيبة تباعاً بين سنتي 1956 و 1957 لتوحيد المواقف تجاه المشكل الجزائري غداة عرضه على أنصار الهيئة الأممية؛ مما كان له أثر بالغ في قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الذي اتخذته بشأن الجزائر في 10 ديسمبر 1957.⁶⁰ وكذلك أثناء زيارة الحسن الثاني لتونس حينما كان وليا للعهد سنة 1959، مدعماً بتمثيل دبلوماسي كان أداة حقيقة لقيام تفاهم حقيقي بين المغرب وجيرانه، سعى الملك عند توليه العرش إلى تعزيزه بمختلف الوسائل، بداية ببروتوكول معاهدة الأخوة والتضامن، ثم مختلف الاتفاقيات الأخرى التي وقعت خاصة بعد الزيارة الثانية لجلالته لتونس في 9 ديسمبر 1964.⁶¹

وجهود المغرب بزعامة الحسن الثاني ظلت مستمرة ولم تتوقف عند حصول الدول المغاربية على الاستقلال، وإنما استمرت لتصفية جميع أشكال الهيمنة الاستعمارية داخل هذه الدول، بالتضامن معها في حل جميع مشاكلها والصراع معها ضد المستعمر خاصة الفرنسي الذي استمر في الهيمنة بعد استقلال الجزائر على أجزاء مهمة من التراب الموريتاني إلى غاية استقلالها عنه وعن المغرب بعد تنازلها عن منطقة واد الذهب وبيعة القبائل الصحراوية للحسن الثاني معلنة انضمام المنطقة إلى المغرب، كما كانت منذ عقود تاريخية سابقة.⁶²

وتبع نضال المغرب مع هذه الدول، جهوده من أجل توحيد الشعوب المغاربية في جسم واحد تتكامل فيه جميع جهودهم من أجل خدمة شعوبهم، وذلك مع بروز فكرة الوحدة المغاربية خاصة أثناء دعوة الحسن الثاني إلى تأسيس اتحاد المغرب العربي في مجموعة من اللقاءات التي جمعته مع زعماء دولها؛ حيث كان من أشد المدافعين عن الوحدة ولخروج هذا الاتحاد إلى الوجود لدعم معركة كفاحهم ونضالهم ضد التدخل الأجنبي بجميع أشكاله وفي الوقت نفسه تنمية شعوب دول المنطقة التي تعتبر استمراً لمقاومة المستعمر ومخلفاته، رغم المشاكل التي عانت منها المنطقة وما زالت تعاني منها بفعل بعض الصراعات المحدودة والضيقة الأفق لبعض دولها والتي يحضر فيها بعد الدولي بشكل أو باخر، الشيء الذي ساهم في إجهاض حلم تأسيس اتحاد المغرب العربي.

كما ساهم المغرب بشكل كبير في إطار هذه الجهود للوحدة في تأسيس منظمة الوحدة الأفريقية لجمع الشعوب الأفريقية داخل مؤسسة واحدة تناضل من أجل مصالحها وتناقش سبل تطويرها وتجاوز الاضطرابات التي تعاني منها خاصة على المستوى الأمني بعد الاستقلال، وقد كان للحسن الثاني إسهامات كبيرة فيها ما زالت تلقى اعترافاً من لدن الدول الأفريقية الشقيقة للمغرب، ورغم أن البلد اضطر إلى ترك كرسيه فارغاً على إثر اعتراف المنظمة بجمهورية البوليزاريو، فإنه لم يتوقف في التعاون مع دول إفريقيا في مجموعة من المجالات عبر عقد اتفاقيات ومعاهدات ثنائية رسمت معالم للعلاقات مع هذه البلدان، ازدادت طفرة مهمة مع وصول جلالة الملك محمد السادس إلى الحكم سنة 1999م.

ثالثاً_ العمل التضامني من داخل المؤسسات والمنظمات الدولية:

⁶⁰ عبد الكريم التواتي، أهمية علاقات الدولة العلوية بتونس في بناء وحدة المغرب العربي، ضمن مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد الرابع، السنة: العاشرة – مارس 1967، ص: 166

⁶¹ نفس المرجع، ص: 166

⁶² حول قضية البيعة وارتباط الصحراء بالمغرب يمكن مراجعة مقال: الحسين بوزيتب، البيعة وارتباط الصحراء بالمغرب، مجلة المناهل، عدد خاص بمناسبة مرور عشرين عاماً على المسيرة الخضراء، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، ص: 30

لم يتوقف عمل المغرب في العمل عندما قلنا سابقا وإنما امتد نضاله ومساندته للشعوب الإفريقية إلى مستويات ومجالات أخرى، تتضح بشكل جلي في حضور هذا النضال في سياسته الدبلوماسية وببحثه المتواصل عن إيجاد حلول عادلة لهذه الشعوب لتصفية الاستعمار بجميع أشكاله وتحرير الدول منه؛ وذلك من خلال مجموعة من القنوات التي جعلها المغرب بابا للدفاع عن هذه القضايا، والتي تظهر من خلال:

استضافة مجموعة من اللقاءات والمؤتمرات على أرض المغرب التي كان بعضها بطلب من المغرب، والآخر بطلب من زعماء الدول العربية والإفريقية والآسيوية، مستغلين كرم ضيافة المغاربة وملوكهم وحسن استقبالهم لهؤلاء الزعماء⁶³، وفي هذا كانت البلد أرضاً للتصالح وحل مشاكل هذه الدول، وبث فيها روح الأخوة الإسلامية التي تجمع شمل الفرقاء المختلفين، وذلك بالوساطات التي كان يقوم بها جلالته بينهم تمهيداً لنزع فتيل الخلاف بين المتخاصلين، وهذا تبين بشكل جلي في مؤتمر الدار البيضاء سنة 1961، والذي مهد لتأسيس منظمة الوحدة الإفريقية سنة 1963 والتي ستتحول فيما بعد منذ 2002 إلى الاتحاد الإفريقي الذي يوجد مقره بأديس أبابا كمؤسسة توحد بين شعوب إفريقيا ومخاطبها لها على المستوى العالمي؛ خاصة وأنه كان من بين أهدافها تحرير الشعوب الإفريقية وتحقيق الوحدة، وقد كان المغرب منذ تأسيسها فاعلاً رئيسياً في شخصية الملك الحسن الثاني ولعب دوراً رئيسياً فيها قبل أن ينسحب منها سنة 1984 على إثر خلاف مع بعض أعضاءها وتوجهاتها نحو المغرب ووحدته الترابية إلى غاية سنة 2016 والتي قرر فيها الملك محمد السادس العودة إلى حاضنته الإفريقية لدعم جهود بناء إفريقيا خاصة على المستوى التنموي وتجاوز المشاكل التي تعاني منها⁶⁴، وقد بینت الزيارات الأخيرة للملك محمد السادس نحو هذه المناطق وإطلاقه مجموعة من المشاريع الاستثمارية الكبرى في مجموعة من البلدان عن توجهات المغرب في إطار التنمية البشرية والتعاون جنوب جنوب مع هذه الدول.

الانخراط في المنظمات الدولية المتمة بقضايا الاحتلال وتصفية الاستعمار بداية من منظمة الأمم المتحدة والجامعة العربية التي تأسست بموجب بروتوكول الإسكندرية في أكتوبر 1944 والتي جعلت من بين أهدافها تحرير جميع الأقطار العربية من الاحتلال الأجنبي وتدعم الروابط بين الدول المستقلة منها، ثم الانضمام إلى حركة عدم الانحياز الجامعية بين بعض الدول من إفريقيا وأسيا بداية من مؤتمر القاهرة؛ حيث يعتبر الحسن الثاني إلى جانب جمال عبد الناصر من بين الزعماء العرب الذين ساهموا بشكل جلي في تأسيس هذه الحركة ضدًا على الهيمنة الاستعمارية ومساعدة الشعوب التي ما زالت تعاني من السيطرة الأجنبية على التحرر⁶⁵. وفي كل هذه المنظمات كان للمغرب حضور وزن بمقابله في الدفاع عن الشعوب المستضعفة وحقوقها، خاصة في وقت تميز بالصراع بين القطبين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي حول الهيمنة على العالم عبر فرض شروطها على الشعوب الضعيفة.

ولا ننسى في هذا الإطار اهتمام الحسن الثاني بالوحدة العربية المشتركة وقضاياها الأساسية عبر البحث عن جمع الشعوب العربية في كيان واحد والدعوة إلى توحيدتها في مؤسسات مشتركة تجمعها، كما فعل عندما جمع الزعماء العرب بالرباط في سبتمبر 1969 على إثر حدث إحراق القدس الشريف وما خلفه من استهجان لهذا الفعل العربي الشنيع من طرف الاحتلال؛ حيث تمخض عن هذا اللقاء إنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي، وإسناد رئاستها للملك نفسه للدفع بمهام هذه المنظمة وجعل مقرها بالرباط؛ إذ توفقت هذه المنظمة في تحقيق إنجازات مهمة على المستوى العربي والإسلامي وخرجت

⁶³ عبد الرحيم الورديغي، المغرب من حالة الاستثناء إلى التنازل عن موريتانيا 1962-1965، الطبعة الأولى، السنة: 1995، ص: 106.

⁶⁴ يوسف الدحماني، 12 نوفمبر 1984..عندما انسحب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية احتجاجاً على قبولها عضوية البوليساريو، نشر يوم 12 نوفمبر 2017.

[html](https://www.yabiladi.ma/articles/details/59261) <https://www.yabiladi.ma/articles/details/59261>

حول هذا الموضوع يمكن مراجعة أيضاً مقال: عبد البادي التازي، المغرب في خدمة التقارب الإفريقي العربي، دعوة الحق ع 1988.269

⁶⁵ أحمد البقالي، حركة عدم الانحياز، مطبعة الأنباء، الرباط، السنة: 1980، ص: 107

مؤتمراتها السنوية فيما بعد بعده قرارات مساندة للمقاومة التدخل الأجنبي في مجموعة من الأصدعة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية.

المساهمة في تأسيس عدة جمعيات ومنظمات مهتمة بشؤون الاستعمار والدفاع من أجل الحصول على الاستقلال أبرزها:

+ مكتب المغرب العربي: تم تأسيسه عقب مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة في فبراير 1947، الذي تناول قضية الاستعمار الإسباني والفرنسي واتخذ فيها خطوات مهمة أهمها التأكيد على بطلان معايدة الحماية والمطالبة بإعلان استقلال المغرب وتعزيز الكفاح من أجل ذلك، وقد مثل المغرب في هذا المؤتمر برابطة الدفاع عن مراكش. انضم إلى هذا المكتب مجموعة من السياسيين المغاربة من رجال الحركة الوطنية في شمال إفريقيا كان أبرزهم محمد بن عبد الكريم الخطابي⁶⁶.

+ لجنة تحرير المغرب العربي: أسست من أجل تنسيق الحركات الوطنية والعمل للكفاح المشترك وتوحيد الخطط من أجل ذلك⁶⁷، وأنشأت باقتراح من محمد بن عبد الكريم الخطابي الذي أصبح رئيساً لها فيما بعد وأمينها العام الحبيب بورقيبة⁶⁸، كما عرفت انضمام علال الفاسي الذي كان من بين الشخصيات الفاعلة فيها، وقد عقدت اللجنة جمعها الأول في 10 ماي 1948، ومما جاء في بيان تأسيسها: "إذا كانت الدول الاستعمارية على باطلها تحتاج إلى التسائد والتعاضد لثبتت سيطرتها الاستعمارية فنحن أحوج إلى الاتحاد وأحق به من أجل إحقاق الحق وتعويض أركان الاستعمار الغاشم الذي كان نكبة علينا، ففرق كلمتنا، وجزاً بلادنا، وابتز خيراتنا، واستحوذ على مقاليد أمورنا، ووقف حجر عثرة في سبيل تقدمنا ورقينا. ثم حاول بكل الوسائل أن يقضي على جميع مقوماتنا كامة عربية مسلمة"⁶⁹.

- جعل قضية المغرب والوحدة الترابية بعد الاستقلال في صلب القضايا الدولية، وتحقيق عدة نجاحات على مستوى الدبلوماسية وال العلاقات الدولية بفعل حنكة المغرب في التعامل مع قضية الصحراء؛ إذ سجل له طلب الاستشارة من محكمة العدل الدولية في لاهي حول الصحراء وعلاقات سكانها مع ملوك المغرب، حكمت خلاله هذه المحكمة بالحكم لصالح المغرب وباحتיקته في صحراءه، رغم تعنت إسبانيا أنداك في الاعتراف بهذا الحق، مما جعل جلالته يضغط على إسبانيا بمجموعة من الوسائل لاسترجاع ترابه بمساندة دولية من مجموعة من الدول، ومنها تنظيم المسيرة الخضراء في نوفمبر 1975 بمشاركة شعبية من طرف المغاربة، والتي انتهت بخروج إسبانيا من جزء من الصحراء الغربية ودخولها إلى حضينة البلد، مازالت إلى اليوم تعتبر من أهم مفاخر جلالته ومعه المغاربة، تؤكد مدى مقاومته للتدخل الأجنبي بجميع أشكاله، وكانت ملهمة لمجموعة من الشعوب في العالم لمقاومة الاحتلال أراضيها.

خاتمة:

حاولنا طيلة محاور هذا المقال رصد أهم مساهمات المغرب المختلفة خلال القرن 20 في سبيل التضامن مع دول إفريقيا للحصول على استقلالها ومقاومة الاستعمار بأشكال مختلفة من الدعم، جعلها أساساً لهذا التضامن، ومن أهم الاستنتاجات التي يمكن استخلاصها من ذلك نجد:

⁶⁶ الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص: 377.

⁶⁷ أكرم بوجمعة، الأمير عبد الكريم الخطابي وظروف تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي، مجلة تاريخ المغرب العربي، نشر مختبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، جامعة الجزائر 2، المجلد 3، العدد: 5، السنة: 2017، (صص: 163-191).

⁶⁸ محمد مليكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه (20)، مركز دراسات الوحدة المغاربية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، السنة: أغسطس 1994، ص: 455.

⁶⁹ الفاسي، الحركات الاستقلالية، ص: 409.

ـ بروز المغرب على الساحة الدولية في الدفاع عن الشعوب المستعمرة وتحريرها من خلال التضامن مع حركات المقاومة والكافح من أجل الاستقلال بإفريقيا؛ حيث ما زالت مواقف المغرب ودعمه لها، تعتبر نموذجاً للاقتداء بها ويتم استحضارها في مجموعة من المحافل على الصعيد الوطني والدولي.

ـ أهمية التعاون والتضامن بين الدول في التحرر من الاستعمار بجميع أشكاله، عبر المساندة المتبادلة بين الدول في سبيل ذلك؛ إذ بینت بعض الأحداث التاريخية للمقاومة والحصول على الاستقلال أنه لو لا هذه المؤازرة لما حصلت عدة دول على استقلالها خاصة بإفريقيا؛ حيث كانت مساهمة مع المقاومات المحلية في حركتها.

ـ أهمية هذه العلاقات التي نسجها المغرب خلال فترة الاستعمار ومساندته لدول إفريقيا في بناء أواصر الأخوة وربط علاقات معها في عدة مجالات مختلفة بعد خروج المستعمر، تعززت بعدة اتفاقيات وبروتوكولات ثنائية تنظم هذه العلاقات إلى اليوم.

ـ تضامن المغرب مع حركات المقاومة يمكن استغلاله اليوم في بناء الذاكرة المشتركة بينه وبين دول إفريقيا؛ وذلك من أجل البحث عن تعزيز المشترك بين هذه البلدان واستغلاله في صالحها.

وفي الأخير لا بد من الإشارة إلى أن مقاومة محمد الخامس والحسن الثاني خلال القرن 20 هي امتداد لمواقف الملوك العلوين منذ تأسيس الدولة العلوية في القرن 17؛ حيث حرص جميع ملوكها على مقاومة الاحتلال الأجنبي الذي بدأ سياسة الضغط على المغرب واحتلال ثغوره منذ بدايات العصر الحديث محاولاً السيطرة عليه، الشيء الذي تمكّن منه في سنة 1912 رغم المقاومة الضارية للسكان المغاربة في مجموعة من المعارك، قبل أن يتمكن المحتل الفرنسي من احتلال جميع التراب المغربي وبداية استغلال أرضه وسكانه.

الببليوغرافية:

مراجع:

- ـ أحمد البقالي، حركة عدم الانحياز، مطبعة الأنبياء، الرباط، السنة: 1980.
- ـ أحمد عسه، المعجزة المغربية، دار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، الطبعة: 1، السنة: 1974/1975 م
- ـ الحسن الثاني ملك المغرب، التحدي، المطبعة الملكية، الطبعة: الثالثة، السنة: 1415هـ/1995 م.
- ـ الحسن الثاني، ذاكرة ملك، أجرى الحوارات إبريل لوران، كتاب الشرق الأوسط، الطبعة: الثانية، السنة: 1993.
- ـ محمد مليكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه (20)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة: الثانية، السنة: أغسطس 1994.
- ـ عبد الرحيم الورديغي، المغرب من حالة الاستثناء إلى التنازل عن موريتانيا 1962-1965، الطبعة: الأولى، السنة: 1995.
- ـ علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، نشر مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة: 6، السنة: 2003.

مقالات:

- ـ أكرم بوجمعة، الأمير عبد الكريم الخطابي وظروف تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي، مجلة تاريخ المغرب العربي، نشر مختبر الوحدة المغاربية عبر التاريخ، جامعة الجزائر 2، المجلد 3، العدد: 5، السنة: 2017، (صص: 163-191).
- ـ الحسين بوزينب، البيعة وارتباط الصحراء بالمغرب، مجلة المناهل، عدد خاص بمناسبة مرور عشرين عاماً على المسيرة الخضراء، وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية.
- ـ بنكريعي حليمة، معركة وادي المخازن وأثراها السياسي والمالي 1578-1603، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، نشر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بالقنيطرة، العدد: 2، السنة: 2000، (صص: 91-109).

ـ حنيفي هالبي، المغرب والثورة الجزائرية 1954 – 1962 دعم وتضامن، ضمن الندوة الدولية: جلالة المغفور له محمد الخامس كفاح وتضامن من أجل الاستقلال ودعم لحركات التحرير الإفريقية، 14 و 15 نونبر بالرباط، نشر المندوبيبة السامية للمقاومة وأعضاء جيش التحرير، السنة: 2005.

ـ رضوان العنبي، العلاقات المغربية الإفريقية: التاريخ والرهانات، مجلة المنارة للدراسات القانونية والإدارية، عدد خاص، ينابير (صص: 451-468)، 2020

ـ عبد الكري姆 التواتي، أهمية علاقات الدولة العلوية بتونس في بناء وحدة المغرب العربي، ضمن مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، العدد الرابع، السنة: العاشرة – مارس 1967.

موقع الكترونية:

ـ يوسف الدحماني، 12 نونبر 1984..عندما انسحب المغرب من منظمة الوحدة الإفريقية احتجاجا على قبولها عضوية البوليساريو، نشر يوم 12 نونبر 2017.
<https://www.yabiladi.ma/articles/details/59261.html>

التقارب والتباعد في العلاقات السودانية الأمريكية

يناير 1956 م _ أكتوبر 2022 م

Convergence and divergence in Sudanese-American relations

January 1956 _ October 2022

أحمد سليمان أبكر_ باحث في العلوم السياسية_ السودان

Ahmedsoulim22@gmail.com

ملخص:

تسعى هذه الدراسة للوقوف على حالة التقارب والتباعد في العلاقات السودانية الأمريكية. أما مشكلة الدراسة فتتمثل في حالة التأرجح ما بين الهدئة والتصعيد في هذه العلاقات.. وتكمّن أهداف الدراسة في تسليط الضوء على طبيعة العلاقات السودانية الأمريكية وأثرها على السودان. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج التاريخي في الدراسة لتحقيق هدف البحث بتحليل واقع العلاقات السودانية الأمريكية منذ استقلال السودان في 1956م. وقد خرج الباحث بعدد من النتائج التي تكشف عن سعي الولايات المتحدة الأمريكية المتجدد والمتكسر وراء عملية اخضاع السودان كدولة ذات تأثير على الأقل في محيطها الإقليمي؛ وذلك من خلال سياسة العصا والجزرة.

الكلمات المفتاحية: علاقات، السودان، الولايات المتحدة الأمريكية.

Abstract:

This study seeks to identify the state of convergence and divergence in the Sudanese-American relations. The problem of the study is represented in the state of fluctuation between calm and escalation in these relations. The objectives of the study lie in shedding light on the nature of the Sudanese-American relations and its impact on Sudan. The researcher used the descriptive approach and the historical approach in the study to achieve the goal of the research by analyzing the reality of the Sudanese-American relations since the independence of Sudan in 1956. This is done through carrot and stick policy.

Keywords: relations, Sudan, the United States of America.

مقدمة:

يقع السودان في شمال شرق إفريقيا تحده من الشرق إثيوبيا وإريتريا ومن الشمال مصر وليبيا ومن الغرب تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى ومن الجنوب دولة جنوب السودان. وهو ثالث أكبر قطر من حيث المساحة في إفريقيا بعد الجزائر والكونغو الديمقراطية والثالث في العالم العربي بعد الجزائر والمملكة العربية السعودية وال السادس عشر على نطاق العالم؛ حيث تبلغ مساحته 1.868,813 كم مربع. وكان السودان الأكبر مساحة في العالم العربي والإفريقي والعشر عالمياً بمساحة قدرها 2 مليون كم مربع، وذلك قبل إنفصال جنوبه كدولة مستقلة في يوليو 2011م (دولة جنوب السودان). يطل السودان على البحر الأحمر بساحل يبلغ طوله حوالي 720 كيلو متر، وهذه الإطلالة جعلته يقع في واحدة من أهم المناطق الجغرافية في العالم هي منطقة القرن الإفريقي التي تشهد تسابقاً عالمياً للسيطرة عليها لأهميتها الإقليمية العالمية. وبجانب أهميته التي اكتسبها من موقعه الجغرافي ضمن منطقة القرن الإفريقي يتمتع السودان بثروات طبيعية هائلة حباه الله بها، ومن أهمها الأراضي الزراعية الواسعة والمياه الوفيرة، بالإضافة إلى الثروة الحيوانية والبترول والليورانيوم وغير ذلك من المعادن. فهذا الموقع الجغرافي المتميز والآخر بالثروات والموارد الطبيعية الضخمة جعل السودان يقع تحت طائلة الأطماع الغربية عامة والولايات المتحدة الأمريكية خاصة؛ التي تطمح بشدة في السيطرة والتحكم في منطقة القرن الإفريقي بصورة تامة، كما تسعى بجانب ذلك العمل على إضعاف الوجود الإسلامي في المنطقة الذي تعتبره خطر حقيقي على أمها ومصالحها وتعتبر السودان رأس الرمح في هذا الخطر، وهي في حقيقة الأمر أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يهمها من يحكم السودان بقدر ما يهمها ما الخطر الذي يشكله ذلك الحاكم الذي تحت إمرته شعب صعب الميراس، قوى الإرادة قادر على تصحيح الأوضاع والوقوف في وجه أي خطر يهدده خاصة إذا كان هذا الخطر خارجي، والمتابع لمسيرة علاقة السودان بالولايات المتحدة يلحظ عدم جديتها في إنشاء علاقة جيدة قائمة على تبادل الاحترام والمصالح المشتركة بين البلدين، بل علاقة قائمة على الابتزاز والاستخبار ومحاولات التدخل السافر في الشأن الداخلي، والحضار الاقتصادي وتغذية بؤرة الصراعات هنا وهناك سعياً وراء الإضعاف ومن ثم السيطرة.

الإطار المنهجي للبحث:

* موضوع الدراسة وحدودها: موضوع الدراسة: التقارب والتبعاد في العلاقات السودانية الأمريكية، حدود الدراسة المكانية: (السودان)، أما الزمانية فهي الفترة من يناير 1956م إلى أكتوبر 2022م.

* إشكالية الدراسة: تمثل في حالة التأرجح ما بين التهديد والتدعيم في العلاقات السودانية الأمريكية منذ فجر استقلال السودان وحتى تاريخ اليوم.

* أسئلة الدراسة:

أ. هل الولايات المتحدة الأمريكية حريصة على إقامة علاقات متوازنة مع السودان، تقوم على الاحترام وتبادل المصالح بين البلدين؟

بـ. ما دقة المعلومات المطروحة من قبل البحوث والدراسات العلمية لتوضيح حالة التأرجح ما بين التهدئة والتصعيد في العلاقات السودانية الأمريكية، ومدى القدرة على توضيح هذه المعلومات بوصفها أدلة تبين حقيقة هذا التأرجح؟

جـ. ما هي أوجه السبل التي يمكن أن تنتهي بها الولايات المتحدة الأمريكية في علاقتها مع السودان حتى تثمر هذه العلاقات؟

*منهجيات البحث وتقنياته:

منهج البحث هو المنهج الوصفي الذي يعتمد على وصف الحقائق بإتباع أسلوب علمي موضوعي دقيق، والمنهج التاريخي لتحقيق هدف البحث بتحليل واقع العلاقات السودانية الأمريكية منذ استقلال السودان.

تقنيات البحث: القراءة المنظمة للواقع اليومية، الرسائل العلمية والدراسات المتعلقة بموضوع البحث، الملاحظة الهدافـة، الخبرة العلمية، الاستشارة.

*فرضيات البحث:

1. ثـمة رغبة جامحة للولايات المتحدة الأمريكية في السيطرة على السودان؛ من خلال اخضاعه للمعايير الأمريكية.

2. انشغال الساسة السودانيين في الحكومات السودانية المتعاقبة بالتصارع فيما بينهم أثر سلباً في حسم ملف العلاقات السودانية الأمريكية وذلك من خلال وضعها في إطارها الصحيح.

3. الولايات المتحدة الأمريكية لا يهمها شكل نظام الحكم في السودان(شمولي/ديمقراطي) بقدر ما يهمها مدى تلبية هذا النظام لمطالبه.

الإطار النظري للدراسة:

يشير مفهوم المجتمع الدولي إلى مجموعة المجتمعات السياسية الفردية التي تسمى بالدول القومية، والتي تكون كل واحدة منها من شعب وإقليم وحكومة واقتصاد في إطار شخصية لها ذاتيتها القومية المميزة التي تعمل على توحيد هذا المجتمع في مواجهة غيره من المجتمعات القومية المنافسة، وهنا يبرز مصطلح العلاقات الدولية الذي يتحدث عن الطبيعية الديناميكية للفتاصلات التي تتجاوز حدود الدولة بصرف النظر عن نوع هذه التفاعلات وموضوعها، حيث ينظر إليها باعتبارها تشكل نسقاً مترابطاً المكونات والأبعاد؛ وتتفاعل عناصره ووحداته جميعها؛ حيث يؤثر كل مكون منها على الآخر ويتأثر به⁷⁰، وينصب اهتمام الدولة في علاقتها مع غيرها من الدول على كيفية التعاطي مع هذه الدول، سواء كان ذلك من خلال مواقف التعاون أو الصراع أو التعامل الروتيني المنتظم عبر قنوات الاتصال والتنسيق والتشاور والتفاوض بالوسائل

⁷⁰ عبد الشافي، عصام _مفهوم العلاقات الدولية: إشكاليات التعريف_ الموقع الإلكتروني للمعهد المصري للدراسات_2015م_ تاريخ التصفـح: 15 أكتوبر 2022م، الساعة: 12:40 م.

الرابط: <https://www.google.com/amp/s/eipss-eg.org/>

والأدوات الدبلوماسية المترافق علماً دولياً⁷¹. ولكن حظيان بعض الدول دون غيرها باعتراف دولي واسع بأنها دول كبرى ذات قوة ونفوذ ومكانه وتأثير، يدفع هذه الأخيرة إلى انتهاج سياسيات تروض بها الدول الأضعف فيما تشاء ووقت ما تشاء، ومن هذه السياسات؛ الإمبريالية وهي سياسة هدفها الاستيلاء أو السيطرة على شعوب وأراضي غريبة وماهية الدولة الإمبريالية هي أنها تسعى إلى الحصول على مكسب من نوع ما من تلك الدول والشعوب العاجزة عن الدفاع عن نفسها ضد تفوق الدولة الإمبريالية العسكري أو الاقتصادي، وقد يتخذ هذا المكسب شكل سلطة، هيبة، تفوق إستراتيجي، يد عاملة رخيصة موارد طبيعية أو ولوج أسواق جديدة. وعادة ما تنجز الدول الإمبريالية أهدافها بعدد من الطرق، منها الغزو والاحتلال، وسيطرة السوق وغير ذلك من وسائل الضغط على الدول⁷².

أدبيات البحث (الدراسات السابقة):

دراسة مشابهة بعنوان: (تاريخ العلاقات السودانية الأمريكية 1950-1958م (دراسة وثائقية) _د. قتيبة عبد العظيم_ كلية الآداب / الجامعة العراقية _مجلة كلية التربية للبنات، العدد 5، السنة الثالثة 2016م).

أهداف الدراسة: معرفة تاريخ العلاقات السودانية الأمريكية خلال الفترة ما بين 1950-1958م، والإستراتيجية الأمريكية الهدافـة التي كانت ترى عداء العرب لبريطانيا الناتج من جراء ماضيها الاستعماري في المنطقة، قد يعرقل مصالح الغرب البترولية بوجه خاص، ويفتح المنطقة أمام الاتجاه نحو المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي، فضلاً عن بيان سياسة الولايات المتحدة في ملئ الفراغ الذي خلفه الاستعمار البريطاني، عن طريق سياسات استعمارية جديدة، وربط الدول المستقلة حديثاً في إفريقيا والشرق الأوسط بأحلاف عسكرية أو اتفاقيات اقتصادية على شكل معونات⁷³.

نتائج الدراسة: خلال الصراع الدائر حول السودان من قبل دولي الحكم الثنائي (بريطانيا/ مصر) بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تولي الاهتمام بالسودان بسبب سعيها لتحقيق الأمن القومي الأمريكي بإنشاء حلف دفاع مشترك في منطقة الشرق الأوسط ضد الاتحاد السوفيتي ومعسكره الشرقي، ولو كان ذلك على حساب استقلال وسيادة السودان والتضحية به لصالحة الناج المصري. وبعد استقلال السودان استغلت الولايات المتحدة الأمريكية الأزمة الاقتصادية التي اجتاحتها، فسعت لبسـط نفوذها فيه بعقد اتفاقية المعونة الأمريكية التي وجدت معارضة شديدة من معظم قطاعات الشعب السوداني الأمر الذي أدخل البلاد في حالة من الفوضى السياسية، أدت في خاتمة المطاف إلى تقويض أول تجربة لنظام ديمقراطي في السودان بقيام انقلاب 17 نوفمبر 1958م⁷⁴.

التعليق على الدراسة: واضح جداً أن العلاقات السودانية الأمريكية اتسمت منذ عهدها الأول بسعى الولايات المتحدة الأمريكية وراء مصالحها في المنطقة بعيداً عن شعارات الديمقراطية وحقوق الإنسان والمساواة التي كانت ترفعها في وجه تمدد المعسكر الشرقي.

⁷¹. المرجع السابق.

Martin Griffiths and Terry International Relations: The Key Concepts Routledge First published, O'Callaghan 2002, p.69.⁷²

⁷³. عبد العظيم، قتيبة _تاريخ العلاقات السودانية الأمريكية 1950-1958م (دراسة وثائقية) _كلية الآداب / الجامعة العراقية _مجلة كلية التربية للبنات، العدد 5، السنة الثالثة 2016م.

⁷⁴. المرجع السابق.

خلفية تاريخية:

أول زيارة لشخصية أمريكية معروفة وشهرة للخرطوم قام بها الشاعر والدبلوماسي والكاتب الأمريكي (جيمس بيارد تيلر) وأقام في الخرطوم ستة أشهر وكتب كتاباً ضمّ رحلاته وأسباب في وصف السودان وعاصمته الخرطوم وذلك في العام 1851، ومن المحتمل أن الدبلوماسي (بيارد تيلر) قد لفت الأنظار إلى أهمية السودان، فتمّ فتح القنصلية الأمريكية بعد زيارته الشهيرة للخرطوم إذن بدأ الظهور الأمريكي في السودان منذ فترة التركية السابقة⁷⁵، حيث أنشأت الولايات المتحدة الأمريكية قنصلية في الخرطوم عام 1865م لرعاية رعاياها الذين كانوا ينشطون في إفريقيا، وجانب أولئك الرعايا كان هناك عدد من الضباط الأمريكيين الذين كانوا يعملون في الجيش المصري أمثال الأميرالي (بودري بك) الذي كان أحد ضباط أركان حرب الجيش المصري، ورئيس بعثة الاستكشاف التي جابت الجهات التي بين النيل والبحر الأحمر، من القاهرة والسويس شماليًا إلى قنا والقصير جنوبًا، وكشفت طرق المواصلات ومناجم المعادن والمحاجر في تلك الجهات، وتبعه الأميركي الأميرالي (كولوستون) في بعثة ثانية كشف بها جهات كردوفان وحقق موقعها ومدتها وطرق المواصلات فيها ووضع خرائط لها، وأمضت البعثتان الأولى والثانية ثلاث سنوات. أما البعثة الثالثة فكانت برئاسة المهندس (ميتشل) الأميركي الذي كشفت بعثته مناجم للذهب في الحمامات شرق قنا وعرجت على ثغور البحر الأحمر وخليج عدن، كالقصير ومصوع وتجورة وزيلع وتغلغلت في الداخل وعادت إلى مصوع، وكشفت الجهات الشرقية من الجبعة وكذلك كان هناك رعايا الكنيسة الأمريكية الذين كانوا يهتمون بالتبشير في إفريقيا عامه وفي السودان خاصة⁷⁶. في العام 1885م احتلت القوات الإنجليزية مصر وأصدرت قانون إلغاء القنصليات، وقبل أن يبلغ القرار عازر عبد الملك (القبطي الممثل للقنصلية الأمريكية في الخرطوم) نشب الثورة المهدية في السودان وقطعت طرق الإتصالات بين مصر والسودان، وبعد اجتياح جيش المهدى للخرطوم قتل عازر عبد الملك بيد الثوار الجدد⁷⁷. الأمر الذي ظل عاللاً في العقل الباطني الأميركي وشائب له ومنعكساً على سياسته تجاه السودان في كل مراحلها إلى اليوم.

بعد نهاية المهدية تم تأسيس الكنيسة الأنجليلية الأمريكية بشمال السودان (في أم درمان) عام 1900م على يد القس صبري حنا، وقد سبقه في ذلك الأب كيفن الذي قدم من مصر عام 1899م متوجهاً إلى جنوب السودان حيث قام بتأسيس أول محطة تبشيرية في منطقة الدلبيب هيل بالقرب من ملكال. وخلال الفترة 1900م و1948م انتشرت مدارس الكنيسة الأنجليلية الأمريكية في المدن الكبرى بشمال السودان وكانت تدار بواسطة الأقباط المصريين، أما في جنوب السودان أصحاب العمل التبشيري للكنيسة الأمريكية نجاحاً عبر محطاتها التي تأسست هناك⁷⁸. وكانت هناك ثلاثة مهام أساسية حددت للقنصلية الأمريكية في الخرطوم وهي: مساعدة وتوجيه السواح الأمريكيين وتوفير الحماية وسبل الراحة لهم، حماية المبشرين الأمريكيين وحماية من دخلوا في الدين المسيحي علي يد الجمعيات والمبشرين الأمريكيين، وتشجيع التجارة

⁷⁵ Bayard Taylor, Journey To Central Africa. New York. G.P. Putnam and company. 1854. p270.

⁷⁶ البشير، أحمد الأمين_مقال: تاريخ الوجود الأمريكي في السودان_مجلة الدراسات السودانية_العدد الأول_المجلد الثالث_الخرطوم_فبراير 1971م_ص 14.

⁷⁷ حمزة، ميمونة مرغفي_ حصار وسقوط الخرطوم_دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر_الخرطوم_1972م_ص 7.

⁷⁸ البشير، أحمد الأمين_مقال: تاريخ الوجود الأمريكي في السودان_ص 15.

ورجال الأعمال الأمريكيين الذين ظهرت لهم شركات تعمل في إستيراد العacialات السودانية؛ منهم المستثمر الأمريكي (لي هنت) الذي قام بالمساهمة في تأسيس شركة السودان للزراعة التجريبية التي ظهرت في أوائل سنوات الحكم الثنائي وذلك في عام 1904م، والتي تحولت فيما بعد إلى الشركة الزراعية السودانية جاءت هذه المساهمة بعد أن كتب جون ج. لانق قنصل الولايات المتحدة في القاهرة إلى ديفيد ج. هيل مساعد وزير الخارجية الأمريكي في 13 أغسطس 1902م، قائلاً: تسعى حكومة السودان بشدة إلى تطوير الموارد الزراعية في البلاد على أساس أكثر ليبرالية لتشجيع رأس المال والهجرة. وهناك احتياج للأدوات والآليات الزراعية، عليكم القدوم باكراً لتأمين موقع راسخ في أسواق البلاد) وكان هذا النشاط الأمريكي الذي ظهره الكشوفات العلمية والسياحة والتبشير المسيحي، كان باطنه التغلغل الاستخباراتي الذي وفر للولايات المتحدة الأمريكية الكثير من المعلومات المهمة التي تتعلق بموارد السودان وطبائع سكانه الذين لم تغفل أمريكا يوماً عن صرامتهم وصعوبية مراضهم الذي كان واضحاً جداً في الثورة المهديّة. ثم تأكّد الاهتمام الأمريكي بالسودان بزيارة الرئيس السادس والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية ثيودور روزفلت له في العام 1910م، وجاء في أخبار زيارته أنه ألقى خطبة عصماء دافع فيها عن الاحتلال الإنجليزي للسودان وطالب السودانيين بأن يكونوا حكماء وأن يخضعوا للاحتلال لأن التحرر منه كثير التكاليف ومخيف، وعرف عن الرئيس ثيودور إيمانه التام وإهتمامه بما يحتويه العهد القديم من نصوص التوراة، وفي هذه الزيارة أشاد بالوجود البريطاني النصراني على أرض السودان في أعقاب سحق بريطانيا للحركة المهديّة في السودان، مما شكل إساءة كبيرة لمشاعر أهل السودان الذين استنكروا ذلك بشدة. وعند نهاية الحرب العالمية الثانية تصاعدت موجة التحرر ونيل الاستقلال من ربقة الاستعمار الأوروبي وعمت العديد من الأقطار في آسيا وأفريقيا وقد كان من الطبيعي أن يساعد الاتحاد السوفيتي تلك الحركة التي استهدفت خروج الدول من الهيمنة والنفوذ الغربي بصفة عامة وبالمقابل تحركت الولايات المتحدة الأمريكية ورمي بكل ثقلها في مواجهة التمدد السوفيتي ومنع وصول نفوذه إلى منطقة الشرق الأوسط بصورة خاصة وبقيت دول العالم بصورة عامة في إطار ما تعارف على تسميته بالحرب الباردة، إذ كان لدخول الكنيسة المشيخية المتحدة الأمريكية للسودان عقب سقوط الدولة المهديّة 1899م يمثل الموجة الأولى للاتصال المباشر بين الولايات المتحدة الأمريكية والسودان، فإن مسألة تقرير مصير السودان عقب الحرب العالمية الثانية قد مثلت مدخل الموجة الثانية للتدخل الأمريكي في الشأن السوداني بموجب مبدأ ترومان (1946م) فقد قبلت الولايات المتحدة الأمريكية تحمل مسؤوليات الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط ضد أي اندفاع سوفيتي نحو المنطقة في ظل إضمار حل نفوذ بريطانيا وفي عام 1951م توافقت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا على تأسيسقيادة العسكرية للشرق الأوسط الميكوم على أن يكون مقرها قناة السويس لحمايةها والإعداد للدفاع الإقليمي والمساعدة على إخماد الصراع في المنطقة. وفي 13 أكتوبر 1951م تقدم مقترن قيادة الميكوم للقاهرة بغرض الانضمام إليها حيث تم رفض العرض بسبب الخلافات المصرية البريطانية الحادة آنذاك حول جلاء القوات البريطانية من قناة السويس والسودان. لاحقاً نشطت الدبلوماسية الأمريكية في تسويق صفقة تتضمن اعتراف بريطانيا بفارق ملغاً على السودان والجلاء العاجل للقوات البريطانية من مصر مقابل موافقة القاهرة للانضمام للميكوم، وامتد النشاط الدبلوماسي الأمريكي إلى الخرطوم حيث جرت مشاورات مع القوى السياسية السودانية التي رفضت فكرة الناج المصري على السودان. وبمجيء ثورة يوليو 1952م تم إلغاء فكرة الناج المصري تلقائياً بذهاب الملك فاروق، وقررت القاهرة الاعتراف بحق السودان في تقرير مصيره وذهبت لأكثر ذلك حين تقدمت بمبادرة لاستفتاء السودانيين حول علاقتهم بمصر وجرت مفاوضات بين لندن والقاهرة خلال نوفمبر 1952م فبراير 1953م لتعديل دستور الحكم الذي تمهدًا لإجراءات عملية تقرير المصير وهنا وفي إطار استعدادها آنذاك لوراثة النفوذ البريطاني في المنطقة أرسلت الولايات المتحدة في مارس 1954م أول مبعوث لها للسودان والذي جاء

متزامن مع بداية المرحلة الانتقالية في السودان وكانت الولايات المتحدة آنذاك تضع المسألة السودانية في إطار علاقتها مع النظام الجديد في مصر، حيث لعبت دوراً مؤثراً في مفاوضات تسوية العلاقات المصرية البريطانية بعد قيام ثورة يوليو 1952 والتي عرفت بمفاوضات الجلاء والتي انتهت إلى توقيع تفاقيه (جمال/هيد)، كما مارست ضغوطاً هائلة على الجانب البريطاني لتقديم تنازلات حتى تم التوقيع على اتفاقية الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان في 12 يناير 1953م وهي التي تنص على فترة انتقال لا تتعدي الـ3 سنوات يمارس فيها السودانيون الحكم الذاتي من خلال إجراء أول انتخابات عامة في البلاد، ولقد اشتركت الولايات المتحدة الأمريكية بمندوب في اللجنة الدولية التي أشرف على هذه الانتخابات التي جرت في ذات العام 1953م. بعد فشل جهود الولايات المتحدة الأمريكية في ضم مصر إلى حلف (الميكوم) وتوجهات الرئيس المصري جمال عبد الناصر القومية وانفتاحه على الكتلة الشرقية طرأ تحولاً تكتيكيًّا على السياسة الأمريكية تجاه السودان، فيبعد أن كانت تضغط واشنطن في تجاه ضم السودان إلى التاج الملكي المصري مقابل دخول مصر في حلف الشرق الأوسط الكبير المناوي للكتلة الشرقية، تحولت السياسية الأمريكية إلى دعم استقلال السودان في سبيل محاصرة عبد الناصر ومنع النفوذ السوفيتي من التغلغل إلى عموم إفريقيا جنوب الصحراء. ونصلت وثيقة صادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية بتاريخ 16 أبريل 1955م بعنوان (السياسة الأمريكية تجاه السودان) على أنه لا يوجد للولايات المتحدة الأمريكية في هذه الأونة أية متطلبات إستراتيجية محددة تجاه السودان سوى التركيز على إتمام عملية تقرير المصير⁷⁹.

عرض موضوع الدراسة:

العلاقات السودانية الأمريكية ما بين 1956م_1989م:

اعترفت الولايات المتحدة الأمريكية باستقلال السودان في 2 يناير 1956م وتم ترفع مكتب اتصالها بالخرطوم إلى درجة السفارية، ومن ثم تم تسمية (لويل بينكرتون) سفيرًا أمريكيًّا للسودان اعتبارًا من 12 أبريل 1956م، ثم قدم أوراق اعتماده في 17 مايو 1956م ليصبح أول سفير أمريكي معتمد لدى حكومة السودان. وجاء في صدر خطاب تكليفه الصادر بتاريخ 7 مايو 1956م: (أن الدولة الوليدة في السودان تواجه خيارات حاسمة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فهي إما أن تصبح ذات علاقات وثيقة بالسوفيت وتفتح لهم ناقذة التغلغل إلى إفريقيا بأكملها أو تتواصل في علاقتها الصديقة مع الغرب) وأشار خطاب تكليف السفير إلى السودان بأنه يشغل موقعًا إستراتيجياً كجسر بين العالم العربي وإفريقيا، وحدد الخطاب السودان بعيدًا عن العرب ينطوي على انتكasa خطيرة للسياسة الأمريكية في الشرق الأدنى وإفريقيا، وحدد الأهداف الأمريكية المرحلية تجاه السودان في دعم وصاينة الاستقلال والدفع باتجاه قيام حكومات مستقرة وصديقة مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة شملت الأهداف منع السوفيت من التغلغل في السودان وبالتالي حرمانهم من العبور إلى داخل إفريقيا، كذلك حدد الأهداف الأمريكية بأن يتم دعم تعاون السودان ومصر في الحالات التي تكون فيها

⁷⁹ على، الباحث هيثم عبد الرحمن_ السياسة الأمريكية تجاه السودان (1950_2010م)_ التقرير (دورية تختص بالقضايا الإستراتيجية)_ العدد الرابع _أغسطس 2014م_ مركز العلاقات الدولية_ الخرطوم_ ص4 إلى ص7.

توجهات النظام المصري القائم متماهية مع الأهداف الأمريكية ويتم الدفع بالسودان باتجاه إحباط مخططات مصر في جميع الحالات التي تخدم فيها مصر أهداف السوفيت.⁸⁰

فمن الواضح أن علاقات الولايات المتحدة الأمريكية مع السودان منذ البداية قامت على مصالحها فقط؛ والمتمثلة في تلك الفترة في سياسة احتواء تمدد الاتحاد السوفيتي وحلفائه في المنطقة. وبعد حرب السويس (العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الإسرائيلي على مصر 1956م) تفتحت عيون الولايات المتحدة الأمريكية أكثر على دول المنطقة وطرح الرئيس الأمريكي أيزنهاور⁸¹ مشروعًا لمساعدة المنطقة حمل اسمه (مشروع أيزنهاور)⁸². وهو مشروع في ظاهره تقديم المساعدات الاقتصادية والفنية لدول المنطقة وفي باطنها يهدف إلى إحتواء المد الشيوعي فيها، وتؤكدًا على هذا الاهتمام أوفد أيزنهاور نائبه ريتشارد نيكسون إلى السودان بتاريخ 13 مارس 1957م في إطار تسويق مبادرة أيزنهاور في إفريقيا ورافقه في تلك الزيارة مندوب المشروع جيمس ريتشارد، وخلال المباحثات الثنائية التي جرت مع رئيس الوزراء عبد الله بك خليل عرض نيكسون مبادرة المعونة الأمريكية بشقيها الاقتصادي والعسكري مشددًا على أنه لا توجد شروط لقبولها وهي تستهدف بناء الاستقرار وتحقيق استقلال الدول وبحسب نيكسون فإن هنالك هدفان لبرنامج الرئيس أيزنهاور (المعونة) أولهما تحصين أقطار الشرق الأوسط ضد خطر العدوان الشيوعي والثاني تقوية البلدان المعنية وإنهاء قابليتها للتغلغل الشيوعي التخريبي. تحفظت الحكومة السودانية (حكومة عبد الله بك خليل) على بعض بنود مشروع أيزنهاور خوف المساس باستقلال وسيادة السودان، وأوفدت الولايات المتحدة الأمريكية في 22 أبريل 1957م مبعوثها السفير ريتشارد هيل للرد على ملاحظات السودان وببحث تفاصيل انضمام السودان إلى قائمة الدول المستفيدة من برنامج الرئيس أيزنهاور (المعونة)، لم تسفر الزيارة المذكورة عن الاتفاق بخصوص قبول المعونة بسبب مخاوف رسمية وشعبية من دخول السودان في أحلاف إقليمية دولية وقد ذيل السفير ريتشارد تقرير زيارته بالتأكيد على التواصل مع الخرطوم بشأن المعونة لأن السودان وبحسب رأيه بلد يستحق التودد والتقارب لما يمتاز به من مزايا جيوبولитيكية. بتاريخ 25 سبتمبر 1957م أصدرت الخارجية الأمريكية وثيقة حملت عنوان (الخطة العملياتية للتعامل مع السودان) ورد في ديباخة الخطة المذكورة أن الأهداف العامة للولايات المتحدة الأمريكية في الشرق الأدنى تتلخص في: السيطرة على الموارد والموقع وحرمان الكتلة الشيوعية من الوصول إليها مع خلق حكومات صديقة مستقرة قابلة للحياة مع القدرة على مواجهة أي عدوان شيوعي، وحددت الخطة موجهات للتعامل مع السودان أبرزها عرض تقديم مساعدات اقتصادية وفنية وعسكرية أسوة بما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية مع مصر وإثيوبيا ومن قبلهما لليبيا وال العراق. على صعيد متصل شهد عام 1958م أولى حصول الصراع والمواجهة في مسار العلاقات السودانية الأمريكية، فقد امتنعت الإدارة الأمريكية عن شراء القطن السوداني وممارسة نفوذها للضغط على حليفتها بريطانيا للاستعاضة عن شراء القطن السوداني بشراء القطن الأمريكي مما أحدث أزمة اقتصادية حادة في الاقتصاد السوداني، وفي ذلك رغبة من الإدارة الأمريكية في إقناع رئيس الوزراء السوداني عبد الله بك خليل بالتوقيع على اتفاقية التعاون الاقتصادي للإنشاء والتعمير التي عرفت بالمعونة الأمريكية، فتفجر الخلاف حول الاتفاقية داخل البرلمان السوداني عندما عرضت للتصويت عليها، فعارضها نواب الحزب الشريك في الإنلاف (حزب الشعب الديمقراطي) والذي اعتبرها أسلوب جديد للسيطرة على مقدرات البلاد مما يحقق أهداف ومصالح الولايات المتحدة

⁸⁰. المرجع السابق_ص. 7.

⁸¹. داولت أيزنهاور (الرئيس الأمريكي الرابع والثلاثين) (1952م_1960م).

⁸². محمد، سمير إبراهيم، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه السودان_جامعة الدول العربية(الأمانة العامة)_القاهرة(مصر)_مجلة شئون عربية العدد 160_2014م_ص188.

الأمريكية، وساندت ذلك الموقف الحملة الشعبية ضد المشروع الأمريكي في السودان وفي المنطقة العربية. وبسبب تدهور الأوضاع واشتداد الخلاف وعجز المؤسسة البرلانية السودانية عن القيام بدورها، قام الفريق إبراهيم قائد الجيش وبعض زملائه من كبار الضباط باستلام السلطة في البلاد قبل ساعات من موعد اجتماع الجمعية التأسيسية في 17 نوفمبر 1958م⁸³. وبعد يوم واحد من استلام الجيش للسلطة في السودان أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عبر سفيرها في الخرطوم اعترافها الرسمي بالوضع الجديد في السودان واستعدادها للتعاون معه. وهذا شاهد آخر يبين أن الولايات المتحدة الأمريكية لا يهمها شكل النظام القائم في الخرطوم (شمولي/ديمقراطي) بقدر ما يهمها تحقيق هذا النظام لرغباتها ولو كان ذلك على حساب شعارات الحرية والديمقراطية التي ترفعها وتنادي به. وفي أول اجتماع مجلس وزراء نظام الفريق عبود، قدم وزير الخارجية أحمد خير المحامي مشروع المعونة الأمريكية وأوصى بقبوله مع وجود بعثة المعونة الأمريكية في السودان وقد تم ذلك، وأصدرت الإدارة الأمريكية بياناً رحبت فيه بذلك وأصبحت العلاقات الطيبة بين البلدين لدرجة أن الولايات المتحدة الأمريكية عرضت تمويل مشاريع تنمية في مقابل إقامة قواعد عسكرية في السودان، إلا أن حكومة الرئيس عبود رفضت ذلك إلتزاماً بسياسة التوازن والحياد. اجمالاً يمكن القول أن السياسة الأمريكية نجحت إبان فترة الرئيس عبود في الحيلولة دون مرور دعم الكتلة الشرقية عبر الخرطوم إلى حركات التحرر اليسارية في إفريقيا، غير أنها في المقابل منيت بعدة إنتكاسات حين التزم نظام الرئيس عبود مبدأ الحياد الإيجابي وساهم في دعم حركة عدم الانحياز وأقام علاقات دبلوماسية مع الصين ولم يتلزم القطعية مع الاتحاد السوفيتي. ولكن مع ظهور التمرد في جنوب السودان في 1963م (حركة أنيانينا 1 بقيادة جوزيف لاقو) والتصعيد في الحرب الأهلية هناك وما صاحب ذلك من إجراءات من طرف حركة أنيانينا طرد القساوسة من جنوب السودان والتوجه في عملية التعريب، شاب العلاقات السودانية الأمريكية نوع من الفتور حيث فسرت الحكومة الأمريكية أن ما تقوم به الحكومة السودانية هو سياسة فرض الأسلامة بالقوة على المواطنين في الجنوب. وبعد تنازل الفريق إبراهيم عبود عن السلطة في أعقاب الانتفاضة الشعبية في الحادي والعشرين من أكتوبر 1964م، حاصرت المظاهرات الشعبية السفارية الأمريكية، وأدى هذا الموقف إلى توتر في العلاقة بين البلدين زال بعد انتخابات 1965م، ثم عادت العلاقات إلى طبيعتها. وفي الثالث عشر من أبريل 1966م وقعت الحكومة السودانية المنتخبة (حكومة محمد أحمد المحجوب) على تمديد فترة المعونة الأمريكية سنة إضافية، إلى أن جاء العام 1967م بكارثة حرب الأيام الستة وهنا كان للسودان موقفاً قوياً وحاذاً قطع فيه العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية كونها تقف وراء إسرائيل وفي الخرطوم عقد مؤتمر القمة (مؤتمر اللاطئات الثلاث) الذي شكل نقطة التحول الأساسية في مسيرة العرب من جانبها قامت الولايات المتحدة الأمريكية بسحب بعثتها الدبلوماسية من الخرطوم وكذلك جميع الخبراء الأمريكيين وأوقفت مساعداتها الاقتصادية والفنية وقطعت الإعانات المالية للمبعوثين السودانيين للدراسة في أمريكا، وخرج السودان من الدائرة الأمريكية وانحياز مصر وجمال عبد الناصر ودول عدم الانحياز وتعاون مع الاتحاد السوفيتي⁸⁴.

في بدايات انقلاب مايو 1969م وحتى 1971م كانت علاقات نظام مايو (نظام الرئيس نميري) مع الإدارة الأمريكية سيئة نسبة لانحياز النظام للمعسكر الشوفي واعترافه بألمانيا الشرقية وتبنيه لسياسات المصادر والتأمين وانحيازه للتيار

⁸³. السياسية الأمريكية تجاه السودان (1950-2010م) _ مرجع سابق_ من ص 7 إلى ص 11.

⁸⁴. أبو خريص، عبد الرحمن _ مقال: تاريخ العلاقات السودانية الأمريكية _ مركز الدراسات الدبلوماسية _ وزارة الخارجية _ السودان _ (د.ت).

العربي الاشتراكي المعادي للرأسمالية والإمبريالية وبذلك كان معاد للغرب وفي توافق تام مع مصر (عبد الناصر) والاتحاد السوفيتي. ولكن بعد فشل المحاولة الإنقلابية الشيوعية 1971م (إنقلاب هاشم العطا) تغير توجه النظام الماوي من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين وقد أثمر هذا التحول بمساعدة الغرب عموماً الولايات المتحدة مجلس الكنائس العالمي والإمبراطور هيلاسلاسي في توقيع اتفاقية أديس أبابا التي تم التوصل فيها إلى الحكم الذاتي لجنوب السودان بهذا الحدث شهدت العلاقات السودانية الأمريكية تطويراً لم يكتمل ليصل إلى مرحلة جنـي الشمار إذ شهدت الخرطوم في مارس 1973م حادثة إغتيال السفير الأمريكي (كليـو نـويـل) والمستشار بالسفارة والقائم بالأعمال الأمريكي على أيدي جماعة أيلول الأسود الفلسطينية، وأدى هذا الحادث إلى تراجع في العلاقات السودانية الأمريكية بعد أن قامت الحكومة السودانية بتسليم المتهمين لمنظمة التحرير الفلسطينية نتيجة للتطورات المتسارعة في المنطقة والاستقطاب الحاد من قبل المعسكر الشرقي والغربي انتهت الولايات المتحدة لأهمية السودان بعد أن لمست استعداد الرئيس نميري للوقوف مع الرئيس السادات ضد محور عدن أديس أبابا طرابلس ضد إتساع دائرة النفوذ الشيوعي في شمال إفريقيا ومنطقة القرن الإفريقي وفي يونيو 1976م زار الرئيس جعفر نميري الولايات المتحدة الأمريكية، بعدها أعلن الرئيس الأمريكي جيرالد فورد أن السودان أصبح مؤهلاً لتلقي التجهيزات العسكرية الأمريكية بهدف تعزيزأمن الولايات المتحدة انعكس هذا التصريح إيجاباً على العلاقات الاقتصادية والثقافية مع اهتمام أكثر بالقوات المسلحة تدريباً وتسلیحاً مما قوى صلة النظام الحاكم في الخرطوم بالولايات المتحدة الأمريكية التي عززت في هذه الفترة من وجودها السياسي والأمني والاقتصادي في السودان⁸⁵، غاضبة الطرف كعادتها عن شكل النظام، وقد حصل السودان أوانها على دعم أمريكي كان الأكبر في إفريقيا جنوب الصحراء، وكان من نتائج توطيد هذه العلاقات دخول شركة شيفرون الأمريكية للاستثمار في مجال النفط في السودان، إضافة إلى تدفق المعونات الأمريكية وصدقون النقد الدولي على السودان في تلك الفترة. ووصلت العلاقات السودانية الأمريكية أوج تحسنها حينما شارك الرئيس نميري في

عملية نقل المهاود الفلاشا إلى إسرائيل في النصف الأول من ثمانينات القرن العشرين.

بعد سقوط نظام الرئيس نميري باتفاقية 6 أبريل 1985م الشعبية التي انحاز فيها الجيش للشعب، وخلال الفترة الإنقلابية التي ترأسها الفريق أول عبد الرحمن سوار الذهب (رئيس المجلس العسكري الإنقلابي) في الفترة من أبريل 1985م إلى أبريل 1986م. انزعجت الحكومة الأمريكية من التقارب الذي حدث بين حكومة الانتفاضة ولبيبا واعتبرته موجهاً ضدها وشهدت العلاقات فتوراً واضحاً، أصدرت الحكومة الأمريكية بشأنه بياناً أعلنت فيه أن السودان منطقة غير آمنة ونصحت رعاياها في السودان بالعودة مطالبة الذين ينون السفر إليه بالإمتناع عن ذلك. وإبان فترة الديمقرطية الثالثة في الفترة من مايو 1986م إلى يونيو 1989م التي ترأس فيها الصادق المهدي عدد من الحكومات الإئتلافية بين حزبه (حزب الأمة القومي) والحزب الاتحادي الديمقراطي بزعامة محمد عثمان الميرغني وحزب الجبهة الإسلامية بزعامة الدكتور حسن الترابي، رحبت الولايات المتحدة بعودة الحكم الديمقراطي للسودان، إلا أنها كانت لديها تحفظات تجاه بعض القضايا مثل قضايا الحرب الأهلية والمعاناة الإنسانية، وإنها كانت حقوق الإنسان والتفرقة العنصرية والأداء الاقتصادي الحكومي غير الرشيد وأشارت إلى أن مثل هذه القضايا هي التي وراء التدهور الذي أصاب العلاقات بين البلدين، ولكن في حقيقة الأمر كانت واشنطن تسعى للتخلص من من الصادق المهدي الذي وطّد علاقات السودان مع إيران⁸⁶. وفي العام 1988م تطبق

⁸⁵.السياسية الأمريكية تجاه السودان (1950م_2010م)_مراجع سابق_ص12.

⁸⁶.سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه السودان_مراجع سابق_ص190.

الرئيس رونالد ريجان أول عقوبات أمريكية على السودان نتيجة لترافق المتأخرات وعدم سداد الدين والإمتثال للإصلاحات الاقتصادية التي وصّى بها البنك الدولي⁸⁷، فواجه السودان صعوبات جمة في دفع فوائد الدين الأمريكية عليه، وفي يناير 1989 تم عملياً وقف أي مظاهر العون العسكري والمدني للسودان⁸⁸، ما عدا الإنفاق على عمليات الإغاثة. وشهدت العلاقات السودانية الأمريكية في تلك الفترة حالة من الشد والجذب، تبين أن الديمقراطية لدى الولايات المتحدة الأمريكية تعني الخضوع لتوجهاتها والانقياد لسياساتها بالكامل.

العلاقات السودانية الأمريكية ما بين 1989م_2022م:

منذ وصول نظام الإنقاذ (نظام عمر البشير) إلى سدة الحكم في 30 يونيو 1989م حرصت الولايات المتحدة الأمريكية على انتهاج سياسة الاحتواء والمواجهة، وعليه لم تكون العلاقات السودانية الأمريكية تتسم بالتوتر أو الاضطراب، حيث سعت واشنطن كما أسلفنا إلى التخلص من الصادق المهدي، إلا أنها كانت لا تزيد الظهور علانية بمظير المؤيد للإطاحة بالنظام الديمقراطي عن طريق الانقلابات العسكرية، ولهذا لجأت إلى توظيف الأداة الدبلوماسية، بإصدار الإدانات المتكررة لحكومة السودان على اعتبارها أنها غير منتخبة، كما قامت بتجميد المعونات الإنسانية للاجئين، ناهيك عن المساعدات الاقتصادية؛ متهمة حكومة البشير بعرقلة عمليات الإغاثة، وعليه اشترطت عودة الديمقراطية إلى السودان واحترام حقوق الإنسان، والعمل من أجل إقرار السلام في الجنوب والدخول في برنامج للإصلاح الاقتصادي مع صندوق النقد الدولي⁸⁹. ثم لم تلبث أن تعمقت حالة العداء بين السودان والولايات المتحدة الأمريكية بسبب توجهات نظام البشير الإسلامية من خلال تحالفه مع الجبهة الإسلامية بقيادة حسن الترابي، ووقفه في الصف المناوئ للتحالف الدولي الذي قادته الولايات المتحدة ضد الغزو العراقي للكويت عام 1990م ومعاداته للسياسات الأمريكية وحلفائها في المنطقتين العربية والإفريقية، ولشكوكها حول وجود صلة للنظام بالمنظمات الإرهابية أدرجت الولايات المتحدة الأمريكية السودان في قائمة الدول الراعية للإرهاب⁹⁰، وذلك في أغسطس 1993م. وتلقائياً حرم السودان من كل برامج المعونة الأمريكية الزراعية وببرامج دعم السلام القروض التفضيلية وغيرها، ثم تبع ذلك تقديم مبلغ 20 مليون دولار إلى جيران السودان الثلاثة إثيوبيا وإريتريا وأوغندا لدعم تجربتهم العسكرية في مواجهة السودان بسبب توثر علاقتهم مع الخرطوم (سياسة شد الأطراف)، ثم جاءت محاولة إغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في أديس أبابا عام 1995م والتي أتهم السودان بدعهما دليلاً يثبت الشكوك الأمريكية حول توجهات نظام الخرطوم الإرهابية، وساندت واشنطن قرار مجلس الأمن فرض عقوبات على السودان وعندما تراجعت مصر عن فكرة تغليظ العقوبات على السودان والتي تتضمن حظرًا للسلاح

⁸⁷ إبراهيم، عبد الله علي (أستاذ التاريخ الإفريقي والإسلامي بجامعة مizzou) _ مقال: الولايات المتحدة الأمريكية: رفع العقوبات عن السودان.. مخاطرة لا مهرب منها_ موقع الجزيرة الإلكتروني_ تاريخ النشر: 8أكتوبر 2017م_ تاريخ التصفح: 16أكتوبر 2022م الساعة: 10م_ الرابط: <https://www.aljazeera.net/amp/opinions>

⁸⁸ تاريخ العلاقات السودانية الأمريكية_ مرجع سابق.

⁸⁹ الأجندة الأمريكية تجاه السودان_ تقرير: مركز الراصد للدراسات السودانية_ 13مايو 2009م.

⁹⁰ Raymond L. Brown, Ph.D, Mr. Allen Keiswetter.Faculty Advisor, Dr.Bard O'Neill.Course Director, Col. Jack McDonald.Course Director. Committee Five_AMERICAN FOREIGN POLICY TOWARD THE SUDAN, FROM ISOLATION TO ENGAGEMENT (Why the Bush Administration Turned Around U.S. Sudan Policy January 2001– December 2002)_NATIONAL WAR COLLEGE,NATIONAL DEFENSE UNIVERSITY.April 2003.p.3.

لخوفها من أن ينعكس ذلك على قدرات الجيش السوداني ويخل بتوازنات الحرب مع متمردي الجيش الشعبي، بدأت بعدها الولايات المتحدة سياسة خشنة تجاه السودان حيث وصلت في العام 1996م إلى إغلاق السفارة الأمريكية في الخرطوم ونقل العاملين بها إلى نيروبي، كما طالبت الخرطوم بتسليم المشتبه في قيامهم بالمحاولة الفاشلة لإغتيال الرئيس المصري حسني مبارك في أديس أبابا عام 1995م، واستمر التصعيد العدائي من قبل الولايات المتحدة تجاه السودان حتى بلغ ذروته في العام 1997م، حينما قام الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بفرض عقوبات اقتصادية شاملة على السودان بقرار تنفيذي⁹¹. ثم وظّف القرار كوسيلة ضغط على الحكومة السودانية كي تسرع بتوقيع اتفاق سلام مع الحركة الشعبية وذلك هو المفتاح الوحيد لرفع السودان من على قائمة الدول الراعية للإرهاب وإلغاء الحظر الاقتصادي الإنفرادي. ووصل عداء واشنطن للنظام في السودان قمته بقصف صواريخ كروز الأمريكية مصنع الشفاء في الخرطوم بحري في أغسطس 1998م على أساس أنه مملوك لأسمامة ابن لادن (زعيم تنظيم القاعدة)، وهو ما اتضح خطأه لاحقاً. لكن المغزى في التدهور الذي وصل بعلاقات البلدين إلى مرحلة العداء السافر لدرجة القصف بالصواريخ، يعتبر تويجاً لحالة التراجع المستمرة في علاقات البلدين منذ الإطاحة بحكم النميري، إذ لم تعد واشنطن تنظر إلى السودان كحليف موثوق في إطار حربها ضد المعسكر الشرقي، ورغم ذلك استمر الاهتمام السياسي المحلي والإعلامي الأمريكي بما يجري في السودان خاصة مع تصاعد الحرب الأهلية وتفاقم المعاناة الإنسانية، الأمر الذي دفع إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش إلى إعادة النظر في السياسة المتبعة حيال السودان⁹². بعد أن اتضح فشل سياسة احتواء النظام والضغط على نظام الإنقاذ خاصة بعد أن توفرت للنظام قدرات اقتصادية جيدة جراء استغلاله للنفط. وجاءت الإنطلاقة الرئيسية في العلاقات السودانية الأمريكية عند سماح السودان لكل من وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ومكتب التحقيقات الاتحادي بإرسال مبعوثين بل وفتح مكتب للتحقيق في الوجود الإرهابي الأجنبي على أراضيه، وأهمية هذه الخطوة تُنبع من أنها أسست لتعاون استخباري بين البلدين قبل خمسة أشهر كاملة على أحداث 11 سبتمبر 2001م. وهنا اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية أسلوب جديد في التعامل مع النظام في الخرطوم (سياسة ترويض النظام) بهدف وقف الحرب الأهلية وتغيير وجهة النظام وتمتين جهة الحرب ضد الإرهاب ودعم سياسة الطاقة النفطية في مواجهة الصين كون النفط السوداني تم اكتشافه على يد شركة شيفرون الأمريكية التي أنفقت ما يفوق مليار دولار على نشاطها هناك قبل خروجها في العام 1992م⁹³. لكن ما أن انتهت مشكلة جنوب السودان بتوقيع اتفاق نيفاشا في 2005م، حتى استلمت الولايات المتحدة الأمريكية ملف مشكلة دارفور التي نشبت في 2003م وبدأت في سياستها التصعيدية تجاه الحكومة السودانية واتهامها بانتهاج سياسية الإبادة الجماعية لسكان إقليم دارفور، وعليه لقد لجأت الإدارة الأمريكية إلى العديد من الآليات السياسية والاقتصادية والعسكرية لمواجهة الأزمة، من بينها اتخاذ إجراءات انفرادية لمحاصرة السودان اقتصادياً، وفي أكتوبر 2006م وقع الرئيس بوش على قانون سلام دارفور ومحاسبة السودان، حيث تم بموجبه تشديد

⁹¹ نصه ما يلي: (وجدت أن السياسات التي اتخذتها حكومة السودان ودعمها المستمر للإرهاب الدولي وجهود زعزعة المنطقة واستقرار الحكومات المجاورة وانتهاك حقوق الإنسان، تشكل تهديداً غير عادي للأمن القومي والسياسة الخارجية الأمريكية، قررت فرض الحظر التجاري الكامل على الأراضي السودانية وتجميد الأصول الإجمالية).

⁹² AMERICAN FOREIGN POLICY TOWARD THE SUDAN, FROM ISOLATION TO ENGAGEMENT (Why the Bush Administration Turned Around U.S. Sudan Policy January 2001– December 2002) _Previous reference.p6.

⁹³ سيد أحمد، السر (صحفي سوداني مقيم في كندا)_مقال: جذور الإهتمام الأمريكي بالسودان_موقع الجزيرة الإلكتروني_تاريخ النشر: 3 أكتوبر 2004م_تاريخ التصفح: 7 أكتوبر 2022_المساعة: 4:30م.

العقوبات الاقتصادية الأمريكية على حكومة السودان، وتجميد أرصدة الحكومة السودانية أو مسؤولها، أو الشركات التابعة لها، أو التابعة لحزب المؤتمر الوطني الحاكم في السودان، ومن ثم ركزت الولايات المتحدة على ما تُسميه الخطة (ب) للضغط على حكومة السودان، التي تشمل فرض عقوبات اقتصادية وسياسية⁹⁴.

كذلك فرضت الأمم المتحدة عقوباتها على السودان الموجي بها من الولايات المتحدة في 2006م و 2009م، وإهانة الرئيس البشير بواسطة المحكمة الجنائية الدولية بارتكاب جرائم ضد الإنسانية في دارفور. وقد شملت العقوبات الأمريكية حجب قروض المؤسسات الدولية عن السودان ومنعه كذلك من السوق الأمريكية، وتجميد أصول الحكومة المالية في أمريكا ومنعها من حق التصرف فيها. ثم بدأ التلويح بجزرة رفع العقوبات للسودان بعد إعمال طويل للعصا عليه عام 2011 ، في سياق حفره للتعاطي الإيجابي مع استفتاء جنوب السودان الذي قضت به اتفاقية السلام الشامل بين حكومة السودان والحركة الشعبية لتحرير السودان 2005م، وجرى الاستفتاء بسلام إلا من تطوريين: أولئك ما توتر العلاقات بين السودان ودولة الجنوب الجديدة، وثانيهما إنلاع الحرب في ما عُرف بالمناطقتين) وهما جبال النوبة في وسط غرب البلاد، والنيل الأزرق في شرق وسط البلاد، ونتيجة لهذين التطورين امتنعت الولايات المتحدة عن رفع المقاطعة حتى دعا داعي حرب الإرهاب الإدارية الأمريكية في 2015م لتبتدر مفاوضات أخرى مع السودان لرفع العقوبات، وتواضعا 2016م على خريطة طريق ترفع بها العقوبات عن السودان متى التزم بحرفية الخريطة، وشملت الخريطة أجندة خمسة عرفت بـ(المسارات)، التزم السودان بأن يحسن أداءه فيها لنيل مراده⁹⁵. وبعد مجيء الإدارة الديمقراطية الجديدة بقيادة الرئيس باراك أوباما في يناير 2009م طرأت تطورات هامة في العلاقات السودانية الأمريكية حيث تم الإعلان عن الإستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه السودان في أكتوبر 2009م؛ القائمة: السعي لإنهاء النزاع وإنهاكات حقوق الإنسان وعمليات الإبادة في دارفور، تطبيق اتفاقية السلام بين الشمال والجنوب من أجل خلق إمكانية السلام البعيد الأمد، العمل على ضمان توفير السودان مأوى للإرهابيين الدوليين⁹⁶. ولقد شملت الإستراتيجية الجديدة مزيجاً من الضغوط والحوافز لاحث حكومة الخرطوم على إحلال السلام في إقليم دارفور، وتسوية النزاعات مع حكومة جنوب السودان ذات الاستقلال الذاتي والقيام بتعاون أكبر مع الولايات المتحدة الأمريكية في وقف الإرهاب، مقابل رفع التمثيل الدبلوماسي معه، والتلويح برفع اسمه من قائمة الإرهاب، أما في حالة عدم بما ذكر فإنه سيواجه بمزيد من العقوبات. وبعد استعراض لأداء السودان فيما طلب منه: قرر الرئيس باراك أوباما عند عتبة الخروج من البيت الأبيض في يناير 2017م الرفع الجزئي المؤقت للعقوبات عن السودان الذي متى استكمل جوانب نقص مأخوذة عليه، حصل على رفع كامل لها في يوليو 2017م⁹⁷. غير أن الإدارة الجمهورية

⁹⁴. محمد، سمير إبراهيم_ سياسية الولايات المتحدة الأمريكية تجاه السودان_ مرجع سابق_ ص 194.

⁹⁵. المسارات هي: التعاون الوثيق مع أمريكا في حرب الإرهاب_ ضمان السودان وصول المساعدات الإنسانية لبقاع سودانية_ تأمين الاستقرار والسلم في النطاق الإقليمي بالامتناع عن دعم المتربدين على حكومة جنوب السودان_ التوقف عن دعم جيش الرب الأوغندي_ وقف الحرب في مناطق النزاعات بدارفور والمناطقتين (جنوب كردفان والنيل الأزرق).

⁹⁶. Jennifer cooke and J.Stephen Momison _ The Obama Administration's Sudan Strategy _ The Center for Strategic and International Studies(CSIS).Oct.2009.

<http://csis.org.blog.Obama Administration's Sudan Strategy>.

⁹⁷. إبراهيم عبد الله علي_ مقال: الولايات المتحدة الأمريكية: رفع العقوبات عن السودان.. مخاطرة لا مهرب منها_ مرجع سابق.

الجديدة بقيادة الرئيس دونالد ترمب أرجأت البت بشأن استدامة رفع العقوبات إلى ستة أشهر أخرى، حتى سقط نظام البشير في أبريل 2019م في أعقاب ما اصطلح على تسميته بثورة ديسمبر التي انحاز فيها الجيش إلى الشعب وتشكلت حكومة انتقالية برئاسة د. عبد الله حمدوك، لكن رغم التغير الذي حدث في السودان؛ قرر الرئيس دونالد ترمب في 11 أكتوبر 2019م؛ تمديد حالة الطوارئ الوطنية المعلنة ضد السودان منذ عام 1997م وكان من المقرر أن ينتهي مفعولها في الثالث من نوفمبر 2019م، وبحسب القرار الذي نشره البيت الأبيض فإنه (على الرغم من التطورات الإيجابية الأخيرة في السودان فإن الأزمة التي نشأت عن أفعال وسياسات حكومة السودان (نظام الإنقاذ) والتي أدت إلى إعلان حالة طوارئ وطنية بموجب الأمر التنفيذي (13067) لم تحل بعد). وظل اسم السودان باقياً في القائمة الأمريكية للدول الراعية للإرهاب، ولم تفلح حكومة حمدوك في إقناع الولايات المتحدة الأمريكية برفع اسم السودان من القائمة بغية رفع العقوبات عنه، حتى انتهت سياسة الاسترضاء بدفع تعويضات لأسر ضحايا تفجير السفارتين الأمريكيةين في نيروبي ودار السلام 1998م، وضحايا الهجوم على المدرسة الأمريكية يو.إس.إس كول عام 2000م بحجة أن نظام البشير كان وراء هذه الأعمال الإرهابية، لقد دفعت حكومة حمدوك وذهبت في 25 أكتوبر 2021م بسبب ضعفها وصراعات حضانتها السياسية التي فتحت الباب واسعاً للتدخل الأجنبي في السودان بصورة لم يسبق لها مثيل، وعلى رأس كل ذلك بالطبع الولايات المتحدة الأمريكية التي عملت على إيقاف كل دعم وأعزت لغيرها من الدول بعدم دعم السودان بحجة أن ما قام به قائد الجيش الذي حل حكومة حمدوك، ودعى القوى المدنية للتتوافق على حل للأزمة السياسية التي طال أمدها، حتى تكتمل الفترة الانتقالية المتبقية بإجراء انتخابات حرة ونزيهة، يعيق التحول الديمقراطي في البلاد. وما أن تفجرت الأزمة الأوكرانية في فبراير 2021م وعاد السودان لغازلة روسيا حتى دفعت الولايات المتحدة الأمريكية بسفير جديد إلى الخرطوم بعد قطيعة دامت أكثر من 25 عاماً، لا شيء سوى لتحقيق الرغبات الأمريكية التي باتت تهددها الخطر الروسي.

استنتاجات وتوصيات:

***الاستنتاجات:**

- السودان يمثل أهمية إستراتيجية كبيرة للولايات المتحدة الأمريكية بسبب موقعه الجغرافي في منطقة القرن الإفريقي.
- الولايات المتحدة الأمريكية غير جادة في بناء علاقات جيدة وقوية مع السودان ويظهر ذلك من خلال تأرجح علاقتها معه التي في حقيقها تبنيها على تحقيق رغباتها هي فقط.
- الولايات المتحدة الأمريكية لا زالت تجاهل طبيعة الشعب السوداني الذي لا تجدي معه الضغوط، خاصة في مسألة تغير قناعاته تجاه شيء معين أو التوافق مع المزاج الأمريكي في شأن من شئون الحياة، فيما تسمعه من بعض النخب السودانية شيء والواقع شيء الآخر.

***التوصيات:**

- يمتاز السودان بموارد طبيعية ضخمة، يمكن استغلالها بصورة مثلى من خلال التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في إطار تبادل المصالح المشتركة.
- السودان هو الأقدر على التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة، وعلى واشنطن أن تعني بذلك، وتعامل معه بما يخدم مصالح البلدين والمنطقة بعيداً عن السياسة الفوقيـة.

3. الشعب السوداني شعب مسالم وفي ذات الوقت صعب الميراس خاصة عندما يتعلّق الأمر بالعزّة والكرامة، فعلى الساسة السودانيين أن يكونوا بقامة هذا الشعب حتى يضعوا علاقه السودان مع الولايات المتحدة الأمريكية في إطار التعاطي مع هذا الشعب بصورة تفید البلدين.

الخاتمة:

هناك عدة عوامل تؤثر على طبيعة العلاقات بين الولايات المتحدة الأمريكية والسودان، ولعل أبرزها: الإدراك الأمريكي لموقع السودان الإستراتيجي في إفريقيا، حيث يشكل نقطة انطلاق للسياسة الأمريكية في إفريقيا ولهذا تمارس العديد من جماعات المصالح الأمريكية ضغوط عدّة على حكومتها تجاه السودان، وفي كل تلك الأحوال تراعي الحكومة الأمريكية مصالح تلك الجهات. كذلك الثروة النفطية السودانية، فالنفط لازال يلعب دوراً هاماً في صنع السياسة الأمريكية، ولهذا تهتم الولايات المتحدة الأمريكية بالسودان حتى يتسمى لها الاستفادة من الثروات السودانية خاصة من النفط. أيضًا استمرار الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية والصين وروسيا حديثًا، بهدف السيطرة على الموارد والثروات الاقتصادية الهائلة في السودان، لاسيما الصين التي تتمتع بعلاقات وطيدة مع السودان على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، بالإضافة إلى اتخاذها مواقف معارضة للسياسة الأمريكية تجاه السودان. كل هذا يجعل الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتحسين علاقتها مع السودان حتى يتسمى لها الحفاظ على مصالحها فيه بصورة خاصة، وفي القرن الإفريقي بصورة عامة.

المصادر والمراجع:

مراجع عربية:

- عبد الشافي، عصام _مفهوم العلاقات الدولية: إشكاليات التعريف_ الموقع الإلكتروني للمعهد المصري للدراسات_2015م_ تاريخ التصفّح: 5أكتوبر2022م، الساعة:12:40م.
الرابط: <https://www.google.com/amp/s/eipss-eg.org>
- عبد العظيم، قتبة_ تاريخ العلاقات السودانية الأمريكية 1950-1958م(دراسة وثائقية) _كلية الآداب/الجامعة العراقية_ مجلة كلية التربية للبنات، العدد 5 السنة الثالثة_ 2016م.
- البشير، أحمد الأمين_ مقال: تاريخ الوجود الأمريكي في السودان_ مجلة الدراسات السودانية_ العدد الأول_ المجلد الثالث_ الخرطوم_ فبراير1971م.
- حمسة، ميمونة ميرغني_ حصار وسقوط الخرطوم_ دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر_ الخرطوم_ 1972م.
- على، الباحث هيثم عبد الرحمن_ السياسية الأمريكية تجاه السودان (1950_2010م)_ التقرير (دورية تختص بالقضايا الإستراتيجية)_ العدد الرابع_ أغسطس 2014م_ مركز العلاقات الدولية_ الخرطوم.
- محمد، سمير إبراهيم(أستاذ العلوم السياسية بجامعة الأمانة العامة)_ القاهرة_(مصر)_ مجلة شئون عربية العدد 160_2014م.
- أبو خريس، عبد الرحمن_ مقال: تاريخ العلاقات السودانية الأمريكية_ مركز الدراسات الدبلوماسية_ وزارة الخارجية_ السودان_ (د.ت).

8. إبراهيم، عبد الله علي (أستاذ التاريخ الإفريقي والإسلامي بجامعة ميزوري) _ مقال: الولايات المتحدة الأمريكية: رفع العقوبات عن السودان.. مخاطرة لا مهرب منها_ موقع الجزيرة الإلكترونية_ تاريخ النشر: 8 أكتوبر 2017 م_ تاريخ التصفح:

6 أكتوبر 2022 م الساعة: 10 م_ الرابط: <https://www.aljazeera.net/amp/opinions>

9. الأجندة الأمريكية تجاه السودان_ تقرير: مركز الرادص للدراسات السودانية_ 13 مايو 2009 م.

10. سيد أحمد، السر (صحفي سوداني مقيم في كندا)_ مقال: جذور الإهتمام الأمريكي بالسودان_ موقع الجزيرة الإلكترونية_ تاريخ النشر: 3 أكتوبر 2004 م_ تاريخ التصفح: 7 أكتوبر 2022 م_ مال الساعة: 30:44 م.

. <https://www.aljazeera.net/amp/opinions> الرابط:

مراجع أجنبية:

1. Martin Griffiths and Terry International Relations: The Key Concepts Routledge _ First published, O'Callaghan 2002.p.69

2. Bayard Taylor . Journey To Central Africa. New York. G.P. Putnam and Company. 1854. p270.

3. Raymond L. Brown, Ph.D, Mr. Allen Keiswetter. Faculty Advisor, Dr. Bard O'Neill. Course Director, Col. Jack McDonald. Course Director. Committee Five_AMERICAN FOREIGN POLICY TOWARD THE SUDAN, FROM ISOLATION TO ENGAGEMENT (Why the Bush Administration Turned Around U.S. Sudan Policy January 2001– December 2002)_ NATIONAL WAR COLLEGE, NATIONAL DEFENSE UNIVERSITY. April 2003. p.3.

4. Jennifer Cooke and J. Stephen Momison_ The Obama Administration's Sudan Strategy_ The Center for Strategic and International Studies(CSIS). Oct. 2009.

<http://csis.org.blog.Obama Administration's Sudan Strategy>.

التراث الثقافي بمدينة آسفي: المؤهلات وامكانيات الاستثمار في التنمية المحلية:

التراث الثقافي ذو الطابع الديني أنموذجا

City of Safi's cultural heritage: qualifications and possibilities for investment in local development:

The heritage of religious interest as a model

- 1 مصطفى المترجي، أستاذ السلك الثانوي التأهيلي، طالب باحث بسلك الدكتوراه، مختبر ديناميات المجالات والمجتمعات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء. elmotarajjymustapha007@gmail.com
- 2 دة. نسيبة بوزيد، أستاذة التعليم العالي، مختبر ديناميات المجالات والمجتمعات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء. bouzidnaciba@yahoo.fr

الملخص: تتوفر مدينة آسفي على تراث ثقافي غني ومتتنوع، يحتل ضمنه التراث الثقافي ذو الأهمية الدينية مكانة متميزة، وذلك بفضل كثافة الحياة الدينية بمنطقة عبدة منذ القدم. اذ جتمع بهااليوم المعالم الدينية الإسلامية والمسيحية واليهودية، فضلا عن بعض المعالم الأخرى ذات الأصل الوثني. غير أن الكثير من هذه المعالم الدينية تتعرض لتدور متقدم، وهي في هذا لا تشذ عما يعيشه مجمل الإرث التاريخي للمدينة من تدهور واضح. ان تثمين التراث الثقافي عموما والتراث ذو الصبغة الدينية بشكل خاص من شأنه المساعدة في التنمية المحلية والحفاظ على الهوية المتفردة لحاضرة المحيط.

الكلمات المفاتيح: التراث الثقافي ذو الأهمية الدينية، التدهور، التثمين، التنمية المحلية، السياحية، آسفي (مدينة).

Abstract: Safi has a rich and diverse cultural heritage, within which the heritage of religious interest occupies a distinguished place, thanks to the intensity of religious life in the Abda region since ancient times. Today, Islamic, Christian and Jewish religious monuments, as well as some other monuments of pagan origin, meet in this city. However, many of these religious monuments are undergoing progressive deterioration, and in this situation, they are no different from the obvious deterioration of the entire historical heritage of this city. Valuing cultural heritage in general and the heritage of religious interest in particular would contribute to local development and preserve the unique identity of Safi "hadirat al Mohit".

Keywords: cultural heritage of religious interest, degradation, valorization, local development, tourism, Safi (city).

تتميز الكثير من المواقع التراثية العالمية بطبعها الديني والروحي، إذ أن حوالي 20% من المواقع المسجلة في لائحة التراث العالمي "ليونيسكو" ذات طابع ديني أو روحي جزئياً أو كلياً.⁹⁸ ورغم أن الاهتمام بـ"التراث الثقافي الديني" كجزء من التراث الثقافي العام يعود إلى أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث تمت الإشارة إليه بشكل عرضي في معاهدي لاهي 1899م و 1907م. إلا أنه يظل مفهوماً حديثاً جداً إذ لم يظهر إلا مؤخراً مع بداية القرن الواحد والعشرين، ومهدت لذلك ارهاسات مختلفة منها المنتدى المنظم من قبل المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية (ICCROM) سنة 2003م، حول موضوع "التراث الديني الحي: حماية المقدس"، وقرار الجمعية العامة للمجلس الدولي للمعالم والموقع (ICOMOS) سنة 2005م الذي دعا إلى وضع برنامج موضوعي دولي حول "إسکالية التراث الديني"، ثم قرارها المولى سنة 2011م حول "حماية وتنمية المواقع المقدسة للتراث والبنيات والمشاهد"، بالإضافة إلى المبادئ التوجيهية "ليونيسكو" حول "حماية وتدير الواقع الطبيعية المقدسة". لشرف بعد ذلك منظمة "ليونيسكو" - تحت رعاية الأمم المتحدة - على تنظيم أول ندوة دولية حول موضوع: "دور المجموعات الدينية في تدبير ممتلكات التراث الثقافي العالمي" ، خلال الفترة 2-5 نوفمبر 2010م، والتي توجت بإعلان كييف (عاصمة أوكرانيا) لحماية وصيانة التراث الثقافي ذو الصبغة الدينية وتضمينها في إطار اتفاقية التراث العالمي.

ويشتهر المغرب بكثرة المواقع المقدسة من مساجد، وأضرحة، وزوايا ورباطات ومقامات للأولياء والصالحين...، حتى وصف بأنه بلد المائة ألف ولّي وولي. وارتبط ظهور هذه المعالم التراثية ذات الطابع الديني بتفاعل الأوضاع الداخلية للبلاد مع السياقات السياسية والعسكرية الدولية خلال فترات مختلفة من تاريخها، خصوصاً خلال العصرين الوسيط والحديث، كما ارتبط بطبيعة موقعها الجغرافي في أقصى غرب العالم الإسلامي. وتعد منطقة عبدة من أكثر المناطق الغربية ازدحاماً بالمعالم التاريخية الدينية، إذ عد بها "أرمان أنطونا" ألف ولّي، قسمهم على الشكل التالي: 655 بالبحارة، 293 بالعامر، 52 فقط باريضة.⁹⁹ وتكمّن أحد عوامل ذلك في كونها تعرضت للضغط الاستعماري منذ وقت مبكر حتى سقطت تحت الاحتلال البرتغالي خلال الفترة 1541-1541م. وظاهرة الأولياء والأضرحة والمقدسات الدينية تضرب بجذورها في أعماق تاريخ هذا المجال الجغرافي، فالرحلة المؤرخ والجغرافي الأغريقي "سكيلاكس" (SCYLAX) الذي عاش في القرن الخامس قبل الميلاد أشار إلى وجود حياة دينية مكثفة به، وإلى أنه يعد أقدس مكان بمجموع أراضي شمال إفريقيا، إذ ذكر أنه وجده معبداً عظيماً لـ"بوسايدون"¹⁰⁰ إلى البحر والعواصف عند اليونان القديمة.¹⁰¹ وإلى جانب المقدسات الإسلامية أو تلك السابقة على الوجود الإسلامي تنتشر بمدينة اسفي معالم تاريخية يهودية وأخرى مسيحية، ما زالت تمارس ببعضها الطقوس الدينية إلى حدود اليوم.

ومن جهة أخرى أصبح التراث الثقافي ركيزة أساسية في مشاريع التنمية السياحية خلال القرن الواحد والعشرين، في نفس الوقت الذي يسعى فيه المغرب إلى الرفع من جاذبيته السياحية عن طريق استثمار مختلف مؤهلاته ومنها التراث الثقافي بمختلف أشكاله. ولدراسة هذا الموضوع الذي يهتم بالتراث الثقافي ذو الصبغة الدينية بمدينة اسفي، قمنا بتقسيمه إلى ثلاثة محاور:

⁹⁸ Le site officiel de l'UNESCO sur internet Whc.unesco.org/fr/patrimoine-religieux-sacre, (consulté le 19-09-2022).

⁹⁹ انطونا ارمان، (2014)، جهة عبدة 1930، ترجمة علال الركوك ومحمد الشيخ، مراجعة أحمد بن جلون، تقديم محمد أزكور، مطبعة الرباط نت/ جمعية البحث والتوثيق والنشر، ص: 97.

¹⁰⁰ يعتقد أن معبد "بوسايدون" إلى البحر والعواصف عند اليونان القديمة، من بناء حانون الرحالة القرطاجي خلال رحلته الشهيرة في القرن الخامس قبل الميلاد. غير أنه اختلف في موقعه فـ(أرمان أنطونا) يرى بأنه كان قرب "رأس البدوزة" أو "رأس الجبل الشمسي المطل على البحر" كما كان يعرف آنذاك، في حين يذهب آخرون إلى أنه كان قرب سيدي بو زيد شمال اسفي وإن هذه التسمية الأخيرة ما هي في الحقيقة إلا تحريف للفظة "بوسايدون".

¹⁰¹ انطونا ارمان، (2014)، مصدر سابق، ص: 29.

- المحور الأول: الإطار النظري والمنهجي للدراسة.

- المحور الثاني: مؤهلات "التراث الثقافي ذو الطابع الديني" بمدينة اسفي.

- المحور الثالث: سبل استثمار "التراث الثقافي الديني" بـ "حاضرة المحيط".

- 1- الإطار النظري والمنهجي للدراسة

1-1- إشكالية الدراسة

أصبح الاهتمام بالتراث الثقافي بكل أشكاله في تصاعد مستمر على مستوى العالم كله، باعتباره ارثاً تاريخياً حاماً للهوية الثقافية والفنية، وأساساً للوحدة الاجتماعية، وركيزة من ركائز التنمية المحلية. في نفس الوقت الذي تراهن فيه الجهات الوصية على القطاع السياحي بالمغرب على استثمار مختلف المؤهلات السياحية المتوفرة من أجل الرفع من جاذبية البلاد، وبعد التراث الثقافي الغني والمتنوع في مقدمة المؤهلات التي ركزت عليها لتحقيق هذه الغاية. ومن هذا المنطلق تتجلى الإشكالية الرئيسية لهذا البحث في السؤال التالي: أي دور يمكن أن يلعبه "التراث الثقافي ذو الطابع الديني" في التنمية المحلية بمدينة اسفي؟ والذي قسمناه إلى الأسئلة الفرعية التالية:

- ما أهم مؤهلات ومكونات التراث الثقافي ذو الطبيعة الدينية بمدينة اسفي؟

- ماذا عن أشكال وامكانيات استثماره في التنمية المحلية عن طريق تثمينه سياحياً؟

1-2- المنهجية المتبعة وتقنية البحث

استند إنجاز هذه الدراسة على اختيارات منهجية جمعت بين المنهجين التاريخي والوصفي، اللذين فرضتهما طبيعة البحث الذي يقارب موضوع التراث الثقافي ذو الطابع الديني، إذ أنهما ضروريان للوقوف على واقع هذا التراث ومميزاته وخصائصه ورصد تطوره التاريخي، والإحاطة بمدى ارتباطه بالأبعاد التنموية المختلفة، فضلاً عن دراسة العوامل المفسرة لوضعيته الحالية، والمعيقات والتحديات التي تواجهه.

وقد استحضرنا في بناء متن هذه الدراسة وسائل التعبير الجغرافي الممكنة، قصد تبسيط وتسهيل استيعاب مضامين هذه الورقة البحثية، التي تمت المزاوجة فيها بين الجانبين النظري والتطبيقي، من خلال:

- العمل الببليوغرافي: بالاطلاع على المراجع والدراسات التي تطرقت إلى موضوع البحث والمواضيع المشابهة له، أو تلك التي كان المجال المدروس موضوعاً لها، سواءً أكانت كتاباً أو رسائل أو أطروح أو مقالات محكمة.

- العمل الميداني: أنسجز عبر زيارة المجال المدروس أكثر من مرة، خلال فترات زمنية متباينة لمعاينة وضعية التراث الثقافي وأهم المشاكل والتحديات التي يواجهها، كما تم خلالها توثيق الوضع العام وأشكال تدخل الجهات المعنية بالصور، فضلاً عن القيام ب اللقاءات مع السكان لاستقاء الشهادات الشفوية وللقاء بعض هذه الجهات المعنية للإحاطة برؤيتها حول مستقبل هذا النوع من التراث وسبل صيانته وحمايته وتثمينه.

1-3- أهداف الدراسة و أهميتها

تهدف هذه الدراسة إلى جرد ودراسة معالم التراث الثقافي "ذو الطابع الديني" بمدينة اسفي، بمختلف أشكاله سواءً كان تراثاً مادياً أو حياً، إسلامياً، هودياً أو مسيحياً، وإبراز وضعيته الحالية، مع الإحاطة بالتحديات التي تواجهه، فضلاً عن استطلاع إمكانيات استثماره في التنمية المحلية.

14- مجال الدراسة

تقع مدينة اسفي على الساحل الأطلنطي وتمتد على مساحة 74 كم مربع، تحدها من الشمال جماعة حرارة ومن الجنوب جماعة أولاد سلمان وشرقاً جماعتي خطازakan والصعادلة، أما غرباً فتطل على المحيط الأطلنطي. وهي عاصمة الإقليم الذي يحمل نفس الاسم والذي ينتمي إلى جهة مراكش-اسفي.

ويميز موضع مدينة اسفي على المستوى التضارسي بكونه يعد جزءاً من وحدة المسيطرة الساحلية الأطلنطية، إذ يتخذ شكلًا هضبيًا ذو سطح متدرج تختلقه مجموعة من المنخفضات، مع توضّعات جيولوجية تنتهي لزمنين الثاني والرابع. أما الارتفاعات فتبقي ضعيفة بحيث تتراوح بين 50 و100 متر، وتتحذّل الانحدارات ميلاً عاماً نحو الغرب، أي نحو الساحل ويفصلها عن المحيط شريط ساحلي مكون من أحراج ساحلية تتعدّد بها الأفريزات المفصولة بحافات مقعرة تنشط بها التعرية البحرية الأمر الذي يتسبّب في الانهيار المستمر لهذه الأجراف.¹⁰² أما مناخياً فتندرج المدينة حسب "طريقة تورنتوايت" ضمن نطاق المناخ شبه الجاف ذو الحرارة الوسطى بفائض ضعيف خلال الفصل الطلق وعجز مهم خلال فصلي الصيف والخريف، ويطبعها كذلك تركز لفعالية الحرارية الصيفية.¹⁰³ غير أن المؤثرات المحيطية تعمل على تقليل المدى الحراري عن طريق تلطيف درجة الحرارة التي تتراوح بين 13,70 درجة كمتوسط شهري أدنى خلال شهر يناير، و24,15 كمتوسط درجة حرارة أعلى خلال شهر غشت. وتسود بالمنطقة رياح ذات اتجاه جنوب-غربي خلال فصلي الخريف والشتاء، وأخرى شرقية أو شمالية-شرقية خلال فصلي الربيع والصيف. كما يتلقى تساقطات سنوية ضعيفة تتراوح بين 350 و400 في المعدل يتركز أغلبها في فصل الشتاء، حيث ينعكس هذا الوضع على الموارد المائية شكل كبير، إذ تفتقر المدينة إلى مصادر مائية ذاتية بكميات كافية، مما يدفعها إلى الاعتماد على مصادر خارجية أهمها قناة نقل المياه من سد "الدورات" (على نهر أم الربيع) والتي تغطي حوالي 89% من حاجيات الاستهلاك الحضري.¹⁰⁴

أما على المستوى البشري فيشكل سكان مدينة اسفي نصيباً مهماً من مجموع ساكنة الإقليم وأغلب ساكنته الحضرية، إذ بلغ عددهم 308508 نسمة حسب إحصاء 2014م، وسجلت المدينة أعلى نسبة للتزايد السكاني خلال الفترة 1936-1960م إذ وصلت إلى 42,04% لتنخفض بعد ذلك إلى 9,25% بين احصائي 1982 و1994 كأدنى نسبة، ليعقبها بعض الارتفاع الذي وصل إلى 11,68% خلال الفترة الممتدة بين 1994-2004 و10,08% خلال الفترة 2004-2014م.¹⁰⁵

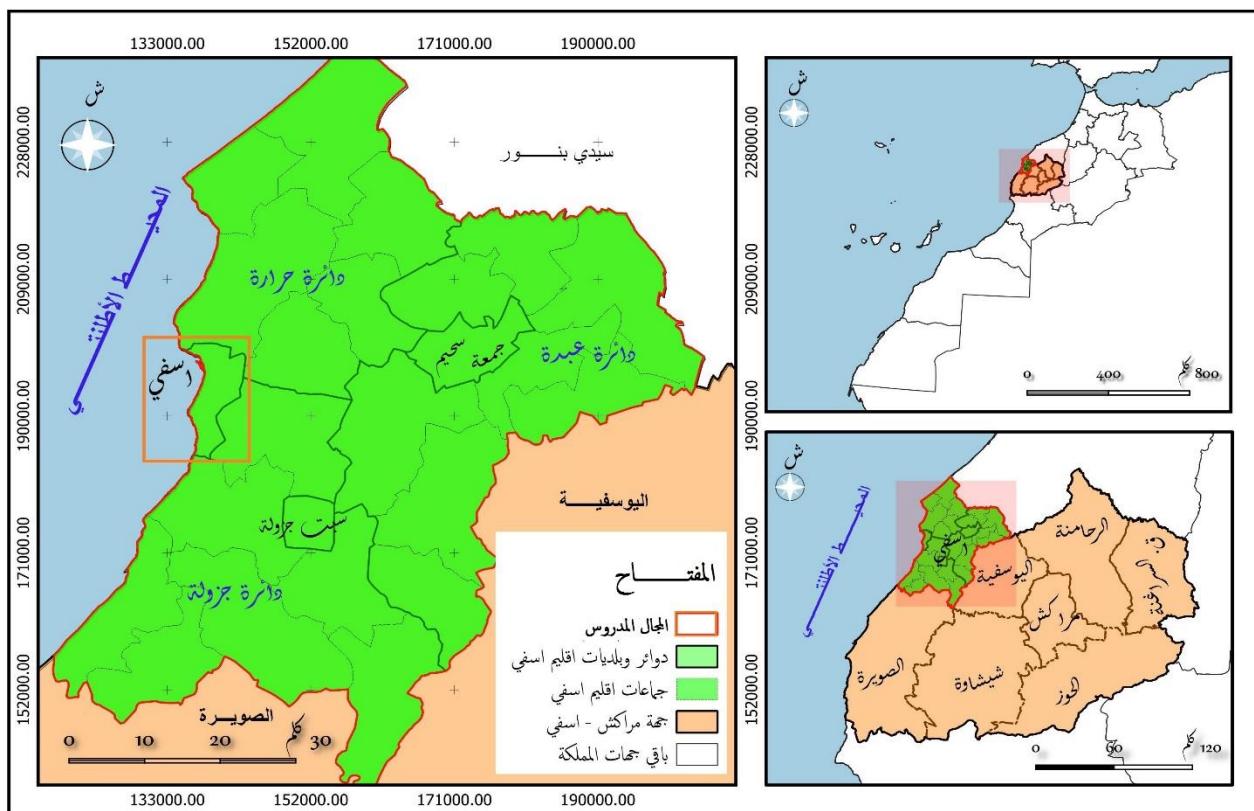
¹⁰² نوابي ياسين، كويحل فاطمة الزهراء، الطامری سمیرة، آثار المخلفات الصناعية والمبنية على المنظومة البيئية، اسفي نموذجاً، بحث لنيل شهادة الاجازة في الجغرافيا، الكلية المتعددة التخصصات بأسفي، جامعة القاضي عياض - مراكش، 2016-2017، ص: 21-22.

¹⁰³ جميلي عبد الغني، دراسة جيوفولوجية لجزء من الهضاب الجنوبية الغربية لمنطقة عبدة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، 1989م، ص:

¹⁰⁴ البوزيدى فاطمة الزهراء، المجال الحضري لأسفي بين التوسيع العمراني والمشاريع الجديدة، بحث لنيل شهادة الاجازة في الجغرافيا، الكلية المتعددة التخصصات بأسفي، جامعة القاضي عياض - مراكش، 2016-2017، ص: 9-10.

¹⁰⁵ La monographie locale de l'environnement de la ville de Safi, 2016, p: 17.

خريطة (1): توطين المجال المدروس - مدينة اسفي



المصدر: من إنجاز الباحث 2022م، (بالاعتماد على التقاطع التقليدي 2015م)

2- معالم "التراث الثقافي ذو الصبغة الدينية" بمدينة اسفي

2-1- مفاهيم الدراسة: التراث الثقافي الديني، التنمية المحلية.

أ- مفهوم "التراث الثقافي الديني"

وردت لفظة التراث في "لسان العرب" متفرعة عن مادة (ورث) ومنها "الارث" و"التراث" و"الميراث" أي ما ورث، وقيل "الورث" و"الميراث" في المال و"الارث" في الحسب و"التراث" ما يخلفه الرجل لورثته،¹⁰⁶ بمعنى أن التراث لغة يأتي بالتوارث والنقل فهو الشيء الموروث أو المتواتر، أو ما ينقله الخلف عن السلف. أما اصطلاحاً فيقصد به حسب التعريف الرسمي "ليونيسكو": "مجموع القيم والمعتقدات والأداب والفنون والمعارف وجميع نشاطات الإنسان المادية منها والمعنوية وهو ناتج تراكم خبرات المجتمع، وهو شاهد على تاريخ الأمة وأحوالها. ويتميز أنه مكون من بني متراصطة ومتكاملة الأجزاء ومتداخلة في الكثير من الأوقات، ومنه ما هو ثابت ومنه ما هو متغير".¹⁰⁷ أما التراث "الثقافي الديني" أو كما تسميه اليونيسكو "التراث الثقافي ذو الصبغة الدينية" فتعرفه هذه المنظمة والمجلس الدولي للمعالم والمواقع (ICOMOS) بأنه: "كل أشكال الممتلكات والأشياء المرتبطة بقيم دينية أو روحية: كالكنائس والأديرة والأضرحة والمساجد والبيع والقبور والمقابر والمشاهد المقدسة والغابات المقدسة والعناصر الأخرى التي تدخل ضمن المشاهد المقدسة". ويلاحظ أن هذا التعريف أهلل "التراث الثقافي الديني" ، كما أن اتفاقية "ليونيسكو" لحماية التراث الثقافي اللامادي لسنة 2003م نصت على أن مجالات التراث الثقافي اللامادي الرئيسية هي: "الممارسات الاجتماعية والطقوس والمناسبات الاحتفالية" دون

¹⁰⁶ ابن منظور (ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري)، بدون تاريخ، لسان العرب، الجزء الثاني، بيروت، لبنان، دار صادر، ص: 200، 199.

¹⁰⁷ EL FASKAOUI B. KAGERMIER A. (2014), Patrimoine et tourisme culturel au Maroc, actes du 9eme colloque Maroco-Allemand, Meknès, p: 15.

الإشارة بشكل واضح وصريح الى ما هو ديني أو مقدس، وفي نفس الاتجاه ذهبت اتفاقية "اليونيسكو" لحماية وتشجيع تنوع أشكال التعبير الثقافي الصادرة 2005م. وجاء في تعريف آخر أن التراث الديني: "جزء مهم من التراث الثقافي بشكله العام، وهو عبارة عن ممتلكات مشتركة تتعذر قيمتها الجانب الروحي الى الجانب التاريخي والثقافي والفكري والمعماري، ويساهم هذا التراث بدوره في هيكلة المشهد العام وبناء الهوية المكانية للمجال الجغرافي، كما أنه عنصر أساسي في الحفاظ على الذاكرة المحلية والوطنية، فضلاً عن مساعي تحسين جودة إطار الحياة".¹⁰⁸

بـ التنمية المحلية

مهند مجموعة من الراهضات والتطورات منذ أواسط القرن العشرين لظهور مفهوم التنمية المحلية، منها توسيع مفهوم التنمية الاقتصادية (النمو الاقتصادي) الذي كان سائداً قبل وخلال تلك الفترة، ليشمل الجوانب الاجتماعية والثقافية وغيرها، فتباور بذلك مفهوم التنمية. الذي وضعت له الأمم المتحدة عام 1986م التعريف التالي: "التنمية عملية متكاملة ذات أبعاد اقتصادية وثقافية واجتماعية وسياسية تهدف الى التحسين المتواصل لرفاهية السكان، والتي يمكن عن طريقها اعمال حقوق الانسان وحرياته الأساسية".¹⁰⁹ وقد ترافق كل ذلك مع تزايد اهتمام الدول باللامركزية كبديل للنظام المركزي، بهدف تجاوز الاكراهات والمشاكل التي تطرحتها الخصوصيات والاختلافات المحلية أمام التدبير المركزي الموحد. وتعرف الأمم المتحدة التنمية المحلية على أنها تلك العمليات التي يمكن من خلالها توحيد جهود السكان والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية، ومساعدتها على الاندماج في الحياة الجماعية والمساهمة في تقديمها بأقصى قدر ممكن.¹¹⁰ كما تعرف أيضاً على أنها القدرة على الاستفادة من مصادر البيئة البشرية والمادية المتوفرة وزيادة المصادر كما ونوعاً وتطوريها بما يعود بالنفع على جميع افراد المجتمع مع ضمان استدامة هذه المصادر، وبقى العنصر البشري وتطويره مادياً وثقافياً وروحياً الشرط الأساسي لكل تنمية محلية.¹¹¹ اذن فالتنمية المحلية تعنى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية، وهي لا تكاد تختلف عن التنمية الوطنية العامة وال شاملة الا من حيث معيار حدود المجال الجغرافي لتطبيقها، وذلك بتحفيز واشراك كل الطاقات المحلية النشيطة بتنسيق مع الجهات الوصية على المستوى المركزي.

2- الاضرحة والمقامات بمدينة اسفي: تراث ثقافي ديني متميز باسفي

وردت لفظة ضريح في لسان العرب بمعنى الشق وسط القبر، وقد تعني القبر كله، كما قد تعني أيضاً القبر بلا لحد. ونقل ابن منظور عن الأزهري أن الضريح سمي ضريحاً لأنه يشق في الأرض شقاً.¹¹² أما اصطلاحاً فمن باب تسمية الكل بالجزء تطلق لفظة الضريح على كل البناء الذي يشيد على قبر أحد الأشخاص تخلida الذكراء، وهي ظاهرة بدأت منذ أزمنة قديمة جداً وازدهرت مع الحضارة الفرعونية، أما المقام فيختلف عن الضريح في عدم احتوائه بالضرورة على قبر الشخص المعنى، اذ قد يكون مجرد مقام له طيلة حياته أو خلال فترة محددة، أو فترات متقطعة منها. وقد يضم الضريح رفاتاً لأناساً موثقين تاريخياً، أو أشخاصاً مجهولين، بل وقد يكون خالياً في بعض الأحيان، كما أثبتت ذلك الحفريات، ومن بينها تلك التي همت أحد أشهر أضرحة مدينة اسفي وهو ضريح سيدي "بو الذهب"، وقد يكون المقام عبارة عن مزار تربط رمزيته وقيمة معنوية وقداسته بعناصر طبيعية، كما هو الشأن بالنسبة لمزار "اللاميرة" بسيدي بو زيد شمال اسفي.

¹⁰⁸ Commission de la culture, de l'éducation et de la communication, rapport d'information sur L'ÉTAT DU PATRIMOINE RELIGIEUX, consulté en ligne le 20-09-2022, (http://www.senat.fr/commission/cult/missions_d_information/mi_sur_lestat_du_patrimoine_religieux.html).

¹⁰⁹ حملاوي عبد الحق، (2013). الآليات السياسية لتحقيق التنمية الاقتصادية في الدول العربية من منظور الحكم الراشد، الجزائر 1999-2007م، مذكرة تخرج ماجستير في العلوم السياسية وال العلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بسكرة، ص: 11.

¹¹⁰ بن غضبان فؤاد، (2015). التنمية المحلية: ممارسات وفاعلون، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص: 31.

¹¹¹ الغصبي او عجم نهي، (2006). دور الوعي البلدي في التنمية المحلية، مؤتمر العمل البلدي الاول مركز البحوث للمؤتمرات بتاريخ: 26-27 مارس 2006م.

¹¹² ابن منظور، (بدون تاريخ). مصدر سابق، ص: 525.

وتحتل الأضحة والمزارات موقع متميز في معتقدات زوارها، الذين ينسجون حولها وحول أصحابها قصصاً وأساطير خرافية، وذلك في إطار سعيم للوصول إلى نوع من التوازن والرضى النفسي، يقول أحمد بوشرب: "أرجع كثيرون ظهور الزوايا بكثرة في دكالة إلى عامل الجهاد، [...] والجهل، مما جعل العامي يتقبل أكاذيب وخوارق وهمية روجها المستفيدين من ذلك التوقير والاحترام المريخيين، [...] كما كان الإنسان يشعر دوماً بعدم الاطمئنان بسبب ظروف عيش قاهرة لا يستطيع التحكم فيها، إذ كان ضحية تسلط الحكماء، [...] وطغيان الطبيعة والأهوال التي تسبيها له الأمراض والأوبئة. وهذا العجز دفع الناس إلى الالتقاء في أحضان الأولياء والزهاد ليحصلوا على ضمانة ولو معنوية، تفتح لهم أبواب الطمأنينة والرجاء".¹¹³ ويرى البعض في الأضحة امتداداً للممارسات الوثنية السائدة قبل الإسلام، إذ عوض الساحر والعراف بالولي والسيد. والأضحة بأسفي لا تخرج عن هذا السياق إذ أن بعضها سابقة على الدخول الإسلامي، ولذلك نجد اليوم تجاوراً للأضحة والمزارات الإسلامية، والمسيحية واليهودية بالمنطقة، بل وحتى تلك ذات الأصل الوثني. وسنقتصر فيما يلي على الاشارة إلى أبرز الأضحة والمقامات التي طبعت الهوية الثقافية المحلية، والتي تعكس التنوع الثقافي والتعايش الذي ميز مختلف الثقافات والاثنيات التي تجاورت في هذه الرقيقة الجغرافية، فضلاً عن تلك التي تستقطب عدداً كبيراً من الزوار وتتعقد بجوارها المواسم والاحتفالات الشعبية التي تدخل ضمن إطار ما يسمى بالسياحة الدينية.

أ- الأضحة والمزارات اليهودية بمدينة اسفي

تضم اسفي أضحة سبع أولياء يهود يسمون بـ "أولاد بن زمورو"¹¹⁴، والذين تنسب إليهم الروايات الشعبية قدرات خارقة كما هي العادة مع باقي الأولياء.¹¹⁵ أشهرهم الحاخام أبراهام بن زمورو، الذي كان أدبياً وفيلسوفاً وشاعراً، أهلته مواهبه إلى الحصول على مكانة متميزة بين سكان اسفي المسلمين واليهود منهم على السواء.¹¹⁶ ويعود أصلهم إلى الأندلس المسلمة التي طردوا منها عقب سقوط مملكة غرناطة بيد "فرناندو" و"إيزابيلا" عام 1492م، حيث استقروا بادئ الأمر بفاس قبل أن يرحلوا إلى اسفي مع بداية ق 16م.¹¹⁷ ويضم الضريح رفات أبراهام بن زمورو وأخوه اسماعيل واسحاق وأبنائه وابنهاء أخوته، ويعقد به موسم يهودي سنوي منتصف شهر غشت، يعرف باسم "هلولة"، يستقطب زواراً من داخل المغرب وخارجيه. ومما يميز هذا الضريح هو أنه يعد قبلة لليهود والمسلمين على السواء، مما يبرهن درجة الاندماج والتعايش بين الجانبين، فقد عاش المسلمون والطائفة اليهودية بأسفي في تسامح وتناغم تام، حتى أن هذه المدينة تعد الوحيدة بال المغرب التي لا تتوفر على الحي اليهودي المعروف في باقي المدن بـ "الملح" المخصص للهود.

¹¹³ بوشرب احمد، (2013)، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة أخاء اسفي وازمور (قبل 28 غشت 1481 م - أكتوبر 1541 م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع / مطبعة صناعة الكتاب الدار البيضاء/بوسكونسا، الطبعة الثانية، ص:108-104.

¹¹⁴ يسمون في بعض المصادر بـ "أولاد بن زمورو" بفتح حرف الزاي، وـ "أولاد بن زميرا" بضم الراء وتشديدها مع تسكين الزاي، ويسمون أيضاً "أولاد بن زمير" ، وـ "ازمار" ، أما بين عموم ساكنة اسفي فالاسم الشائع إلى حدود اليوم هو "أولاد بن جميرا". ويعتقد أن هذه التسمية بمختلف صيغها مشتقة من كلتين إبيريتين هما: "زنار" التي تعني الغناء وـ "زمرا" التي تعني أغنية، أو موسيقى، وهناك من يرى بأن الاسم مشتق من اسم مدينة "ازمور" المغربية، في حين يرى آخرون أنه مشتق من اسم منطقة في إسبانيا اسمها "زميرا" وهو الراجح.

¹¹⁵ ليفي سيمون، (2000)، الجماعة اليهودية بأسفي، في تاريخ إقليل اسفي، تنسيق الأسعد محمد، منشورات مؤسسة دكالة - عبدة للثقافة والتنمية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ص: 176.

¹¹⁶ انطونا ارمان، (2014)، جهة عبدة 1930، مصدر سابق، ص: 103.

¹¹⁷ Kredya Brahim, (2009), Lumières sur : Rabbi Abraham, chef des sept saints de oulad ben zmirou à Safi, traduit par Ferehat Abdellah, safigraphe, p:19.

ووجد أبraham بن زمرو عند استقراره بأسفي ساكنة يهودية مهمة بالمدينة،¹¹⁸ حيث قدر الحسن الوزان في كتابه "وصف إفريقيا" عدد اليهود بنحو 100 بيت، مقابل أربعة الاف "كانون" للمسلمين،¹¹⁹ وارتقت أعداد اليهود اسفي بشكل سريع بعد ذلك نظرا للأدوار السياسية، الاقتصادية والاجتماعية الرائدة التي لعبوها خلال مرحلة الاحتلال البرتغالي بشكل خاص، وانقسموا إلى قسمين: أغلبية مشكلة من "الميغوراشيم" أي النازحون، وأقلية من "التوباشيم" أي السكان الأصليون.¹²⁰ ولم يبق منهم اليوم سوى بضعة أفراد، لكن رغم نزوح أغلهم إلى المدن الكبرى أو خارج البلاد، فإنهم يعودون إلى المدينة أبان انعقاد المواسم اليهودية ولزيارة أضرحة أوليائهم.

وكان الحضور اليهودي بأسفي قويا قبل وخلال فترة الحماية، خاصة في المجال التجاري، وهو ما انعكس على الموسيقى والحياة الاجتماعية بالمدينة، فخلف ارثا ثقافيا متميزا يجب تثمينه واستثماره، ولعل أبرز تجل لهذا التراث يتمثل في الانتاجات الموسيقية التي خلفتها الفرق الموسيقية اليهودية الاسفية،¹²¹ بالإضافة إلى ضريح "أولاد بن زمرو" الذي مازال محجاً ليهود العالم، فضلاً عن المقبرتين اليهوديتين.

صورتين (1-2): ضريح أولاد بن زمرو السبعة بأسفي



المصدر: من التقاط الباحث، شتنبر 2020م.

ب- الأضرحة، المقامات والمزارات الإسلامية بأسفي

تتميز مدينة اسفي بانتشار واسع للزوایا ومقامات وأضرحة الأولياء الصالحين، يقول أنطونا: "ويشهد على ذلك اقدامهم على بدعة تبجيل الصالحة، وهي ظاهرة متفشية في عبادة على نطاق واسع، حتى أنه لا تجد دواراً أو تجمعاً إلا وله سيده الخاص"،¹²² ونظراً لكثرةهم - إذ وقفنا على أكثر من ثلاثين ضريحاً ومقاماً بالدار الحضري لأسفي فقط - فإننا سنقتصر على التطرق لأكثرهم شهرة واعشاها والذين طبعوا المجال وأثروا في هويته الثقافية وفي مقدمتهم ضريح الشيخ سيدي أبو محمد صالح (1150-1234م) الذي يعد أكبر صلاحاء مدينة اسفي وأشهرهم،¹²³ حتى لقبه العامة بـ "مول الأرض والبلاد"، وضريحه عبارة عن قبة مشرفة على كورنيش اسفي، بجانها عدة غرف ومسجد للصلوة، بالإضافة إلى صالة

¹¹⁸ Kredya Brahim, Lumières sur : Rabbi Abraham, chef des sept saints de oulad ben zmirou à Safi, Ibid. p : 25.

¹¹⁹ الكانوني العبدى محمد، (بدون تاريخ)، اسفي وما إليه قدinya وحديثا، ص: 67. (بناء على تأويله لمفهومي "بيت" و"كانون" بري إبراهيم كريدية في مؤلفه "Lumières sur: Rabbi Abraham, chef des sept saints de oulad ben zmirou à Safi" ان عدد سكان اسفي يمكن ان يقدر بـ 24000 فرد يمثل اليهود حوالي 1500 فرد)

¹²⁰ انجالية ليلي، (2015)، يهود اسفي خلال القرن 16، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، مطابع الرباط نلت للطباعة والنشر، ص: 4.

¹²¹ من أبرز نجوم جوق "اليهود" الذي كان ينشط في الأعراس والمناسبات بأسفي خلال أواخر فترة الحماية، الفنان كوهن السعدية، فاقو، برشيشات... وحضرت المجموعة بشهرة واسعة، خصوصا فيما يتعلق بفن الملحون وطرب الآلة واغانى زهرة الفاسية، لكنها تفككت واختفت، وكان من أهم مميزات مقاطعها الفنية الدمج بين القاموسين الاسلامي والعبري، كما كانت ترافق غناء المجموعة رقصات مجموعة من النساء اليهوديات اللواتي كن يلقين بـ "الشاميات".

¹²² انطونا ارمان، (2014)، جهة عبدة 1930، مصدر سابق، ص: 97.

¹²³ زكي مبارك، الخلوفي الصغير، (1993). الط婢ير البريري من خلال مذكرة صالح العبدى مع اطلاعه على مدينة اسفي من خلال باكورة الزيدة في تاريخ عبدة للفقيه الصبىجى السلاوى، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ص: 115.

للزوار وصالة لتلاء القران الكريم وفضاء خارجي مزخرف بنقوش تعكس خصوصيات العمارة المغربية. وغير بعيد عنه يقوم ضريح سيدى بو الذهب الذي تضاربت حوله الآراء كثيرا، كما أورد ذلك "أرمان انطونا" في مؤلفه جهة عبدة 1930م¹²⁴، أما بين باب الشعبة وأبواب القواص فيوجد ضريح واحد من أكبر أولياء اسفى وهو سيدى عبد الرحمن "مول البیبان"، الذي عايش الاحتلال البرتغالي وكان من أشرس مقاوميه. وينتهي عند ضريحه ما يسمى بـ"الدور" الذي يناظمه الشرفاء "الركراكيون" سنويا¹²⁵. وشمال اسفى يشرف ضريح سيدى بوزيد على منتجع "رأس اللفعة"، ويرى البعض أنه سيدى أبو زيد بن القنفذ بن محمد الملقب بـ«سلطان المجاهدين»، فيما يذهب اخرون إلى أن تسمية "بوزيد" ما هي إلا تحريف للفظة "بوسايدون" إله البحر والعواصف عند الاغريق، فكما رأينا سابقا يعتقد أن حانون بني منصور "بوسايدون" في منطقة سيدى بوزيد الحالية. أما مقام سيدى الجزوئي (ت 870 م) قرب قصر البحر فينسب إلى الإمام عبد الله بن سليمان الجزوئي، الذي أقام بأسفي لقيادة الجهاد ضد الاحتلال البرتغالي، ثم نفي خارج أسوارها من قبل حاكمها حمادي بن فرحون، ويقوم ضريح سيدى علي "الكايلة" (ت 1282 هـ/1866 م)، وسط مقبرة سيدى منصور قرب باب الشعبة، فضلا عن أضرحة أخرى، كضريح سيدى أحمد مومن، وأم علي، وللزيتونة الكوابيلية، وسيدي منصور، وسيدي واصل وغيرهم...

صوريتين (3-4): خلوة الإمام محمد بن سليمان الجزوئي قرب قصر البحر وضريح الشيخ أبو محمد صالح من الداخل



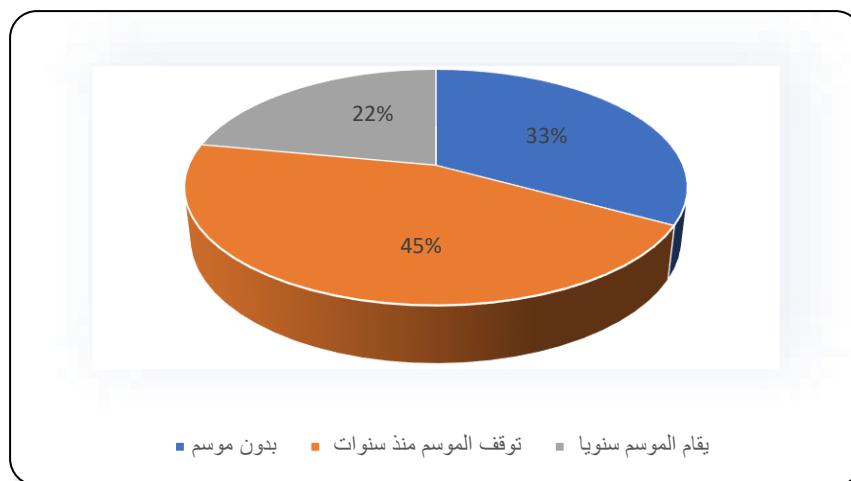
المصدر: من التقاط الباحث، مايو 2022م.

¹²⁴ هناك من اعتبره انه كان دارا للمسكة فيما بين 1716-1830م، فيما يذهب اخرون الى انه كان سقاية للماء، لكن "انطونا" اورد رواية اخرى تقول بان الضريح محل نزاع بين المسلمين الذين يدعون ان الرائد فيه قدم من مكة لجاورة سيدى محمد صالح، واليهود الذين يزعمون ان صاحبه مدفون في موقع مقبرة يهودية قديمة.اما فريق ثالث فيرى ان صاحب القبر من مواليد اسفى وانه أحد اولاد سيدى عبد الرحمن مول البركي دفين "ثمرة".

¹²⁵ انطونا ارمان، (2014)، جهة عبدة 1930، مصدر سابق، ص: 102.

¹²⁶ العبد الكابوني محمد بن احمد، (بدون تاريخ)، اسفى وما اليه قدinya وحديثا، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، ص: 105.

رسم بياني (1): تصنیف الأضرحة حسب المواسم بمدينة اسفي



المصدر: كورير محمد أمين/ الحفيان نورة، الأضرحة بأسفي وتأثيرها على الدينامية السكانية والاقتصادية محليا، بحث لنيل شهادة الاجازة في الجغرافيا، الكلية متعددة التخصصات بأسفي، جامعة القاضي عياض -مراكش، 20016-2017م، ص: 56.

وترتبط بعض أضرحة اسفي وباديتها مواسم سنوية تجذب الآلاف من الزوار، اذ لا تقتصر الزيارة على الفئة الأئمية فقط بل يسجل حضور لافت لفئات ذات مستوى تعليمي متوسط الى مرتفع أحياناً، سواء للأغراض التقليدية المعروفة (التبرك، طلب الحماية...) أو بهدف الاطلاع واشباع الرغبة المعرفية. حيث تقام بجوار بعض هذه المعالم التراثية الاحتفالات والمواسم التي تساهم في تحريك عجلة الاقتصاد المحلي،¹²⁷ وبذلك فهي تدخل ضمن إطار الموروث الثقافي الخاص بالجال الجغرافي الذي تتواجد به. ومن هذا المنظور وجب على الفاعل التراقي الذي يسهر على تدبير المجال أن يتعامل مع هذا الموروث كمحفز للطلب السياحي قادر على جلب عدد كبير من السياح سواء المغاربة أو الأجانب. اذ تصنف زيارة الأضرحة والمقامات ضمن أنشطة السياحة الدينية، التي تعد وسيلة تنمية قادرة على تحريك عجلة التنمية الشاملة، عن طريق جلب رؤوس الأموال والاستثمارات وبالتالي إنعاش الاقتصاد المحلي، والأمثلة على ذلك لا حصر لها، لمزارات وأضرحة ذات اشعاع عالمي تساهم في جلب السياح من مختلف أصقاع الأرض، لعل أبرزها موسم مولاي عبد الله أمغار بإقليم الجديدة المجاور.

2-2. الزوايا وأماكن العبادة: تنوع يجمع بين المأثر الإسلامية، المسيحية واليهودية

أ- الكاتدرائية البرتغالية

تم بناؤها حسب بعض المؤرخين سنة 1519 م، تحت اشراف معماري برتغالي يسمى "جاو لويس" (Jao Louis) على الطراز "الإيمانولي" (EMMANUELIN)¹²⁸، بالقرب من المسجد الأعظم (يرى بعض المؤرخين أنها بنيت مكان المسجد الموحدي)، وتعتبر من روائع العمارة البرتغالية خلال تلك الفترة، كما تعد أول كاتدرائية برتغالية فخمة تقام خارج الأراضي البرتغالية.¹²⁹ لكن لم يبق سليماً منها اليوم سوى بعض الأجزاء (المذبح، المصلى...). فالبرتغاليون وقبل خروجهم مضطربين من اسفي عام 1541 م تحت الضغط السعدي المتزايد، قاموا بتخربيها واضرaram النيران فيها بأمر من ملك البرتغال آنذاك "إيمانويل الأول" (Emmanuel) الذي اتخذ قرار الأخلاع. وسرعان ما تحولت بعد استرجاع المدينة الى حمام عمومي سمي حمام "البويبة"، واستمرت في أداء هذه الوظيفة الى بدايات القرن العشرين. وفي سنة 1924 م تدخلت "مصلحة الفنون

¹²⁷كورير محمد أمين/ الحفيان نورة، (2016-2017م)، الأضرحة بأسفي وتأثيرها على الدينامية السكانية والاقتصادية محليا، بحث لنيل شهادة الاجازة في الجغرافيا، الكلية متعددة التخصصات بأسفي، جامعة القاضي عياض -مراكش، ص: 23.

¹²⁸ Carabelli R. (2012), L'héritage Portugais au Maroc, un patrimoine d'actualité, laboratoire CITERES, traduit de l'Italien par Mme Marie-Anne Marin, P: 74.

¹²⁹ المديرية الإقليمية للثقافة اسفي - اليوسفية، (2020)، جرد المعالم التاريخية بإقليم اسفي.

"الجميلة" التابعة لسلطات الحماية الفرنسية، لتصحيح هذا الوضع وصنفت الكاتدرائية كمعلمة تاريخية، بظهير صادر في

¹³⁰ 21 يناير 1924 م.

صورتين (5-6): مدخل وسقف الكاتدرائية المزین بنقوش ورموز قوطية من الحجارة المصقوله



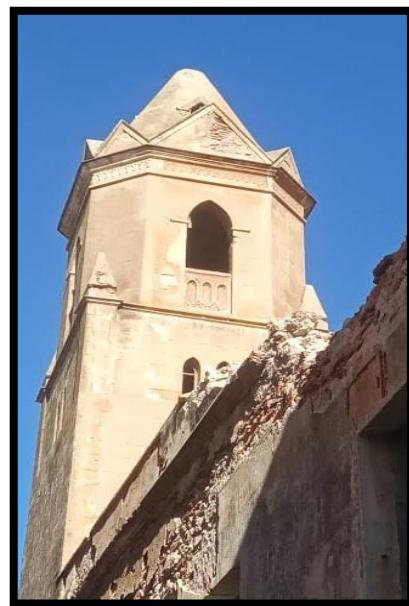
المصدر: من التقاط الباحث، سبتمبر 2020م

بـ- الكنيسة الاسپانية (كنيسة القدس كاثرين)

تعد كواحدة من أبرز المعالم التاريخية بالمدينة العتيقة لأسفي رغم أنها غير مصنفة رسمياً، بنيت خلال القرن التاسع عشر، وهي بذلك تؤرخ للتواجد الأوروبي الفني والديني والتاريخي والاجتماعي بالمدينة والمنطقة، ابان الفترة التي كان فيها ميناء اسفي واحداً من أهم موانئ البلاد، بعدما كان قبل القرن الثامن عشر الميلادي ميناء المغرب الأول بدون منازع. وتتعرض هذه المعلمة التاريخية اليوم لتدهور متقدم وانهيارات متتالية بفعل عوامل التعرية والسرقات المتتالية لمحوياتها، غير أنها ما زالت تحتوي بعض الأقواس القوطية وقوساً للنصر وبقايا القاعة الرئيسية والتي تهدم سقفها ولم تصمد منها الا بعض الأقواس.

¹³⁰ Neno Leit, A. S. (Octobre 2015), La semi-insularité de Safi, les défis de la patrimonialisation, Doctorante, CES, Université de Coimbra et FLSH, Université Cadi ayyad de Marrakech, e-Phaitos, Vol. N : 2, p : 05.

صورة (9): برج الكنيسة الإسبانية بالمدينة القديمة لآسفي (كنيسة القديسة كاثرين)



المصدر: من التقاط الباحث، ماي 2022م

ت- المسجد الأعظم والصومعة الموحدية

بني المسجد الأعظم داخل المدينة القديمة، في مكان قريب من موقع المسجد الموحدى القديم الذي كان متصلة بالصومعة الموحدية، اذ يرجع مؤرخ عبدة أحمد العبدى الكانونى أنه كان فى الموقع الحالى للكاتدرائية البرتغالية.¹³¹ فيما يرى اخرون بأنه كان فى موقعه الحالى، وأن البرتغاليين حولوه بعد احتلال المدينة الى استبل للخيول ومكب للنفايات حتى خروجهم منها، الى أن أعاد بناءه السلطان العلوي سيدى محمد بن عبد الله عام 1807م، واستخدمت في ذلك الحجارة المصقوله، وتم تزيينه بالأقواس التي تنتهي بأشكال "معينة" على واجهته الرئيسية، ويتميز هذا المسجد عن باقى المساجد تكون صومعته بعيدة عنه اذ يفصل بينهما ممر بمسافة تقدر بحوالى 10 أمتار، ويفسر هذا الوضع باحتفاظ البرتغاليين بها كمنار لجرس الكاتدرائية بعد هدم المسجد الموحدى لبنائها، وهو ما يرجح ما ذهب اليه مؤرخ عبدة العبدى الكانونى.

¹³¹ العبدى الكانونى محمد بن احمد، (بدون تاريخ)، آسفي وما اليه قدinya وحديثا، مصدر سابق، ص: 88.

صورتين (7-8): أحد أبواب المسجد الأعظم وصوامعته (الموحدية) وتصل المسافة بينهما إلى 10 أمتار.



المصدر: من التقاط الباحث، سبتمبر 2020م

4- الزوايا، الرباطات والمدارس العتيقة بمدينة اسفي

أ- الزوايا والرباطات: تنوع كبير في الرواية

تعد "الزوايا"¹³² من الظواهر الفريدة التي طبعت تاريخ المغرب بشكل ملفت للنظر، إذ ارتبط تطورها بالتحولات والتقلبات الداخلية التي شهدتها البلاد، في تفاعلها مع التهديدات الخارجية التي كانت تصاعد خلال مراحل ضعف الدولة المركزية، مما فسح المجال أمام هذه المؤسسات الدينية للقيام بأدوار روحية وتربيوية، تنظيمية، اقتصادية وأخرى عسكرية، وتمثلت هذه الوظائف أساساً في حل التزاعات بين القبائل، وتجييشها في إطار الجهاد لصد الغزو الاجنبي، وضبط وتقسيم التدين الشعبي، بالإضافة لأدوار أخرى ذات طبيعة اقتصادية كتنظيم الأنشطة التجارية....، كل هذا جعل هذه التنظيمات تتصدر المشهد السياسي والاجتماعي طيلة أربعة قرون تقريباً، وإذا كانت مؤسسة "الزاوية" قد ظهرت وازدهرت في ظل فترات أزمة الدولة، فإن تطورها اللاحق حدث في ظل علاقتها وتجاذباتها مع السلطة المركزية، والتي تراوحت بين التعاون والتكامل في بعض الأحيان والنزاع والتنافر في أحيان أخرى.

وينتهي معظم أولياء اسفي الذي ذكرناهم سالفاً إلى الزوايا والرباطات المختلفة المنتشرة بالمنطقة، كرباط الشيخ أبي محمد صالح (الزاوية الماجرية) الذي كان له تأثير كبير اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً وسياسياً خلال الفترة الممتدة فيما بين القرنين 11 و 15 م¹³³، وكان الموسم السنوي لهذا الولي يستقطب الزوار من داخل المغرب ومن خارجه، حتى أنه تلقى الهدايا والبهارات من سلاطين الدولة العثمانية¹³⁴ والزاوية الجزولية التي تأسست أواسط 15 م، على شاطئ اسفي قرب قصر البحر، ولم يبقى منها اليوم سوى الضريح ومكان خلوة الإمام محمد بن سليمان الجزولي، الذي طرده حاكم اسفي حمادي بن فرحون نحو منطقة الشياطمة حيث قتل هناك.¹³⁵ بالإضافة إلى التيجانية التي ظهرت أول مرة بأسفي حوالي سنة 1868 م¹³⁶، ثم انتشرت بين القبائل فيما بين 1900 و1905 م بفضل الدعم المادي والمعنوي الذيحظيت من قبل

¹³² يطلق عليها في المشرق العربي الربط، والخوانق والخانقات.

¹³³ العبد الكابوني محمد بن احمد، (بدون تاريخ)، اسفي وما اليه قدinya وحديثا، نفسه، ص: 98.

¹³⁴ انطونا أرمان، جهة عبدة 1930، ص: 100.

¹³⁵ العبد الكابوني محمد بن احمد، (بدون تاريخ)، الجوادر الصافية في تاريخ الديار الاسفية، دراسة وتحقيق علال الركوك محمد بالوز، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر / مطبع الرباط نت، ص: 35.

¹³⁶ العبد الكابوني محمد بن احمد، (بدون تاريخ)، اسفي وما اليه قدinya وحديثا، مصدر سابق، ص: 103.

القائد القوي آنذاك عيسى بن عمر العبدى، الذى وان كان ناصريا فقد رعى هذه الطريقة.¹³⁷ فضلا عن الزاوية القادرية، والتي تعد الأكثر أهمية من حيث عدد المريدين بأسفي، ومن الأكثر قدما اذ ظهرت حوالي 1780م، وهي منتشرة أيضا في البوادي المحيطة بأسفي.¹³⁸ ثم الزاوية الدرقاوية التي تحتل أيضا مكانة مهمة بأسفي، اذ ظهرت بها حوالي العام 1860م، واتسع نفوذها ليتمتد خارج المدينة الى التجمعات السكانية الريفية المجاورة لها،¹³⁹ فضلا عن الزاوية المصلوحية التي أسسها حفيد شيخها الاكبر بمدينة اسفي مولاي سعيد بن مولاي عبد السلام، حوالي 1720م، بالإضافة الى الزاوية العيساوية التي ينتشر اتباعها بالمدينة والمناطق المجاورة، ويوجد مقرها بالمدينة القديمة حيث تأسست بعد العام 1720م، والزاوية الحمدوشية التي لم تظهر الا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، وارتبطت بالزاوietين الاخيرتين أفعال وطقوس محددة (كجلد الذات واللباس المتميز والتلطخ بالدماء...) جرت علهمما انتقادات العلماء والفقهاء المحافظين.¹⁴⁰ بالإضافة الى زوايا أخرى كالزاوية الناصرية التي أنشئت حوالي 1690م،¹⁴¹ ثم الزاوية البدوية، التي برزت بأسفي مع بداية القرن العشرين،¹⁴² فضلا عن الروايا الكتانية، والتهامية، والغنية.

بـ- المدرسة الإسلامية العتيقة بأسفي (مدرسة القايد عبد الرحمن بنناصر الجرموني)

أصبحت اسفي مركزا علميا مهما منذ العصر الموحدى، واستمر ذلك خلال العهد المريني، اذ شيدت بها المدارس والمساجد والمراكيز العلمية...، وسارت الدولتان السعودية والعلوية على نفس النهج،¹⁴³ في القرن الثامن عشر تأسست المدرسة العتيقة بأسفي مقابل المسجد الأعظم في الهمة الغربية لدرب السوق الذي يمتد من باب الشعبة حتى ساحة سيدي بوالذهب، وشرع في بنائها بتاريخ 21 ذي الحجة 1213 هجرية الموافق ل 26 ماي 1799 م زمن السلطان المولى سليمان، وخصص أحد أجنبتها لإيواء الطلبة حيث ضم 28 غرفة (تقلىصت فيما بعد الى 23 غرفة بسبب تحويل بعض الغرف الأرضية الى متاجر)، فيما خصص الجناح الآخر لتدريس علوم الدين واللغة،¹⁴⁴ وارتبطت بالمسجد الأعظم اذ تستفید من جزء من ريع أوقافه من جهة، ويستفيد طلبتها من فضائه الواسع بحضور حلقات علمائه من جهة ثانية. وهي اليوم ملحقة بمدرسة الامام نافع للتعليم العتيق، وتضم سلكين: سلك اعدادي وسلك ثانوي، ويتم التدريس فيها بالطرق التقليدية: طريقة حل المتون، وطريقة حل المسائل، ...

¹³⁷ انطونا ارمان، نفسه، ص: 115-116.

¹³⁸ انطونا ارمان، جهة عبدة 1930، مصدر سابق، ص: 116-117.

¹³⁹ انطونا ارمان، نفسه، ص: 117.

¹⁴⁰ العبدى الكائونى محمد بن احمد، (2015)، الجواهر الصافية في تاريخ الديار الاسفية، مصدر سابق، ص: 34.

¹⁴¹ انطونا ارمان، جهة عبدة 1930، مصدر سابق، ص: 117.

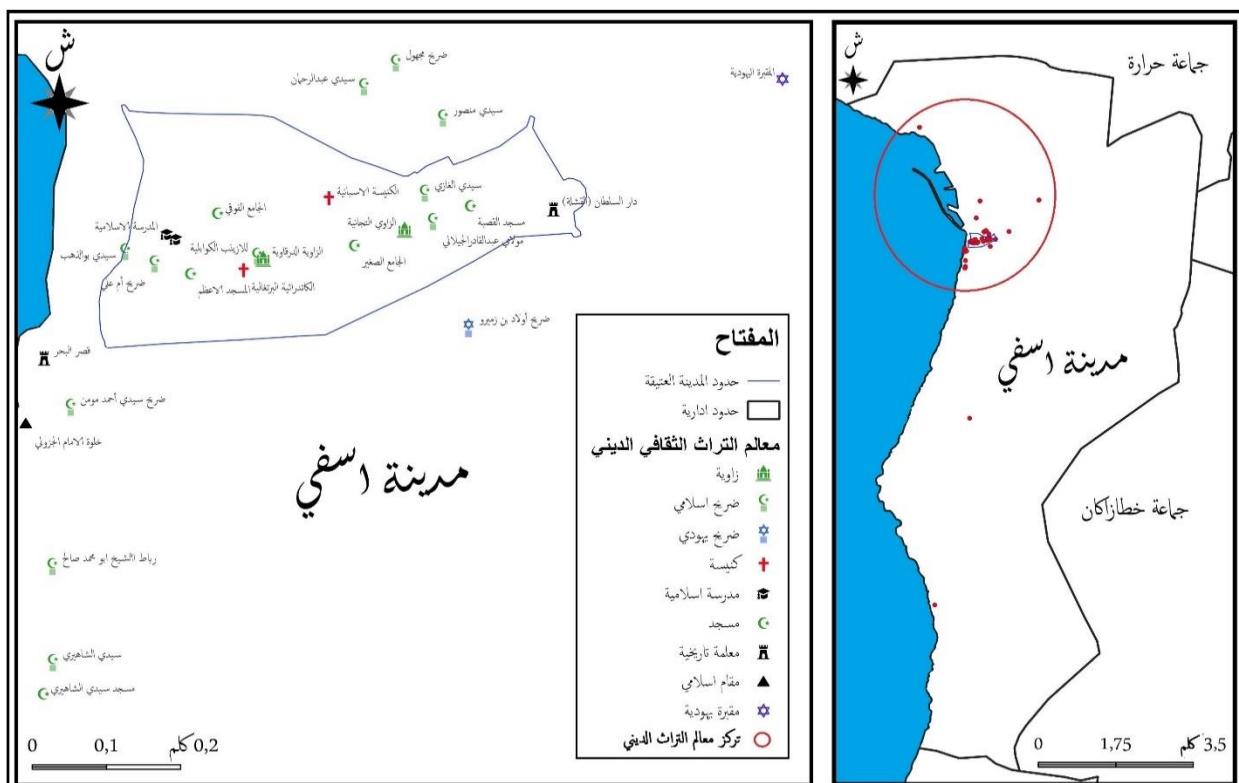
¹⁴² العبدى الكائونى محمد بن احمد، (بدون تاريخ)، اسفي وما اليه قدیما وحدیثا، مصدر سابق، ص: 105.

¹⁴³ العبدى، الجواهر الصافية، ص: 16-25.

¹⁴⁴ العبدى الكائونى محمد بن احمد، (بدون تاريخ)، اسفي وما اليه قدیما وحدیثا، مصدر سابق، ص: 84.

¹⁴⁵ العبدى الكائونى محمد بن احمد، (2015)، الجواهر الصافية في تاريخ الديار الاسفية، مصدر سابق، ص: 26.

خرائط (2): توطين معالم التراث الثقافي ذو الطابع الديني بمدينة اسفي

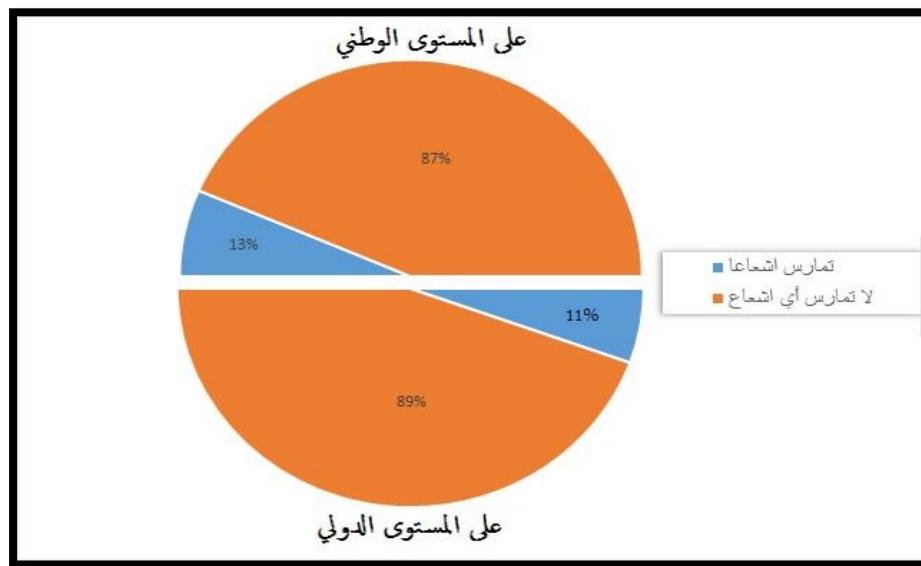


المصدر: عمل ميداني، 2022م

3- سبل استثمار "التراث الثقافي الديني" في التنمية المحلية بمدينة اسفي

ان إشكالية حماية التراث الثقافي وتثمينه لا تقل أهمية عن باقي الأشكالات الاجتماعية والاقتصادية والتنمية والبيئية المطروحة أمام المجتمعات المعاصرة، وهو ما يفرض على كل الفاعلين المعنيين كالجامعة الترابية والمندوبيات الإقليمية للثقافة والمندوبيات الإقليمية السياحة... التدخل بشكل فعال لحماية هذا الإرث الإنساني باعتباره ركيزة أساسية في بناء الهوية المحلية والوطنية، وعاملًا داعمًا للوحدة الاجتماعية، وقاطرة محتملة للتنمية المحلية ب مختلف أبعادها، فضلاً عن أدواره التاريخية. خصوصا وأن بعض هذه المعالم تلعب دوراً هاماً في الإشعاع الجهوي والوطني والخارجي لمدينة اسفي، كما هو شأن بالنسبة للأضرحة والزوایا وهو ما يوضحه الرسم البياني المولى:

رسم بياني (2): اشعاع الأضحة ومواسمها بمدينة اسفي



المصدر: كورير محمد أمين / الحفيان نورة، الأضحة بأسفي وتأثيرها على الدينامية السكانية والاقتصادية محلها، مصدر سابق / ص: 57-58. ومن هذا المنطلق وبحكم الاكراهات والتحديات التي يواجهها التراث الثقافي الديني بمدينة اسفي، فإن هناك جملة من التدابير والاليات العملية التي تفرض نفسها بهدف إعادة الاعتبار له في أفق ادماجه واستثماره في التنمية المحلية، عن طريق تثمينه في إطار مشروع شامل لتطوير السياحة الثقافية، ومن هذه التدابير:

- جرد معالم التراث الثقافي الديني بمدينة اسفي واقليمها، مع توثيق التراث الحي المرتبط بها وتصنيفهما.
- الدراسة الهندسية والفنية والتاريخية لمعالم الآثرة ذات الطابع الديني بأسفي سواء كانت إسلامية أو يهودية أو مسيحية، لكشف أسرارها وترسيخ الخصوصية المعمارية التي تميز منطقة عبدة ككل.
- تأهيل وترميم المسجد الأعظم المغلق منذ سنوات، وكذا الكاتدرائية البرتغالية والكنيسة الاسانية (كنيسة القديسة كاثرين) التي توجد في مرحلة متقدمة جدا من التدهور، فضلا عن ترميم ضريح أولاد بن زمرو، وحماية باقي الأضحة (تجنب هدم الأضحة لبناء الاقامات السكنية كما حدث مع ضريح لlahénie الحمرية)، ...
- إعادة الاعتبار للمدرسة العتيقة بالمدينة القديمة المغلقة منذ حين.
- إنشاء متحف خاص بالتراث الديني لأسفي، على غرار المتحف الوطني للسيراميك والخزف لإبراز وتحمين التعايش الديني الذي ميز هذه المدينة عبر العصور (المدينة الوحيدة التي لم تتوفر على ملاج رغم رغم أهمية الجالية اليهودية بها).
- تكتيف المراقبة لحماية ممتلكات التراث الثقافي المصنفة وغير المصنفة من السرقات والتخييب...، واتخاذ إجراءات رادعة في حق المخالفين.
- القيام بحملات التحسيس والتوعية بأهمية التراث الثقافي ذو الطابع الديني والتراث الثقافي بشكل عام.
- الحفاظ على المواسم الثقافية التقليدية، التي تقام على شرف الرزوايا وشيوخها الذين لعبوا أدوارا مهمة في تاريخ المنطقة واحياء ما اندر منها، لتسתר في لعب دوره الاقتصادي والاجتماعي والهوياتي، وتأهيل فضاءاته للزيادة من فعاليتها وجعلها كأساس لمشروع ترابي مستقبلي متكامل.
- تشجيع جمعيات المجتمع المدني الفاعلة بالمدينة على التعريف بالتراث الثقافي واستثماره في أنشطتها، مع استشارتها في تصوّر واعداد وتنفيذ مشاريع التثمين السياحي للتراث الثقافي المحلي.

- تشجيع البحث العلمي حول التراث الثقافي الديني بمدينة اسفي، وتنظيم أيام دراسية حول الموضوع، ونشر مخرجاتها.
- تنمية وتطوير النشاط السياحي عبر تقديم التسهيلات للمستثمرين وتسويق المؤهلات المحلية وتحسين البنية التحتية وتطوير الوعي السياحي لدى السكان المحليين...
- وضع دلائل للموقع الأثري ونشرها بكل الطرق الممكنة: الانترنت، المجلات، ...
- زيادة الاهتمام الإعلامي بالمناسبات والأنشطة الدينية الخاصة، التي تعكس غنى وتنوع الحياة الدينية بحاضرة المحيط وعمقها التاريخي كنشاطات الزوايا ومواسم الهلولة وسيدي بوزكري وغيرهما.

خاتمة

تتوفر مدينة اسفي على تراث ثقافي ذو طابع ديني غني ومتعدد، يزدوج بين التراث الثقافي المادي والتراث الثقافي العي، كما يجمع بين التراث الإسلامي والمسيحي واليهودي، بل والتراث ذو الأصل الوثني أيضاً والذي اصطبغ بصبغة إسلامية في معظم الأحيان، وهو ما يبرز التعايش الديني الذي ميز حاضرة المحيط خلال فترات طويلة من تاريخها الممتد. ومن شأن حماية هذا التراث وصيانته والتعریف به، ثم استثماره بشكل علمي في إطار مشروع ترابي متتكامل ينخرط فيه كل الفاعلون المعنيون (الجماعة الترابية، المندوبيا الإقليمية للسياحية، المندوبيا الإقليمية للثقافة،...) أن يساهم في تدعيم المشروع التنموي للمدينة وللإقليم ككل، لكنه في حاجة قبل ذلك إلى الحماية والصيانة، لمواجهة التحديات المطروحة أمامه، عبر التزام كل الأطراف المعنية بمسؤولياتها وتدخلها في حدود اختصاصاتها.

مصادر ومراجع:**باللغة العربية:**

- ابن منظور (ابي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري)، بدون تاريخ، لسان العرب، الجزء ١١، دار صادر، بيروت، لبنان.
- انحالية ليلى، (2015)، ہود اسفي خلال القرن 16م، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر، مطبع الرباط نت للطباعة والنشر.
- انطونا ارمان، (2014)، جهة عبدة 1930، ترجمة علال الركوك ومحمد الشيخ، مراجعة أحمد بن جلون، تقديم محمد أزكور، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر / مطبعة الرباط نت.
- البوزيدي فاطمة الزهراء، (2016-2017م)، المجال الحضري لأسفي بين التوسيع العمراني والمشاريع الجديدة، بحث لنيل شهادة الإجازة في الجغرافيا، الكلية المتعددة التخصصات بأسفي، جامعة القاضي عياض -مراكش.
- العبدى الكانوى محمد، (2015)، الجواهر الصحفية فى تاريخ الديار الاسفية، دراسة وتحقيق علال الركوك محمد بالوز، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر / مطبع الرباط نت.
- العبدى الكانوى محمد، (بدون تاريخ)، اسفي وما اليه قدما وحديثا، منشورات جمعية البحث والتوثيق والنشر.
- العبدى الكانوى محمد، (2004)، جواهر الكمال في تراجم الرجال، تحقيق علال الركوك، الرحالي رضوان، محمد السعیدي، تقديم محمد بنشريفة، الجزء الثاني، الطبعة الاولى، منشورات جمعية البحث والنشر والتوثيق.
- الغصيني او عجرم نهي، (2006)، دور الوعي البلدي في التنمية المحلية، مؤتمر العمل البلدي الأول مركز البحوث للمؤتمرات بتاريخ: 26-27 مارس 2006م.
- بن غضبان فؤاد، (2015)، التنمية المحلية: ممارسات وفاعلون، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن.

- بوشرب احمد، (2013)، دكالة والاستعمار البرتغالي الى سنة اخلاء اسفي وازمور (قبل 28 غشت 1481 م – اكتوبر 1541 م)، دار الثقافة للنشر والتوزيع / مطبعة صناعة الكتاب الدار البيضاء، الطبعة الثانية.
- جميلي عبد الغني، (1989)، دراسة جيومرفولوجية لجزء من الهضاب الجنوبية الغربية لمنطقة عبدة، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط.
- حملاوي عبد الحق، (2013)، الأليات السياسية لتحقيق التنمية الاقتصادية في الدول العربية من منظور الحكم الراشد، الجزائر 1999-2007م، مذكرة تخرج ماجستير في العلوم السياسية وال العلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة بسكرة.
- زكي مبارك، الخلوفي الصغير، (1993)، الطهير البريري من خلال مذكرة صالح العبد مع اطلالة على مدينة اسفي من خلال باكورة الزيدة في تاريخ عبدة للفقيه الصبيحي السلاوي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- كورير محمد أمين، الحفيان نورة، (2016-2017م)، الأضرحة بأسفي وتأثيرها على динامية السكانية والاقتصادية محليا، بحث لنيل شهادة الاجازة في الجغرافيا، الكلية متعددة التخصصات بأسفي، جامعة القاضي عياض -مراكش.
- ليفي سيمون، (2000)، الجماعة اليهودية بأسفي، في تاريخ إقليم اسفي، تنسيق الاسعد محمد، منشورات مؤسسة دكالة عبدة للثقافة والتنمية، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب.
- نوابي ياسين، كويحل فاطمة الزهراء، الطامري سميرة، (2016-2017)، آثار المخلفات الصناعية والمبنية على المنظومة البيئية، اسفي نموذجا، بحث لنيل شهادة الاجازة في الجغرافيا، الكلية المتعددة التخصصات بأسفي، جامعة القاضي عياض - مراكش.

باللغة الفرنسية:

- Carabelli R. (2012), L'héritage Portugais au Maroc, un patrimoine d'actualité, laboratoire CITERES, traduit de l'Italien par Mme Marie-Anne Marin.
- EL FASKAOUI B. KAGERMIER A. (2014), Patrimoine et tourisme culturel au Maroc, actes du 9ème colloque Maroco-Aallemand, Meknès.
- Kredya Brahim, (2009), Lumières sur : Rabbi Abraham, chef des sept saints de oulad ben zmirou à Safi, traduit par Ferehat Abdellah, impression safigraphe.
- Neno Leit, A. S. (Octobre 2015), La semi-insularité de Safi, les défis de la patrimonialisation, Doctorante, CES, Université de Coimbra et FLSH, Université Cadi ayyad de Marrakech, e-Phaitos, Vol. N : 2.

موقع على الانترنت:

- Commission de la culture, de l'éducation et de la communication, rapport d'information sur l'état du patrimoine religieux, consulté en ligne le 20-09-2022,
http://www.senat.fr/commission/cult/missions_d_information/mi_sur_letat_du_patrimoine_religieux.html
- Le site officiel de l'UNESCO, Patrimoine d'intérêt religieux, Initiative de l'UNESCO sur le patrimoine d'intérêt religieux, consulté en ligne le 20-10-2022, <https://whc.unesco.org/fr/patrimoine-religieux-sacre/>

أبي الجعد في القرن التاسع عشر من خلال رحلة شارل دوفوكو

Abi Al-Jaad in the Nineteenth Century through the Journey of Charles de Foucault

محمد ناسي، طالب باحث في سلك الدكتوراه، مختبر دينامية المشاهد والتراث، جامعة السلطان مولاي سليمان – بني ملال

nsmimohamed511@gmail.com

محمد الراضي، أستاذ التعليم العالي، مختبر دينامية المشاهد والتراث، جامعة السلطان مولاي سليمان – بني ملال

arradimohamed@gmail.com

الملخص:

يحاول هذا المقال استكشاف وضعية مدينة أبي الجعد قبل أكثر من قرن ونصف، من خلال وصفها، وتحديد موقعها، وعدد سكانها، الدور الذي كانت تلعبه الزاوية الشرقاوية، نشاطها الاقتصادي، وبعض المشاكل التي كانت تواجهها، وذلك بالرجوع إلى أهم مراجع القرن 19م وهو رحلة المستكشف الفرنسي شارل دوفوكو، وهو بذلك جمع بين تخصصين هما الجغرافيا والتاريخ.

الكلمات المفاتيح: أبي الجعد، شارل دوفوكو.

Abstract:

This article attempts to explore the status of the city of Abi Al-Jaad more than a century and a half ago, by describing it, determining its location, its population, the role played by the Charkawia Zawiya, its economic activity, and some of the problems it faced, by referring to the most important references of the 19th century AD, which is the Explorer's Journey French Charles de Foucauld, thus combining two disciplines, geography and history.

Keywords : Abi-Al-Jaad- Charles de Foucault

تقديم:

بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م أصبح المغرب محطة أطماع الامبراليات الفرنسية لاستعماره وإلحاقه بإمبراطوريتها الاستعمارية التي كونتها فرنسا خاصة في إفريقيا، حتى يسهل على الآلة العسكرية الفرنسية استعمار المغرب اقتضى الأمر التفكير في طريقة سلسة، تستطيع فيه هذه الآلة التغلغل في المغرب وبنية مجتمعه دون إحداث أي شرخ فيه قد يسبب في أي ردود فعل قوية، مستفيدة في ذلك من الدرس الجزائري. وقد دفعت هذه الضرورات بالاستعمار الفرنسي، إلى الاستعانة بمؤسسات علمية يسهر علماء من تخصصات مختلفة كالجغرافيا والتاريخ وعلم الاجتماع...، التي ستمدها بالأسس الأولى لإنتاج معرفة أولية عن المجال والمجتمع المغاربيان، من خلال تجنيد عدد كبير من المبشرين الدينيين والرجال. وقد تلخصت مهام هؤلاء المجندين في تقديم تقارير وصفية مفصلة عن حياة المغاربة ترصد طرق عيشهم ونظراتهم المختلفة للحياة، عبر التقاط سريع للمعلومات. وفي هذا السياق الممهد للتغلغل الاستعماري الفرنسي تأتي رحلة شارل دو فوكو ما بين 1883-1884، التي كان من أهم أهدافها تقديم معلومات استخباراتية، وجغرافية، وإحصائية...، تتوجه الموضوعية والدقة عن المغرب. وهذا المقال يأتي لاكتشاف أحوال مدينة أبي الجعد في القرن التاسع عشر من خلال هذه الرحلة.

1- شارل دو فوكو ورحلة التعرف على المغرب

1-1- نبذة عن حياة شارل دو فوكو

ولد شارل دو فوكو Charles de Foucauld سنة 1858 م، في مدينة سترايسبورغ الفرنسية، من عائلة أرستقراطية ثرية تشتهر بعلاقتها العسكرية 146 ، عاش يتيمًا منذ أن بلغ عمره ست سنوات تلمنذ على يد جده من أمه الكولونيال دمورلي، وكان يعيش في ظروف متميزة بالحرية، تلقى تربية دينية لكنه في سنة 1974 سيعرف العديد من التحولات الفكرية التي ستغير من حياته شارل دو فوكو مع الجيش الفرنسي وهو ضابط في سن الثالثة والعشرين من عمره في إخماد الثورات المسلحة ضد بعثامة في الجزائر سنة 1881، لكنه فيما بعد رفض المشاركة في الجندي خاصة بعد اكتشافه للخرق التي كان الجيش الفرنسي يرتكبها ضد الجزائريين لذلك قرر ترك الجيش نهائيا.

بعد إنتهاء الخدمة العسكرية استقر شارل دو فوكو بمدينة الجزائر، وهناك قضى خمسة عشر شهراً من العمل المتواصل.

وقد تعرف على أوسكار ماك كاري، محافظ خزانة الجزائر العاصمة، ورئيس "الجمعية الجغرافية الجزائرية". وكان لهذه

العلاقة تأثير حاسم على مسار فوكو، حيث نشأت فكرة الرحلة إلى المغرب، وتبيني فوكو فكرة التنكر واستعارة الهوية

اليهودية، وقدم له ماك كاري الحاخام مردوخي أبي سرور. ولم يكن هذا التنكر يعني الاندماج في الأوساط اليهودية بالغرب،

أو حتى التعاطف مع ساكنة الملاحمات، بل تدل بعض المؤشرات على تحفظ الرحلة الفرنسي وتبنيه لعدد من الأحكام السلبية

إزاء هذه الجاليات. بيد أن الهوية المستعارة كانت عنصراً أمنياً وعملياً بالأساس، إذ بفضلها تمكّن فوكو من الاستغلال

وتسجيل ملاحظاته الجغرافية الدقيقة بعيداً عن الأنظار المتشكّكة، ومن أجل نفس الهدف، تعلم فوكو اللغة العربية،

وقدراً من الأمازيغية، ونزل راسيراً من العبرية.¹⁴⁷

في مساء الأول من دجنبر 1916 اقتحمت عصابة قبيلة بني العباس في صحراء الجزائر - التي استقر فيها شارل دو فوكو من

أجل أعماله التبشيرية - فأمسكوا به وأخذوه ثم تركوه تحت حراسة صبي في الخامسة عشر من عمره، لكن الوصول المفاجي

لرجلين من سعاة البريد، خلق جواً من الارتباك والخوف فقد على إثره الصبي رشده فأطلق النار على سجينه - شارل دو

فوكو - فقتله في الحال.¹⁴⁸

2-1- كتاب التعرف على المغرب

يعتبر كتاب التعرف على المغرب Reconnaissance au Maroc 1884-1883، الكتاب الذي ضم رحلة شارل دو فوكو

الاستكشافية إلى المغرب، والتي انطلقت من طنجة يوم 02 يونيو 1883 إلى وجدة نحو الجزائر يوم 23 ماي 1884، وقد

استعان بأدوات بسيطة في جمع مادته الميدانية حاملاً معه دفتراً صغيراً من حجم 5×5 سنتيمتر وقلم رصاص قصيراً يسجل

به رؤوس المسائل والأ أيام والمراحل التي قطعها، وألة علمية للاشتغال في الميدان. إنه موضوعي ودقيق في ملاحظاته

الجغرافية¹⁴⁹، والكتاب مقسم إلى جزأين:

147 - http://histoircv.blogspot.com/2014/09/blog-post_79.html

148 - موقع إرسالية مار نرساي الكلدانية الكاثوليكية، www.marnarsay.com

149 - شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة مختار بلعربي، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1999. (تقديم الأستاذ محمد حجي).

- كتاب الرحلة: كتاب من الحجم المتوسط يضم 258 صفحة، يصف فيه شارل دو فوكو المناطق التي زارها في المغرب دون إغفال تاريخ وتوقيت الأحداث التي وصفها، كما دعم وصفه بمجموعة من الرسوم التوضيحية للمناظر الطبيعية والمداشر والقرى والقصبات... التي زارها خلال رحلته، إضافة إلى رسومات عن اللباس والأسلحة لبعض المناطق الغربية. وتعتبر هذه الرحلة بمثابة دراسة اثنogeografية وجغرافية وإحصائية... جمع فيها مادة ميدانية عن المناطق التي زارها في المغرب. وقد قسم كتابه إلى 10 فصول توازي المسارات الكبرى لرحلته.

- أطلس الرحلة: لما كانت رحلة شارل دو فوكو رحلة استكشافية للمغرب وتمهيداً للاحتلال العسكري الفرنسي، فقد ركز في رحلته إضافة إلى جمع المادة الجغرافية والاثنوجرافية والاحصائية التي ضمنها في كتابه إلى وضع أطلس ضم فيه 20 خريطة للمناطق التي زارها، وهي خرائط: (1- طنجة، 2- واد سبو، 3- مكناس، 4- تازة، 5- بوالجعد، 6- واد عبيد، 7- تizi-ن-الاڭلاوي (الأطلس الكبير)، 8- مزكّيطة (واد درعة)، 9- تسينت، 10- طاطا، 11- تيزى إبركان، 12- أڭادير إغير، 13- موڭادور، 14- رأس الواد (واد سوس)، 15- دادس، 16- تدغة، 17- تيزى ن تالفت، 18- واد ملوية، 19- دبدو، 20- وجدة).

1-3- قراءة في أهداف ومسار الرحلة

إن ما يميز الرحلة التي قام بها شارل دو فوكو ما بين 1883-1884 إلى المغرب أنها أطرت بالعديد من الأهداف التي حاول من خلالها جمع معلومات متنوعة ومتعددة الميادين، لا لسبب آخر وهو استغلالها من قبل فرنسا لاستعمار المغرب، ومن خلال قراءة متأنية لهذه الرحلة يمكن استخلاص مجموعة من الأهداف التي كانت وراء مجيء شارل دو فوكو إلى المغرب، وهي:

عدم الوقوف على استكشاف المدن الكبرى الغربية التي كانت معروفة لدى الأوروبيين بفعل تجارتهم وعلاقتهم الدبلوماسية معه، بل هو جاء للمغرب لاستكشاف المناطق المجهولة في المغرب أو ما كان يعرف بمغرب السيبة المغرب الذي كان عصياً على اكتشافه حتى على المخزن نفسه، وهو أول شيء سيفتح شارل دو فوكو تقرير رحلته عند نزوله مدينة طنجة هو الافتتاح على نيته وأهدافه من رحلته إلى المغرب مغرب آخر القرن 19م وهو ما أكد أيضاً عند زيارته لمدينة فاس. إذن فمما سبق فالهدف الأول من زيارة شارل دو فوكو للمغرب هو اكتشاف المناطق المجهولة الغير معروفة لدى الأوروبيين في المغرب، حيث حاول اكتشاف المناطق المجهولة، والقيام بمسح جغرافي شامل لهذه المناطق، وذلك من خلال التركيز في تقريره على الوصف الجغرافي الدقيق والموضوعي للمناظر وال المجالات الغربية التي زارها من حيث أشكالها التضاريسية وتكوينها الجيولوجي، والطبوغرافية والمناخ والهيدرولوجيا والتشكيلات النباتية....، مدعماً وصفه بالقياسات والرسوم التوضيحية والخرائط،

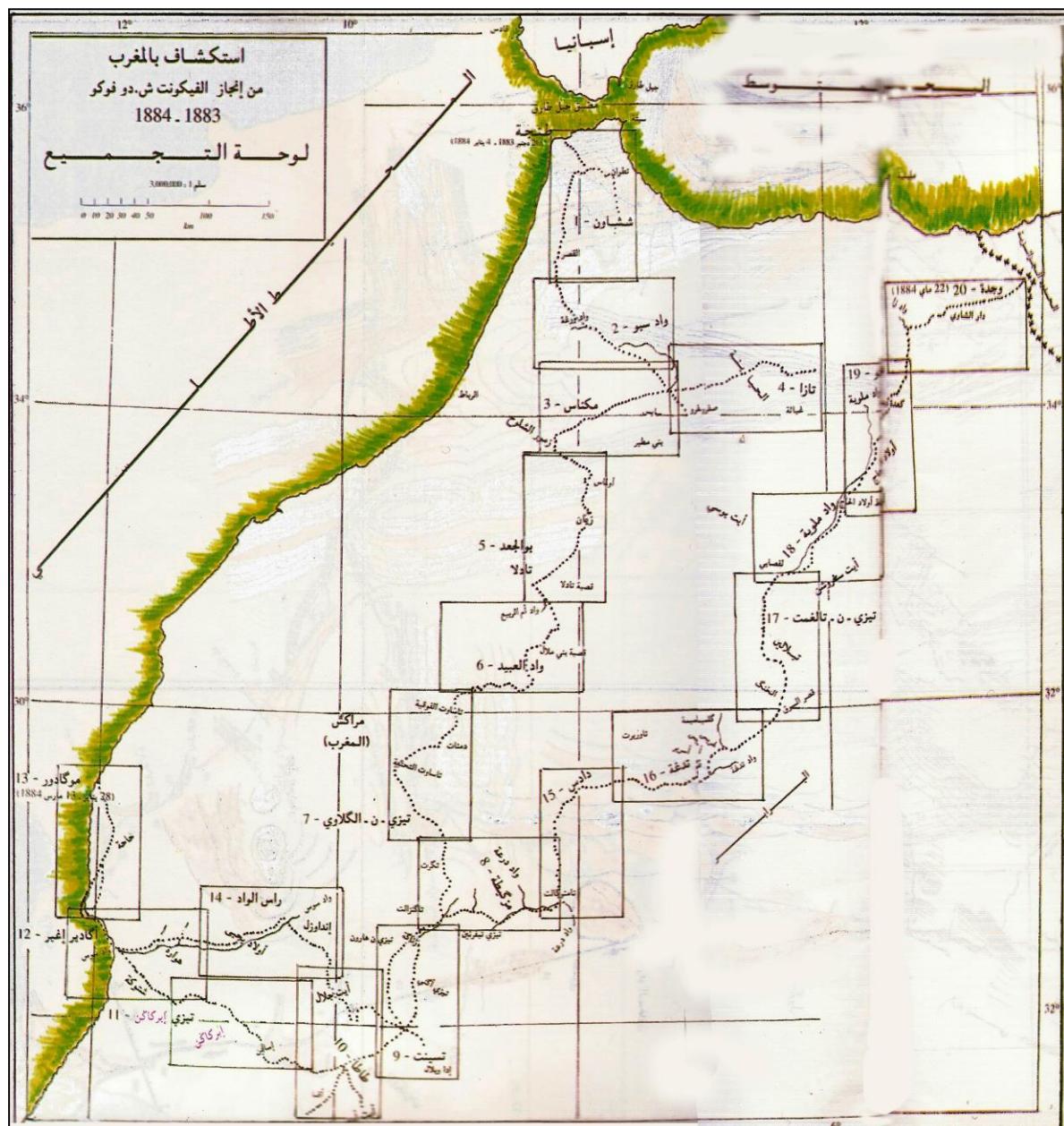
وكاننا لسنا أمام اثنوجرافي جاء لاكتشاف الجوانب الثقافية لمجتمعات المغرب المجهول بل أمام طائرة استطلاع تجسسية جاءت لتجسس فوق الأراضي المغربية.

وقد مكن عيش شارل دو فوكو في المجتمع المغربي لحوالي سنة من جمع مادة اثنوجرافية عنه مكتنه من التعرف عن أسرار البنيات الاجتماعية للمناطق التي اكتشفها من المغرب خاصة أنه من خلالها العديد من الأحداث التي تعرف من خلالها على ثقافة المجتمع المغربي وأهم عاداته ومعتقداته وتقاليد وسلوكياته ولهاجاته...، هنا بالإضافة إلى اكتشافه للقبائل وامتداداتها وتقسيماتها..، كذلك خصائص النظام الاجتماعي للبرير. كل هذه المعطيات وان كانت ذات صبغة استعمارية وإيديولوجية استكشافية إلا أنها في الحقيقة تكشف لنا بعض المعطيات المهمة حول خصائص مغرب ما قبل الحماية. عمل شارل دو فوكو في رحلته على وصف وتحليل النظام السياسي السائد في المغرب في فترة نهاية حكم السلطان الحسن الأول، وعلاقة القبائل بالنظام المخزني في إطار "بلاد المخزن" كنقطة واقعة ضمن دائرة النفوذ السياسي للمخزن و"بلاد السيبة" حيث لا سلطة إدارية للمخزن بل اعتراف بالبعد الديني للسلطان فقط. كما وصف الظروف السياسية التي تعيسها العديد من القبائل خلال هذه الفترة رصدتها شارل دو فوكو من أجل تسهيل عملية تغلغل الجهاز الاستعماري الفرنسي إلى المغرب.

كما كان لا يتوان عن تشجيع الفرنسيين لدخول المغرب واستعماره، وهو ما عبر عنه صراحة عند دخوله مدينة تازة بقوله: "لا يحلم سكان المدينة إلا بشيء واحد؛ ألا وهو قدمو الفرنسيين، كم من مرة سمعت المسلمين يقولون بأعلى أصواتهم: متى سيأتي الفرنسيون؟ متى سيخلصوننا أخيراً من أهل غياثة؟ متى سنعيش في أمان كما هو حال سكان تلمسان¹⁵⁰" أما بالنسبة لمسار الرحلة فقد اختار شارل دو فوكو لرحلته مسارات خاصة ومحدداً ومؤطراً بأهداف لرحلته إلى المغرب، حيث كان يريد اكتشاف المغرب الذي لم يكتشف كثيراً من قبل الأوروبيين مغرب السيبة، ونظراً لضيق الوقت المبرمج للرحلة الذي لا يتعدى حوالي سنة فقد استغل شارل دو فوكو هذا الوقت أقصى استغلال حيث بدأ رحلته من الشمال الغربي للمغرب إلى حدود منطقة طاطا ليعرج راجعاً إلى الجزائر سالكاً شرق المغرب منها رحلته في مدينة وجدة.

.150 - المرجع نفسه، ص 45

خريطة: مسار رحلة شارل دوفوكو في المغرب ما بين 1883-1884.



المصدر: شارل دوفوكو أطلس التعرف على المغرب، مرجع سابق، ص 6، 7.

2- مدينة أبي الجعد من خلال رحلة شارل دوفوكو

دخل شارل دو فوكو مدينة أبي الجعد يوم 6 شتنبر من سنة 1883 على الساعة الواحدة و30 دقيقة قادماً إليها من مدينة مكتناس التي غادرها يوم 27 غشت 1883، وهكذا فقد استغرق السفر حوالي عشرة أيام ليصل إليها، والتي خصص لها فصلاً كاملاً حاول فيه وصف أهم ما جاءت عليه عيناه في المدينة خلال هذه الفترة.

- موقع مدينة أبي الجعد وإحصاء ساكنتها:

حدد شارل دو فوكو موضع مدينة أبي الجعد "وسط تموجات سهل شاسع صخري وأبيض"¹⁵¹، ونظراً لتحوله هذا الموضع فقد وصفه بأنه موضع حزين، وأهله بذلك لا تستحق "اسم مدينة لولا أهميتها كمركز ديني ولو لا الميزة التي تصبغها عليها مساجدها وقبابها الكبيرة ومنازل الصالحاء الغنية"¹⁵². أما بالنسبة لعدد سكان المدينة فقد قدره شارل دو فوكو خلال فترة زيارته لها بحوالي 1700 نسمة منها 200 يهودي، وربما يفسر قلة ساكنة مدينة أبي الجعد خلال هذه الفترة لصعوبة ظروفها الطبيعية والمعيشية.

- وصف مدينة أبي الجعد وضواحيها:

بعد مقارنة بين عدد سكان مدينة أبي الجعد ومجالها الحضري سيخلص شارل دو فوكو إلى أن "المدينة أشد اتساعاً من عدد سكانها" وذلك بسبب تفرق المنازل. كما كانت المدينة غير مسورة بسور كما هو شأن أغلب المدن الغربية القديمة آنذاك. كما ذكر وجود مسجدان كبيران وبجوارهما أضرحة لأجداد سيدي بن داود. أما بالنسبة للمنازل فكانت أكثرها فخامة في البناء منازل الأغنياء الذين ينتمون لعائلة وأقرباء سيدي بن داود وهي قليلة والتي شبهها بمنازل مدينة فاس، أما أغلب منازل المدينة وهي للطبقة الفقيرة فكانت ذات بناء بسيط. أما التوزيع الجغرافي لهذه المنازل في المدينة فكان "يسكن الجزء الغربي من المدينة أفراد العائلة المباشرة للسيد ولهمذا يحمل هذا الحي اسم الزاوية. ويسكن الأهل الأقل قرابة من الشرفاء الأحياء الأخرى [أما] اليهود مقصيون في الشمال الشرقي من المدينة".¹⁵³

- الحركة التجارية بمدينة أبي الجعد في القرن التاسع عشر:

يبدو أن مدينة أبي الجعد كانت تعاني من ضعف الرواج التجاري في القرن التاسع عشر حيث أشار شارل دو فوكو إلى "عدم وجود لحي تجاري خاص بهذه المعاملات". وإنما كان يقام سوق أسبوعي يعقد كل يوم خميس، كانت يتتردد عليه

¹⁵¹ - المرجع نفسه، ص 73.

¹⁵² - المرجع نفسه، ص 73.

¹⁵³ - المرجع نفسه، ص 74.

بالإضافة إلى ساكنة المدينة جميع سكان الضواحي. أما في باقي أيام الأسبوع فكان يستغل موقعه من طرف بعض التجار البسطاء والحرفيين التقليديين لعرض بضائعهم.

أما بالنسبة للسلع التي فإلى جانب المنتوجات المحلية كانت تروج في أبي الجعد بعض المنتوجات الأوربية التي تأتي من مرسي الدار البيضاء كـ «المنسوجات القطنية، والشاي، والأرز والبقالة والعطور والملابس الرفيعة»¹⁵⁴، هذه المنتوجات الأوربية الثمينة نظراً لارتفاع ثمنها لم تكن إلا في متناول شرفاء الزاوية الشرقاوية لغناهم.

- مشكل ندرة الماء في مدينة أبي الجعد في القرن التاسع عشر:

سينقل شارل دو فوكو في رحلته إشارات مهمة عن مشكل الماء الذي كانت تعاني منه مدينة أبي الجعد في القرن التاسع عشر، ففي وصف موضع المدينة، سيتحدث عن قلة الماء والذي أدى إلى ضعف المساحات الخضراء والذي عبر عنه بقوله: "ماء قليل"¹⁵⁵، ومن الأسباب التي أرجعها شارل دو فوكو لقلة الماء هو "رغم مرور جدول ماء بها إذ هذا الماء غير شروب ولا يصلح إلا لإرواء البهائم وسقي البساتين"¹⁵⁶. إضافة إلى قلة الآبار التي تزود المدينة بالمياه "الجزء الأكبر من المدينة لا يمون إلا عن طريق مجموعة 6 أو 7 آبار موجودة على بعد كيلومتر واحد في اتجاه الغرب، لا تسمح كمية قليلة من الماء مثل هذه بوجود كثير من الحدائق"¹⁵⁷. وللتخفيف من مشكل قلة الماء حاول السكان بناء صهاريج لتخزين المياه.

- في وصف لباس سكان مدينة أبي الجعد:

لم يتطرق شارل دو فوكو بتفصيل في وصفه للباس سكان أبي الجعد، وإنما كان باقتضاب شديد حيث قال في ذلك "زي الحضريين ببعضه نفس الذي يفاصي وزي ريفي المنطقة سبق وصفه عند الحديث عن بني زمور"¹⁵⁸، لكن مع ملاحظة هو حمل الساكنة للسلاح الشخصي الذي كان عبارة عن حرية تحمل على الأكتاف.

- السفر من وإلى مدينة أبي الجعد:

كانت الزاوية الشرقاوية بزعامة سيدى بن داود توفر الحماية عبر زطاطتها للمسافرين العابرين للسبيل، لذلك فقد كان هناك اشتغال دائم على حماية عابر السبيل أو الغريب وفقاً لما تؤسسه الثقافة الدينية من ضرورات إكرام الضيف و

¹⁵⁴ - المرجع نفسه، ص 75.

¹⁵⁵ - المرجع نفسه، ص 73.

¹⁵⁶ - المرجع نفسه، ص 75.

¹⁵⁷ - المرجع نفسه، ص 75.

¹⁵⁸ - المرجع نفسه، ص 75.

تحتكر و حماية المسافرين.¹⁶¹ كل البعد عن أسلوب الجشع، فهم يستفيدون من هذا الاحتكار بكثير من الاعتدال، و يأسفون للأحوال التي تجعلهم المسافرين العابرين لمجال نفوذهم، وهو ما وصفه شارل دو فوكو عندما قال: "إن صلحاء الزاوية يتصرفون بطريقة بعيدة تحت هذه الحماية و بعدها سأتجوه إلى قصبة بنى ملال."¹⁶⁰ و كان يتميز زطاطة الزوايا بأنهم كانوا الأقل ضررا في ابتزاز مغادرة بجعد من توفير خفر أحد أحفاد سيدى بن داود خلال طول المدة التي سأقيم فيها بتادلة، سأذهب أولا إلى تادلة حمايته و إماتة الأذى عن الطريق.¹⁵⁹ يقول شارل دو فوكو عند خفره من قبل زطاطة ينتمون لهذه الزواية: "تأكدت؛ قبل

سیدی بن داود ولی مدینة أبي الجعد

حدد شارل دو فوكو عمر سيدى بن داود بحوالي 90 عاماً¹⁶²، أما في وصفه فقال عنه "رغم تقدم سنه فإنه يتمتع بكل قواه. إنه مسن جميل؛ ذو وجه شاحب ولحية طويلة بيضاء وللامحه تعبر ليونة وطيبة نادرتين. يتحرك بصعوبة لكنه يتجلو كل يوم راكبا بغلته"¹⁶³، كما ذكر المكانة الروحية والسياسية التي كان يتمتع بها سيدى بن داود لدى الناس، "سيدى بن داود الحاكم الوحيد والسيد المطلق في المدينة"¹⁶⁴، وقد كان الناس يجلسون منتظرين "خروجه ليقبلوا ركب هيمته أو أهداب حائكه. إنه ليس موقرا من طرف مريديه فقط ولكنه أيضا يتمتع بحب عميق من طرفهم، يمجد الكل عدله

¹⁶⁵ طیبوبتہ و احسانہ"

البحث في سلالة سيدى بن داود

سيتسأل شارل دو فوكو عن أصل سيدي بن داود، بعدها سيعجب عن هذا التساؤل بكون سيدي بن داود ليس رئيس تنظيم ديني، وليس كذلك من آل البيت، وإنما حظوظه قد استمدتها من نسب أجداده الشريف، هذا النسب الذي يتصل

159 - عبد الرحيم العطري، الرحامة القبلة بين المخزن والزاوية، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، ط 4، الرباط 2013. ص 98.
160 - المرجع نفسه، ص 76.

¹⁶¹ - عبد الأحد السيتي، بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في المغرب ما قبل الاستعمار، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٦، 1968، ص 260.

ویک سے 1883ء۔¹⁶³
 . شارل دو فوکو، مرجع سابق، ص 72۔¹⁶⁴

164 - المرجع نفسه، ص 70.
165 - المرجع نفسه، ص 72.

¹⁶⁵ - المرجع نفسه، ص 72.

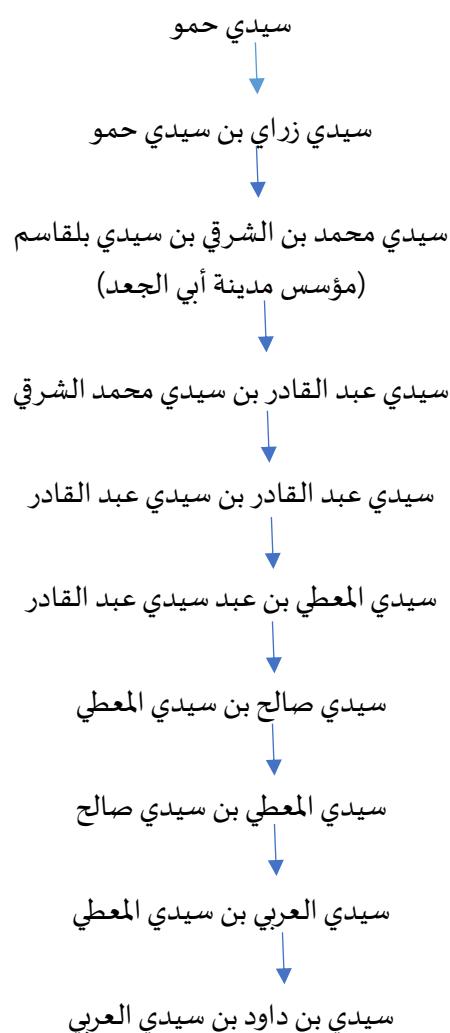
بالصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما نال هذه الحظوة والوقار بسبب كراماته وبركته فبدعواته للناس

"تخصب الأرض وتجعل المهاجم تتكاثر وتفتح للناس في الحياة الأخرى أبواب الجنة وتتضمن لهم يوم الحساب الأخير"¹⁶⁶. ثم

سيعرض شارل دو فوكو شجرة نسب سيدى بن داود منذ استقرار عائلته قبل 3 قرون بالغرب مبتدأً بجده الأول القادم

من الشرق "سيدى حمو"، إلى سيدى بن داود.

شجرة نسب سيدى بن داود حسب شارل دو فوكو



بتصرف، من كتاب التعرف على المغرب 1883-1884

بعد تحديد أسلاف سيدى بن داود سيتحدث شارل دو فوكو عن ذريته، حيث ذكر أن عائلته كثيرة العدد، منها 30 ولدا من

زوجاته، وهو ما دفعه للتساؤل عن مسألة خلافة سيدى بن داود، وهو السؤال الذي لم يجب عنه، بقوله: "لا شيء يمكن

¹⁶⁶ .71 - المرجع نفسه، ص

مسبقاً من التنبؤ بمن سيستحق هذا الاختيار إذ ليس نظام الذكورة محترماً أبداً فيما يرجع إلى خلافة المتوفى: فسيدي بن

داود كان أصغر أبناء سيدي العربي¹⁶⁷.

- غنى الزاوية الشرقاوية:

بسبب الحظوة والمكانة الروحية التي كانت تتمتع بها الزاوية الشرقاوية بزعامة سيدي بن داود داخل مدينة أبي الجعد وخارجها عند الناس، فقد كانت "تسجل كل سنة توافد هدايا عظيمة عليها نقداً أو عيناً. هذه الهدايا اتاوات كانت تقدمها المناطق المجاورة أو هبات من طرف زوار فرادى قادمين من مناطق بعيدة أو هدايا أرسلها من فاس ومراكش أعيان المملكة. لسيدي بن داود ثروة كبيرة. ويستفيد باقي أفراد عائلته من تبرعات مريدي الزاوية¹⁶⁸، كما كان الزوار لا ينقطعون على الزيارات اليومية حاملين معهم الهدايا للزاوية، "خصوصاً يوم الخميس، وهو يوم السوق الأسبوعي، في الأسبوع الماضي بلغت الهدايا من القمح وحده حمولة 200 بعير، وكانت في الأسبوع الماضي 400 حمولة بعير، إضافة إلى هذا كانت هناك هدايا من المال والأنعام والخيول"¹⁶⁹، كما كانت الزاوية الشرقاوية تتلقى سنوياً هدايا ثمينة من السلطان مولاي الحسن الأول.

خاتمة:

تعطي رحلة شارل دو فوكو صورة واضحة عن مدينة أبي الجعد خلال القرن التاسع عشر خلال فترة حكم السلطان مولاي الحسن الأول، حيث حاول في حديثه عنها أن يصف أهم ما ميزها خلال هذه الفترة، على عدة مستويات اقتصادياً، وجغرافياً، واجتماعياً، وثقافياً..، ولهذا تبقى هذه الرحلة التي تحمل عنوان التعرف على المغرب من أهم المراجع لمن يريد دراسة مدينة أبي الجعد خلال مرحلة ما قبل فرض الحماية على المغرب.

الببليوغرافيا:

¹⁶⁷ - شارل دو فوكو، مرجع سابق، ص 73.

¹⁶⁸ - المرجع نفسه، ص 73.

¹⁶⁹ - المرجع نفسه، ص 71.

شارل دو فوكو، التعرف على المغرب 1883-1884، ترجمة مختار بلعربي، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1999.

عبد الأحد السبتي، بين الزطاط وقاطع الطريق: أمن الطرق في المغرب ما قبل الاستعمار، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1968.

عبد الرحيم العطري، الرحامة القبيلة بين المخزن والزاوية، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، ط 4، الرباط 2013.

موقع إرسالية مار نرساي الكلدانية الكاثوليكية، www.marnarsay.com

الفلاحة الجبلية: استراتيجيات الهيئة والتنمية الترابية

حالة جهة بني ملال خنيفرة بالمغرب

Mountain agriculture : Strategies for preparation and territorial development

The case of the Beni Mellal Khenifra in Morocco

يونس سيف النصر، جامعة الحسن الأول بسطات، المغرب.

الملخص:

تظل إشكالية توفير إطار ملائم للعيش والاستقرار بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة رهينة بقدرة مختلف الفاعلين على توحيد الجهود، وتضارفها والقضاء على كل المصالح الشخصية والحزبية، لصالح مصلحة الساكنة المحلية. من أجل وضع أرضية ومناخ مناسب يشجع على بلورة مشاريع اقتصادية، تنطلق من إعداد وتحمين كل المقومات الجبلية خصوصا المؤهلات الفلاحية؛ وجعلها مركزات لتطوير التنمية الاقتصادية، ليصبح أكثر تنافسية وقدرة على خلق تنمية ترابية منشودة.

الكلمات المفاتيح: المناطق الجبلية-التنمية الترابية-الفاعلين التربين-الاقتصاد الجبلي

Abstract :

The issue of providing a suitable framework for living and stability in the mountainous areas of the Beni Mellal Khenifra region on the various actors to unite and combine efforts and eliminate all personal and partisan interests, in favor of the interest of the local population. In order to lay a suitable ground and climate that encourages the development of economic projects, based on the preparation and valorization of all mountain assets, especially agricultural qualifications, and making them foundation for the development of territorial development, to become more competitive and capable of creating the desired territorial development.

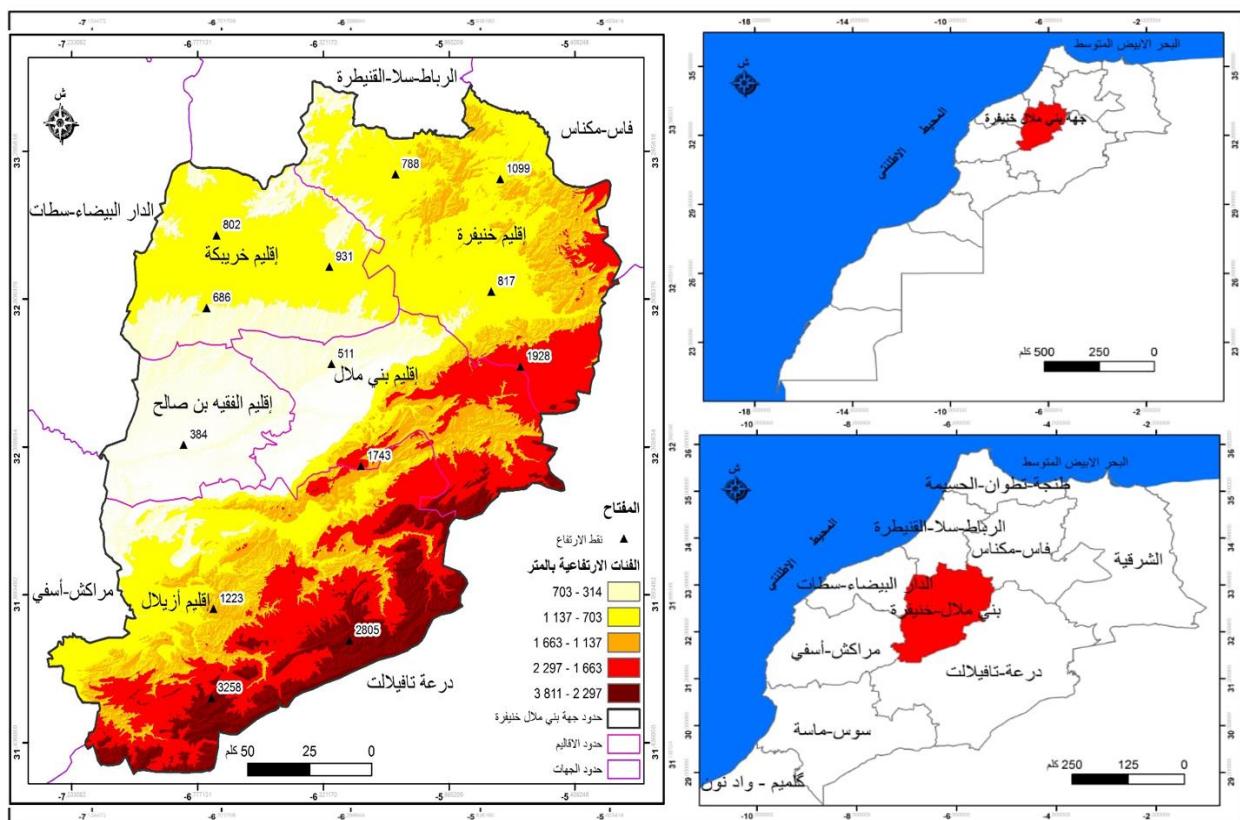
Keywords : mountain area-territorial development-territorial actors-mountain economy

تعد الموارد الترابية أساس التطور الاقتصادي لتنمية المجتمع الجبلي، ولن يتأت ذلك إلا عبر تثمينها وإعدادها بشكل جيد مما يجعلها قابلة للتعبئة، بغية توظيفها في خلق تنمية ترابية محلية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة.

تتوفر المناطق الجبلية على عدة موارد ترابية، لم تستغل بالشكل الناجع في عملية التنمية الاقتصادية. في ظل برامج واستراتيجيات قطاعية، كرست الاستغلال الأحادي والنظرية الواحدة. فغنى التراب الجبلي، لم ينعكس على قوة وغنى وتنوع الاقتصاد الجبلي؛ والذي جعل الساكنة المحلية تعاني، في ظل ضعف وحدودية الدخل الفردي وقلة فرص الشغل.

1. الموقع الجغرافي المدروس:

خرائط رقم 1: الارتفاعات والتقطيع الإداري بجهة بني ملال خنيفرة



المصدر: خريطة الارتفاعات الرقمية بتصرف

تعتبر جهة بني ملال خنيفرة أحد الجهات الائبي عشر التي تشكلت بفعل التقسيم الجهوي سنة 2015، في إطار الجهوية المتقدمة التي تبناها دستور 2011، من أجل بلورة تقسيم ترابي يستجيب ل حاجيات النموذج التنموي الجديد بالمغرب.

تحتل جهة بني ملال خنيفرة مكانة متميزة اعتبراً لموقعها الحيوى الذي لعب أدواراً تاريخية وثقافية مهمة، حيث توجد بالقرب من أهم الجهات الاستراتيجية بالمغرب خصوصاً جهة الدار البيضاء سطات و جهة الرباط سلا القنيطرة وجهة مراكش آسفي؛ وتتمتع الجهة بمقومات طبيعية وبشرية غنية. وتشكل فيها الجبال أكثر من نصف مساحتها، خصوصاً في إقليم أزيلال وبني ملال وخنيفرة؛ الأمر الذي يطرح تحديات متعددة على مستوى التدبير الترابي الناجع، والآليات الكفيلة بخلق تنمية متوازنة ومندمجة.

2. الفلاحة الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة في ضوء البرامج، المخططات والسياسات التنموية

شكلت التنمية الفلاحية أبرز اهتمامات المغرب بعد الاستقلال، حيث أعطت الأولوية للسياسة الهيدروفلاحية¹⁷⁰. وتم وضع مجموعة من الاستراتيجيات والمخططات التنموية، هدفها الأساس النهوض بوضعية الفلاحة، عبر الزيادة في المساحات المسقية؛ من أجل الرفع من الإنتاجية وتلبية الحاجيات الغذائية المتزايدة، وتطوير والرفع من عائدات الاقتصاد الفلاحي.

غير أن هذه الاستراتيجيات والبرامج والسياسات، تمحورت أساسا حول تطوير الفلاحة بال المجالات السهلية، من خلال دعم الزراعة المسقية، وتحديث تقنيات ووسائل الاستغلال. في المقابل لم تحظ المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة بالاهتمام نفسه، مما جعل من الفلاحة الجبلية ضعيفة الإنتاج، وظللت تعتمد على الوسائل التقليدية في إطار الإعداد التقليدي.

بعد عقود من التهميش الذي طال المجالات البورية، تم في سنة 1995 إصدار قانون رقم 94-33 الذي يتعلّق بدوائر الاستثمار في الأراضي الفلاحية غير المسقية، ليشكّل بداية الاهتمام بالمناطق البورية. عبر تمكينها من الوسائل الكفيلة بتحسين ظروف عيش السكان ومحاربة الفقر، بالرفع من الإنتاجية الفلاحية وتحسين المداخل¹⁷¹. في هذا الوضع لم تستفد المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، من استراتيجية واضحة تجعل من الفلاحة قاطرة تنمية.

3. غياب سياسة فلاحية جبلية بالمخططات التنموية المعتمدة بعد الاستقلال

اتجه المغرب في إطار اختياره الكبّرى صوب عصرنة الفلاحة، بإحداث السقي الكبير والفلحة التصديرية، وتوفير الأمن الغذائي وبلورة مشاريع كبرى للتنمية الفلاحية، وهي اختيارات وجدت أرضيتها الخصبة خارج المناطق الجبلية.

دفعت الظروف الصعبة التي واجهها المغرب في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن الماضي، إلى اتباع سياسة التكشف وتخلّي الدولة عن مجموعة من أدوارها التنموية، من بينها التأثير الاجتماعي، الصحي والتجميّز، خاصة في المناطق الجبلية التي تحتاج إلى تأزّر وطبيّ كبير¹⁷².

رغم ذلك، ظل المغرب يعاني من المشاكل المتفاقمة في الميدان الفلاحي، ولعل الاختلالات التي يعيشها منذ سنوات ناتجة عن غياب مراجعة شاملة للميادين الفلاحية، وتحطيم عقلاني لتنمية الفلاحة التي تبين بالملموس هشاشة البنية الزراعية القائمة¹⁷³. تزداد الهشاشة بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة كمجالات جغرافية، لم تحظ بسياسة فلاحية خاصة بها، تعتمد على مؤهلاتها ومقوماتها الفلاحية. بل خضعت لمنطق التخطيط المركزي، في ظل اعتماد برامج ومشاريع ذات صبغة عمومية، والتي أعطت أهمية للمجالات القروية أكثر من المجالات الجبلية. جعل هذا التوجه من الفلاحة الجبلية ضعيفة، الشيء الذي عمق من حدة الهشاشة الاقتصادية والاجتماعية بالجبال بجهة بني ملال خنيفرة.

¹⁷⁰ تيسى محمد/السعدي جميلة.. 2015، صيورة التنمية بجال الريف من التدخل القطاعي إلى المشروع الترابي، دراسة حالة إقليم شفشاون (الريف الغربي)، ورد في المشروع الترابي أداة استراتيجية لتنمية المحلية حالة جماعة إغزان الجبلية، تنسيق محمد البقصي ومحمد الزرهوني، أشغال الدورة الخامسة لمنتدى التنمية والثقافة لاغزان، الطبعة الأولى، فاس، ص 171.

¹⁷¹ البيلوش محمد.. 2012، التنمية القروية في سياسة إعداد التراب بال المغرب، التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمتطلبات، تنسيق البقصي محمد والزرهوني محمد، أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة لاغزان، الطبعة الأولى، ص 73.

¹⁷² بوجروف سعيد.. 2007، الجبال المغربية: أي هيئة؟ أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في جغرافية التهيئة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، جامعة القاضي عياض، ص 485

¹⁷³ كرازى موسى.. 2019، دراسة في التهيئة والتنمية القروية بالمغرب، تريفـةـبركان بجهة الشرق نموذجا، الطبعة الأولى، ص 45.

تتمثل التحديات التي تواجه الفلاحة الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة في ضعف الإنتاج، صغر الاستغلاليات والمساحات المحروقة، عدم استعمال التقنيات الحديثة، الاعتماد على التساقطات المطرية، التركيز على زراعة الحبوب، ضعف التسويق، الاستعمال غير الجيد للتمويل عبر القروض، تقليص الموارد البشرية العاملة في الفلاحة وعدم جاذبية الفلاحة بالنسبة لشباب الأرياف كمصدر للشغل والعيش، وتقليل نسبة مساهمة الإنتاج الفلاحي في دخل الفلاح الصغير.

اعتمد المغرب مجموعة من المخططات الخمسية والثلاثية، بهدف تدارك مكامن الخلل والقصور التي خلفها الاستغلال الاستعماري على المغرب، ووضع أساس اقتصادية لبناء المغرب الحديث؛ حيث ركز على القطاع الفلاحي في مجلد مخططاته التنموية، وجعلها ذات صبغة واحدة على مستوى المجال المغربي ككل، ولم يضع تقسيماً فلاحياً حسب خصوصيات المجالات الجغرافية. وتم بذلك الاهتمام بمجالات معينة على حساب المجال الذي لم تظهر أهميتها ضمن هذه المخططات والتوجهات التنموية.

4. مخطط المغرب الأخضر والتحولات التنموية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

جاء مخطط المغرب الأخضر كاستراتيجية تنموية طموحة، الذي يرمي إلى جعل النشاط الفلاحي قاطرة تنموية مهمة من أجل تحقيق التنمية السوسيو اقتصادية، من خلال تقليص نسبة الهشاشة والقضاء على الفقر. عبر اعتماد دعامتين، تتجلى الأولى في دعم الفلاحة العصرية، والثانية في دعم الفلاحة التضامنية.

يتمثل الهدف المرتبط بالفلاحة العصرية في تطوير فلاحة ذات أداء عال تستجيب لقواعد السوق؛ بفضل موجة جديدة من الاستثمارات الخاصة، تنظم حول نماذج جديدة للتجميع المنصف.

أما فيما يخص الفلاحة التضامنية، يتجلى هدفها الأساسي في تطوير مقاربة تنموية موجهة لمحاربة الفقر. وذلك بتحسين وتنويع الدخل لصغار الفلاحين، وتطوير وسائل الإنتاج في الاستغلاليات الصغيرة من خلال منح التسهيلات في التمويل والمساعدة على تثمين وترويج المنتجات الفلاحية¹⁷⁴. وتعتبر الفلاحة التضامنية رافعة تنموية بالمناطق الأكثر هشاشة، خصوصاً في المناطق الجبلية.

5. منجزات المخطط الفلاحي بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

حظيت المناطق الجبلية بعدة إنجازات في إطار الفلاحة التضامنية، حيث ركزت هذه الدعامة على المناطق الهشة، كأحد المجالات الجغرافية التي تتمتع بموارد ومقومات فلاحية تحتاج إلى تثمين وإعداد جيد لمواردها. وتحتاج إلى بلورة استراتيجية فعالة وطموحة، لتحقيق التنمية الترابية المنشودة بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة.

ساهم مخطط المغرب الأخضر في إحداث مجموعة من التحولات بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة، حيث حقق بعض الإنجازات وساهم في ارتفاع الإنتاج بهذه المناطق. كما رفع من حجم الاستثمارات، وساعد بذلك في إحداث فرص للشغل، وفي الرفع من نسب تغطية الحاجيات الغذائية.

تم إطلاق عدة مشاريع بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة (انظر الملحق)، التي تأخذ بعين الاعتبار سلسلة الإنتاج الممكنة بهذه المجالات؛ بهدف توفير دخل قار لصالح الفلاحين الصغار، مع دعمهم ومواكبتهم عن قرب.

حيث تجلت الإنجازات الفلاحية بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة في غرس مساحة مهمة من الأشجار المثمرة، إضافة إلى الإعداد الهيدروفلاحي، وتجهيز وحدات لتنمية المنتوجات الفلاحية.

¹⁷⁴ الكنمور حسن، 2013، قراءة مفاهيمية للاقتصاد الاجتماعي والتضامن والتنمية، ورد في الاقتصاد الاجتماعي سند للتنمية الترابية بالمجال الجبلي، تنسيق محمد البقصي ومحمد الزرهوني، أشغال الدورة الثالثة لمنتدى التنمية والثقافة لإغزان، الطبعة الأولى، ص 20

شهدت المناطق الجبلية نوعاً من التحول يتجلّى في تغيير النمط التقليدي، حيث عمل مخطط المغرب الأخضر، على تكثيف زراعة الأشجار المثمرة وتربية الماشية والنحل، على حساب زراعة الحبوب؛ كما ساهم هذا المخطط في تزايد المساحات المسقية.

مجمل السياسات والبرامج التنموية المعتمدة في المجال الفلاحي بجبل جهـة بـني مـلال خـنـيـفـرة كانت ذات وقـع مـحدودـ، بـحـكم تـشتـتـ الـجهـودـ وـتأـخـرـ تـنـزـيلـهاـ، إـضـافـةـ إـلـىـ عـدـمـ تـبـعـهـذهـ المـشـارـيعـ وـمـواـكـبـهـاـ إـلـىـ حدـ إـنـجـاحـهـاـ.

تظل المساحات الزراعية المستفيدة من هذه البرامج صغيرة وقليلة العدد، لا تستجيب للتنمية الترابية المطلوبة. حيث لازال الطابع العام للفلاحة بالجبال تقليدياً، باعتمادها بشكل كبير على التساقطات المطرية. الشيء الذي أدى إلى ضعف الإنتاجية، وتحصر في كونها فلاحـةـ مـعاـشـيةـ بـامـتـياـزـ، مما ساـهمـ فيـ تـكـرـيـسـ الفـقـرـ وـالـهـشاـشـةـ بـهـذـهـ المـجاـلاتـ الجـغـافـيـةـ.

6. حجم الاستثمارات بالمناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

في إطار مخطط المغرب الأخضر حظيت المناطق الجبلية ببعض الاستثمارات من أجل دعم الفلاحة التضامنية، واستغلال الموارد الترابية التي تزخر بها الجبال. ويوجد اختلاف واضح فيما يخص حجم الاستثمارات بين الأقاليم الجبلية، حيث استفاد إقليم بـني مـلالـ منـ نـسـبـةـ مـهـمـةـ منـ حـجمـ هـذـهـ الـاسـتـثـمـارـاتـ، هـمـتـ مـشـارـيعـ فـلاـحـةـ مـتـنـوـعـةـ. انـعـكـسـ هـذـاـ الـأـمـرـ عـلـىـ اـخـتـلـافـ درـجـةـ وـمـسـتـوـيـ التـحـولـاتـ الـحاـصـلـةـ فـيـ الأـقـالـيمـ الـجـبـلـيـةـ نـفـسـهـاـ، حيث شـهـدـ إـقـلـيمـ بـنيـ مـلالـ بـعـضـ التـحـولـاتـ التـنـمـوـيـةـ مـقـارـنـةـ مـعـ الأـقـالـيمـ الـأـخـرـىـ.

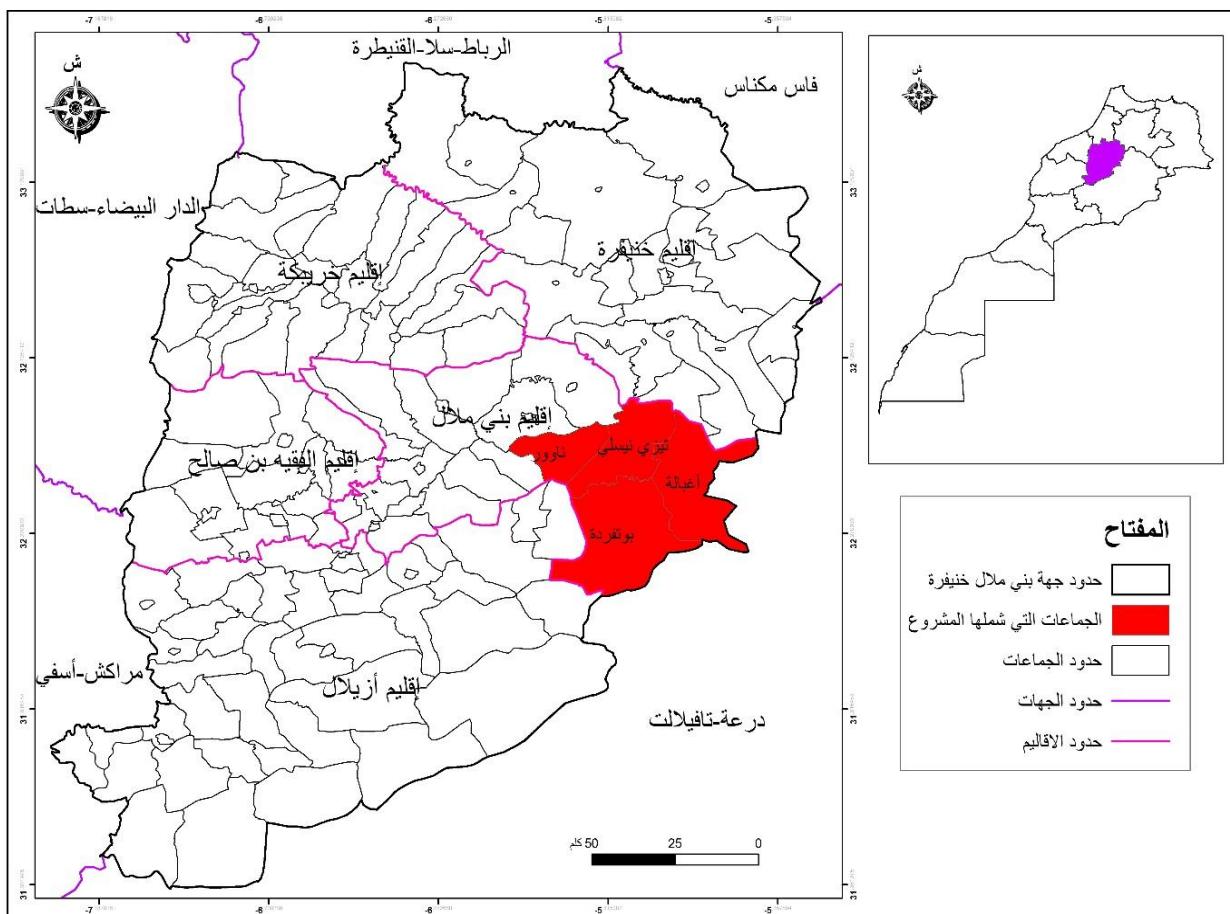
يـوجـدـ ضـعـفـ فيـ حـجمـ الـاسـتـثـمـارـاتـ بـالـمـجاـلاتـ الـجـبـلـيـةـ مـقـارـنـةـ مـعـ الـهـشاـشـةـ التـرـكـيـبـيـةـ الـتـيـ تـعـيـشـهـاـ فـيـ الـمـيـدانـ الـاـقـتـصـاديـ وـالـاجـتـمـاعـيـ، لاـ تـسـمـحـ الـاسـتـثـمـارـاتـ الـتـيـ رـصـدـتـ مـنـذـ سـنـةـ 2008ـ إـلـىـ الـآنـ بـتـحـقـيقـ تـنـمـيـةـ فـلاـحـةـ جـبـلـيـةـ بـشـكـلـ فـعـالـ؛ـ فـيـ ظـلـ تـدـخـلـ تـنـمـويـ ضـعـيفـ الـوـقـعـ وـالـأـثـرـ عـلـىـ الـمـجاـلـ وـالـسـاـكـنـةـ الـجـبـلـيـةـ، خـصـوصـاـ مـعـ قـيـامـ الـمـضـارـيـاتـ وـالـمـزـيـدـاتـ، بـفـعـلـ اـخـتـلـالـاتـ وـاضـحـةـ شـابـتـ مـسـتـوـيـ الـتـدـبـيرـ التـرـابـيـ.

عرفت المناطق الجبلية بعض التحولات نتيجة البرامج والمشاريع التنموية، لكن هذا التحول لا يصل إلى المستوى المطلوب، وإنما يعتبر محاولة تحتاج إلى مزيد من بذل الجهد والتفكير العميق، من أجل وضع استراتيجية واضحة بتمويل كاف. مع توظيف أطر تميز بالكفاءة الازمة، قادرة على فهم المشاكل الحقيقية ووضع سياسات ناجعة، كفيلة بالقضاء على كل أشكال الهشاشة الاجتماعية، الاقتصادية والطبيعية التي تعاني منها هذه المناطق الجبلية.

7. مشروع تطوير سلاسل القيمة الفلاحية في المناطق الجبلية بجهة بني ملال خنيفرة

يهدف هذا البرنامج إلى الحد من الفقر، عبر تحسين الظروف المعيشية للساكنة المحلية بالمناطق الجبلية. من خلال تأهيل سلاسل القيمة الفلاحية عبر التدبير المستدام للموارد الطبيعية وتنوع الاقتصاد المحلي. يمتد هذا المشروع من سنة 2015 إلى حدود سنة 2020، بهدف تطوير وتنمية المنتوجات الفلاحية بإقليم ازيلال، عبر غرس الأشجار المثمرة وبناء وحدات للثمين. بالإضافة إلى دعم البنية التحتية والإعداد الميدرو فلاحي، ونهج تدبير مستدام للموارد الترابية. تميز هذا المشروع بالتأخر على مستوى الإنجازات، حيث لم يحقق الأهداف المسطرة له في أفق سنة 2020.

8. مشروع التنمية القروية بجبل الأطلس المتوسط بجهة بـني مـلالـ خـنـيـفـرةـ يـكـرـسـ حـدـةـ الـانتـقـائـيـةـ خـريـطةـ رقمـ 2ـ:ـ الـجـمـاعـاتـ الـتـرـابـيـةـ الـجـبـلـيـةـ الـمـعـنـيـةـ بـالـمـشـرـعـ بـجهـةـ بـنيـ مـلالـ خـنـيـفـرةـ



المصدر: إجاز شخصي 2020

يهدف المشروع إلى تحقيق التنمية القروية بجبال الأطلس المتوسط، حيث استهدف إقليم بنى ملال بجهة بنى ملال خنيفرة. واهتمت الجماعات والدواوير بناء على نسبة الفقر والهشاشة، ووجود مؤهلات ترابية تحتاج إلى الإعداد والتنمية، إضافة إلى الإكراهات الناتجة عن تأثير التغيرات المناخية بشكل مباشر أو غير مباشر. يمتد هذا المشروع على مدى 7 سنوات، حيث يهدف إلى المساهمة في التقليل من حدة الفقر بنسبة 30%， في أفق سنة 2023. عبر تنوع مصادر الدخل وتحسينه باعتماد التدابير الأمثل للموارد الترابية المتاحة، وتحسين ظروف وآليات تسويق المنتجات الفلاحية، وتنمية سلسلة الإنتاج الفلاحي وتطوير الإعداد الميدروفلاجي وفك العزلة عن المناطق الجبلية.

كما يركز هذا المشروع على تنمية السلسلة النباتية الموجودة خصوصاً التفاح، البطاطس واللوز. إلى جانب تنمية السلسلة الحيوانية من اللحوم الحمراء كالماعز والغنم، وإعداد وتوفير المراعي الضروري للرعي اللامرأة وتنمية إنتاج العسل. تتجلّى الجماعات الترابية المعنية بهذا المشروع، في جماعة أغبالة، بوتفrede، تizi Nissili وناورور بإقليم بنى ملال.

تم إغفال مناطق جبلية أخرى بجهة بنى ملال خنيفرة تعرف مؤشرات مرتفعة في نسبة الفقر والهشاشة، مما يساهم في تكريس التفاوتات المجالية وتعيقها في المستقبل؛ هذا ما يدعو بشكل صريح إلى اعتماد سياسة تنمية خاصة بالمجالات الجبلية، مراعاة للتنمية المتوازنة والمندمجة.

9. مشاريع وبرامج فلاحية يغيب فيها البعد الترابي الجبلي بجهة بنى ملال خنيفرة

تعتبر مؤشرات التنمية الفلاحية ضعيفة بالمناطق الجبلية بجهة بنى ملال خنيفرة، لا تسمح بباراز كل المؤهلات والمقومات. حيث يعد تدبير الموارد الترابية الفلاحية بالمناطق الجبلية قطاعياً، غيب فيه الاستراتيجية الترابية النابعة من الخصوصيات الجبلية، التي تأخذ بعين الاعتبار المؤهلات والأكراهات الطبيعية التي تعيشها. ثم إن دمج المناطق الجبلية في

سياسات فلاحية وطنية وقرارات مركبة، وجعلها مناطق قروية ذات صبغة واحدة على المستوى الوطني، يجعل من هذه المشاريع القطاعية والاستراتيجيات محدودة الأثر؛ في ظل غياب مشاريع ترابية فلاحية ناجحة، تجعل من الفلاحة رافعة تنمية حقيقية بالجبال بجهة بنى ملال خنيفرة، توظف بشكل عقلاني إمكانات الموارد المائية في تطوير الزراعات المنسقة.

تكمن الإشكالية الحقيقة التي أدت إلى محدودية أثر مخطط المغرب الأخضر، في ضعف الرؤية التنموية، إضافة إلى عجز في التركيبة المالية للمشاريع الفلاحية المسيطرة، ونقص على مستوى التتبع والقيادة لهذه المشاريع، وغياب البعد التراقي في مختلف المشاريع الفلاحية المعتمدة بهذه المناطق الجبلية.

لم يستطع مخطط المغرب الأخضر أن يبلور مشاريع ترابية فعالة بالمناطق الجبلية بجهة بنى ملال خنيفرة، حيث لم ينطلق من الخصوصية الترابية عبر تعبيئة كل الفاعلين الترابيين، وجعل الساكنة على قدم المساواة في الاستفادة من المشاريع الفلاحية بعيداً عن كل المزايدات والمضاربات. كما أن مسألة تنزيل المخططات الفلاحية اعتبرتها مجموعة من الاختلالات والعشوائية، هذا الأمر يؤشر على ضعف مستوى التدبير التراقي بالجبال.

كما تجدر الإشارة إلى أن ضعف الفلاحة الجبلية بجهة بنى ملال خنيفرة، يعزى أيضاً إلى غياب المعرفة والتکوين لدى فلاحي المنطقة؛ حيث لم يعمل المخطط المغرب الأخضر على تكوين الفلاحين الصغار، تكويناً علمياً وميدانياً مبنياً على النتائج، وتأطيرهم بشكل دائم في إطار مواكبة العمليات الفلاحية على مستوى الاستغلاليات الصغيرة. كما يجب دعم كفايات الفلاح الصغير وحثه على الانخراط في السوق والتسويق، والبحث عن المستهلكين، وكذا السهر على ما يخص علامة الجودة والتابع. مما يجعل المردودية والدخل يرتفعان؛ فكلما ارتفع مستوى إدراك ومعرفة الفلاحين وقدرتهم على التدبير والتسويق، ارتفعت معهم المردودية ومستوى الدخل.

تظل إشكالية تنمية الفلاحة بال المجالات الجبلية رهينة بتشخيص دقيق لهذه الموارد، ووضع مخططات لتنمية منتجاتها بأكملها من الإنتاج إلى التسويق. والمضي قدماً في التحفيظ المجاني لجميع الأراضي، التي يملكونها الفلاح البسيط.

خلاصة:

لم تحظ المناطق الجبلية بجهة بنى ملال خنيفرة بتثمين مواردها الترابية بشكل ناجع، لكي تكون قاطرة مهمة للتنمية الاقتصادية، وجعلها إحدى اللبنات الأساسية في حلقة التنمية الترابية. وهذا راجع بالأساس إلى عدم إدراك أبعاد الموارد الترابية وكيفية تحويلها إلى ميكانيزمات اقتصادية، وتقدير آثارها المتواخدة على السكان المحليين بالجبال.

تعد الفلاحة الجبلية أنشطة اقتصادية مهمة بالجبال، حيث توجد موارد متنوعة من أجل تقويتها ومساهمتها في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. غير أن ضعفها التنموي يرهان أساسياً على عدم فهم قوتها الكامنة في الخصائص والمقومات الترابية المحلية، وارتباطها الوثيق مع كل الميكانيزمات والمتغيرات والخصائص الترابية المحلية الأخرى. من تداخلات وتفاعلات طبيعية، اقتصادية، اجتماعية وثقافية، ومستوى التدخلات التنموية الناتجة عن استراتيجيات الفاعلين الترابيين ومقاربتهم التنموية، قوة التخطيط والتدبير، النظرة الاستشرافية والإرادة التنموية الحقيقة.

تساهم عدم التقائية مختلف السياسات التنموية في جعل الجبال بجهة بنى ملال خنيفرة بيئة خصبة، لترافق ظواهر متعددة من الهشاشة. حيث يبقى الرهان على الجهوية المتقدمة كتوجه تنموي جديد، من أجل تدارك الاختلالات والقضاء

على مظاهر الشاشة الطبيعية، الاقتصادية والاجتماعية. ووضع تصور ونموذج تنموي جديد لتنمية الجبال، وجعلها تستفيد من مواردها التربوية المتنوعة والغنية.

لائحة المراجع المعتمدة

- بوجروف سعيد.. 2007، الجبال المغربية: أي تهيئة؟ أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في جغرافية الهيئة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، جامعة القاضي عياض.
- تيسى محمد&السعدي جميلة.. 2015، صيورة التنمية بجبال الريف من التدخل القطاعي إلى المشروع الترابي، دراسة حالة إقليم شفشاون (الريف الغربي)، ورد في المشروع الترابي أداة استراتيجية للتنمية المحلية حالة جماعة إغزان الجبلية، تنسيق محمد البصري ومحمد الزرهوني، أشغال الدورة الخامسة لمنتدى التنمية والثقافة لإغزان، الطبيعة الأولى، فاس.
- الكتمور حسن&مزور ليلى.. 2012، التنمية القروية بالمناطق الجبلية بين المؤهلات والاكراهات، ورد في التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات، تنسيق البصري محمد والزرهوني محمد، أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة لإغزان، الطبعة الأولى.
- الكتمور حسن.. 2013، قراءة مفاهيمية للاقتصاد الاجتماعي والتضامن والتنمية، ورد في الاقتصاد الاجتماعي سند للتنمية الترابية بالمجال الجبلي، تنسيق البصري محمد والزرهوني محمد، أشغال الدورة الثالث لمنتدى التنمية والثقافة لإغزان، الطبعة الأولى.
- كرزازي موسى.. 2019، دراسة في الهيئة والتنمية القروية بالمغرب، تريفـةـبركان بجهة الشرق نموذجا، الطبعة الأولى،
- الهيلوش محمد.. 2012، التنمية القروية في سياسة إعداد التراب بالمغرب، التنمية القروية بالمناطق الجبلية بين المؤهلات والاكراهات، ورد في التنمية القروية بالمناطق الجبلية الحاجيات والمنتظرات، تنسيق البصري محمد والزرهوني محمد، أشغال المنتدى الثاني للتنمية والثقافة لإغزان، الطبعة الأولى.
- Abourazzak Mohamed., 1989, L'expérience de la planification agricole marocaine, in population et développement rural, CERED ministre du plan.
- Paul de viguerie., 2013, La réduction des inégalités territoriales : quelle politique nationale d'aménagement du territoire?, journal officiel de la république française.
- Jebrati Fatima., 2004, La mobilisation territoriale des acteurs au développement local dans le Haut-Atlas de Marrakech, thèse de doctorat de Géographie, Université, Joseph Fourier, Grenoble 1, France.

رهان التنمية المستدامة بين التحولات المجالية ومحدودية الموارد الطبيعية بإقليم الدريوش (حالة جماعة تمسمان)

The bet of sustainable development between the territorial dynamism and the limited natural resources in the province of Driouch (case of commune Temsamane)

عبد الكريم سومع، دكتوراه في الجفر افيا، كلية الآداب، جامعة محمد الأول بوجدة – المغرب

ملخص: تهدف هذه المداخلة إلى تحديد رهان التنمية المستدامة بين الدينامية التربوية ومحدودية الموارد الطبيعية بجماعة تمسمان، إقليم الدريوش، وذلك من خلال تحديد خصائص الاستغلال الفلاحي، وعلاقتها بالإكراهات التي أضحت يعاني منها المجال الطبيعي، والتطرق لبعض أساليب التدبير السليم لمواردها التربوية والمائية.

الكلمات المفاتيح: الدينامية التربوية، تمسمان، الموارد الطبيعية، الاستغلال الفلاحي، التنمية المستدامة.

Abstract: This intervention aims at determining the bet of sustainable development between the soil dynamism and limited natural resources in the commune of Temsamane, province of Driouch, by through the specification of the characteristics of agricultural exploitation, and their relationship to the constraints that the natural environment struggles with, as well as by addressing some methods of proper management to ensure sustainable development of its soil and water resources.

Keywords: territorial dynamism, Temsamane, natural resources, agricultural exploitation, sustainable development.

تعتبر دراسة التحولات المجالية من الرهانات التي يهتم بها الفكر الجغرافي الحديث، لكونها تساهم بشكل كبير في تحديد خصائص تداخل وتفاعل المكونات الطبيعية والبشرية لمجال الدراسة. تميز جماعة تمسمان بالتنوع والاختلاف في مظاهر استغلال مواردها الطبيعية، وتعاني من معيقات كثيرة تفرضها مختلف العوامل التضاريسية والمناخية. فقد شهدت الجماعة مجموعة من الاختلالات البيئية التي أثرت على أنماط الاستغلال الفلاحي وساهمت في ظهور حركة بشرية ومجالية.

من أجل دراسة جوانب الإشكالية المطروحة، ولتحديد العناصر المتحكمة في تنظيم المجال وتدير المجال الترابي للجماعة، تم الاعتماد على التشخيص العلمي الدقيق لمميزات الموارد الطبيعية لجماعة تمسمان، ووصف مظاهر التدهور والاختلال التي يعني منها الاستغلال الزراعي، مع التركيز على تحليل العوامل الطبيعية والبشرية المتحكمة في هذا التدهور من خلال توظيف المقاربة الإحصائية التي تعتمد على الاستماراة الميدانية ونظم المعلومات الجغرافية.

1. الإطار المنهجي للبحث

1.1 إشكالية البحث

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد مظاهر الدينامية الترابية التي عرفها إقليم الدريوش عامة، وجماعة تمسمان على وجه الخصوص، من خلال الإجابة على الإشكالية التالية: ما هو دور الموارد الطبيعية للمجال في ربح رهان التنمية الفلاحية بجماعة تمسمان؟

2.1 أهداف البحث:

يتم التركيز في الدراسة على تحديد خصائص الاستغلال الزراعي، وعلاقتها بجودة وحجم الموارد الطبيعية المتوفرة، ومدى تأثيرها بعناصر الوسط الطبيعي، وسبل ضمان تدبير إيجابي للموارد الطبيعية للمجال من خلال:

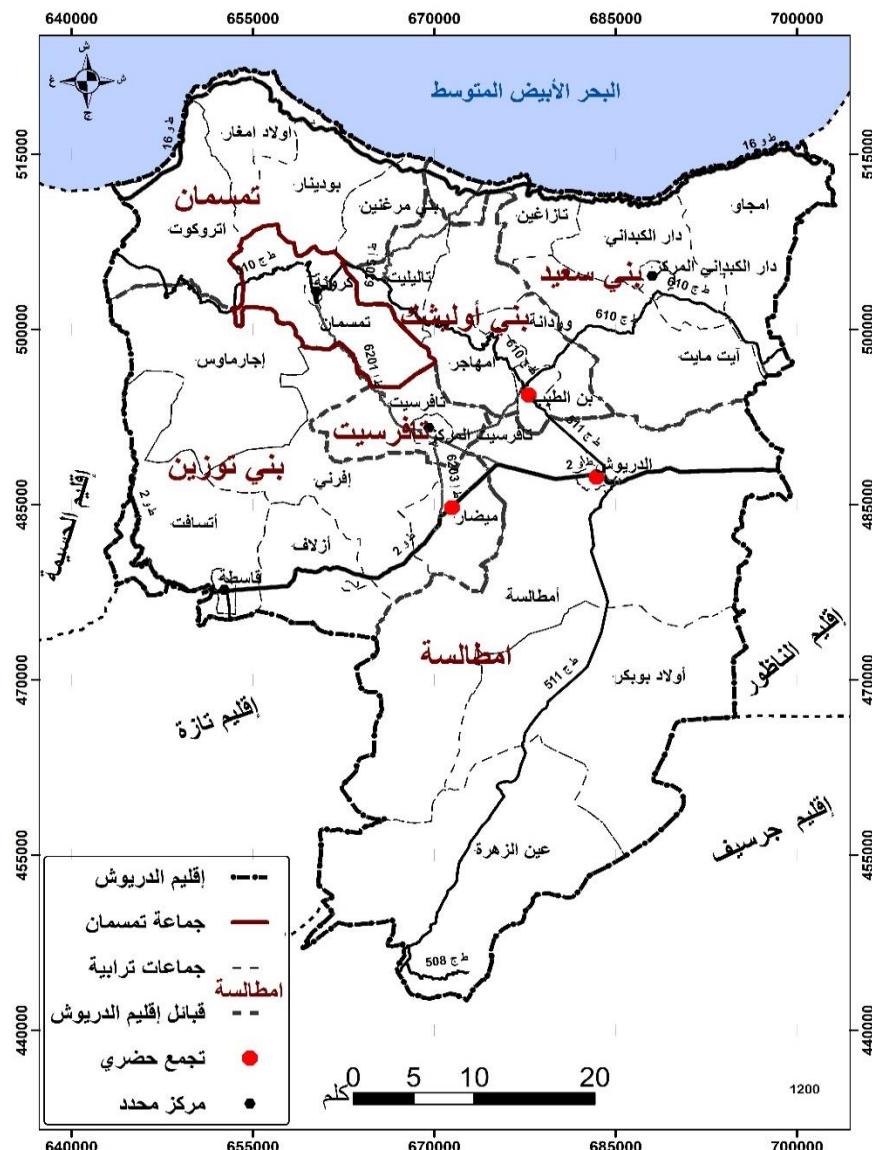
- تشخيص أهم الخصائص الطبيعية بمجال الدراسة؛
- تحديد أثر هذه الخصائص على استدامة الاستغلال الفلاحي بجماعة تمسمان؛
- إبراز بعض أشكال التدخلات البشرية لربح رهان التنمية المستدامة بمجال الدراسة.

3.1 منهجية البحث:

تطلب انجاز هذه الدراسة الاعتماد على المنهج الاستقرائي الذي يقوم على تشخيص وإبراز مكونات الموارد الطبيعية لمجال الدراسة، وإظهار أثرها على تحديد أنماط الاستغلال؛ عبر الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي. وإظهار كل التحولات التي يعرفها المجال المدروس، تم الاعتماد على تحليل ومعالجة المرئيات الفضائية، والاعتماد على الخرائط الطبوغرافية والعمل الميدان، ودراسة ومقارنة المعطيات المحصل عليها باعتماد برنامج ArcGIS، مع فرز وتحليل مضمون استماراة العمل الميداني والمعطيات الإحصائية الإدارية باستخدام برامج Sphinx V5 و Excel.

4.1 الموقع الجغرافي لمجال الدراسة:

تنتهي جماعة تمسمان لقبيلة تمسمان بدائرة الريف، غرب إقليم الدريوش وبالشمال الغربي من جهة الشرق، تحدها كل من الجماعات الترابية لبني مرغنين وبودينار شمالاً، واتروكوت واجرمواوس غرباً، وافرنى وتافرسيت جنوباً، بينما تحدها شرقاً جماعتي تاليت وامهاجر (الشكل 1.1).



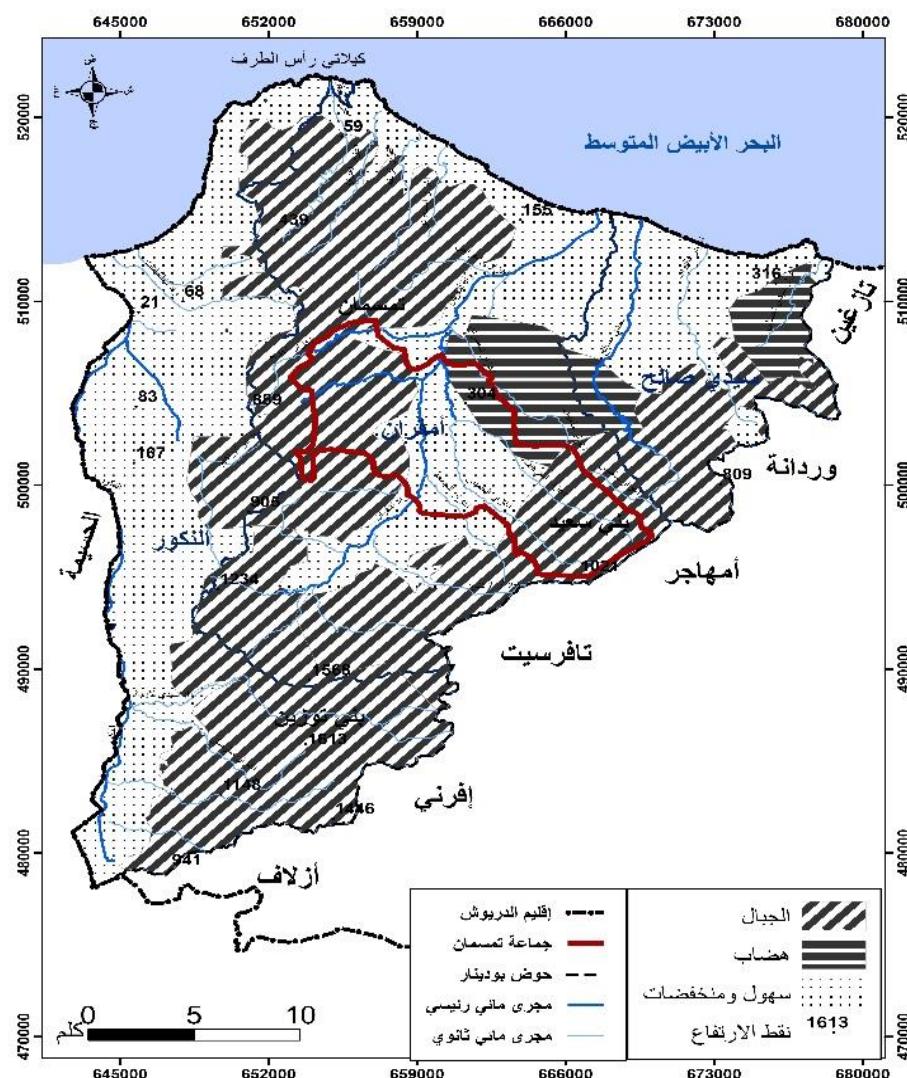
المصدر: عمالة الدرâش والناظور (عمل شخصي)
شكل 1: توطن جماعة تمسمان بإقليم الدرâش

2. النتائج

1.2 جماعة تمسمان بإقليم الدرâش مجال يعاني من هشاشة موارده الطبيعية:

تقع جماعة تمسمان بحوض بودينار في القسم الشمالي من إقليم الدرâش، والذي يتميز بغلبة الطابع الجبلي وبقلة المجالات السهلية، بحيث تمثل الجبال 50% من مجموع المساحة؛ والمتمثلة خاصةً في امتداد جبال تمسمان وبني توزين، مقابل 31% من المساحة السهلية.

ينتهي مجال الدراسة لجبال تمسمان بالشمال الغربي، والتي تميز بضعف الانحدارات؛ حيث تصل إلى 905م بجبل القرن، مع انتشار انحدارات تفوق أحياناً 25°، ولسلسلة بني سعيد بالجنوب الغربي والتي هي كتلة متضرسة، وتضم مجموعة من القمم والسفوح الشديدة الانحدار مثل قمة أزوو محلي 1021م؛ مما يساهم في تفعيل نشاط التعرية الانتقائية خاصة بالجنوب (الشكل 2).

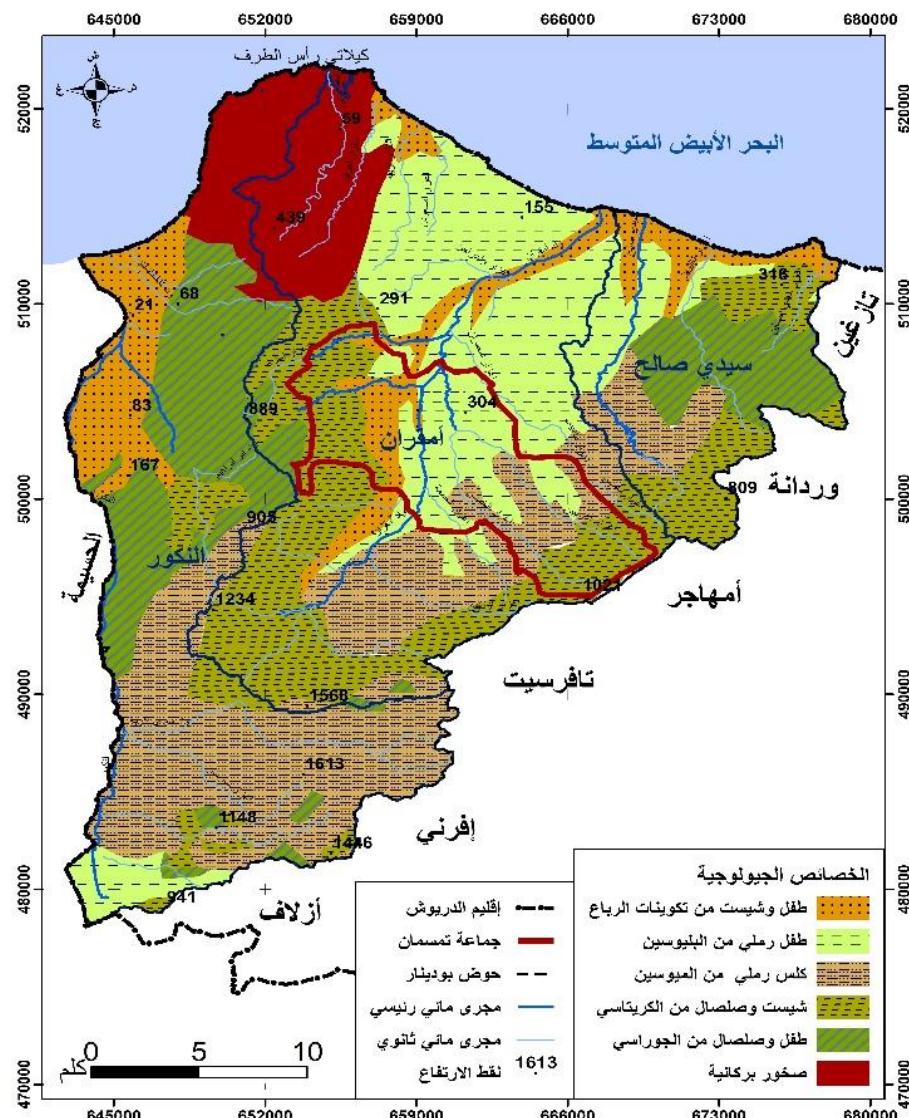


المصدر: خريطة الحسيمة 1:100000 + المديرية الإقليمية للفلاحية + التنموذج الرقي للارتفاعات DEM

شكل 2: توزيع تضاريس جماعة تمسمان بحوض بودينار

يتضح من خلال الشكل 2. أن مجال الدراسة يتميز بغلبة الجبال والمرتفعات، بحيث تلعب الانحدارات دوراً بارزاً في توزيع الموارد الطبيعية، مما يحد من الاستغلال الجيد والفعال لموارده المنتشرة فوق سطوح ذات تكوينات هشة وضعيفة النفاذية (صخور الشيست والصلصال)؛ الأمر الذي ينعكس سلباً على القدرة في التخزين المائي ويؤدي بالمقابل في تسريع عملية النحت والتعرية بالغلاف الترابي.

ينتفي مجال الجماعة لوحدات جيولوجية تتميز بحداثة بنائها المورفولوجي، بحيث تتناوب المنخفضات الرسوبيبة بالكتل الجبلية التي تسود بها مساحات مهمة من الطمي، فوق تكوينات قديمة تتخللها مساحات من الشيست واللحث؛ بحيث تمتد ببني بويعقوب طيات من الشيست والصلصال تنتهي إلى الكريتاسي الأعلى (الشكل 3).



المصدر: خريطة وجدة الجيولوجية 1/500000

شكل 3: التكوينات الجيولوجية بجماعه بودينار

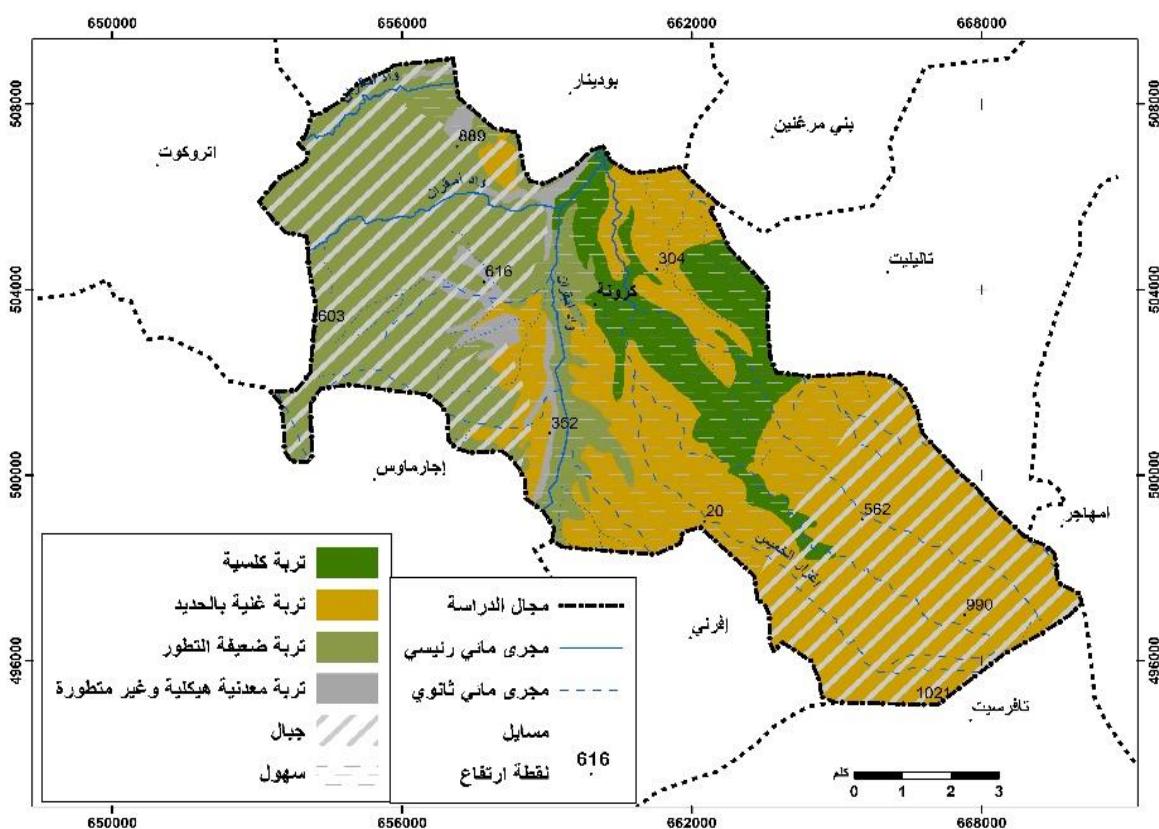
يمتد بوسط الجماعة سهل فيضي حديث النشأة، وذلك بفعل الحركات الجيولوجية التي عرفتها المنطقة، فهو عبارة عن سطح بنوي يضم توضعات تنتمي إلى الزمن الثالث (الميوسين والبليوسين)؛ فقد تحولت مجموعة من المتون بالضفة اليمنى من واد أمقران إلى تلال (بالقرب من دواوير خميس تمسمان وابعون)، مما ساهم في قدم الاستقرار البشري، لقلة الارتفاع ووفرة المجاري المائية والعيون، فعرفت المنطقة كثافة سكانية مرتفعة (الصورة 1).



المصدر: عمل ميداني، يوليو 2021

الصورة 1: جانب من الاستقرار البشري بحوض بودينار

تتعرض الموارد الترابية بالجماعة لضغط كبير من طرف الفلاحين أثناء عمليات الاستغلال الزراعي؛ بحيث تتميز سفوح جبال تمسمان بانتشار تربة ضعيفة التطور وغنية بالحديد، وبالتالي فقيرة وضعيفة وغير سميكية، مما ساهم في تنشيط عملية الانجراف وتحف التربة نحو الأسفل (الشكل 4).



المصدر: خريطة التربة لإقليم الناظور marché N° 27/DPA/ 24/ MV/ 1994, 1/100000

الشكل 4: توزيع أنواع التربة بمجال الدراسة

يتضح من خلال الشكل 4. أن أكثر من 70% من المجالات المتدهورة والغنية بالحديد تسود بجبال تمسمان وبني توزين، والتي تتسم بانتشار مساحات مهمة من الطبي، فوق تكوينات قديمة تتخللها مساحات من شيست وصلصال كريتاسي، بالمقابل يتميز وسط الجماعة وعلى ضفاف واد أمقران بانتشار تربة كلاسية جيدة ذات قدرة إنتاجية مهمة. ساهمت الخصائص الجيولوجية، والممتدة من الجوراسي إلى التكوينات الحديثة من الزمن الرابع، في تنوع تشكيل الوحدات التضاريسية بالجماعة، وفي تنوع الصخارة بين الصلصال والشيست مع تركز المواد الدقيقة، مما أثر على توزيع التربة.

يُضاف إلى عناصر الهشاشة عامل المناخ، بحيث يتميز مناخ الجماعة بسيادة مناخ جاف إلى شبه جاف، ويعرف توالي فترات ممطرة باردة وأخرى حارة وجافة، وبالتالي فإن معظم التساقطات المطيرية تتركز بين فصل الخريف والربيع؛ من أكتوبر إلى ماي، وبمعدل هناظل يتراوح ما بين 200 و300 ملم/السنة، والتي تميز بقلتها وعدم انتظامها، إضافة إلى عنفها وفجائيتها، في حين يتسم فصل الصيف بندرة تسجيل التساقطات وسيادة طقس حار وجاف.

هذا النظام المطيري أسس لنظام هيدروغرافي يتميز بجريان متقطع لواد أمقران وروافده، عقب الفترات المطيرة ولمدة وجيزة، ويتوفر الواد على عدة روافد دائمة الجريان نتيجة توفرها على مجموعة من العيون، أهمها إغزار الخميس وإغزار الجمعة وإغرين، وأقيمت على ضفافهم مجموعة من الاستغلاليات المائية.

تلعب عناصر الوسط الطبيعي بجماعة تمسمان الدور الكبير في التأثير على الموارد المحلية وكذا على أنماط التدخل البشري لاستغلالها، بحيث تُهيمن الموارد المائية والتربة في محدودية المجالات الزراعية المستغلة؛ خاصة وأن اغلب الزراعات المُزاولة هي عبارة عن زراعات بورية، كما أن الشبكة المائية لا توفر إمكانيات مائية مهمة ووفيرة يمكن الاعتماد عليها لخلق مجالات سقوية جديدة أو لتوسيع المجالات المائية الموجودة.

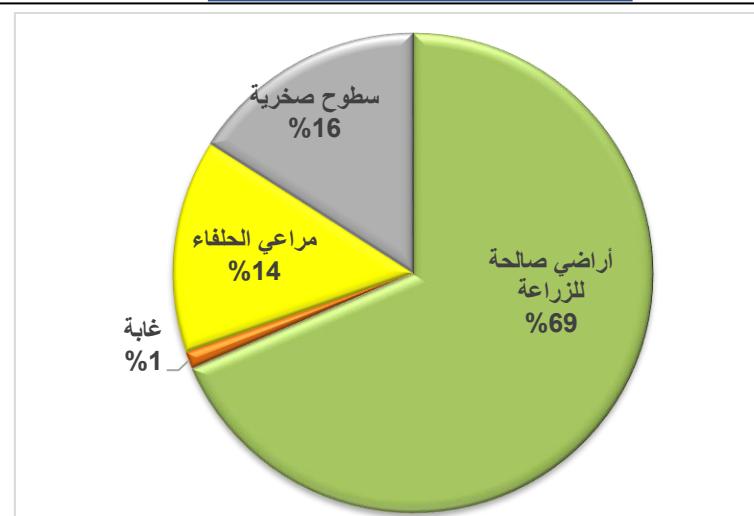
2.2 تطور أشكال الاستغلال الفلاحي وانعكاساتها على تراب جماعة تمسمان

تميزت منطقة تمسمان، بتحكمها في تقنيات تنظيم الاستغلال الفلاحي؛ حيث اشتهرت بممارسة البستنة وإنتاج الخضر والفواكه خلال الفصول الجافة بواسطة أشكال من التقطر والتلليل، مع إقامة المدرجات الصخرية¹⁷⁵.

اعتمدت ساكنة الجماعة في نظامها الاقتصادي على الاستغلال الزراعي وتربية الماشية، للاستجابة لاحتياجاتها الغذائية؛ فشكلت بذلك الفلاحة أهم نشاط اقتصادي بجماعة تمسمان؛ بحيث تمثل الأراضي القابلة للاستغلال الفلاحي 69% من مجموع المساحة بحوالي 6100 هكتار، موزعة على 1600 مستغل (الشكل 5).

صرح 90% من المستجيبين أن الملك الخاص يطغى على النظام العقاري للأراضي المستغلة وذلك نتيجة أصل الأراضي المستغلة الموروثة عن الأجداد.

¹⁷⁵ أحمد الطاهري (1998): مرجع سابق، الفصل الأول، ص 43



المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحية بإقليم الدريوش

الشكل 15: توزيع استعمال الأرض بجماعة تمسمان حسب الإحصاء الفلاحي لموسم 2016-2017

تتميز المجالات الصالحة للاستغلال بانتشار الزراعة البورية (الحبوب خاصة الشعير) وغرس أشجار الزيتون واللوز والخروب بالارتفاعات الجبلية، وقد ساهمت العصرنة في تطوير أساليب استغلال الأشجار المثمرة خاصة الزيتون الذي يعتمد في تحويله إلى الزيت على آلات عصرية مع الاحتفاظ ببعض الآلات التقليدية (الصورة 2.).

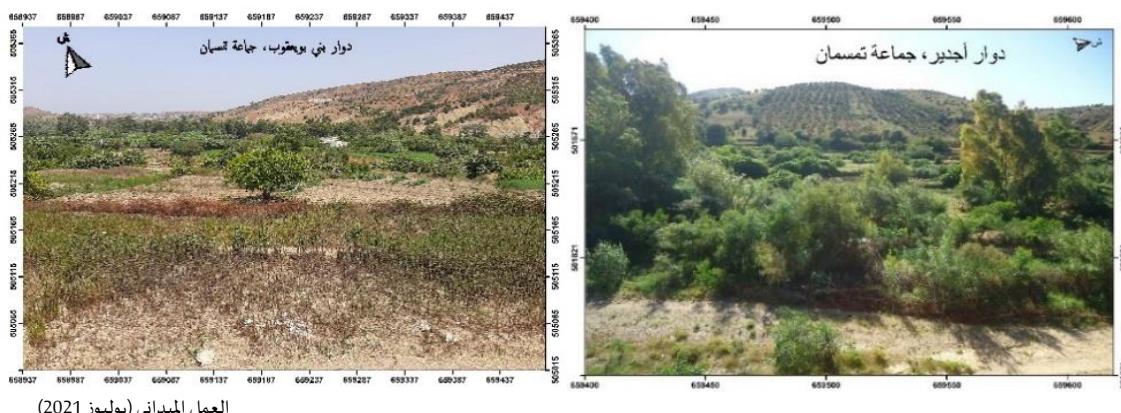


المصدر: العمل الميداني 2020

الصورة 2: معاصر الزيتون بجماعة تمسمان

شهدت أقدام الجبال وبعض المنخفضات بمجال الدراسة ظهور بعض الاستغلالات المنسقية، مستغلة توفر مياه العيون والمجاري المائية، مع استعمال المياه الجوفية أحياناً. ويعود استغلال بعض هذه المناطق إلى عهد قديم، بينما بعضاها الآخر تم استصلاحه خلال العقود الأخيرة.

صرح 29% من المستجوبين باستخدام مياه العيون للسقي، ويتم الاعتماد على نظام العرف (النوبة) في توزيع حصص الماء بالاستغلالات التقليدية، بين المستفيدين (بالساعات والأيام على مر الأسبوع) حسب مساحة الاستغلالات وعدد الفلاحين بمحيط الحوض المائي (الصور 3.).

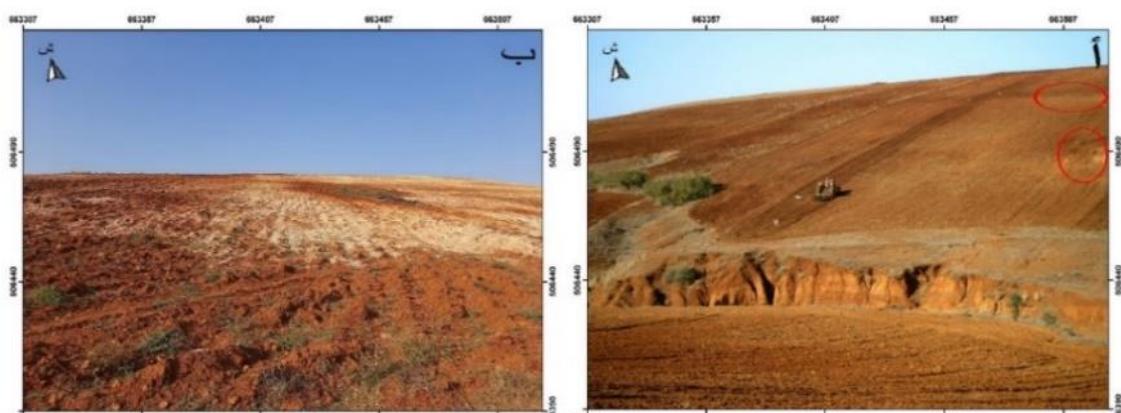


تبين الصورة 3. جانب من الاستغلاليات المسقية، والتي تتركز بالجماعة على طول ضفاف واد أمقران من دوار أجدير إلى دوار بني بو عقوب.

3.2 التحديات التي تعاني منها المجالات الزراعية بجماعة تمسمان

أدى ارتفاع الكثافة السكانية في سنوات السبعينات إلى بداية توسيع المشارات الزراعية وتنوع المحاصيل، وارتفاع حدة الضغط على الموارد الطبيعية. وقد ساهم اجتثاث الغطاء النباتي لتوسيع الزراعة البورية، وتعظيم استعمال الجرار بالمنحدرات، في ظهور مجموعة من الخدوش تسع من عملية السيل الغشائي فوق تكوينات سطحية هشة وتطوير عمليات التعريبة بالمنحدرات، وبالتالي ظهور بوادر التدهور على شكل سطوح صخرية وأساحل بمعظم الاستغلاليات الزراعية بالجماعة.

يؤدي تفتيت التكوينات السطحية الطينية والصلصالية إلى تسريع عملية النقل وظهور العلامات الأولى لعملية التخديد بالمشاركة وبواحد تحولها إلى أراضي باترة، مع بروز الصخر الأüm على السطح، وبالتالي فقدان المشاركة التوازن في الإنتاج والاستغلال وعرضة للتعرية التراجعية (الصورة 4).



لقد صر 75% من المستجوبين أن سبب تراجع الاستغلالية يعود إلى انتشار التخديد بالأراضي الزراعية والمشارات المشجرة؛ وذلك بفعل ارتفاع نسبة نشاط التعرية وتدور الأرضي ذات تربة ضعيفة التطور، وتتحول بذلك إلى أراضي بااثرة وأساحل.

تعاني المجالات المنسقية بالجماعة من عدة إكراهات تمثل أساساً في عامل التبخر، لبعد مصدر الماء عن الاستغلاليات، وكذا عامل التسربات المائية، وقدم قنوات الري؛ مما يؤدي إلى ضياع أكثر من 80% من الموارد المائية بهذه المجالات.

ساهمت التحديات الطبيعية والبشرية في عرقلة سبل تحقيق التنمية بترباب الجماعة، مما فرض ضرورة التدخل لتدارك هذا التدهور والبحث عن سبل جديدة لتحقيق إستراتيجية سليمة للدينامية الترابية بالمنطقة الريفية من الجماعة.

4.2 بعض التدابير المتخذة للتخفيف من تدهور المجالات الزراعية بتمسمان
 من أجل تجنب آثار التحديات وتدارك الخلل بالعالم القروي من الجماعة، حاولت الساكنة المحلية لتمسمان أخذ المبادرة (عبر استثمار الموارد المالية القادمة من الخارج) لتدارك الخلل، كما عملت الدولة على التدخل من خلال إطلاق مشاريع هيكلة المجالين البوري والمائي لتثبيت الساكنة وضمان دخل فردي قار.

أ. المبادرات المحلية

تحاول الساكنة المحلية إيماناً منها بتشبيهاً بالأرض إعادة الاعتبار للاستغلال الفلاحي، وذلك من خلال إصلاح الأراضي الزراعية المتدهور عبر إقامة المدرجات لكسر قوة الانحدار ، والتي تعتبر من بين التدابير القديمة التي مورست للمحافظة على التربة والماء(الصورة 5.5)، وفي حالات أخرى يتم الاستعانة بعملية العدن أو الإتيان بتربة خصبة من خارج الاستغلالية، وحفر الآبار من أجل غرس الأشجار المثمرة وزراعة الخضر بالاعتماد على تقنية الري الموضعي.



العمل الميداني (غشت 2021)

الصورة 5: جانب من إقامة المدرجات فوق بعض السفوح لكسر قوة الانحدار

تساهم هذه المبادرات التي تقوم بها الجالية المقيمة بالخارج في تحريك عجلة التنمية بالجماعة، والتحفيز من نسبة البطالة، إلا أن مشكل الديمومة يظل مطروحا، خاصة وأن أغلب هذه المشاريع لم تعتمد على دراسة قبلية، وبالتالي تصطدم بمشكل ملائمتها لبناء الموارد الترابية والمائية التي يتميز بها محيط إنجاز المشروع.

ب. تدخلات الدولة

عملت الدولة منذ سنة 2008 على إطلاق مشروع مخطط المغرب الأخضر (le Plan Maroc Vert) الذي ينص على هيكلة العالم القروي ومحاولة التهوض بأوضاع المجالات الريفية من أجل تحقيق الفعالية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية والحفاظ على الموارد الطبيعية للقرية المغربية.

استفادت جماعة تمسمان في إطار مخطط المغرب الأخضر – الدعامة الثانية: الفلاحة التضامنية – من غرس 1500 هكتار من شجرة الزيتون ما بين 2010 و2019 (الجدول 1).

الجدول 1: مساحة الأشجار المغروسة بين 2010 و2019 بالجماعة

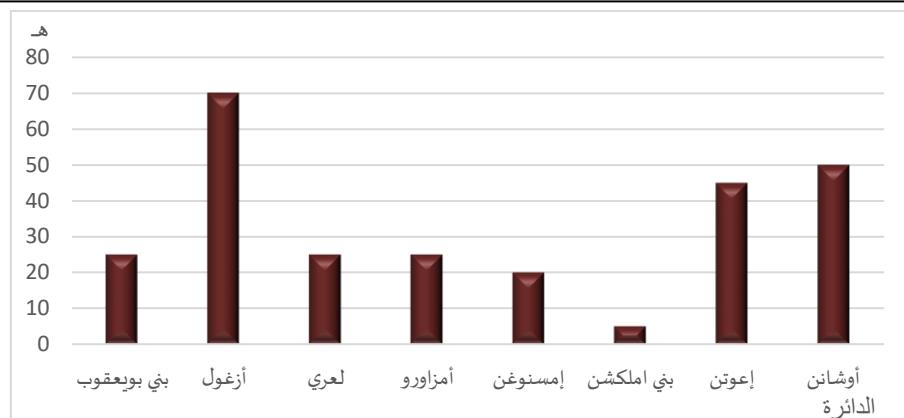
السنة	مساحة الأشجار المغروسة بالهكتار	2010	2013	2014	2019	المجموع
	500	300	200	500	500	1500

المصدر: قسم الإعداد والبرمجة بالمديرية الإقليمية للفلاح، إقليم الدريوش

استفادت هضبة حلولة المطلة على مركز الجماعة كرونة من غرس 500 هكتار من المساحة المزروعة في الشطر الأول من المشروع لسنة 2010، لاستفادة باقي الدواوير بالجماعة. بينما خصصت مساحة 350 هكتار ضمن المشاريع المبرمجة لموسم 2020-2025 لغرس أشجار الزيتون والتي هي حاليا في طور الإنجاز.

في إطار محاولة المحافظة على الموارد المائية وعقلنة استغلالها، ومن أجل تنظيم الفلاحين وترسيخ مبدأ الاستغلال العقلاني للموارد الطبيعية، ولتحسين دخل الفلاح والمحافظة على الموارد المحلية بالمجالات المنسقة، استفادت جماعة تمسمان من مشروع السقي الصغير والمتوسط الشمالي¹⁷⁶ «PMH-Nord»؛ والممول من طرف البنك الفيدرالي الألماني «KFW» والمسجل بإقليم الناظور منذ سنة 1996 تحت رقم marché n° 18/97-98، وتتوزع المساحات المنسقة بشكل متقارب بالجماعة حسب طبيعة تضاريس المنطقة (الشكل 6).

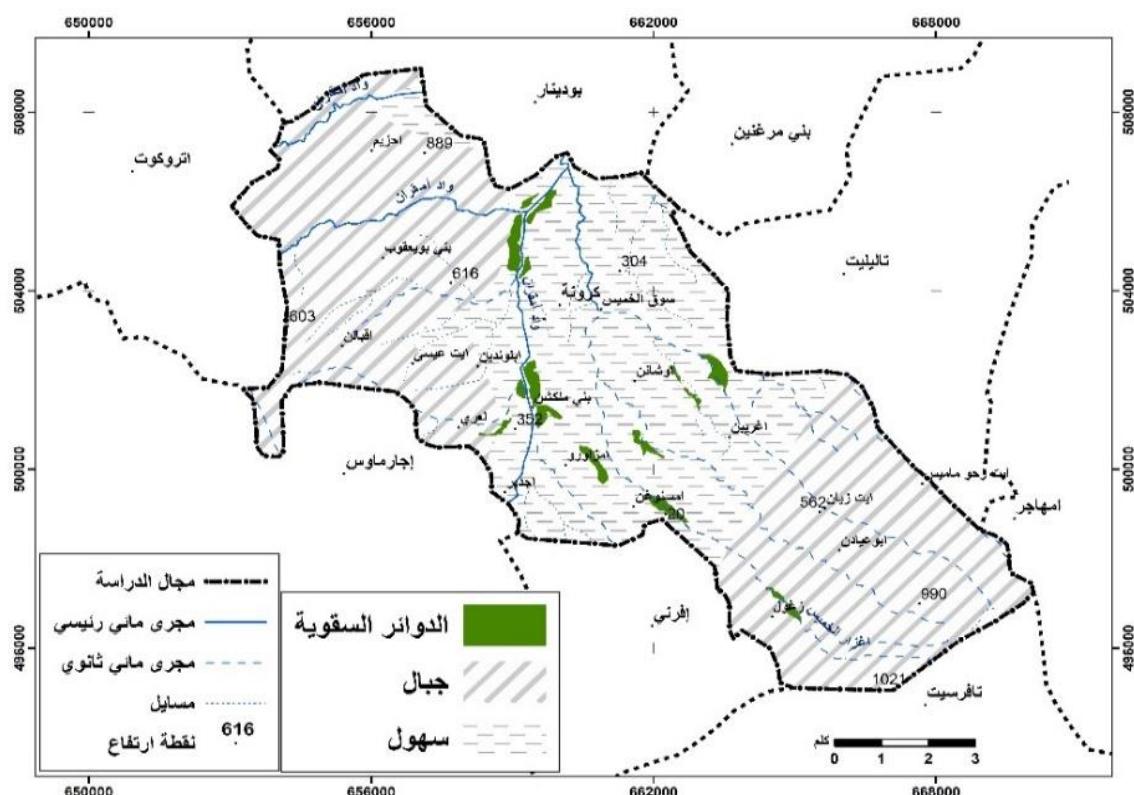
¹⁷⁶ Etude de faisabilité des périmètres de petite et moyenne hydraulique (PMH) de la province de Nador : Etude de faisabilité des périmètres de PMH de la province de Nador, A : Etude de la situation actuelle ; édition définitive (2001), Direction Provinciale de l'Agriculture Nador



المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة بإقليم الدريوش

الشكل 26: مساحة الدوائر السقوبة بجماعة تمسمان

اهتم المشروع بتهيئة وتنمية مجالات السقي الصغير والمتوسط بإقليم الناظور؛ من خلال إعادة هيكلة السوقى، بطريقة عصرية وهندسية تستجيب لمعايير الانحدار وبنية السطح، لما لها من دور فعال في المروض بقطاع السقي المتدهور، خاصة وأن أغلب هذه السوقى تعانى من الشيخوخة والتدهور. وبالتالي تم التخفيف من ضياع الماء والتقليل من التبخر، وضمان وصول أكبر قدر من الموارد المائية إلى المساحات المستغلة للزراعة المسقية بالجماعة (الشكل 7.7).



المصدر: الخريطة الطبوغرافي 1/50000 ليبدينار + المديرية الإقليمية للفلاحية باقليم الدريوش+ عمل ميداني

الشكل 7: توزيع الدواء السقوبة الصغيرة والمتوسطة PMH بجماعة تمسمان

تتجلى الأهمية الإستراتيجية لهذه الدوائر السقوية الصغيرة والمتوسطة PMH بالجامعة في قرب اغلبها من أهم وأكبر التجمعات السكنية (دواوير بني بوعقوب، بني ملكشن، أوشانن وكرونة...)، والتي تختص في إنتاج الخضر (بطاطس

وطماطم وذرة...)، وبعض الفواكه الشجرية(التين والرمان والمشمش والإجاص...) والقطاني، ويتم تسويق المنتوج بمركز كرونة والسوق الأسبوعي خميس تمسمان.

3. المناقشة

بينت نتائج العمل الميداني والكارتوغرافي أن المجالات الزراعية بجماعة تمسمان تعاني من تراجع مواردها الطبيعية نتيجة ارتفاع نشاط التعريبة بمجالاتها الجبلية، مما ساهم في تراجع المحصول الزراعي، وقيمة الموارد الطبيعية. من أجل مواجهة هذه التحدديات، عملت الساكنة المحلية على استغلال الموارد المالية، القادمة من خارج الجماعة، لتنوع وسائل الاستغلال الفلاحي، وتطوير الزراعة المنسقية بالاعتماد على حفر الآبار وتقنيات الري الموضعي، والاعتماد على الزراعة العلفية لتربيبة الماشية. كما تدخلت الدولة من أجل تحسين المجال الفلاحي، بإطلاق مجموعة من المشاريع والتدابير الإصلاحية لتحقيق التنمية بالعالم القروي؛ عن طريق تثمين مجالات الفلاحية المنسقية بترميم المدارات المنسقية، وتثمين المجالات البدوية عبر تبديل نشاط زراعة الحبوب بغرس أشجار الزيتون في إطار مشروع المغرب الأخضر.

خلاصة عامة:

لقد ساهمت دراسة الخصائص الطبيعية، وانتماء إقليم الدريوش لسلسلة جبال الريف الشرقي التي تتميز بتتنوع وتجزؤ التضاريس واختلاف وحداتها البنائية، في تحديد مميزات الاستغلال الفلاحي بالجماعة الترابية لتمسمان؛ بحيث تمتد بشماله سلاسل جبلية ذات ارتفاعات منخفضة تقل عن 800م، مقابل انتشار بعض الهضاب والأحواض بالداخل وبجانب الأودية، مما جعل المجال يغلب عليه طابع التضرس. أدى تنوع التضاريس إلى التحكم في خصائص الأنشطة الفلاحية بالمنطقة، وكذا في تباين حدة الضغط السكاني على المجال، مما أسفى على إحداث خلل في العلاقة بين تراجع الموارد الفلاحية والحركة الديموغرافية، مما استوجب ضرورة التدخل لتدارك الخلل وتحقيق التنمية المستدامة.

لائحة المراجع:

1. عبد الكريم سومع (2022)، المجال الترابي لإقليم الدريوش بين التحولات المجالية وتدبير الموارد الطبيعية، أطروحة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا؛ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، 351 ص.
2. EL ABBASSI Hassan (1987). Essai sur la dynamique des milieux dans le bassin de Boudinar (Rif oriental, Maroc), Thèse de doctorat. Strasbourg
3. جمال الكركوري (2006): "التعرية والمحافظة على التربة بجبال الريف"، منطقة الريف حصيلة البحث العلمي عن الإنسان والمجال، أعمال جامعة الشريف الإدريسي، دورة سبتمبر 2004، منشورات وزارة الثقافة، مطبعة دار المناهل، الحسيمة، ص 7-28.
4. عبد الكريم سومع، محمد صابري (2021): "الاستغلال الفلاحي بإقليم الدريوش بين إكراهات عناصر الوسط الطبيعي ورهانات التنمية"، أعمال الندوة الدولية حول الديناميات البيئية والمخاطر الطبيعية في الأوساط المتوسطية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، ص 187-192.

المصالح الإدارية:

- الجماعة الترابية تمسمان
- المديرية الإقليمية للفلاح بالدريوش
- عمالة إقليم الدريوش
- وكالة الحوض المائي ملويه بوجدة
- Etude de faisabilité des périmètres de PMH de la province de Nador
(2004) : périmètre de Beni Bouyaakoub, Direction Provinciale de l'Agriculture Nador, ministère de l'Agriculture du Développement Rural et des Pêches Maritimes.

**دور الآليات المحاسبية لحكومة الشركات في وتحقيق جودة التحاسب الضريبي
(دراسة ميدانية على ديوان الضرائب بولاية الخرطوم)**

**The Role of Accounting Mechanisms for Corporate Governance
in Achieving The Quality Of Tax Accounting
(Field study on the Sudanese taxation chamber)**

أ. الجيلي إبراهيم أحمد سليمان، جامعة النيلين، السودان، alj0990225738.2023@gmail.com

أ.د. الهادي آدم محمد إبراهيم، جامعة النيلين، السودان، dr.alhadi1234@gmail.com

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى قياس دور الآليات المحاسبية لحكومة الشركات في وتحقيق جودة التحاسب الضريبي بديوان الضرائب السوداني، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت استمارنة الاستبيان لجمع البيانات حيث تم توزيع عدد (150) استبياناً على أن يشمل التوزيع جميع مستويات مجتمع البحث المتمثلة في (مفتتش ضرائب، مدير إدارة، رئيس قسم، مراجع داخلي ، محاسب)، وتم استرجاع (140) . بعد عرض الاطار النظري واجراء الدراسة الميدانية توصلت الدراسة إلى وجود ارتباط طردي ضعيف بين آليات الحكومة (المراجعة الداخلية، لجان المراجعة، المراجعة الخارجية) وجودة التحاسب الضريبي، حيث دلت قيم معامل الارتباط البسيط وقيمة معامل التحديد على أن الآليات المحاسبية لحكومة كمتغير مستقل يؤثر على جودة التحاسب الضريبي (المتغير التابع)، وإرتفاع معونية النماذج المقترنة وصلاحيتها لتحقيق هدف الدراسة، وجاءت جميع قيم(F) المح ospبة ذات دلالة احصائية عند مستوى معنوية(0.000)، وان القيمة التفسيرية للنماذج المستخدمة مرتفعة. عليه أوصت الدراسة بالتوسيع في دراسة الآليات المحاسبية لحكومة والتي تلعب دوراً هاماً في عملية التحاسب الضريبي للمساهمة في تحديد وعاء للضريبة متفق عليه بطريقة عادلة دون الاخلاع بجودة ونزاهة الفحص الضريبي.

الكلمات المفتاحية: المراجعة الداخلية كآلية لحكومة، لجان المراجعة كآلية لحكومة، المراجعة الخارجية كآلية لحكومة، جودة التحاسب الضريبي.

Abstract: The study aimed to measure the role of accounting mechanisms for corporate governance in achieving the quality of tax accounting in the Sudanese Tax Bureau. , department manager, department head, internal auditor, accountant,) (140) were retrieved. After presenting the theoretical framework and conducting the field study, the study found that there is a weak direct correlation between governance mechanisms (internal audit, audit committees, external audit) and the quality of tax accounting, where the values of the simple correlation coefficient and the value of the determination coefficient indicated that the accounting mechanisms of governance as an independent variable affect the quality of Tax accounting (the dependent variable), and the high usefulness of the proposed models and their validity to achieve the goal of the study. All computerized (F) values were statistically significant at a significant level (0.000), and the explanatory value of the used models is high. Accordingly, the study recommended expanding the study of the accounting mechanisms of governance, which play an important role in the tax accounting process to contribute to determining an agreed-upon tax base in a fair manner without prejudice to the quality and integrity of tax examination.

Keywords: internal audit as a governance mechanism, audit committees as a governance mechanism, external audit as a governance mechanism, the quality of tax accountability.

المحور الأول: الأطراف المنهجي والدراسات السابقة

أولاً: الأطراف المنهجي

تمهيد:

تعتبر آليات حوكمة الشركات مجموعة من الوسائل التي يتم تصميمها بهدف ترشيد توجيهه ورقابة سلوك الإدارة العليا لإتخاذ القرارات التي تؤدي إلى تحقيق مصالح المالك، ومن ثم التخلص من حدة مشكلة الوكالة بين الإدارة والمالك مما يؤدي إلى التوازن بين مصالح جميع الأعضاء.

بعد التحاسب الضريبي تنظي في للضريبة يتناول كيفية قياس المادة الخاضعة للضريبة، بالإضافة إلى ربط وتحصيل الضريبة بناءً على نتيجة القياس.

لذلك تبرز أهمية تعديل آليات الحوكمة في الشركات بصورة سليمة تشمل الالتزام الجاد بمعايير السلوك الأخلاقي والمهني والقوانين والسياسات والقواعد الازمة يساهم في تحقيق أهداف التحاسب الضريبي هذا فضلاً عن إنشاء إدارات خاصة تكون معنية بمتابعة تطبيق وتفعيل وBeth ثقافة الحكومة و لتوضيح و معالجة الانحرافات المصاحبة لعدم الالتزام بها.

مشكلة الدراسة:

تمثل مشكلة الدراسة في أن القوائم المالية وعلى الرغم من قيام مراجع الحسابات بمراجعتها فأنه غالباً ما يتم تعديلها أو عدم قبولها من قبل الإدارة الضريبية لأسباب تسند لها لعدم الانتظام أو عدم أمانتها بما ينطوي عليه من إخفاء للمعلومات أو تزوير أو تلاعب في تلك القوائم، أو اعتماد بعض الأساليب بهدف تخفيض الأرباح الخاضعة للضريبة من خلال اختيار بعض البدائل والطرق والأساليب والإجراءات المحاسبية ، لذلك تبرز أهمية الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات لتحقيق انسانية عمل نظام التحاسب الضريبي بشكل فاعل وكفاء ،وعليه يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: ما هو دور الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات في تحقيق جودة التحاسب الضريبي؟ وتتفعل منه التساؤلات التالية:

1. ما هو أثر المراجعة الداخلية في ظل الحكومة في تحقيق جودة التحاسب الضريبي؟
2. ما هو أثر لجان المراجعة في ظل الحكومة في تحقيق جودة التحاسب الضريبي؟
3. ما هو أثر المراجعة الخارجية في ظل الحكومة في تحقيق جودة التحاسب الضريبي؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية الدراسة من خلال المساهمة في إبراز دور الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات وجودة التحاسب الضريبي الناحية الفكرية.

كذلك تكمن أهمية الدراسة في مساعدة مستخدمي القوائم المالية على معرفة التحاسب الضريبي ومدى أهميته في ترشيد قراراتهم، مساعدة إدارات الهيئة الضريبية في التعرف على طبيعة العلاقة بين الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات وجودة التحاسب الضريبي، توجيهه اهتمامات مستخدمي القوائم المالية نحو أثر الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات في جودة التحاسب الضريبي.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق الآتي:

1. قياس أثر المراجعة الداخلية في ظل الحكومة في تحقيق جودة التحاسب الضريبي.
2. بيان أثر لجان المراجعة في ظل الحكومة في تحقيق جودة التحاسب الضريبي.
3. توضيح أثر المراجعة الخارجية في ظل الحكومة في تحقيق جودة التحاسب الضريبي.

فرضيات الدراسة:

اختبرت الدراسة الفرضيات التالية:

1. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المراجعة الداخلية كآلية للحوكمة وجودة التحاسب الضريبي
2. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المراجعة الخارجية كآلية للحوكمة وجودة التحاسب الضريبي
3. توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين لجان المراجعة كآلية للحوكمة وجودة التحاسب الضريبي

ثانياً: الدراسات السابقة:

يتناول الباحثان الدراسات ذات العلاقة بآليات حوكمة الشركات واخرى تتعلق بجودة التحاسب الضريبي على

النحو الآتي:

(2016م) الزهيري.

تمثل مشكلة الدراسة في عدم تفعيل المسؤولية القانونية على مراقب الحسابات في العراق مما شجع بعض مراقبى الحسابات على تضليل بعض مستخدمي البيانات المالية (ومنها السلطة الضريبية). هدفت الدراسة الى بيان اهمية وفائدة الاساليب الحديثة في التقدير الضريبي ومنها اسلوب التقدير الذاتي وعدم الركون الى الاساليب التقليدية والكلاسيكية التي تعتمدها الادارة الضريبية في الوقت الراهن، توصلت الدراسة لنتائج اهمها ان الية التقدير الذاتي تتطلب شفافية المكلف وحيادية مراقب الحسابات وموضوعية السلطة المالية، ان الخلل الذى تواجهه الادارة الضريبية في تطبيق اسلوب التقدير الذاتي يعود الى عدم توافر امكانية اجراء عملية الفحص الضريبي بشكل عينات على المكلفين الممولين بهذا الأسلوب او صحت الدراسة بعقد الندوات والحلقات النقاشة بين المكلفين والادارة الضريبية.

دراسة: اسحق ،(2016م)

تمثلت مشكلة الدراسة في التساؤل عما إذا كان التخصص القطاعي للمراجع الخارجى يؤثر في تقويم كفاءة قرارات التحاسب الضريبي وما إذا كان المراجع المتخصص قطاعياً يساعد في الحد من التهرب الضريبي. هدفت الدراسة إلى التعرف على دور المراجع المتخصص قطاعياً في تقييم كفاءة قرارات التحاسب الضريبي وعلى دوره في الحد من التهرب الضريبي وبيان دوره في تخفيض العبء الضريبي وتاثيره في تقدير ضريبة الدخل. توصلت الدراسة إلى عدة نتائج اهمها: يساعد المراجع المتخصص قطاعياً في الحد من التهرب الضريبي للمشروعات الفردية.

دراسة: عبد الله (2016م):

تمثلت مشكلة الدراسة في التساؤل عن وجود علاقة بين الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات ومخاطر المراجعة ومن ثم هل تؤثر الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات في تضييق مخاطر المراجعة. بينما هدفت الدراسة إلى توضيح دور الآليات المحاسبية في تضييق مخاطر المراجعة وضبط حوكمة الشركات للأداء العام للشركات وضبط الأداء المالي والإداري. توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها: أن المراجع الخارجي يعتبر العمام الرئيسي لحوكمة الشركات الجيدة وذلك من خلال تحقيق المسائلة والتزامه وتحكيم العمليات مما يؤدي إلى توافر الثقة بين أصحاب المصالح بشكل عام.

دراسة: Johi, S. K, & others (2017)

تمثلت مشكلة الدراسة في دراسة العلاقة بين جودة المراجعة الداخلية (ومكوناته) والمستحقات غير العادلة، كونه وكيل لجودة التقارير المالية، كما تبذل الدراسة جهوداً للدراسة الدور المعتدل للمجلس في هذه العلاقة باستخدام مجموعة بيانات فريدة من الردود على الاستقصاء والبيانات الأرشيفية من دولة نامية وهي ماليزيا.. هدفت الدراسة إلى اختبار تأثير الآليات المحاسبية الداخلية للمنشأة ووظيفة المراجعة الداخلية على جودة التقارير المالية للشركة وعلى وجه التحديد تبحث هذه الدراسة في الارتباط بين مقاييس جودة الاتحاد الدولي للملاحة الجوية والمستحقات غير الطبيعية (دليل لجودة التقارير المالية) وما إذا كان مجلس الإدارة يلعب دوراً في تخفيف العلاقة. توصلت الدراسة إلى أن جودة التدقيق الداخلي

ترتبط ارتباطاً إيجابياً بالمستحقات غير الطبيعية، مما يشير إلى انخفاض جودة التقارير المالية، على الرغم من أن نتائج الدراسة الأولية تظهر علاقة إيجابية غير متوقعة بين جودة المراجعة الداخلية والمستحقات غير العادلة، فإن هذه العلاقة تتوقف على ما إذا كانت الشركات تستعين بمصادر خارجية لأنشطة التدقيق الداخلي أو ما إذا كانت مرتبطة سياسياً.

التعليق على الدراسات السابقة:

قام الباحثان بدراسة وتحليل الدراسات السابقة المتعلقة بمتغيرات الدراسة وخلص إلى ما يلي:

- تناولت الدراسات السابقة بعض محاور الدراسة، إلا أنها لم تطرق إلى اثر الآليات المحاسبية لحكومة الشركات في جودة التحاسب الضريبي ومدى مساهمتها في تحديد وعاء للضريبة متفق عليه بطريقة عادلة دون الاحلال بجودة ونزاهة الفحص الضريبي.
- قلة الدراسات العربية التي بحثت في هذه العلاقة خاصة في بيئة الاعمال السودانية، حسب علم الباحثين.
- استفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في بناء فكرة الدراسة، وكذلك اختيار منهجية وأداة الدراسة، واختيار الاساليب الاحصائية والفرض والمتغيرات .

المحور الثاني: الإطار النظري

أولاً: الآليات المحاسبية لحكومة الشركات

يثير مصطلح حوكمة الشركات بعض الغموض لثلاثة أسباب رئيسية مرتبطة بحداثة هذا الاصطلاح: السبب الأول هو أنه على الرغم من أن مضمون حوكمة الشركات وكثير من الأمور المرتبطة به ترجع جذورها إلى أوائل القرن التاسع عشر، حيث تناولتها نظرية المشروع وبعض نظريات التنظيم والإدارة، إلا أن هذا الاصطلاح لم يعرف في اللغة الإنجليزية¹⁷⁷. يتداخل مصطلح حوكمة الشركات مع بعض المسائل الإدارية والمالية والاقتصادية والاجتماعية فضلاً عن تنوع المداخل التي يتبعها الكتاب والباحثون، وإختلاف نظرتهم وتوجهاتهم وإنجازاتهم¹⁷⁸ ويمكن تناول الآليات المحاسبة لحكومة الشركات على النحو الآتي:

1. المراجعة الداخلية في ظل الحكومة

تعتبر المراجعة الداخلية أحد آليات حوكمة الشركات التي تعمل على التأكيد من تحقيق استقلال المراجعين الداخلين ودراسة خطة عمل المراجعة الداخلية والتأكد من فاعليتها في إنجاز الأعمال الموكولة إليها ودراسة ومناقشة تقارير المراجعة الداخلية ومعالجة الملاحظات التي قد ترد بتقريره¹⁷⁹ حيث يجب أن تقوم المراجعة الداخلية في إطار الحكومة بالتحقق من كفاية نظام الرقابة الداخلية وفعالية تنفيذه وتقديم التوصيات التي من شأنها تفعيل النظام وتطويره إلى مجلس الإدارة بما يحقق أهداف الشركة. ومن هذه الأهداف مساعدة مجلس الإدارة على أداء مسؤولياته المالية، والتأكيد من سلامة نظام الرقابة الداخلية، وضبط جودة التقارير المالية.¹⁸⁰

يتضح للباحث مما سبق أن المراجعة الداخلية في ظل حوكمة الشركات تسهم في تعزيز شفافية القوائم المالية والقدرة على اكتشاف الأخطاء قبل حدوثها. وزيادة جودة التقارير المالية، كما تسهم في حماية أصول المنشأة من التلاعب عن طريق الشفافية. والتحقق من مدى توافق السياسات المحاسبية مع الخطط المرسومة.

¹⁷⁷ سراج، حسين عبد المطلب، حوكمة الوقف، الإسكندرية: الدار الجامعية، 2017، ص 140
الحمدي، عبد العظيم بن محسن، حوكمة الشركات، صناعة: دار المكتبة الوطنية، 2020، ص 8.
الشمرى، عيد بن حامد ، دور لجان المراجعة في تفعيل حوكمة الشركات المساهمة بالمملكة العربية السعودية، الرياض: جامعة الملك سعود، الندوة الثانية عرش لسيل تطوير المحاسبة في المملكة العربية السعودية، 2010، ص 11.

¹⁷⁹ الشمرى، عيد بن حامد ، دور لجان المراجعة في تفعيل حوكمة الشركات المساهمة بالمملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص 11.
¹⁸⁰ عبد الرحمن، نيفين حمدى، دراسة تحليلية للمعلومات المحاسبية الناتجة عن اندماج الشركات وأثرها على أسعار الأسهم – دراسة تطبيقية، القاهرة: جامعة عين شمس، كلية التجارة، رسالة ماجستير غير منشورة، 2007، ص 111.

2. لجان المراجعة:

أيضاً عرفت لجان المراجعة على أنها لجان تتكون من عدد من أعضاء مجلس الإدارة غير التنفيذيين وذلك لتقديم رؤية واضحة عن مدى تحقيق حوكمة الشركات ويكون أن يكون لها خط مباشر مع المساهمين عن طريق تقرير منفصل عن التقرير السنوي، وتسعى اللجنة كذلك إلى ضمان تأهيل الإدارة من أفراد مؤهلين وذوي خبرة لضمان قدرتهم على إدارة المخاطر بفعالية وأوجه رقابة سليمة في المنظمة، ولابد أن يكون أعضاء اللجنة من الأفراد الأكفاء لضمان قدرتهم على الالتزام وتحصيص وقت كافٍ وجهدٍ لمهمة الرقابة والمراجعة والمساءلة ومتابعة مدى الالتزام بالقيم الأخلاقية وترتيبات الحكومة.¹⁸¹ كما أنها تعد لجنة تتكون من أعضاء مجلس الإدارة غير المترفعين والمهنيين من خارج الشركة لكي تعمل كحلقة وصل لتنسيق عمل المراجع الخارجي والإدارة بصورة تؤدي إلى دعم استقلال المراجع الخارجي والمراجع الداخلي وزيادة فعالية عملية التدقيق وكذلك زيادة فعالية هيكل الرقابة الداخلية فضلاً عن أنها تمثل حماية لكافة المساهمين والجهات الأخرى من حالات الاحتيال في القوائم المالية.¹⁸²

يرى الباحثان مما سبق أن لجان المراجعة تسهم في تطبيق الحكومة وتحقيق جودة التقارير لذلك لابد أن تكون لجنة المراجعة ملمة بالمسائل المالية والمحاسبية والمعايير والقواعد المهنية. كما تسهم في الإفصاح عن جودة الرقابة الداخلية والتأكد من جودة أداء المراجع الخارجي.

3. المراجعة الخارجية في إطار الحكومة

تعتبر المراجعة الخارجية في إطار الحكومة بمثابة جرس الإنذار المبكر الذي يقع عند أي إنحراف مالي أو إداري ويتجسد هذا الدور من خلال التزامه بالوحدات الملقاة على عاته وحسن أدائه لمهنته وبعد منزلة الدعامة الأساسية لحماية وضمان جودة المعلومات المقدمة وبالتالي تعزيز مصداقيتها من خلال قيامه بالفحص المستقل الموضوعي وإضفاء الثقة في القوائم المالية ويمكن أن يتحقق هذا الدور من خلال حرصه على الإرتقاء بجودة التدقيق وتفعيل المسألة المهنية للمدقق¹⁸³ وتعرف المراجعة الخارجية في إطار الحكومة بأنها: الفحص الانتقادى للدفاتر والسجلات من طريق شخص خارجي محايد من أجل الحصول على رأى حول عدالة القوائم المالية.¹⁸⁴

يرى الباحثان أن المراجعة الخارجية في إطار الحكومة تعمل على مساعدة المؤسسات وأصحاب المصالح في زيادة درجة الثقة في التقارير المالية وذلك من خلال الفحص السليم لأليات الرقابة وتقييم جودتها وقطع الطريق أمام ممارسات الفساد المالي والإداري.

ثانياً: التحاسب الضريبي

كانت الضريبة منذ ظهورها في المجتمعات المختلفة على مر العصور حتى تاريخنا هذا تشكل أحد أهم الوسائل التي تساهم في تغطية نفقات الدولة المختلفة التي تقوم الدولة بتمويلها والمحافظة على ديمومتها وتحقيق بعض الأهداف

¹⁸¹ عبد المنعم ، وحيد، دور لجان المراجعة في تحقيق فعالية الرقابة الداخلية من منظور دور الحماية الشركات القاهرة: جامعة عين شمس ، كلية التجارة ، رسالة ماجستير في المحاسبة ، غير منشورة، 2018 ، ص 128—27.

¹⁸² عبد الرضا وأخرون ، تأثير التمكين في تنفيذ فعالية عمل لجان التدقيق في الميثاق التجارية الخاصة بغداد: جامعة بغداد ، كلية الإدارة و الاقتصاد ، مجلة الإدارة والإconomics ، العدد 11، المجلد 25، 2019 ، ص 584.

¹⁸³ سعيد، سعاد، وغزال اسماعيل وآخرون، الدور الحكومي للتدقيق في الشركات متعددة الجنسية، الكويت: جامعة تكريت، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة تكريت للعلوم الأدارية والاقتصادية، المجلد 10، العدد 32، بغداد، 2014، ص 27.

¹⁸⁴ رعباط، لطفي، الدور الحكومي لمدينة التدقيق، الجزائر: جامعة الجزائر 3، مجلة المستقبل الاقتصادي، المجلد 6، العدد 6، 2018، ص 56.

الاقتصادية والاجتماعية التي تسعى الدولة إلى الوصول إليها وذلك لتجسيد التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع على مختلف الطبقات فقيرة كانت أم وسطي أو متوسطي الغنية.¹⁸⁵

عرف التحاسب الضريبي بأنه الإجراءات الإدارية والمحاسبية والقانونية المتراقبة تجاه مكلفي الضرائب للتحصيل الضريبي وحسب قانون الضريبة النافذ. وبعبارة أخرى يعتبر عنصر مهم من عناصر النظام الضريبي يحدد المسؤوليات والتزامات المكلف الضريبي تجاه السلطة المالية وحسب القانوني الضريبي النافذ.¹⁸⁶

عرف التحاسب الضريبي بأنه أحد مكونات النظام الضريبي الذي يختص بتنفيذ أحكام التشريع الضريبي " فهو الذي يتولى تطبيق أحكام التشريع الضريبي المتضمنة للسياسة الاقتصادية والضريبية والخضوع لتجسيدها على الواقع.¹⁸⁷

يستنتج الباحثان من مفهوم التحاسب الضريبي الآتي:

1. تطبيق أحكام التشريع الضريبي المتضمنة للسياسة الضريبية والسعى لتجسيدها على واقع الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع
2. عنصر من عناصر النظام الضريبي الذي يختص بتنفيذ أحكام التشريع الضريبي.
3. التنظيم الفي للضربي والمتناول كيفية قياس المادة الخاضعة للضريبة،
4. التنظيم الفي للضربي الذي يتناول كيفية قياس المادة الخاضعة للضربي وربط وتحصيل الضريبة على نتيجة هذا القياس.

يعرف الباحثان التحاسب الضريبي بأنه القيام بإجراء فحص لسجلات ودفاتر المكلف بصورة دقيقة بغرض تحديد وقياس الدخل الخاضع للضربي، وفقاً للتشريعات والقوانين الضريبية من أجل احتساب الضريبة الواجبة السداد على المكلف وتحقيق الأهداف الضريبية بكفاءة عالية وفاعلية تامة.

وهنالك عدة إجراءات يتم اتخاذها في سبيل القيام بعملية التحاسب الضريبي منها.¹⁸⁸

1. فحص دورة العمل المحاسبي لمنشأة المكلف بدفع الضريبة.
2. فحص دورة العمل الإداري لمنشأة محل التحاسب الضريبي.
3. فحص نظام الرقابة الداخلية المطبق في منشأة المكلف.
4. تقييم الإقرار الضريبي المقدم من قبل المكلف.

5. تعديل الإقرار الضريبي المقدم من قبل المكلف، وذلك إذا توفرت أدلة تستوجب القيام بذلك.

يتضح للباحث إن الإجراءات المتبعة بالتحاسب للإقرار الضريبي للوصول إلى الدخل الحقيقي ومصادره إذا ما طبقت على الوجه الصحيح قد تتحقق دورها في الحد من التهرب الضريبي وبالتالي رفع كفاءة التحاسب الضريبي.

ثالثاً: دور الآليات المحاسبية لحكومة الشركات في تحقيق جودة التحاسب الضريبي

1. دور لجان المراجعة في ظل الحكومة وتحقيق جودة التحاسب الضريبي:

¹⁸⁵ خليل، حسام الدين احمد، وصوان، محمد عبد الله ، والطراونة، صفي حسين، الغرامات والجزاءات والعقوبات في قانوني ضريبة الدخل والمبيعات الأردني وقانون ضريبة القيمة المضافة الإماراتي، عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع، 2022، ص 1

¹⁸⁶ عايش، عروبة معين ، التحاسب الضريبي لنشاطات الاقتصاد الرمادي في العراق بحث تطبيقي في البيئة العامة للضرائب، بغداد: الجامعة المستنصرية، مجلة الادارة والاقتصاد، المجلد 6-1، العدد 133، 2022، 167-179.

¹⁸⁷ داؤود، محمد حلو، التحاسب الضريبي بين المحاسبة الابداعية وضوابط الادارة الضريبية، بغداد: مجلة كلية اليرموك الجامعية، المجلد 8، 2016، ص 50.

¹⁸⁸ ياسر زكريا الشافعي، حوكمة الإدارة الضريبية لرفع كفاءة التحاسب الضريبي، العباسية، دار الصياغة المؤتمر الضريبي الثاني والعشرين، تطوير النظام الضريبي المصري في ضوء متطلبات الاستثمار والتنمية، الفترة 8-9 يونيو، 2015، ص 21.

للهيئة تقارير مالية تتسم بالإفصاح والشفافية للأطراف المستخدمة ومنها السلطة المالية لأغراض التحاسب الضريبي في ظل مبادئ لجان المراجعة، فإنها تسعى إلى تحسين عملية إدارة منشآت الأعمال والرقابة عليها وحماية مصالح المساهمين وغيرهم من ذوي العلاقة، وتجنب الغش والاحتيال وإساءة استخدام السلطات من قبل إدارة المنشأة، وتقوم بدراسة القوائم المالية ومناقشة نتائج عمل المراجعين الداخليين والخارجيين، بما يوفر المعلومات اللازمة للمستخدمين وفي الأوقات المناسبة لمساعدتهم في اتخاذ قراراتي، والالتزام بالقواعد والتعليمات والقوانين والشفافية وال الموضوع.¹⁸⁹

ويتمثل الهدف الأساسي للجان المراجعة في الإشراف على السياسات المحاسبية والتقارير المالية للشركة والالتزام بتعليماتها، وبذلك فهي تساعد الإدارة على تنفيذ مسؤولياتهم القانونية.¹⁹⁰

تتمثل مهام لجان المراجعة في الإشراف على السياسات المحاسبية والتقارير المالية للشركة والالتزام بتعليماتها إذ تساعد اللجنة مجلس الإدارة في تلبية مسؤولياته القانونية والعمل كحلقة وصل بين مجلس الإدارة وكل من المراجع الداخلي، وابرزها متابعة مدى استجابة المسؤولين عن المحاسبة والتدقيق بالشركة لتساؤلات المراجع الخارجي حول أسباب حالات الاحتيال والتلاعب في القوائم المالية وأوجه القصور في الرقابة الداخلية وأثرها على عملية إعداد التقارير المالية وقد أشارت لجنة إعداد التقارير المالية في المملكة المتحدة في تقريرها الدليل الموحد لجنة التدقيق إلى مهام لجنة المراجعة في¹⁹¹ التأكد من نزاهة وسلامة التقارير المالية وإجراءات التدقيق وذلك من خلال تأكيد استقلالية وموضوعية المراجع الخارجي من خلال قيامه بالعمل ، مراجعة وعاء الضريبة والسداد مع المصلحة ومستحقات المصلحة مع ما تم سداده. مراجعة وعاء الضريبة والسداد مع المصلحة ومستحقات المصلحة مع ما تم سداده اقتراح تكليف ومدى استمرار قيام المراجع الخارجي بالأعمال الضريبية وتحديد أتعابها من خلال تكليفه بمراجعة الإقرار الضريبي للعام للتأكد من سلامية البيانات والمعلومات الواردة بالإقرار وصحة حساب الضريبة المستحقة عن العام والضريبة المؤجلة. التأكيد من امتلاك الشركة لنظام رقابة داخلي سليم أو اي أنظمة للرقابة على المخاطر الغير مالية كما أن لجنة دورا خاصا في التأكيد الذي يعطيه مجلس الإدارة إلى أصحاب المصالح حول نزاهة وسلامة إجراءات التدقيق . زيادة مزايا ضريبية عند المحاسب الضريبي لثقة مصلحة الضرائب في بيئة الرقابة في الشركة ومصداقية التقارير المالية¹⁹².

2. دور المراجعة الداخلية في ظل حوكمة الشركات وتحقيق جودة التحاسب الضريبي

يمثل نظام الرقابة الداخلية في الإدارة الضريبية أحد الأركان الرئيسية في نظام المحاسبة الضريبية، حيث يتطلب التطبيق السليم للقوانين والتشريعات الضريبية ضرورة وضع نظام كفاءة للرقابة الداخلية يتضمن إجراءات وضوابط رقابية يتم تصميمها لضمان تحقيق الإدارة الضريبية أهدافها والالتزامها بالقوانين واللوائح والرقابة على اقتصاد الأنشطة والسياسات الإدارية وكفاءة عمليات الحصر والفحص والربط والتحصيل، وبالرغم من أن الإدارة تتمتع باستقلالية كاملة من الناحية الشكلية إلا أنه يلاحظ عدم فعالية دور الرقابي فيما بغرض تحسين عملية التحاسب الضريبي حيث أن نقص

¹⁸⁹ احمد، حسين مهند سعدي، اثر لجان التدقيق في تحسين مستوى جودة الرباح في الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية، عمان: جامعة الشرق الأوسط، كلية الأعمال، رسالة ماجستير غير منشورة، 2015، ص 26.

¹⁹⁰ علي ، مصطفى سالم، إطار مقترح لدراسة العلاقة بين فعالية لجان المراجعة وجودة الأداء المهني لمراقب الحسابات ، القاهرة : المجلة العلمية الاقتصاد والتجارة ، العدد 2016، 1، ص 602.

¹⁹¹ عبد الجليل، محمد، أهمية عمل لجان التدقيق وتكاملها مع مهام ديوان الرقابة المالية الاتحادي في الحد من حالات الاحتيال، بغداد : مجلة الجمعية العراقية للمحاسبين القانونيين ، العدد 1، 2014، ص 111.

¹⁹² حجازي ، وجدى حماد حامد، (2007م)، مؤشرات تحسين فعالية لجان المراجعة وأثرها في تعديل الحكومة الجيدة للشركات ، دراسة نظرية ميدانية ، القاهرة: أكاديمية السادات للعلوم الإدارية ، مجلة البحوث الإدارية ، العدد 3.

كفاءة الأفراد العاملين بالإضافة إلى عدم توافر نظام متكمال وفعال للرقابة الداخلية الأمر الذي يؤدي إلى إحداث خلل بعملية التحاسب الضريبي واحتمال وجود العديد من المخاطر المحيطة بعملية التحاسب الضريبي.¹⁹³

ان الارتباط القائم بين المحاسبة الضريبية والنظرية العامة للمحاسبة ومجالات المعرفة المحاسبية المرتبة بها لم يأت لمجرد الصدفة لكن هنا الارتباط قد يساهم في حل المشاكل التي تعجز النصوص عن أبداء الرأي فيها، مثلاً التحاسب الضريبي، فالمحاسب الضريبي وقياس الدخول والتصرفات الخاضعة للضريبة بالإضافة إلى هذا فإن المحاسب الضريبي قد يؤكّل إليه مهمة تنظيم دفاتر المكلفين واختبار المجموعة الدفترية والدورات المستندية التي تناسب وطبيعة النشاط الذي يزاوله المشروع ويرى المحاسب الضريبي عند اختباره السجلات والدورات المستندية ما يتطلبه قانون الدفاتر التجارية والتشريعات الضريبية، والي يقف دور المحاسب الضريبي عند هذا الحد بل يقوم بأعداد إقرارات المكلفين واعتمادها ويقصد باعتماد القرار الضريبي من محاسب الضرائب هو الاعتراف الصريح منه بأن صافي الربح أو صافي الإيراد الخاضع للضريبة قد يتم بما يتفق مع أحكام التشريع الضريبي ومبادئ المحاسبة وقواعد المعرفة على لها.

على أن يسترشد بما استقر عليه القضاء وما قررت عليه أحكام المحاكم على أن يأخذ في اعتباره التعديلات التي أجرتها الإدارة الضريبية على إقرار المكلف، دور المحاسب على أن لن يقف على الإقرار إنما يذهب مع المكلف ويقدم له رأيه ومشورته.¹⁹⁴

يتمثل دور المراجعة الداخلية في التحقق من الثبات في السياسات المحاسبية وأسباب التغير إن حدثت، والتأكد من كفاية الإفصاح، وعدم وجود حالات غش أو قصور في عمليات الرقابة الداخلية، ومراجعة تقديرات الإدارة، والتأكد من مدى موافقة استراتيجيات الإدارة مع القيم الأخلاقية. ولزيادة فاعلية المراجعة الداخلية في جودة التحاسب الضريبي لا بد من الأخذ في الاعتبار الكفاءة العلمية والعملية للمراجع الداخلي، والمتطلبات المهنية التي تفرضها المعايير وقواعد سلوك وأداب المهنة، وتحقيق أكبر قدر ملائم من الاستقلالية للمراجع الداخلي وعليه فإن المراجعة الداخلية تساهُم في زيادة موثوقية القوائم المالية من خلال تحسين سلوك الإدارة، ومراقبة مبررات تغيير السياسات المحاسبية، ومعايير اختيار الإدارة للتقديرات المحاسبية.¹⁹⁵

3. دور المراجعة الخارجية في ظل حوكمة الشركات وتحقيق جودة التحاسب الضريبي

تقديم المراجعة الخارجية في إطار الحكومة التأكيدات الالزمة عن صحة البيانات المالية والأرقام التي تمثل الأحداث الاقتصادية وتعد الضريبة حدثاً اقتصادياً واجب التسجيل والمراجعة وتعد مراجعة حسابات الضرائب جزءاً من مراجعة الحسابات المالية وتمثل جزءاً هاماً من هذه التأكيدات حيث أن الضرائب هي نقدية ويتم التعبير عنها ببيانات مالية إلا أن هذه البيانات المالية تحمل أيضاً قيمة غير مالية تتمثل في إلتزام المنشأة بالضريبة مما يوضح أهمية مراجعتها وتخصيص حيز كافٍ لها من برنامج المراجعة ويمثل المراجعون الخارجيون دوراً أساسياً في حوكمة الشركات وذلك من خلال شهادتهم على صحة القوائم والتقارير المالية المنشورة وإضافة الثقة والمصداقية عليها وتوكيد اللجنة الفنية التابعة للمنظمة العالمية للهيئات المشرفة أن الفهم العام لمصداقية التقارير المالية يتأثر (osco) على تداول الأوراق المالية إلى حد كبير بفعالية المدققين الخارجيين في تدقيق القوائم المالية وإعداد التقارير عن ذلك. كما أنها تمثل رقابة سابقة تتم قبل إعداد البيان الضريبي بينما تتم المراجعة الضريبية من قبل الدوائر الضريبية بعد تقديم البيان الضريبي وقد أوضحت

¹⁹³ غنيم، سامي احمد، محددات تطوير النظام الضريبي المصري لملائمة التحديات المعاصرة، القاهرة: العباسية، دار الضيافة . الجمعية المصرية للمالية العامة والضرائب، المؤتمر الضريبي الثامن عشر، المجلد2 ،الفترة: 26 - 28 يونيو، 2012، ص 36

¹⁹⁴ سنادة، محمد عبد الله، دور الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات في الحد من ممارسة أساليب المحاسبة الإبداعية دراسة ميدانية على ديوان المراجعة القومي ومكاتب المراجعة بولاية الخرطوم، الخرطوم: جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير في المحاسبة، 2017، ص 80

¹⁹⁵ باناصر، ليس جمبل ، الصانع، مها فيصل، دور الآليات المحاسبية لحوكمة الشركات في الحد من ممارسات المحاسبة الإبداعية في شركات قطاع الاتصالات بمدينة الرياض: دراسة ميدانية، الرياض: جامعة الملك عبد العزيز، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية، المجلد4، العدد15، 2020، ص 8

المعايير الدولية بجاء إلى أن ضمان أن عمليات المنشأة تتم لأحكام القوانين والأنظمة بما في ذلك الامتثال لأحكام القوانين والأنظمة الضريبية التي تحدد المبالغ والإقصاءات الواردة في البيانات المالية للمنشأة هي من مسؤولية الإدارة تحت إشراف المكلفين بالحكومة أما مسؤولية المراجع في الحصول على ما يكفي من أدلة المراجعة المناسبة عن مدى الالتزام بأحكام القوانين والأنظمة (بما فيها القوانين والأنظمة الضريبية) إلا أن المراجع غير مسؤول عن منع عدم الالتزام، ولا يتوقع منه أن يكتشف عدم الالتزام بكافة القوانين والأنظمة (بما فيها القوانين والأنظمة الضريبية)

(International Auditing and Assurance Standards Board 2013, P203.)

ويقع على عاتق المراجع مسؤولية الحصول على تأكيد معقول بأن البيانات المالية والتي سيتم الاعتماد عليها في إعداد البيانات الضريبية تخلو بمجملها من الأخطاء الجوهرية سواء كانت بسبب الاحتيال أو الخطأ وبصفة عامة ينبغي أن يكون المراجع فطنًا يقطن نحو الحصول على الدلائل التي تكشف عن أوجه التلاعب المحتمل، وفي الواقع فإن خاصيتي الحذر والشك المنطقي ربما يعتبران من أكثر المهارات التي ينبغي أن يتمتع بها المراجع. وبالطبع فلا يكفي اكتشاف التلاعب وإنما يتطلب الأمر تتبعه وضمان توفير بيئة صالحة خالية من التلاعب والاحتيال (بما في ذلك الاحتيال الضريبي) وفي معظم الحالات غالباً ما يكون الدافع للقيام بعملية مراجعة أوجه التلاعب هو حصول المراجع على إشارة تفيد بحدوث عمليات غير عادلة من ناحية أو فقد سجلات معينة من ناحية أخرى ويجب على المراجع أن:

(ifac.org/s/2018.)

يمكن للمكلفين أن يقوموا بتكليف المراجع الخارجي للشركة بالقيام بإعداد البيان الضريبي، وهذه المهمة حسب المعايير إنما تندرج تحت بند الخدمات الضريبية المقدمة للإدارة، وإن قيام مراجع الحسابات بإعداد البيان الضريبي لتقديمه إلى الدوائر الضريبية، إنما يقع في صلب عمل مراجع الحسابات ولا يشكل أي تهديد لحياته، بل على العكس إذا كان المراجع هو الذي يعد البيان الضريبي فهذا يقدم ضماناً إلى الدوائر الضريبية أن هذا البيان يعرض أرباح المشروع بحسب التعليمات المطلوبة دون انحراف، كما أن قيام مرجع الحسابات بهذا الدور يقدم دخلاً إضافياً لمنشآت المراجعة، يمكنها من تعزيز دورها الاجتماعي والاقتصادي هنا وقد جاء في دليل السلوك المبني الصادر عن الاتحاد الدولي للمحاسبين (IFAC) أن قيام المراجع بتقديم خدمات استشارية إدارية ومالية للعملاء يعد اقتصاداً في الجهد والخبرة، كونه أصبح يألف أعمال العملاء نتيجة الارتباط والتعايش المتواصل مع أعمال العميل مما يمكنه من تقديم خدمات مفيدة بتكليف أقل وبوقت أقصر¹⁹⁶

ومع ذلك فإن السمعة الضريبية للمراجع الخارجي المعين من الهيئة العامة للمساهمين تلعب دوراً في تعينه من قبل الإدارة كمعد للبيان الضريبي وبما أن للإدارة حرية اختيار من تتعاقد معه لإعداد البيان الضريبي فإنها قد تلجأ إلى محاسب قانوني مختلف عن المدقق الخارجي المعين من الهيئة العامة للمساهمين وذلك حسب اعتبار الإدارة وتوصيات لجنة التدقيق.

ويمكن أن يقوم المراجع الخارجي بتمثيل العميل في حل النزاعات الضريبية وقد تم الإشارة في ق واعد السلوك الأخلاقي للمحاسبين المهنيين الصادرة عن الاتحاد الدولي للمحاسبين (IFAC) إلى احتمال وجود تهديد على استقلالية المراجع عند تمثيل العميل في حل النزاعات الضريبية، وأن على المراجع تقييم أهمية أي تهديد ناشئ عن تقديم مثل هذه الخدمات وتطبيق الإجراءات الوقائية عند الضرورة للقضاء على التهديد أو تقليصه لمستوى مقبول كإشراك خبير ضريبي لم يشارك في توفير خدمات الضريبة لتقديم المشورة إلى فريق المراجعة أو الحصول على المشورة حول الخدمات من خبير ضريبة خارجي إلا أنه وفي حال شمول الخدمات الضريبية العمل كمحام للعميل من أجل حل النزاع حول المسألة الضريبية وكانت

¹⁹⁶ القاضي، حسين يوسف، دحدوح، حسين أحمد، قرط، عصام نعمة، أصول المراجعة ، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، 2001، ص224.

المبالغ المتضمنة مهمة للبيانات المالية فإن التهديد على الاستقلالية سيكون كبيراً بحيث لا يمكن تخفيضه لدرجة مقبولة وعندها على المراجع ألا يقوم بهذه الخدمات ولا يمنع ذلك من لعب دور استشاري مستمر فيما يتعلق بالمسائل المطروحة أمام المحكمة

تسمح الدوائر الضريبية والمهنة للمراجعين أن يكونوا وكلاء أو مفوضين للمكلفين بما يسمح بتمثيلهم أمام الدوائر الضريبية على أنه لا يجوز لغيرهم القيام بذلك وقد جاء في المادة 32 من القانون 33 لعام 2009 أنه ومع مراعاة مبدأ الاستقلالية للمحاسب القانوني في حدود اختصاصاته المنصوص عليها الحضور عن ذوي الشأن أمام الدوائر الضريبية، واللجان المالية أو ذات الاختصاص القضائي بموجب وكالة أو تفويض أصولاً وذلك للقيام بالأعمال والإجراءات المتعلقة بالمهام الموكلة إليه في حدود ما تقتضيه أعمال مزاولة مهنة المحاسبة والتدقيق ولا يجوز لغير المحاسبين القانونيين وأصحاب العلاقة بالذات الحضور أمام الجهات المذكورة.

ثانياً: وصف مجتمع وعينة الدراسة :

1. مجتمع الدراسة

يقصد بمجتمع الدراسة المجموعة الكلية من العناصر التي يسعى الباحث أن تعمم عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة حيث يتمثل مجتمع الدراسة في عينة من ديوان الضرائب - ولاية الخرطوم.

2. عينة الدراسة وخصائصها :

وتم اختيار مفردات عينة البحث بطريقة العينة العشوائية، حيث تم توزيع عدد (150) استبانة على أن يشمل التوزيع جميع المستويات الموضحة في مجتمع البحث وتم استرجاع (140) استبانة سليمة تم استخدامها في التحليل بيانها كالتالي:

جدول (1)

الاستبيانات الموزعة والمعادة

البيان		العدد	النسبة
استبيانات تم إعادتها بعد تعبيتها كاملاً		140	%93
استبيانات لم يتم إعادتها		10	%7
استبيانات غير مكتملة (ناقصة)		-	-
أحمالي الاستبيانات الموزعة		140	%100

المصدر: إعداد الباحث، الدراسة الميدانية، 2023م.

من الجدول أعلاه يتضح أن معدل الاستجابة بلغ 93% من الاستبيانات الموزعة وهذا المعدل جيد جداً.

ثالثاً: الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة

قام الباحث بترميز أسئلة الاستبانة ومن ثم تفريغ البيانات التي تم جمعها من خلال الاستبيانات وذلك باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) "Statistical Package for Social Sciences" ومن ثم تحليلها من خلال مجموعة من الأساليب الإحصائية المناسبة لطبيعة البيانات ونوع متغيرات الدراسة، لتحقيق أهداف البحث واختبار فروض الدراسة، ولقد تم استخدام الأدوات الإحصائية التالية:

1. إجراء اختبار الثبات (*Reliability Test*) لأسئلة الاستبانة المكونة من جميع البيانات باستخدام "معامل إلفا كرونباخ" (*Cronbach's Alpha*). وبعد المقياس جيداً وملائماً إذا زادت قيمة ألفا كرونباخ عن (60%).

2. أساليب الإحصاء الوصفي: وذلك لوصف خصائص مفردات عينة الدراسة من خلال عمل جداول تكرارية تشمل التكرارات والنسب المئوية والرسومات البيانية لمتغيرات (العمر، التخصص العلمي ، المؤهل العلمي ، المستوى الوظيفي ، سنوات الخبرة)، للتعرف على الاتجاه العام لمفردات العينة بالنسبة لكل متغير على حدي، والانحراف المعياري لتحديد مقدار التشتت في إجابات المبحوثين لكل عبارة عن المتوسط الحسابي لإجابات العينة باستخدام مقاييس لديكارت الخماسي لقياس اتجاه آراء المستجيبين.

3. أساليب الإحصاء الاستدلالية: وذلك لاختبار فروض الدراسة، وتمثلت هذه الأساليب في استخدام – الانحدار الخطى البسيط

وقد اتبع الباحث الخطوات التالية في اختبار فرضيات الدراسة:

1. تحليل البيانات الأساسية للدراسة للتمكن من معرفة مدى تمثيلهم لمجتمع الدراسة وقد قام الباحث بتلخيص البيانات في جداول والتي توضح قيم كل متغير لتوضيح أهم المميزات الأساسية للعينة في شكل أرقام ونسب مئوية لعبارات الدراسة

2. حساب المتوسط والانحراف المعياري لجميع عبارات الدراسة وذلك لمعرفة اتجاه عينة الدراسة لعبارات المقاييس وترتيبها وفقاً لإجابات المستقصي منهم.

3. ولاختبار الفرضيات قام الباحث باستخدام الانحدار الخطى البسيط.
رابعاً: صدق وثبات الاستبانة :

الصدق الظاهري(صدق المحكمين): تم عرض المقاييس (الاستبانة) على مجموعة من المحكمين تألفت من (10) من الأكاديميين العاملين في جامعة النيلين وجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا وجامعة القرآن الكريم وجامعة أم درمان الإسلامية وقد استجاب الباحث لآراء السادة المحكمين وقام بإجراء ما يلزم من تعديل.

ثبات فقرات الاستبانة: في هذه الجزئية تم إيجاد معامل ألفا كرونباخ الذي يعتبر مقياس أو مؤشر لثبات الاختبار (الاستبانة). وجدول رقم (2) يوضح قيم معاملات ألفا كرونباخ لكل بعد على انفراد وللمقياس ككل.

جدول رقم (2)

معامل الثبات (طريقة ألفا كرونباخ)

معامل ألفا كرونباخ	عدد العبارات	المعاون
0.798	5	البعد الاول
0.858	5	البعد الثاني
0.772	5	البعد الثالث
0.854	11	المحور الثاني
0.906	26	جميع العبارات

المصدر: إعداد الباحث، الدراسة الميدانية، 2023م

الجدول رقم (2) أن قيمة معامل ألفا كرونباخ لجميع عبارات الاستبانة (0.906) وتعبر هذه القيمة عن درجة عالية من الثبات مما يعكس ثبات إجابات المبحوثين، وهذا بدوره يدل على القدرة العالية لأداة الدراسة على قياس ما صممت من أجله.

1. الإحصاءات الوصفية (المتوسط الحسابي والانحراف المعياري) لعبارات المعاون:

المحور الأول: الآليات المحاسبية لحكومة الشركات

جدول رقم (3)

الإحصاءات الوصفية لعبارات المحور الأول

درجة الموافقة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العبارات
البعد الأول: المراجعة الداخلية كآلية لحكومة.			
مرتفعة جدا	.61	4.1	مراجعة التنفيذ الفعلي للمهام داخل كل قسم من الأقسام.
مرتفعة جدا	.70	4.2	مراجعة الطريقة التي يعمل بها نظام المعلومات المحاسبي.
مرتفعة جدا	.70	4.4	التحقق من صحة ودقة البيانات المسجلة بالدفاتر والسجلات المحاسبية.
مرتفعة جدا	.81	4.2	فحص وتقديم نظم الرقابة الداخلية.
مرتفعة جدا	.88	4	مراجعة اجراءات ادارة المخاطر.
البعد الثاني: المراجعة الخارجية كآلية لحكومة.			
مرتفعة جدا	.76	4.2	تضمين التقرير رأي المراجع الخارجي عن القوائم المالية.
مرتفعة جدا	.63	4.3	اعداد التقارير ورفعه للجنة المراجعة.
مرتفعة جدا	.59	4.3	التحقق من صحة وارصدة بنود القوائم المالية.
مرتفعة جدا	.83	4.1	الالتزام بآداب وقواعد السلوك المهني.
مرتفعة جدا	.82	4.1	الافصاح عن نطاق عملية المراجعة ومسؤوليته تجاه القوائم المالية.
البعد الثالث: لجان المراجعة كآلية لحكومة.			
مرتفعة	1	3.8	تشكيل لجنة المراجعة من الاعضاء غير التنفيذيين بمجلس الادارة.
مرتفعة	.96	3.8	تعيين اعضاء لجنة المراجعة من قبل الجمعية العمومية.
مرتفعة جدا	.72	4	القدرة على ممارسة التقدير الحكم بعيداً عن تأثير الادارة التنفيذية.
مرتفعة جدا	.73	4.2	المعرفة والمقدرة الجيدة لتحليل وتفسير القوائم والتقارير المالية.
مرتفعة جدا	.92	4	متابعة تطبيق القوانين واللوائح المرتبطة بنشاط الوحدة.

المصدر : إعداد الباحث، الدراسة الميدانية ، 2023م

يتضح من الجدول رقم (3) ما يلي:

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الأولى (4.1) بانحراف معياري (.61). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الأولى.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الثانية (4.2) بانحراف معياري (.70). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الثانية.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الثالثة (4.4) بانحراف معياري (.70). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الثالثة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الرابعة (4.2) بانحراف معياري (.81). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الرابعة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الخامسة (4) بانحراف معياري(88). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الخامسة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة السادسة (4.2) بانحراف معياري(76). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون بشدة على العبارة السادسة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة السابعة (4.3) بانحراف معياري(63). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون بشدة على العبارة السابعة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الثامنة (4.3) بانحراف معياري(59). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الثامنة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة التاسعة (4.1) بانحراف معياري(83). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون بشدة على العبارة التاسعة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة العاشرة (4.1) بانحراف معياري(82). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون بشدة على العبارة العاشرة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الحادية عشر (3.8) بانحراف معياري(1) وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون على العبارة الحادية عشر.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الثانية عشر (3.8) بانحراف معياري(96). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون على العبارة الثانية عشر.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الثالثة عشر (4) بانحراف معياري(72). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون على العبارة الثالثة عشر.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الرابعة عشر (4.2) بانحراف معياري(73). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الرابعة عشر.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الخامسة عشر (4) بانحراف معياري(92). وهذه القيمة تدل على أن معظم أفراد العينة موافقون على العبارة الخامسة عشر.

المحور الثاني: جودة التحاسب الضريبي.

جدول رقم (4)

الإحصاءات الوصفية لعبارات المحور الثالث

درجة الموافقة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العبارات
مرتفعة جدا	.67	4.5	التأكد من تطبيق الدورة المحاسبية وانتظام الدفاتر والسجلات المحاسبية.
مرتفعة جدا	.67	4.4	التحقق من صحة ودقة البيانات المحاسبية المسجلة بالدفاتر والسجلات وانها تشمل كافة انشطة المكلف.
مرتفعة جدا	.74	4.3	تحديد وعاء للضريبة متفق عليه بطريقة عادلة دون الاخالل بجودة ونزاهة الفحص الضريبي.
مرتفعة جدا	.78	4.2	فحص نظام الرقابة الداخلية المطبق في منشأة المكلف.

مرتفعة جدا	.61	4.4	فحص الاقرارات الضريبية المقدمة من قبل المكلفين.
مرتفعة جدا	.69	4.3	فحص دورة العمل المحاسبي لمنشأة المكلف بدفع الضريبة.
مرتفعة جدا	.72	4.3	فحص دورة المستندات لمنشأة محل التحاسب الضريبي.
مرتفعة جدا	.78	4.3	تحديد مقدار الوعاء الضريبي لتقدير قيمة الضريبة المستحقة علي المكلف ثم اخطاره بها.
مرتفعة جدا	.77	4.3	تقويم القوائم المالية وسجلات ودفاتر وحسابات المكلف.
مرتفعة جدا	.86	4.2	تقويم الاقرار الضريبي المقدم من قبل المكلف لتحديد الضريبة الواجبة.
مرتفعة جدا	.86	4.2	تعديل الاقرار الضريبي المقدم من قبل المكلف متى ما توافرت ادلة واثبات تستوجب القيام بذلك.

المصدر : إعداد الباحث ، الدراسة الميدانية ، 2023 م

يتضح من الجدول رقم (4) ما يلي:

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الأولى (4.5) بانحراف معياري (67). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الأولى.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الثانية (4.4) بانحراف معياري (67). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الثانية.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الثالثة (4.3) بانحراف معياري (74). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الثالثة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الرابعة (4.2) بانحراف معياري (78). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الرابعة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الخامسة (4.4) بانحراف معياري (61). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الخامسة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة السادسة (4.3) بانحراف معياري (69). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة السادسة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة السابعة (4.3) بانحراف معياري (72). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة السابعة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الثامنة (4.3) بانحراف معياري (78). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الثامنة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة التاسعة (4.3) بانحراف معياري (77). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة التاسعة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة العاشرة (4.2) بانحراف معياري (86). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة العاشرة.

بلغت قيمة المتوسط لأفراد عينة الدراسة للعبارة الحادية عشر (4.2) بانحراف معياري (86). وهذه القيمة تدل على أن معظم إفراد العينة موافقون بشدة على العبارة الحادية عشر.

اختبار الفرضيات:

1. اختبار الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى من فرضيات الدراسة على الآتي:

"توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المراجعة الداخلية كآلية للحكومة وجودة التحاسب الضريبي".

هدف وضع هذه الفرضية إلى بيان أثر المراجعة الداخلية كآلية للحكومة على جودة التحاسب الضريبي ، وللحصول على صحة هذه الفرضية سيتم استخدام أسلوب الانحدار الخطي البسيط في بناء النموذج حيث أن المراجعة الداخلية كآلية للحكومة كمتغير مستقل (x₁)، وجودة التحاسب الضريبي (y₂) كمتغير تابع وذلك كما في الجدول الآتي:

جدول رقم (5)

نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط على عبارات الفرضية الأولى

التفسير	القيمة الاحتمالية (Sig)	اختبار (t)	معاملات الانحدار	
معنوية	0.000	6.919	2.574	$\hat{\beta}_1$
معنوية	0.000	4.834	0.420	$\hat{\beta}_2$
			0.381	معامل الارتباط (R)
			0.145	معامل التحديد (R ²)
النموذج معنوي		23.363		اختبار (F)

$$y_2 = 2.574 + .420x_1$$

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية، 2023م

ويمكن تفسير نتائج الجدول أعلاه كالتالي:

- أظهرت نتائج التقدير وجود ارتباط طردي ضعيف بين المراجعة الداخلية كآلية للحكومة كمتغير مستقل، وجودة التحاسب الضريبي كمتغير تابع حيث بلغت قيم معامل الارتباط البسيط (0.381).
- بلغت قيمة معامل التحديد (0.145)، وهذه القيمة تدل على أن المراجعة الداخلية كآلية للحكومة كمتغير مستقل يؤثر بـ(14.5%) على جودة التحاسب الضريبي (المتغير التابع).
- نموذج الانحدار البسيط معنوي حيث بلغت قيمة اختبار (F) (23.363) وهي دالة عن مستوى دلالة (0.000).
- 2.574 : متوسط جودة التحاسب الضريبي عندما تكون المراجعة الداخلية كآلية للحكومة تساوي صفرًا.
- 0.420: وتعني زيادة المراجعة الداخلية كآلية للحكومة وحدة واحدة يزيد من جودة التحاسب الضريبي بـ 42%.
- مما تقدم نستنتج أن فرضية الدراسة الرابعة والتي نصت على أن: "توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المراجعة الداخلية كآلية للحكومة وجودة التحاسب الضريبي" قد تحافت.

2. اختبار الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية من فرضيات الدراسة على الآتي:

"توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المراجعة الخارجية كآلية للحكومة وجودة التحاسب الضريبي".

هدف وضع هذه الفرضية إلى بيان المراجعة الخارجية كآلية للحكومة على جودة التحاسب الضريبي، وللحصول على صحة هذه الفرضية سيتم استخدام أسلوب الانحدار الخطي البسيط في بناء النموذج حيث أن المراجعة الخارجية كآلية للحكومة كمتغير مستقل (x₂)، وجودة التحاسب الضريبي (y₂) كمتغير تابع وذلك كما في الجدول الآتي:

جدول رقم (6)

نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط على عبارات الفرضية الثانية

التفسير	القيمة الاحتمالية (Sig)	اختبار (t)	معاملات الانحدار	
معنوية	0.000	8.670	2.768	$\hat{\beta}_0$
معنوية	0.000	5.030	0.376	$\hat{\beta}_1$
			0.394	معامل الارتباط (R)
			0.155	معامل التحديد (R^2)
النموذج معنوي		25.298	(F)	اختبار (F)
$y_2 = 2.768 + 0.376x_2$				

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية، 2023م

ويمكن تفسير نتائج الجدول أعلاه كالتالي:

- أظهرت نتائج التقدير وجود ارتباط طردي ضعيف بين المراجعة الخارجية كآلية للحكومة، وجودة التحاسب الضريبي كمتغير تابع حيث بلغت قيم معامل الارتباط البسيط (0.394).
 - بلغت قيمة معامل التحديد (0.155)، وهذه القيمة تدل على أن المراجعة الخارجية كآلية للحكومة كمتغير مستقل يؤثر بـ(15.5%) على جودة التحاسب الضريبي (المتغير التابع).
 - نموذج الانحدار البسيط معنوي حيث بلغت قيمة اختبار (F) (25.298) وهي دالة عن مستوى دلالة (0.000).
 - 2.768 : متوسط جودة التحاسب الضريبي عندما تكون المراجعة الخارجية كآلية للحكومة تساوي صفرًا.
 - 0.376: وتعني زيادة المراجعة الخارجية كآلية للحكومة وحدة واحدة يزيد من جودة التحاسب الضريبي بـ37.6%.
- ما تقدم نستنتج أن فرضية الدراسة الثانية والتي نصت على أن: "توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المراجعة الخارجية كآلية للحكومة وجودة التحاسب الضريبي" قد تحققت.

3. اختبار الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية الثالثة من فرضيات الدراسة على الآتي:

"توجد علاقة ذات دلالة إحصائية لجان المراجعة كآلية للحكومة وجودة التحاسب الضريبي".

هدف وضع هذه الفرضية إلى بيان أثر لجان المراجعة كآلية للحكومة على جودة التحاسب الضريبي، وللحقيقة من صحة هذه الفرضية سيتم استخدام أسلوب الانحدار الخطي البسيط في بناء النموذج حيث أن لجان المراجعة كآلية للحكومة كمتغير مستقل (x_3), وجودة التحاسب الضريبي (y_2) كمتغير تابع وذلك كما في الجدول الآتي:

جدول رقم (7)

نتائج تحليل الانحدار الخطي البسيط على عبارات الفرضية الثالثة

التفسير	القيمة الاحتمالية (Sig)	اختبار (t)	معاملات الانحدار	
معنوية	0.000	8.222	2.624	$\hat{\beta}_0$

معنوية	0.000	5.488	0.427	$\hat{\beta}$
			0.423	معامل الارتباط (R)
			0.179	معامل التحديد (R^2)
النموذج معنوي			30.117	اختبار (F)
$y_2 = 2.624 + 4.427x_3$				

المصدر: إعداد الباحث من الدراسة الميدانية، 2023م

ويمكن تفسير نتائج الجدول أعلاه كالتالي:

- أظهرت نتائج التقدير وجود ارتباط طردي ضعيف بين لجان المراجعة كآلية للحكومة كمتغير مستقل، و جودة التحاسب الضريبي كمتغير تابع حيث بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط (0.423).
- بلغت قيمة معامل التحديد (0.179)، وهذه القيمة تدل على أن لجان المراجعة كآلية للحكومة كمتغير مستقل يؤثر بـ(17.9%) على جودة التحاسب الضريبي (المتغير التابع).
- نموذج الانحدار البسيط معنوي حيث بلغت قيمة اختبار (F) (30.117) وهي دالة عن مستوى دلالة (0.000).
- 2.624 : متوسط جودة التحاسب الضريبي عندما تكون لجان المراجعة كآلية للحكومة تساوي صفرًا.
- 0.427 : وتعني زيادة لجان المراجعة كآلية للحكومة وحدة واحدة يزيد من جودة التحاسب الضريبي بـ42.7%.

ما تقدم نستنتج أن فرضية الدراسة الثالثة والتي نصت على أن: "توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين لجان المراجعة كآلية للحكومة و جودة التحاسب الضريبي" قد تحققت.

الخاتمة:

أولاً: النتائج

بعد عرض الاطار النظري واجراء الدراسة الميدانية توصلت الدراسة الى النتائج التالية:

1. وجود ارتباط طردي ضعيف بين المراجعة الداخلية كآلية للحكومة كمتغير مستقل، وجودة التحاسب الضريبي كمتغير تابع حيث بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط (0.381). حيث بلغت قيمة معامل التحديد (0.145)، وهذه القيمة تدل على أن المراجعة الداخلية كآلية للحكومة كمتغير مستقل يؤثر بـ(14.5%) على جودة التحاسب الضريبي (المتغير التابع).

2. وجود ارتباط طردي ضعيف بين المراجعة الخارجية كآلية للحكومة، وجودة التحاسب الضريبي كمتغير تابع حيث بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط (0.394). حيث بلغت قيمة معامل التحديد (0.155)، وهذه القيمة تدل على أن المراجعة الخارجية كآلية للحكومة كمتغير مستقل يؤثر بـ(15.5%) على جودة التحاسب الضريبي (المتغير التابع).

3. وجود ارتباط طردي ضعيف بين لجان المراجعة كآلية للحكومة كمتغير مستقل، وجودة التحاسب الضريبي كمتغير تابع حيث بلغت قيمة معامل الارتباط البسيط (0.423). حيث بلغت قيمة معامل التحديد (0.179)، وهذه القيمة تدل على أن لجان المراجعة كآلية للحكومة كمتغير مستقل يؤثر بـ(17.9%) على جودة التحاسب الضريبي (المتغير التابع).

ثانياً: التوصيات

بناءً على النتائج التي تم التوصل إليها اوصت الدراسة بالآتي:

1. التأكيد من أن المراجعة الداخلية كآلية للحكومة بالديوان تعمل على مراجعة التنفيذ الفعلى للمهام داخل كل قسم من الأقسام وفحص وتقويم نظم الرقابة الداخلية.

2. ان تؤدي المراجعة الخارجية كآلية للحكومة بالديوان المهام الموكلة لها من اعداد التقارير ورفعها للجنة المراجعة، وافصاح عن نطاق عملية المراجع ومسئوليته تجاه القوائم المالية. وان يتم تضمين التقرير رأي المراجع الخارجي عن القوائم المالية.
3. توفير المقومات الازمة للجان المراجعة كآلية للحكومة بالديوان كالقدرة علي ممارسة تقدير الحكم بعيدا عن تأثير الادارة التنفيذية، والمعرفة والمقدرة الجيدة لتحليل وتفسير القوائم والتقارير المالية، ومتابعة تطبيق القوانين واللوائح المرتبطة بنشاط الوحدة.
4. العمل على توفير المتطلبات الازمة للآليات المحاسبية للحكومة لما لها من دور فعال في التحقق من صحة ودقة البيانات المحاسبية المسجلة بالدفاتر والسجلات وامها تشمل كافة انشطة المكلف.
5. التوسع في دراسة الآليات المحاسبية للحكومة والتي تلعب دوراً هاماً في عملية التحاسب الضريبي للمساهمة في تحديد وعاء للضريبة متفق عليه بطريقة عادلة دون الاخلاص بجودة ونزاهة الفحص الضريبي
6. التأكيد من تطبيق الدورة المحاسبية وانتظام الدفاتر والسجلات المحاسبية مع تعديل الاقرار الضريبي المقدم من قبل المكلف متى ما توافرت ادلة اثبات تستوجب القيام بذلك.
7. تشجيع الالتزام الطوعي للمكلفين من خلال تقديم إقرارات صحيحة وسداد الضريبة مع إلزام المكلف بتطبيق الرابط الضريبي الإلكتروني وربط المشروع مع الديوان الإلكتروني.
8. تحديد وعاء للضريبة متفق عليه بطريقة عادلة دون الاخلاص بجودة ونزاهة الفحص.

مقترنات لبحوث مستقبلية:

- أ. أثر الآليات المهنية والتنظيمية للمراجع الخارجي في إطار الحكومة في الحد من ظاهرة التهرب الضريبي.
- ب. أثر المسؤولية المهنية للمراجع الخارجي في تحقيق جودة التحاسب الضريبي.

قائمة المصادر والمراجع:

- الزهيري، محمد سليمان عبود (2016م)، *اثر العناية المهنية لمراقب الحسابات في تفعيل التحاسب الضريبي* بأسلوب التقدير الذاتي، بغداد: جامعة البحرين، كلية اقتصاديات الاعمال ، مجلة الادارة والاقتصاد، العدد 106، إسحق، الأمين بركات إسحق، (2016م).*أثر التخصص القطاعي للمراجع الخارجي في تقويم كفاءة قرارات التحاسب الضريبي للمشروعات الفردية في السودان* – دراسة ميدانية ، الخرطوم: جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، رسالة دكتوراة الفلسفة في المحاسبة غيرمنشورة، عبد الله، تهاني أبو القاسم أحمد (2016م).*دور الآليات المحاسبية لحكومة الشركات في تخفيض مخاطر المراجعة-* دراسة ميدانية على بنك فيصل الإسلامي السوداني، الخرطوم: كلية الإمارات للعلوم والتكنولوجيا، مجلة كلية الدراسات والبحوث، العدد 1،

Johi, S, K, Johi, S, K., Subramaniam, N, Cooper, (2017) "Internal audit function, board quality and financial reporting quality: evidence from Malausia", Managerial Auditing Jounal, vol, 28, No 9,, PP: 780- 814.

- سراج، حسين عبد المطلب،(2017م)، *حكومة الوقف، الإسكندرية: الدار الجامعية*، ص140.
الحمدى، عبد العظيم بن محسن، (2020م)، *حكومة الشركات، صنعاء: دار المكتبة الوطنية*، ص.8.
الشمرى، عيد بن حامد ، (2010م)، *دور لجان المراجعة في تفعيل حركة الشركات المساهمة بالمملكة العربية السعودية، الرياض: جامعة الملك سعود، الندوة الثانية عرش لسبل تطوير المحاسبة في المملكة العربية السعودية*، ص11.

عبد الرحمن، نيفين حمدي، (2007م)، دراسة تحليلية للمعلومات المحاسبية الناتجة عن اندماج الشركات وأثرها على أسعار الأسهم - دراسة تطبيقية، القاهرة: جامعة عين شمس، كلية التجارة، رسالة ماجستير غير منشورة، ص 111.

عبدالمنعم، وحيد، (2018م)، دور لجان المراجعة في تحقيق فعالية الرقابة الداخلية من منظور دور الحماية الشركات القاهرة: جامعة عين شمس ، كلية التجارة ، رسالة ماجستير في المحاسبة ، غير منشورة ، ص 128-12.

عبد الرضا وأخرون ، (2019م)، تأثير التمكين في تنفيذ فعالية عمل لجان التدقيق في الميثاق التجارية الخاصة بغداد: جامعة بغداد ، كلية الإدارة والإقتصاد ، مجلة الإدارة والإقتصاد ، العدد 11، المجلد 25، ، ص 584

سعيد، سعاد، و غزال اسماعيل وأخرون،(2014م)، الدور الحوكمي للتدقيق في الشركات متعددة الجنسية، الكويت: جامعة تكريت، كلية الإدارة والاقتصاد، مجلة تكريت للعلوم الأدارية والاقتصادية، المجلد 10، العدد 32، بغداد، ص 27.

زعبيات، لطفي،(2018م)،الدور الحوكمي لهيئة التدقيق، الجزائر: جامعة الجزائر 3، مجلة المستقبل الاقتصادي، المجلد 6، العدد 6، ص 56.

خليل، حسام الدين احمد، وصوان، محمد عبد الله ، والطراونة، صفي حسين ، (2022م)، الغرامات والجزاءات والعقوبات في قانوني ضريبة الدخل والمبيعات الاردني وقانون ضريبة القيمة المضافة الاماراتي، عمان: دار الخليج للنشر والتوزيع، ص 1

عايش، عروبة معين ، (2022م)، التحاسب الضريبي لنشاطات الاقتصاد الرمادي في العراق بحث تطبيقي في الهيئة العامة للضرائب، بغداد: الجامعة المستنصرية، مجلة الادارة والاقتصاد، المجلد 1-6, العدد 133, 179-167.

داود، محمد حلو، (2016م)، التحاسب الضريبي بين المحاسبة الابداعية وضوابط الادارة الضريبية، بغداد: مجلة كلية اليرموك الجامعية، المجلد 8، العدد 50.

ياسر زكريا الشافعي،(2015م)، حوكمة الادارة الضريبية لرفع كفاءة التحاسب الضريبي، القاهر: العباسية، دار الضيافة المؤتمر الضريبي الثاني والعشرين، تطوير النظام الضريبي المصري في ضوء متطلبات الاستثمار والتنمية، الفترة 8-9 يونيو، ص 21.

احمد، حسين مهند سعدي،(2015م)، اثر لجان التدقيق في تحسين مستوى جودة الارباح في الشركات الصناعية المساهمة العامة الأردنية" ، عمان: جامعة الشرق الأوسط، كلية الأعمال، رسالة ماجستير غير منشورة، ص 26 علي ، مصطفى سالم،(2016م) ، إطار مقترن لدراسة العلاقة بين فعالية لجان المراجعة وجودة الأداء المهني لمراقب الحسابات ، القاهرة : المجلة العلمية الاقتصاد والتجارة ، العدد 1 ، ص 602

عبدالجليل، محمد ، (2014م) ، أهمية عمل لجان التدقيق وتكاملها مع مهام ديوان الرقابة المالية الاتحادي في الحد من حالات الإحتيال، بغداد: مجلة الجمعية العراقية للمحاسبين القانونيين ، العدد 1 ص 111

حجازي ، وجدى حماد حامد، (2007م)، مؤشرات تحسين فعالية لجان المراجعة وأثرها في تفعيل الحكومة الجيدة للشركات ، دراسة نظرية ميدانية ، القاهرة: أكاديمية السادات للعلوم الإدارية ، مجلة البحوث الإدارية ، العدد 3 ،

غنيم، سامي احمد، (2012م)، محددات تطوير النظام الضريبي المصري ملائمة التحديات المعاصرة، القاهرة: العباسية، دار الضيافة ، الجمعية المصرية للمالية العامة والضرائب، المؤتمر الضريبي الثامن عشر، المجلد 2 ،الفترة: 26-28 يونيو، ص 36

خليل، عبد الرحمن عادل، (2017م)، **أثر خصائص المراجعة الداخلية في تحقيق كفاءة التحاسب الضريبي**، الخرطوم: جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، مجلة كلية الدراسات العليا، المجلد 1-37، ص 220

سنادة، محمد عبد الله، (2017م)، **دور الآليات المحاسبية لحكومة الشركات في الحد من ممارسة أساليب المحاسبة الإبداعية دراسة ميدانية على ديوان المراجعة القومي ومكاتب المراجعة بولاية الخرطوم**، الخرطوم: جامعة النيلين، كلية الدراسات العليا، رسالة ماجستير في المحاسبة، ص 80

باناصر، مليس جميل ، الصائغ، مها فيصل، (2020م)، **دور الآليات المحاسبية لحكومة الشركات في الحد من ممارسات المحاسبة الإبداعية في شركات قطاع الاتصالات بمدينة الرياض**: دراسة ميدانية، الرياض: جامعة الملك عبد العزيز، مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية والقانونية، المجلد 4، العدد 15، ص 8

-https://www.ifac.org/system/files/publications/files/2018-IAASB-Handbook_Volume-3_Arabic_Secure.

القاضي، حسين يوسف، دحدوح، حسين أحمد، قريط، عصام نعمة، (2001م)، **أصول المراجعة** ، عمان: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص 224.

دور التراث العثماني في تنمية السياحة بمنطقة تماسخت أدرار - الجزائر

The role of urban heritage in the development of tourism in the region of Temsakht Adrar – Algeria

1- عمروش تومية، جامعة المسيلة، الجزائر،
toumia.amrouche@univ-msila.dz

2- أوزير مليكة، جامعة المسيلة، الجزائر،
malika.ouzir@univ-msila.dz

الملخص: الجزائر بلد ممتد وتتوفر على إمكانيات ومقومات ثقافية هامة نظراً لثراء موروثها الحضاري والثقافي وتنوعه بتعدد الحضارات التي تعاقبت على البلد، فمن المهم أن البحث في هذه المقومات التي شكلت إرثاً عمرانياً مميزاً، لاستغلاله بعقلانية وحكمة عن طريق المحافظة عليه وفق متطلبات التنمية المستدامة ومع إشراك المجتمع المحلي.

ومن خلال هذه الورقة البحثية نحاول توضيح العلاقة بين التراث العثماني والسياحة من خلال الاهتمام بالتراث العثماني وترميمه وإعادة تأهيله والمحافظة عليه وتشغيله اقتصادياً بالأسلوب المناسب لذلك باحترام خصوصيته ومكوناته وعناصره المختلفة لذا أخذنا منطقة تماسخت بولاية أدرار لتراثها العثماني المميز كدراسة حالة من أجل اقتراح بعض ملامح الحلول والاقتراحات المناسبة.

الكلمات المفاتيح: التراث، التراث العثماني، السياحة، القصر، تماسخت، أدرار.

Abstract : Algeria is an extended country and has important cultural capabilities and ingredients due to the richness of its civilizational and cultural heritage and its diversity in the diversity of civilizations that have succeeded in the country, it is important to research these ingredients that formed a distinctive urban heritage, to use it rationally and wisely by preserving it in accordance with the requirements of sustainable development and with involve the local community.

Through this research paper, we try to clarify the relationship between urban heritage and tourism by paying attention to urban heritage, restoring, rehabilitating, preserving and operating it economically in an appropriate manner, respecting its privacy and its various components and elements. Therefore, we took the area of Tamaskhet in the Wilayat of Adrar for its distinctive urban heritage as a case study in order to suggest some features of appropriate solutions and suggestions.

Key Words : Heritage, urban heritage, tourism, palace, Tamaskht, Adrar.

مقدمة:

صنفت الجزائر ضمن أجمل 10 بلدان في العالم سنة 2011 من قبل عدة هيئات عالمية منها الأمم المتحدة وجمعية حماية البيئة العالمية لما تتوفر من إمكانيات ومقومات سياحية متنوعة وعلى وجه الخصوص المعالم التاريخية والحضارية التي تفرد بها الجزائر جعلتها مهدًا للحضارات الإنسانية المتعاقبة من الأمازيغية إلى الفينيقية إلى البزنطية والرومانية وأخيراً الإسلامية التي فرضت نفسها على التاريخ وشهادتها ما زالت قائمة مثل قلعة بني حماد، بالمعاضيد، منطقة التاسيلي، تيبارزة، جميلة، تيمقاد، وادي ميزاب، حي القصبة وكلها مصنفة حسب منظمة اليونيسكو ضمن التراث العالمي.

وقد تطورت العلاقة بين الثقافة والسياحة خلال السنوات الأخيرة في جميع أنحاء العالم معايرة لرغبات السواح التي أصبحت تفضل هذا النوع من السياحة من أجل معرفة واستكشاف المكونات الثقافية التي تزخر بها مختلف المناطق، وأصبحت تمثل 37% من إجمالي سوق السياحة الدولية علماً أن هذه السياحة تنمو بمعدل 10% عبر دول العالم لذلك جاء اختيار المنظمة العالمية للسياحة **<السياحة وتقرب الثقافات>** شعاراً لسنة 2011 من أجل مد جسور التقارب والتفاهم بين مختلف شعوب العالم.

ومنطقة تماسخت التابعة لولاية أدرار في الصحراء الجزائرية تميز بثراء في الموروث الحضاري والثقافي وتنوعه فهي متحفًا للتراث الثقافي عامه والتراث العمراني على وجه الخصوص مثل القصور لذا يستوجب إستثماره بطريقة مثلى ومدروسة بعد حمايته وتوسيقه وترميمه وإعادة تأهيله ثم توظيفه سياحياً بالتعاون مع الجهات المختلفة من القطاعين العام والخاص والمجتمع المحلي .

1-الإشكالية:

يحظى موضوع السياحة في وقتنا الحالي باهتمام الكثير من الباحثين، ويظهر ذلك جلياً من خلال الدراسات العالمية حول السياحة بكل أنواعها والمرافق المحيطة بها، وباعتبارها كمصدر اقتصادي بديل.

ان السياحة في الجزائر وتنميته تدخل ضمن النظرة الاستشارافية للدولة، كبديل للمصدر الرئيسي الحالي والمتمثل في المحروقات الذي تعتمد عليه في دخلها، ولكن هذا يتطلب توفر مقومات ومؤهلات تمكنها من معايرة الركب التنموي الدولي. ومدينة أدرار كغيرها من أغلب المدن الجزائرية تمتلك عدة مقومات سياحية هامة، ومنطقة تماسخت هي صورة مصغرّة عن هذه المدينة العريقة لما تتوفر عليه من إمكانيات و مقومات سياحية نظراً لثراء موروثها الثقافي وعلى وجه الخصوص التراث العمراني التي تتميز به هذه المنطقة، الذي يُعرف جموداً وإنما لا كبرياً من طرف الجهات المعنية تقف عائقاً أمام تنمويتها وإعادة توظيفه سياحياً. والسؤال الذي يطرح نفسه :

ما هي الإجراءات الالزمة لحماية وصيانة هذا التراث العمراني وتقديمه ضمن العرض السياحي؟

2- أهداف البحث:

إنطلاقاً من إشكالية البحث الموضحة سابقاً فإننا نحاول الوصول إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على التراث العمراني بمنطقة تماسخت أدرار.
- إبراز دور التراث العمراني في تنمية السياحة بمنطقة تماسخت أدرار.

3- تحديد بعض مفاهيم عامة:

1.3- مفهوم التراث :

يطلق لفظ التراث على مجموع نتاج الحضارات السابقة التي يتم وراثتها من السلف إلى الخلف وهي نتاج تجارب الإنسان ورغباته وأحاسيسه سواءً أكانت في ميادين العلم أو الفكر أو اللغة أو الأدب وليس ذلك فقط بل يمتد ليشمل جميع النواحي المادية والوجودانية للمجتمع من فلسفة ودين وفن وعمارة وتراث فلكلوري.

"التراث" كلمة واسعة الدلالة، وهي من حيث اللغة عربية فصيحة، بل قرآنية مُبينة .. وأصل الكلمة، من مادة وَرَثَ فالورث والإرث والوراث والتراث .. كلها بمعنى واحد. وكلمة التراث أصل التاء فيها حرف الواو، فهي الوراث وهي تعني: ما يتركه الإنسان لورثته الذين أتوا من بعده وجاء في القرآن : " وَتَأْكُلُونَ التِّرَاثَ أَكْلًا لَّمَّا ") الفجر:19 وحسب "د. عادل"، فللتراث دلالته الواسعة؛ التي تقع على كافة ما تركه لنا السابقون من: علوم ومعارف ومبانٍ وعمائر وفنون .. وغير ذلك .

2.3- مفهوم التراث العمراني:

وبحسب تعريف اليونسكو للتراث العمراني فهو الذي يمتد إلى ما قبل خمسين سنة تقريباً مع دخول المواد المسلحة للعمارة.

وبحسب "د.السعيد" التراث العمراني هو التراث الذي يمتد إلى آلاف السنين بدءاً من العمارة الحجرية ويمتد إلى قبيل ما نسميه نهضة العمارة المسلحة أو نهضة عمارة الاسمنت.

3.3- القصر:

المفهوم اللغوي: تعود كلمة القصر إلى أن العدو يكون قاصراً عن الدخول والتغلب إلى داخل هذا المجتمع.

المفهوم الاصطلاحي: هي عبارة عن تجمعات سكنية محصنة وحصنت هذه القرى لتفادي هجمات الغزاة ، وانتشار السكنات فيها يكون وفق خطة عضوية، كما أنها محصنة بأسوار عالية، وتمتاز هذه الحصون بتواجد أبراج مراقبة من أجل التصدي لأي هجوم.

4- المشاكل الرئيسية التي تواجه الحفاظ على التراث العمراني:

المشاكل التي تواجه الحفاظ على التراث العمراني يمكن ايعاز اسبابها إلى التطور الاجتماعي والاقتصادي وغياب الوعي بأهمية التراث العمراني وعدم وجود التمويل اللازم لتحقيق الحفاظ وغياب الحماية القانونية وغياب مشاركة المجتمع المحلي والقطاع الخاص وعدم وضع آليات ملائمة تساهمن في زيادة مشاركة المجتمع المحلي والقطاع الخاص في عملية الحفاظ.

كما ويمكننا إجمال المشاكل التي تواجه التراث العمراني بما يلي:

1. هدم العديد من الابنية التراثية لمصلحة التطوير والاستثمار الاقتصادي والتخطيط الحضري وبالتالي تفكك النسيج الحضري الممثل لثقافة الأمة وحضارتها.
2. عدم وجود حصر للمباني التراثية في العديد من الدول وخاصة الدول العربية.
3. غياب الوعي بأهمية هذا التراث.
4. الترميم العشوائي غير المدروس للأبنية من قبل أصحابها أو المستثمرين لعدم وجود قواعد أساسية للترميم. خليل (2009)

5- أهمية السياحة في الحفاظ على التراث العمراني:

تعتبر السياحة من أهم الموارد الاقتصادية للعديد من الدول الغربية والعربية. ونتيجة لانتشار العولمة فقد أصبح التعرف على حضارات الدول الأخرى أمر بالغ الأهمية.

إلا أننا نجد أن هنالك تضارباً ما بين السياحة والحفاظ على التراث العمراني والبيئة. وقد ازداد الاهتمام بهذا الجانب من الصراع القائم ما بين الحفاظ والسياحة نتيجة للعولمة، وضعت الاتفاقية العالمية للسياحة الثقافية عام 1999 ونتيجة لإدراك أهمية استدامة موقع التراث الثقافي والطبيعي كمصدر اقتصادي وثقافي وتعليمي. والتي أتت لتحتل مكان الاتفاقية

السابقة الصادرة عن) ICOMOS اتفاقية السياحة الثقافية لعام 1976)، ويأتي الفارق الأساسي ما بين الاتفاقية الحديثة وتلك التي سبقتها من خلال العلاقة ما بين الحفاظ والسياحة.

الوثيقة الأولى ركزت على إدارة الضغوطات ما بين السائح موقع التراث والمسؤولين عن حماية هذه المواقع وذلك بالنظر إلى السائح من قبل العاملين بالحفاظ بأنه أحد العوامل المهددة لأصالة المواقع التراثية.

الاتفاقية الجديدة تبحث عن علاقة جديدة ما بين الحفاظ والسائح وبالتالي فقد ركزت على أن من أهم أسباب القيام بأي عمل من أعمال الحفاظ هو إبقاء تميز موقع التراث والحفاظ عليها بهدف حصول السائح على أكبر قدر من التمتع بهذه المواقع وذلك من خلال أسلوب إدارة فعال يضمن بقاء الموقع وتميزه، من خلال التوعية والحفاظ على المباني والمعالم التراثية، وأن التراث لا يمكن أن يحصل على الدعم المادي أو السياسي بدونها. وتدرك صناعة السياحة أن المواقع التراثية والثقافية تشكل الجزء الأكبر من عوامل الجذب السياحي، كما تدرك أن هذه المصادر هشة وغير مستدامة، من هنا فإن الاتفاقية العالمية للسياحة الثقافية تدعو الحفاظ وصناعة السياحة على أن يعملوا جنباً إلى جنب ضمن التحديات الموجودة للوصول إلى استدامة على المدى الواسع للتراث الثقافي لكل مجتمع.

كما جاء ميثاق الايكوموس (الميثاق الخاص بالعمارة المحلية التقليدية (عام 1999، ليؤكد أهمية العمارة التقليدية ووضع المبادئ والأسس للمحافظة عليها. وكذلك أكد ميثاق الايكوموس لعام 1987 (المحافظة على المدن التاريخية) على أهمية التخطيط والمحافظة على هذه المناطق.

إن على السياحة أن تجلب الفائدة إلى المجتمعات المستضيفة وأن توجد لديهم الحافز إلى المحافظة على المعالم وبقاوها من خلال ممارساتهم. وأن تعاون جميع الجهات من مخططين وعاملين بالحفظ والمجتمعات المحلية وأصحاب القرار هو عنصر رئيسي لإدارة الواقع ووضع سياسات التطوير التي تهدف إلى إيجاد صناعة سياحية مستدامة تعمل على التأكيد على حماية المصادر التراثية للأجيال لقادمة ويمكّنا أن نجمل المبادئ الأساسية التي دعت لها الاتفاقية العالمية للسياحة الثقافية بما يلي:

1. حيث أن السياحة المحلية والعالمية هي من أهم الأدوات للتبدل الثقافي يجب أن يوفر الحفاظ فرص الإدارة الفعالة للمجتمعات المحلية وأن يوفر للزائرين تجربة لهم تراث هذه المجتمعات وثقافاتهم.
 2. العلاقة ما بين الواقع التراثية والسياحية هي علاقة ديناميكية وقد يحدث هنالك تضارب في القيم، ويجب أن تدار هذه الواقع بطريقة مستدامة للأجيال المعاصرة والقادمة.
 3. عمليات تخطيط الحفاظ وكذلك السياحة للمواقع التراثية يجب أن تؤكد على حصول الزائر على تجربة قيمة لزيارته تكون مرضية وممتعة في آن واحد.
 4. أن يتم إشراك المجتمعات المستضيفة وكذلك السكان الأصليين في عمليات التخطيط للحفاظ والسياحة.
 5. أن تستفيد المجتمعات المستضيفة من نشاطات السياحة والحفاظ.
 6. برامج الدعاية السياحية يجب أن تعمل على حماية وتأكيد الخصائص الطبيعية والثقافية للتراث. خليل (2009)
- 6- التراث العمراني بمنطقة تماسخت أدرار:
- 1.6- نبذة تاريخية عن الولاية.

كانت منطقة أدرار في الفترة ما بعد الفتح الإسلامي للمغرب واحة خضراء، يقصد بها أصحاب القوافل العابرة للصحراء نحو أسواق إفريقيا الغربية (السودان الغربي)، ونظراً لبعد المنطقة عن مركز العمران كانت بمثابة عن مسرح النزاعات والجروبات التي شهدتها المغرب العربي لذلك أتخذها الأهلية ملاجئهم وظللت مفتوحة أمام هجرات القبائل المختلفة وهذه القبائل وفدت إليها على فترات متعددة وفي ظروف مختلفة منذ بداية الفتح الإسلامي للمغرب العربي وحتى القرن الثامن عشر الميلادي وكانت العاصمة الأولى للإقليم هي مدينة تماسخت نظراً لتميزها العلمي والديني والعمري، ثم انتقلت

العاصمة إلى تيبي مع نهاية القرن السابع عشر للميلاد ، ولقد دخل الفرنسيين إلى الإقليم بعد محاولات عديدة نظراً لمقاومة الأهالي مع بداية القرن العشرين. جلوس وآخر (2007)

يرجع أصل السكان في هذه المناطق إلى أصول ثلاثة رئيسية معروفة وهي:

- البربر وأصلهم من الشمال وكانوا يعيشون في وسط الصحراء.
- أما العرب فكانوا وصولهم عبر فترات متقطعة وخاصة عندما كانت منطقة الشمال تكثر بها النزاعات
- ثالثاً العنصر الرئيسي ويعتبره الباحثون أقدم العناصر يرجع إلى الشعوب التي عاشت فجر التاريخ.

أما أقدم القصور التي بنيت كانت على شكل حصون يرجع تاريخها إلى عصور قديمة جداً نسباً المؤرخون إلى القبائل البربرية الأولى التي قدمت إلى المنطقة، وهم الجيتول وقد استمر توافد القبائل المهاجرين إلى غاية وصول هجرات من العرب فقاموا ببناء قصور خلال القرن السابع الميلادي وقصور أخرى عرفت بقصور تاوريرت في مناطق تيميمون وضواحيها وأيضاً في رقان.

2.6- الموقع الجغرافي:

تعتبر ولاية أدرار ثاني أكبر ولاية من حيث المساحة، فهي تأخذ جزءاً كبيراً في أقصى الجنوب الغربي الجزائري، تتربع على مساحة تقدر بـ 427968 كيلومتر مربع، أي 18% من مجموع مساحة التراب الوطني، وتتميز بطابعها الصحراوي، وحدودها مشتركة مع خمس ولايات من الوطن.

في حدتها شمالاً ولايات: بشار، البيض، غرداية، ومن الغرب ولاية تندوف ومن الشرق ولاية تمنراست، أما حدودها الجنوبية فهي مع دولتي مالي والنيجر وهي ولاية حدودية.

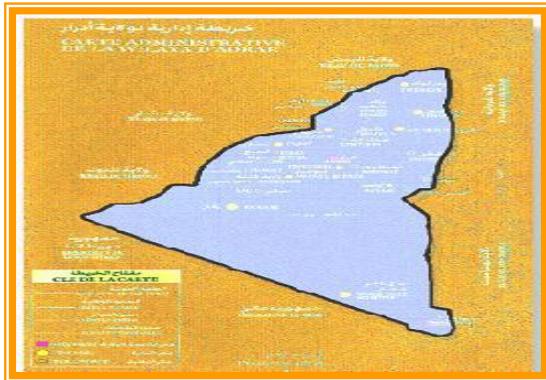
تتميز أراضيها بوجود تضاريس متنوعة منها على الخصوص الأودية القديمة، الكثبان الرملية الكبيرة، السبخات والعرق، فهذه التضاريس ذات الأشكال الصعبة ناتجة عن قساوة المناخ وانعدام النباتات.

3.6- الأقاليم الجغرافية :

من خلال المصادر التاريخية التي تحدثت عن الأقاليم، فإنها تقسم الولاية إلى أربعة أقاليم، تشتهر في الخصائص السكانية والثقافية والعناصر الطبيعية، إضافة إلى تواريخ الأحداث المتعاقبة وهي:

- ❖ إقليم قورارة (تقرارين) شمالاً وعاصمتها تيميمون.
- ❖ إقليم توات في الوسط وعاصمته أدرار.
- ❖ إقليم تيديكلت جنوباً وعاصمته أولف.
- ❖ إقليم تزرروفت وعاصمته برج باجي المختار.

ويمتد تاريخ هاته الأقاليم إلى فترات قديمة جداً، كما أن الحياة كانت موجودة فيها منذ عصور ما قبل التاريخ.



الخريطة رقم 02: الخريطة الإدارية للولاية



الخريطة رقم 01: موقع الولاية من الوطن

4-إقليم توات:

1.4.6 نبذة تاريخية عن إقليم توات :

يختلف المؤرخون في تسمية إقليم توات مما نتج عنه عدة روايات تتعلق بتحديدتها : ومن بينها رواية "الشيخ عبد الرحمن السعدي" الذي قال في كتابه "تاريخ السودان": أن سلطان مالي كنعان موسى كان ذاهبا إلى الحج برفقة جماعة كبيرة من أهل بلده فلما وصلوا هاته الديار أصيب البعض منهم بمرض معروف عندهم باسم توات فانتظرتهم السلطان ومن معه عليهم يشفون بسرعة من مرضهم لكن أبطأ بهم المرض وصار الحال إلى ما لا يرضون فتركهم السلطان في هاته الأرض وسار بمن معه . هؤلاء الذين بقوا وجدوا هاته الأرض مخضرة وذات بساتين وواحات فمكثوا بها واستقرروا وصاروا يسمونها بالمرض الذي أصابوا به وهو توات

لقد جاء ذكر توات علىأسنة الكثير من المؤرخين لأهميتها البالغة فقد ذكرها الرحالة الكبير "ابن بطوطة" حين قال:(وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة إذ لا يوجد الطعام بين تكدا وتوات)
ومن بين المؤرخين الذين ذكروا توات كذلك المؤرخ الكبير والعالم العلامة "ابن خلدون" فقد قال عنها : (وفواكه بلاد السودان تأتي من توات وتيكورارين.....)

2.4.6 توات قبيل الفتح الإسلامي :

من خلال الدراسة والتتبع يتضح أن منطقة توات لم يعن أي مؤرخ بدراسة أمرها وحالها قبل الدخول الإسلامي إليها باستثناء ما كتبه العالم الفذ والقاضي العادل سيد محمد بن عبد الكريم التمنطيطي البكري فقد ذكر في كتاباته أنها كانت تحت سيطرة حاكم سبيطلة وأفريقية البطريك جريجوريوس الذي أعلن انفصاله عن ملك روما وجعل المنطقة تابعة إليه وذلك بقصد توسيع ما بيده . وكانت توات في عهده تدين بالنصرانية شريعة ومنهاجا وسلوكا وحضارة.

3.4.6 دخول الإسلام إليها :

بعد أن وصلت جيوش المسلمين إلى المغرب ودخول لإسلام إليه على يد الصحابي الجليل عقبة بن نافع سنة 46هـ-666م وبعد مدة من الزمن وبفضل الدعاة والتجار وصل الإسلام إلى توات واعتنقه أهلها إلا أنهم سرعان ما نفضوه من قلوبهم وعادوا إلى النصرانية من جديد فقد ذكر الشيخ عبد الرحمن الجيلاني في كتابه تاريخ الجزائر العام إن عقبة بن نافع قال

إن إفريقية إذا دخلها الإمام تحوموا بالإسلام فإذا خرج منها رجع من كان أسلام وارتدى إلى الكفر ولكن عاد أهل توات إلى الإسلام بعد هزيمة الكاهنة دهنا بنت نابت بن تيفان والتي كانت تقود قبائل البربر على يد القائد الإسلامي حسان بن النعمان في عهد عبد الملك بن مروان سنة 701هـ-82هـ.

واعتنقت توات الإسلام فعكف الناس على حفظ كتاب الله عز وجل ونشطت بها حركة العلم والفقه وازدانت بزواياها وعلمائها وعم فيها الخير والفضل .وأقدم مسجد بتوات هو ذاك المسجد الموجود بقصر تيلوت بمدينة العلم والعلماء تمنطيط ويحمل محرابه بتاريخ 106هـ-725م.

4.4.6 الموقع:

يقع إقليم توات في جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزء لا يتجزأ من الصحراء الكبرى الإفريقية وتبعد أقرب نقطة منه عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1500كم حيث يبلغ عدد سكان هذا الإقليم 150318 نسمة أي ما يعادل 48% من مجموع سكان الولاية وهي أعلى نسبة مقارنة مع بقية الأقاليم الأخرى.

يشتهر هذا الإقليم بإزدهاره ثقافياً، وتجاريًا حيث كانت تلتقي فيه القوافل التجارية القادمة من المغرب والمتوجهة نحو مالي والسودان وغيرها، وقد اشتهرت بعض المدن والقصور التراثية بنشاطها الثقافي (السياحي) والتعليمي، فكانت كل من المدن التالية: تمنطيط، أدرار، ملوكة، زاوية كنته، تعد أماكن تعليمية رئيسية بمنطقة توات، وما تزال لما تمتاز به من آثار ومعالم تاريخية.

كما يتميز هذا الإقليم أيضاً بالطابع المعماري القديم الفذ وبلونه الأحمر، حيث تحتل مدنه على نسبة كبيرة من المباني القديمة والقصور، كذلك الصناعة التقليدية والتي تمتلك عمقاً تاريخياً حافلاً بالأحداث يعكس حضارة وسلوك الإنسان في تلك الأزمنة الماضية، إضافة إلى طريقة جلب المياه عبر سلسلة الفوارات لسقي الواحات والمحاصيل الزراعية.

5.4.6 الخصائص العمرانية والمعمارية للأقاليم :

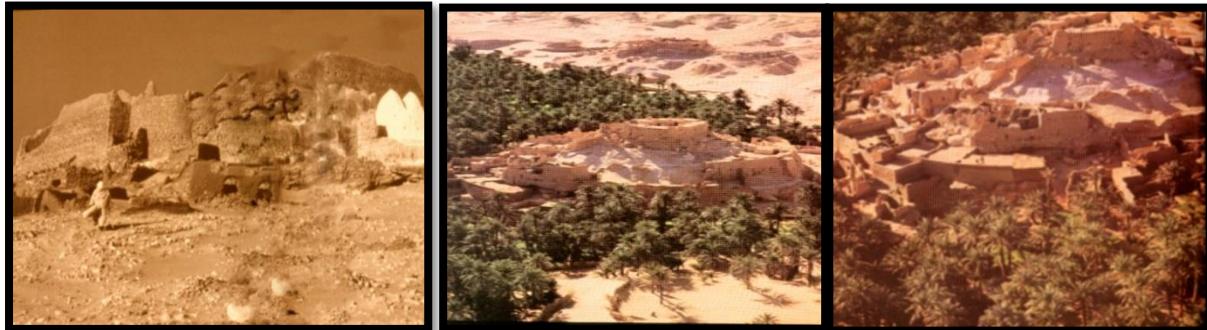
كان يراعى في إنشاء هذه القصور الجانب الأمني ، فقصور توات بنيت فوق الصخور للحماية من العدو ، كما أن لقصور توات نمط خاص بها فقط دون غيرها يعتمد على الماء كعنصر أساسي في تشكيل هذا الفضاء القصوري لأن الماء في الصحراء هو من العناصر الأساسية كونه يجلب من مناطق بعيدة من الطبقات الجوفية العميقة إلى القصور عبر ممرات تحت الأرض يطلق عليها اسم (الفقارة) فموقع هذه الأخيرة يختار بدقة وعناية متناهية لتسهيل جريان الماء . كما أن بناء القصور كان يعتمد على استعمال مواد بناء بسيطة ومحليّة مثل الطين وجذوع النخيل ، وهذا لأجل حل المشاكل المرتبطة عن قساوة الطبيعة والمناخ وتحقيق الشروط الأساسية للحياة .

6.4.6 تطور نماذج القصور بالأقاليم :

1.6.4.6 تصنيف مارتن :

عرف المؤرخ "مارتن" نوعين من القصور:

- أ - القصور الجيوتيلية : من بين القصور المصنفة في هذه الفترة تايروت ورقان شيدت قبل 100 م و من خصائصها أنها بنيت في القمم واستعمل في بنائها الحجر الكلسي أو الحجر الدبش
- ب - القصور الهودية : شيدت بين 100 م و 600 م ، محاطة عادة بسور دائري تقريباً مبنية بحجارة مسطحة و ملساء ، نسجل خلال هذه الفترة كل من مكيد و تزولت .



الصورة رقم 01 : نماذج لبعض القصور اليهودية والجيوتيلية

2.6.4.6 تصنيف اشيلي

وقد قسم "اشيلي" القصور إلى ست نماذج من خلال معاينة 333 قصر.

أ - النوع الأول :

مجموعة مبنية على مرتفعات صخرية طبيعية محاطة بسور من الحجارة .

ب - النوع الثاني :

بنيات فوق مرتفعات صخرية طبيعية شهدت تدخل من طرف الإنسان و تكون مغلقة بسور شبه دائري

بنيات بحجم اقل وتكون فوق الصخرة (للحماية)

ج - النوع الثالث :

قصور تكونت بكتل الملح و الطين الملح ، وهي

وفي اغلب الأحيان رباعية الشكل منظمة و معقدة التركيب

د - النوع الرابع :

بناءات حجرية ذات سور مستطيل تبنى على نقاط مرتفعة طبيعيا و يكون الدخول إليها من خلال خندق أو قناة في اغلب

الأحيان ، تحتوي هذه القصور في جوانبها على أبراج في الزوايا (واحد أو اثنين) هذه القصور تعود إلى

القرن الثاني عشر.

أ - النوع الخامس :

بنيات رباعية منتظمة الشكل تبني بالحجارة الصغيرة الطينية و الغارقة في الطين هذه القصور بدون أبراج في الزوايا

وقد ظهرت في نهاية القرن العاشر إلى القرن الثاني عشر.

ب - النوع السادس :

بنيات رباعية مبنية بالطين ليس لها ابرج في الزوايا.

بنيات شبيهة بالسابقة ولكن لها ابرج في الزوايا و ظهرت خلال القرن الخامس عشر.

7- نبذة تاريخية عن منطقة تماسخت:

كانت تسمى قديماً بالخامسة لأنها تضم خمسة قصور: قصر القصبة (القصر القديم حالياً)، بوانجي، أغميس، بوصلاح، اسكن، أندثرت أربعة منها نظراً للمياه التي إجتاحت منطقة توات، قورارة وتيديكلت وأطلق على القصر المتبقى لفظ تمازغت نسبة للملك الذي كان يحكم المنطقة آنذاك بعدها نزلت قبيلة الزناتة وأطلقت على المنطقة أسم تماسخت نسبة إلى اسم أول رجل بنى أول قصر في المنطقة وهو ماسيخ وتعني تماسخت بالعربية المدخل الوحيد نظراً للسد الذي يربط بين الجبلين الذين يقع بينهما القصر و بقيت فتحة وحيدة يتم من خلالها الدخول.

لقد كان القصر في بداية الأمر ومنذ القدم عبارة عن مسلك تجاري ومحور اتصال بين المغرب والسودان من طرف القوافل التجارية التي تنقل الذهب والعبيد إلى الجنوب والقمح والأقمشة للشمال وقد تطور القصر عبر مراحل

 **المرحلة الأولى:** سنة 1290 قبل الميلاد: كان أول ظهور للإنسان في المكان.

 **المرحلة الثانية:** سنة 590 قبل الميلاد كانت محور مرور القوافل التجارية بين الشمال والجنوب.

 **المرحلة الثالثة:** سنة 668 م استقر اليهود في المكان وبدؤوا ببناء القصبة وكانت تشيدها على يد الملك ماسيخ مع أسلوب الهندسة اليهودية وبشكل دائري وتنظيم مستمد من تصميم قصبات المنطقة.

 **المرحلة الرابعة:** بين 682 م - 1502 م جاءت الفتوحات الإسلامية إلى المنطقة وعرفت توسيع إضافي بشكل نصف إشعاعي ومركزه القصبة من طرف القبيلة الإسلامية أولاد معبي.

 **المرحلة الخامسة:** في 1978 م ولد النسيج الجديد المكون من 32 مسكن لتعمير القصر مع توفير الراحة للمواطنين وذلك لوجود الماء بوفرة بالإضافة إلى خط الكهرباء وهو بالقرب من الطريق الوطني رقم 06 وهو السبب الرئيسي لتكوين النسيج الجديد وتطوره.

 **المرحلة السادسة:** ما بعد 1980 م هجر كل السكان ماعدا عائلتين. مصطفى (2009)

1.7 عناصر التراث العمراني بمنطقة الدراسة (تماسخت):

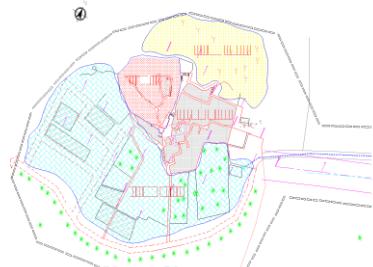
1.7.1 القصر: من خلال مخطط الكتلة للقصر يبدو أنه كتلة موحدة متاجسة وكثيفة تأخذ شكلًا شبه دائري وذات تركيبة عمرانية منتظمة، كما تتسنم مبانيه بالتلاصق الحميم، حيث يتخلل القصر طرق ملتوية ومنكسرة وضيقه في بعض الأحيان، إلا أن هذه القصور اعتمد في تخطيطها على المقاييس الإنسانية.

بنيت قصبتها على قمة تل صخري بدءاً بالمسجد الذي يعتبر مركز الإشعاع الديني حيث.

ينقسم القصر إلى أربعة أجزاء وتمثل في:

- ج 1: القصبة
- ج 2: القصر القديم
- ج 3: امتداد القصر والبساتين
- ج 4: المقبرة

المخطترقم 01: تقسيم القصر القديم



الصورة رقم (02): توضح الشكل العام للنسيج القديم

أ. القصبة:

وهي تعتبر الجزء الأول الذي ظهر في المنطقة وتمتد على مساحة تقدر بـ 3300.00 م^2 وهي محددة بسور كبير من الحجارة ومرتفعة على تلة صخرية مع المقبرة إلا أنها تحتل القسم الأكبر يتميز نسيجها بسكنات قصورية إلا أنها مهارة.

ب. القصر القديم:

وقد انشأ بعد القصبة وهو يحتل مساحة تقدر بـ 4300.00 م^2 ويحدها من الغرب القصبة ومن الجنوب البساتين ومن الشرق ساحة خاصة بالضريح ويتميز جانبي المعماري بسكنات ذات طابع تقليدي و حالتها الان مزرية و مهدمة وخاصة السقف والسور.

ج. امتداد القصر و البساتين

يتربع على مساحة تقدر بـ 7300.00 م^2 وهو يمثل امتداد للقصر القديم وهو مكون من بساتين مع بعض السكنات ذات نمط تقليدي إلا أنها ليست متشابهة كلية. كما أن بها مساحات فارغة قابلة للتعمير

د. المقبرة:

تمتد على مساحة 1600.00 م^2 ترتفع على قمة التلة الصخرية وهي تقع في الجانب الشمالي منها. وتعتبر دليل على عمر القصر.

وأكثر ما يميز القصر من الجانب السياحي بالإضافة إلى العناصر المذكورة سابقا هناك

- ✓ ضريح الوالي الصالح
- ✓ المغاربة
- ✓ الساحة

ه. الفقاراء:

التي تعتبر شبكة لتزويد القصر بالماء الشرب وهي عبارة عن سراديب لصرف المياه الجوفية واتجاهها من القصر نحو النسيج الجديد و الفقاراء هي عبارة عن سلسلة من الآبار المرتبطة بعضها ببعض وتنحدر مياهها من مستوى ارضي عال

إلى مستوى منخفض يشرف على تربة صالحة للزراعة فيجري عليها منسوب ماء الفقاراء. وتتدفق الماء في الساقية على مستوى سطح الأرض عند واحات النخيل وعند وصولها للقصر. واعتمد تصميمها على أن تخترق القصر وذلك من أجل التخفيف من حرارة الشمس وترطيب الجو به، ومما يلاحظ أن الفقاراء هي المهيكلة للقصر.



الصورة رقم ٥٣: المقلاة

تنقسم الفقاراء في تماشخت إلى ثلاثة فروع:

فقاراء مربوح: نشطة ، فقاراء اراقدا : نشطة ، فقاراء مامي : غير نشطة.

الفقاراء يكون الارتفاع 10 م من محور الفقاراء و 35 م من المنبع.

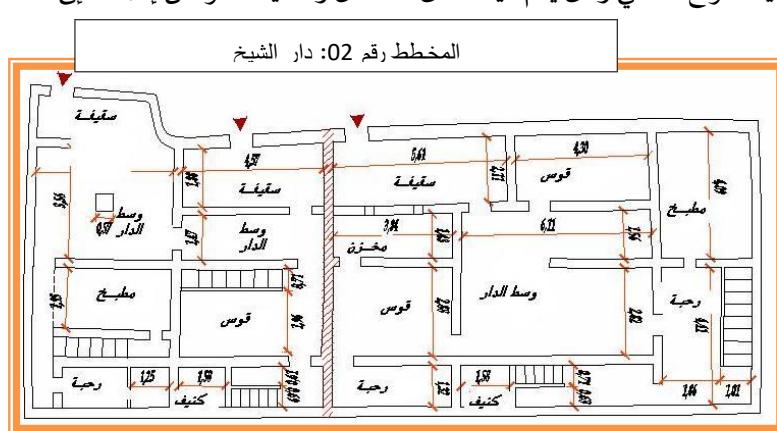
تتكون الفقاراء من عدة أجزاء بحيث لا يؤدي أي عنصر منها دوره في غياب العناصر الأخرى وهي كالتالي:

- **البئر الرئيسية:** يعد أول بئر في رأس الفقاراء وبعمق أقل من الآبار الأخرى بحيث له قوة دفع كبيرة .
- **نفق التحويل:** وهو عبارة عن أخدود يربط بين آبار الفقاراء لغرض تحويل المياه عبر الآبار إلى غاية الساقية. ويختلف هذا النمط من فقاراء لأخرى من حيث الحجم تبعاً لقوة دفع الفقاراء للماء.
- **الساقية:** وهي مكان لاستقبال المياه القادمة من النفق الجوفي يتم توجيهه إلى القسرية وبعد ذلك يتم توزيعه في مدخل البساتين لغرض توزيعه عليهم.
- **القسرية:** تعتبر محطة تقليدية لقياس نسبة المياه وتقسيمها على جميع المساهمين (الملاكين)، وتقع القسرية عند أسفل الفقاراء و مدخل البساتين.

2.7 الخصائص المعمارية:

سننطر إلى دراسة بعض النماذج للعمارة بقصر تماشخت:

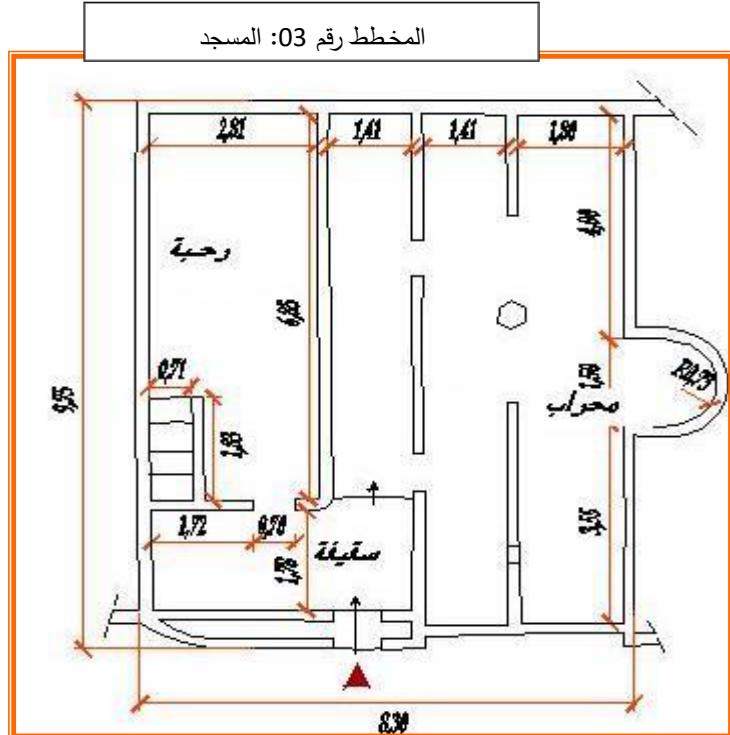
- دار الشيخ: وهو منزل يقع بجوار المسجد يتم فيه إقامة الأطفال وتحنيه العرائس إضافة إلى



اللقاءات في مختلف الميادين الدينية والدينية، يتكون هذا البيت من مجموعة من الغرف المتفاوتة الحجم تقدم هذه الغرفة (سقيفة) وهي غرفة ذات شكل مستطيل، ويتوسط جدارها الجنوبي مدخل يؤدي إلى (سقيفة) أخرى تشبه الأولى في الشكل، والملاحظ في جدارها الجنوبي أن جزء منه هدم. ومن السقيفة الثانية نلح إلى السقيفة الثالثة وهي مستطيلة بها مدخلين في الجهة

الشرقية والغربية. مدخل الجهة الغربية يؤدي إلى سقيفة مربعة الشكل بها مدخل للمطبخ. أما مدخل الجهة الشرقية يفضي إلى حبة صغيرة بها سلالم تؤدي إلى الطابق العلوي ويوجد تحت هذه السلالم غرفة صغيرة لا نعرف وظيفتها يمكن أن تكون مخزن للمواد الغذائية كما نجد في هذا المسكن مرحاض تقليدي (كانيف).

المخطط رقم 03: المسجد



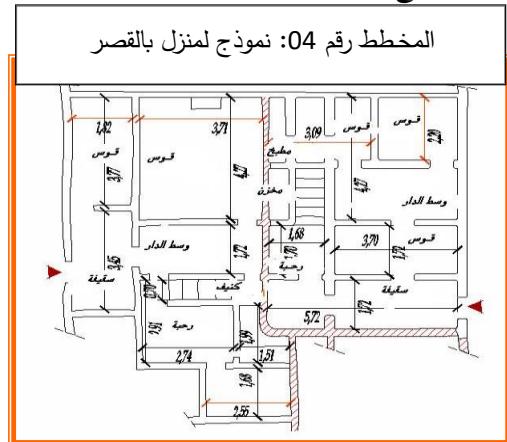
• مسجد قصر تماسخت: يتخذ مسجد تماسخت شكلًا منتظمًا بمقاسات (8.60×9.00م) و سماكة جدرانه الخارجية تقدر بـ 0.50م ، كما نلاحظ بروز المحراب الذي يتوسط جدار القبلة و هو بارز عن الجدار الخارجي لجدار القبلة بـ 1.30م ، وحسب الروايات الشفوية فتاريخ بنائه يعود إلى مئات السنين ، ومبني بطريقة معمارية وهندسية إسلامية فريدة من نوعها، ورغم قلة الوسائل والإمكانيات بحيث كانت تتم الزخرفة بالخشب ويصنع بمادة صلبة تتمل في الجبس ممزوج بالرمل، توجد بالقرب من المنبر فتحة الإضاءة وفتحات في المسجد للتهوية ولسماع خطبة الأمام

وتفرض أفرشة جلدية ونسجية، والمسجد يتوسط القصر وهذه سمة من سمات العمارة الإسلامية بحيث نجد المسجد كعنصر فعال في الحياة اليومية للمسلمين روحياً ومادياً ، ولهذا الغرض نجد مسجد قصبة تماسخت يتوسط الوحدات السكنية من جهاته الأربع، والفرد والمميز في هذه القصور هو انعدام الساحات العامة في وسطها، ويمكن إرجاع هذه الميزة إلى الحالة المناخية والجغرافية للمنطقة.

• المنازل في القصر:

المنزل أو الدار في القصر هو المكان الذي يتم فيه استقرار أفراد العائلة حيث تتراوح مساحة المنازل داخل

المخطط رقم 04: نموذج لمنزل بالقصر



القصر (13.00×8.00) م حيث أن أهم شيء يتم التركيز عليه هو مبدأ الحرمة.

*وسط الدار: فضاء مركزي وحيوي للدار وهو الفضاء الأكثر تهويه وشميساً وإضاءة.

*القوس: يستغل من طرف أهل المنزل وخاصة النساء.

*المطبخ: لإعداد الوجبات اليومية.

*المخزن: وهو يوجد في السطح يستغل لتخزين المحاصيل الزراعية.

*الكتنيف: مرحاض تقليدي من الطراز القديم .

إضافة إلى هذا فإن المنازل داخل القصر تختلف على حسب صاحب

المنزل فنجد أن دار الشيخ ودار القايد (الحاكم داخل القصر) تعتبران من الأماكن الأكثر زيارة من الأشخاص خاصة أيام المناسبات والتظاهرات الدينية (الزيارة) فـ هي تعتبر المربع الثقافي للتقاء شيوخ القصور فيها.

• المواد المستعملة في البناء:

يعتبر السكن الفردي النمط السائد في القصر ، فقد تم بناء منازل القصر من المواد المحلية المتواجد بالمنطقة لملاءمتها للمناخ والمتمثلة في :

- حجارة متوسطة السمك (3-5) سم ، مصفحة متفاوتة الطول والعرض مصنوعة يدويا ، تلصق هذه الحجارة ببعضها بخلط من الطين والرمل و "تيبشن" والماء . ترك لتتختمر ثم تخلط بملح السبخة وخام الكلس ، ثم تستعمل في البناء .
- الخشب : جذوع النخيل تقسم إلى نصفين أو أربعة أقسام طوليا حسب سمك الجذع بأدوات تقليدية وذلك يكون قبل جفاف الجذع تقسم فيما بعد عرضيا حسب الإستعمال ترك الجذوع لتجف طبيعيا ثم تستعمل في تسقيف البيوت والأرقة والمرافق العمومية .
- الكرناف : الجزء المتصفح الذي يربط بين جدع النخل والغصن الذي يحمل أوراق النخيل (الجريدة) يقطع حسب الإستعمال ويكمم دوره في تغطية الجزء بين خشب جدع النخيل ولأن شكله يكون على شكل شبه منحرف فهو يوضع بشكل متخالف .

3.7- الوضعية الحالية للتراث العمراني بمنطقة تماسخت:

يعاني التراث العمراني بمنطقة تماسخت تدهورا كبيرا لعدة عوامل نوجز أهمها:

* عوامل طبيعية: كالأمطار والسيول، الحرارة، الملاح، الرياح والعواصف ... إلخ.

* عوامل بشارية: يمكننا تلخيصها في نقطتين أساسيتين حسب المعاينة الميدانية - هجر السكان لمساكنهم الموجودة في القصر وأعمال الهدم والتخريب والإهمال وعدم الصيانة الدورية لالمساكن.

* عوامل أخرى: تداخل في المهام بين المتدخلين في حماية وصيانة التراث العمراني.

- عدم فعالية التشريعات الخاصة بالتراث العمراني.

- نقص كبير في المؤسسات المختصة بحماية التراث العمراني.

- ضعف مصادر التمويل للحماية والمحافظة وإعادة تأهيل التراث العمراني.

- غياب خطط محلية أو سياسات وطنية واضحة المعالم من أجل إعادة إحياء التراث العمراني بالجزائر.

4.7 – المحافظة وإعادة تأهيل التراث العمراني بمنطقة تماسخت:

نظرا للتدهور الذي يعاني منه التراث العمراني بمنطقة تماسخت فإنه يجب تبني عدة تدخلات عمرانية متوافقة مع طبيعة النسيج التقليدي لإعادة إحيائه من جديد للإستفادة منه لاحقا ومن أهم هذه التدخلات نذكر ما يلي:

1.4.7 الترميم: ويقصد به أي تدخل يرمي إلى إعادة الكفاءة لأحد أعمال النشاط الإنساني، وتهدف عملية الترميم إلى إعادة المباني والمناطق التاريخية إلى حالته الأصلية عند إنشاءها. اليزل (1988)

2.4.7 الحماية: يقتصر هذا النوع على الحيزات التاريخية أو الأثرية، وأحيانا يتبع بالمناطق الحديثة ذات الطابع المميز، وتكون الحماية لمباني معينة أو للنسيج العمراني أو للطابع المعماري، كما تتسع أحيانا لكي تشمل حماية الهيكل الاجتماعي، والاقتصادي جنبا إلى جنب مع الهيكل العمراني. موسى (1991)

3.4.7 إعادة الاستعمال: وتخص هذه الوسيلة بإعادة توظيف المباني ذات القيمة الأثرية والتاريخية في استعمالات جديدة تلائم التطور الحالي وفي نفس الوقت تضمن استمرارية حياة تلك المباني والمحافظة عليها بصورة عملية وهذه السياسة تعتبر في حد ذاتها تعويضا عما يتم إنفاقه على عمليات الترميم والصيانة حتى تتحقق عائدا اقتصاديا بشرط ألا تمثل هذه العملية أي خطورة على المنشأ الأثري أو أي تعارض مع قيم ومبادئ المجتمع. مدبوولي (1992)

4.4.7 الحفاظ: وهي تمثل الأعمال التي تتخذ لنفع التلف والتآكل، والتي تطيل بقاء الميراث الطبيعي والبشري للإنسانية من الصرح الهائل إلى الأثر الضئيل، ويكون الحفاظ لمباني معينة أو للنسيج العمراني والطابع الخاص لمنطقة التاريخية.

5.7- المؤهلات السياحية بمدينة تماسخت

مدينة تماسخت باعتبارها مدينة صحراوية ، لها تاريخ عريق سطّرته الحضارات القديمة التي مرت بها في يوم من الأيام ، لا تخلو نطاقاتها من مؤهلات سياحية خاصة بها، يجعلها جديرة بقطع المسافات إليها للإطلاع على تراثها العتيق و مناظرها الطبيعية الصحراوية الخلابة.

1.5.7 المؤهلات السياحية الطبيعية:

أ. السبخة:

تشكلت بعد جفاف المياه (الواد) التي اجتاحت المنطقة قديماً وقضت على القصور الأربعة ، السبخة كمورد سياحي طبيعي عبارة عن منخفض أرضي تجمع فيه المياه شتاءً في حالة غزارة المطر وتجف صيفاً بحرارة الشمس، وللوحة التربة فإنها تبدو للناظر من بعيد وكأنها برق تلمع فيها مضات الملح.

بـ- الكثبان الرملية (العرق):

تشتهر منطقة تماسخت إلى جانب بعض المدن الصحراوية، بكثباتها الرملية الذهبية حيث تختلف ارتفاعاتها بين المرتفعة جداً والمتوسطة ثم المنخفضة، وكل منها أهميتها السياحية الخاصة: فتستغل الكثبان الرملية العالية كالعرق الغربي الكبير في التزلق على رماله .

جـ- الواحات والبساتين:

الواحات هي مكان استقرار الإنسان في الوسط الصحراوي؛ بما تحتوي من أشجار النخيل و خير مياه السوق و الأحواض، غالباً ما نجد بعض المخيمات السياحية بوسط أو القرب من هذه الواحات.

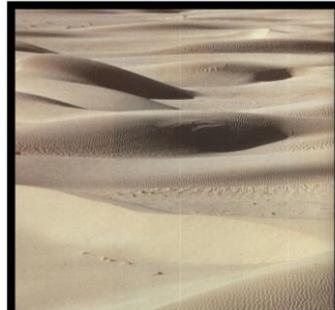
دـ- غروب الشمس و السكون:

إن لغروب الشمس بمدينة تماسخت ميزة خاصة في امتزاج و تدرج ألوان الشمس و حمرتها الأخاذة عند الغروب، فتضفي هي الأخرى مشهدًا خلاباً يمتنع مع حمرة مباني المدينة الهدئة، فتسحر مشاهديها والمتأملين فيها مساءً.

هـ- ورود الرمال:



الصورة رقم 06: العق



الصورة رقم 05: السبخة



الصورة رقم 04: الكثبان الرملية

حقول وردات الرمال (هبة الطبيعة لولاية أدرار) عبارة عن منحوتات طبيعية للصخور، الرسوبيّة والجُرْجِيرية، إثريّ العوامل الطبيعيّة والمتمثلة في الرياح الشديدة، التي تعمل على نحت الصخور فتشكل أشكال مختلفة شبيهة بالورود، تستعمل للزينة في المنازل والمكاتب.



ر دود الرمال



غروب الشمس



الساتين



ي-الجبال :

ان اكبر ما يميز قصر تماسخت عن باقي القصور هو موقعه الطبيعي لكونه مبني بين جبلين شامخين لهما اثراهما البصري و النفسي على كل من يزورها ، ومنظر القصر من احد الجبلين نوع من السحر الطبيعي الذي يجلب السياح الى المنطقة بحيث ان القصبة تتموضع على احد هذين الجبلين

أ- القصور:

منطقة تماسخت تحظى بموقع إستراتيجي بالنسبة للقصور الصحراوية ، التي تختلف فيما بينها من حيث الحقبة التاريخية، وأماكن التموضع (implantation) كذلك الشكل و مواد البناء، بالإضافة إلى عدد القصبات المكونة للقصر الواحد.

ب- القصبة:

هي الوحدات العمرانية الأولى في تكوين أنسجة القصر « قبل مجيء المسلمين إلى المدينة» مسيخ (2003) و تعرف عند أهالي المنطقة بالقصبة أو أغام؛ حيث كل أغام يشغل أفراد قبيلة . قصبة تماسخت ذات شكل دائري تقع على حافة الجبل و تعتبر من أهم المعالم الأثرية في هذا القصر و قد تم بنائهما من مادتي الطين و الحجارة حيث كانت تخمر الطين و تخلط بملح السبخة و خام الكلس لتصبح أكثر مقاومة للعوامل الطبيعية، و هو ما جعلها قائمة إلى يومنا هذا.

ج- الفقاراء و فن تقسيم المياه التقليدي:

تعتبر الفقاراء مصدر من مصادر الماء المهمة بالمنطقة، إذ أنها كانت ولا تزال تستعمل إلى حد الآن، وهي عبارة عن سلسلة أبار ذات عمق متغير، ترتبط فيما بينها في مستوى القاعدة باتفاق أو قنوات « يتغير طول النفق الكلي للفقاراء من مئات الأمتار لتصل أحيانا إلى بعض الكيلومترات و غالباً ما يكون من 07 إلى 08 كم .

د- المقبرة :

تعتبر المقبرة من بين المؤهلات الأساسية والجاذبة للسياح في منطقة تماسخت فهي تعد معبر من الماضي إلى وقتنا الحالي وتبين التسلسل الزمني للقصر لما تضمه من مقابر الأهالي الذين عمرو القصر لأول مرة على مر السنين.

ه- الضريح :

إن الضريح علامة بارزة في القصر فهي تقع في نهاية الطريق البلدي وبداية القصر القديم وله اثر كبير على السياح عند دخولهم إلى القصر وهو شعار لإقامة الزيارة السنوية في 15 ماي ويحضرها عدد من الزوار من مختلف القصور المجاورة وذلك قبل صلاة المغرب.

و- المتحف التقليدي:

يعد المتحف التقليدي رمز مهم في منطقة تماسخت لإبراز كل خصوصيات القصر وما يميزها عن غيرها من القصور لما يحتويه من حلي وصناعات تقليدية ... إلخ

ي- الصناعة التقليدية و الحرف:

تشهر المنطقة بوجود العديد من أنشطة الصناعة التقليدية المختلفة مثل صناعة الجلد، صناعة الفخار، صناعة الفضة والنحاس وصناعة سعف النخيل.

الصورة رقم 17: المقبرة



الصورة رقم 19: الأزيلة السنوية



6.7- دور التراث العمراني في تنمية السياحة بمنطقة تماشخت:

يعتبر التراث العمراني أحد أهم عوامل الجذب السياحي بالمناطق الصحراوية بالجزائر، نظراً لتميزه كما نجد المجتمع المحلي الصحراوي بالرغم من محافظته على عاداته وتقاليده إلا أنه يتمتع بصفة الكرم والضيافة بحيث لا يمانع في استقبال كل الذين يرغبون في التعرف على عناصر هذا الموروث الإنساني من أجانب ومحليين، بل يساهمون في تشجيع السياحة على مختلف أنواعها.

لذا فإن توظيف التراث العمراني إقتصادياً (سياحياً) بمنطقة تماشخت بمشاركة المجتمع المحلي أفضل طريقة للمحافظة عليه بعد ترميمه وإعادة تأهيله بأسلوب علمي وتقني يتواافق مع عناصر التراث العمراني المتواجد بالمنطقة، هذا الذي يساعد في زيادة الدخل الفردي للسكان المحليين لأن جلهم يعاني من مشكلة البطالة نظراً لبعد المنطقة عن مقر ولاية ادرار.

8- الإقتراحات والتوصيات:

بعد التعرف على العناصر المشكلة للترااث العمراني بمنطقة تماشخت أدارار والوضعية الحالية لهذا الموروث الإنساني ولكي نتمكن من الاستفادة منه سياحياً نقترح ما يلي:

1. إستفادة المجتمعات المستضيفة من نشاطات السياحة والحفاظ على السواء.
2. الاستفادة من التجارب السياحية الثقافية لدول الجوار مثل تونس والمغرب من أجل تثمين الإيجابيات وتفادي السلبيات.
3. طلب المساعدة من الخبراء العرب أكثر من الأجانب لأنهم الأقرب لنا من حيث العادات والتقاليد.
4. توضيح آليات صون وحماية التراث العمراني.
5. مسح الواقع والمناطق الثقافية وذلك بوضع خريطة ثقافية.
6. حماية الواقع الأثري من كل أشكال الاستنزاف عن طريق سن تشريعات واضحة تبين كيفية وآلية هذه الحماية.
7. إعادة تأهيل وتثمين التراث العمراني من خلال خطة وطنية تتبنى فيها قواعد التنمية المستدامة بمشاركة المجتمع المحلي في كل حيّتها.
8. الموازنة بين جعل التراث العمراني متاحاً للعالم وبين حمايته والحفاظ عليه حتى يبقى للأجيال القادمة ليتمتعوا به.
9. إثراء المعايشة الإنسانية للسائح مع التراث العمراني.
10. تكامل دور التراث العمراني في التنمية الوطنية الشاملة بشكل عام، والتنمية السياحية بشكل خاص.
11. توظيف التراث العمراني بشكل تكامل في شتى جوانبه الطبيعية والثقافية والعمارية كمورد إقتصادي ضمن خطط التنمية المستدامة.
12. تفعيل دور المجتمع المحلي وذلك بإنشاء جمعيات للحفاظ على التراث العمراني.
13. تخصيص صندوق من العائدات المالية للسياحة لحماية وصيانة التراث العمراني بمنطقة ويتم تمويل هذا الصندوق من القطاعين العام والخاص والمجتمع المحلي أو المؤسسات والأشخاص المستفيدة من هذا التراث.

14. إقامة بعض المشاريع السياحية التي لا تتعارض مع عادات وتقاليد المجتمع المحلي والتي تتوافق مع المؤهلات السياحية بمنطقة تماسخت.
15. توظيف بعض المساكن بالقصر القديم بعد إعادة تأهيلها كهيكل إيواء للسواح وبهذه الطريقة حافظنا على الوظيفة الأساسية للمسكن وهي السكن وأوجدنا نوع جديد من السياحة هي السياحة التشاركية.
16. إعادة تأهيل بعض السكّنات لتوظيفها سياحياً من خلال تنظيم المعارض وبعض المناسبات التي تتميز بها المنطقة.

خاتمة:

تستحوذ منطقة تماسخت بأدرار على مؤهلات سياحية متنوعة وهامة كما تتميز بموروث عمراني فريد من نوعه حدد معالمه الحضارات المتعاقبة على هذه المنطقة نظراً لموقعها الاستراتيجي حيث كانت منطقة عبور هامة هذا الأخير الذي أكسبها ثراء ثقافياً يحكي تاريخ المنطقة.

إلا أن التراث العمراني بمنطقة تماسخت يعني إهمالاً وتدحرجاً لهذا إقتربنا توظيفه ضمن العرض السياحي لإعادة إحيائه من جديد وإعادة الاعتبار لهذا الموروث الإنساني.

لهذا أصبحت السياحة اليوم الرهان الحقيقي التي تتبنّاه الجزائر لما تمتلكه من مؤهلات ومقومات سياحية هامة لا نظير لها ولن تكون هذه السياحة فعالة إلا إذا استغلت هذا المخزون الثقافي والحضاري بصورة مدققة من أجل حمايته والحفاظ عليه للأجيال القادمة هذا يعني تبني الاستدامة كشرط أساسى لديمومة هذه المؤهلات في ظل تبني خطط وسياسات أو استراتيجيات سياحية في حجم وأهمية هذه الإمكانيات.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

1. د.أحمد الجlad: السياحة بين النظرية والتطبيق، عالم الكتاب، القاهرة، 1997.
2. د. أحمد الجlad: التخطيط السياحي والبيئي بين النظرية والتطبيق، عالم الكتاب، ط1، القاهرة، مصر، 1998.
3. د. خالد مقابلة، فن الدلالة السياحية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 1999.
4. د. خالد مقابلة، أ.فيصل الحاج ذيب: صناعة السياحة في الأردن، دار وائل للنشر، ط1، الأردن، 2000.
5. سراب إلياس وأخرون: تسويق الخدمات السياحية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2002.
6. د. سمير اليزل: الترميم المعماري لإحياء التراث المعماري والفنى، الدار الفنية للطباعة، القاهرة، مصر، 1988.
7. صلاح الدين خربوطلي: السياحة المستدامة دليل الأجهزة المحلية، دار الرضا للنشر، ط1، دمشق، سوريا، 2004.
8. د. مثنى طه الحوري، أ. إسماعيل محمد علي الدباغ: مبادئ السفر والسياحة، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2001.
9. محمد مرسي الحريري : جغرافية السياحة ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر ، 1999.
10. مصطفى كمال مدبوبي: إعادة تأهيل المناطق المركزية ذات القيمة التاريخية في الدول النامية، دراسة حالة القاهرة، منطقة الدرب الأحمر، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 1992.
11. هالة الرفاعي: التأثيرات الاجتماعية والثقافية للسياحة في المجتمع المحلي، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، مصر، 1998.

.12. أ.د. يسري دعبس: صناعة السياحة بين النظرية والتطبيق، الملتقى المصري للإبداع والتنمية، ط1، الإسكندرية،

.2003

ثانياً: المراجع الأجنبية

13. Ali Hadjiedj : Le grand Alger, Activités économiques, problèmes socio- urbains et aménagement du territoire,Alger, OPU, 1994.
15. Ali Hadjiedj & Claude Chaline & Jocelyne Dubois-Maury : Alger Les Nouveaux Défis de L'urbanisation, édition L'Harmattan, Paris, 2004.
16. Mustapha : La mise en valeur de ksar timmassekh ,Thèse de fin d'étude En vue de l'obtention d'un diplôme d'état, En architecture,Institut d'architecture, de génie civil, et d'hydraulique,Département d'architecture . Université de Bechar,2009.
17. Jean Michel Hoerner : Géographie de l'industrie touristique, édition ellipses, Paris, 1997.
16. Youssef Diab & Jean-Pierre Traisnel & François Mongal & Corinne Lambin : Pratique du développement urbain durable, éditions Weka, Paris, France,2003.
17. ministère du tourisme ,elemenets de la stratégie de developpemet durable du tourisme en algerie horizon 2010 , 2001,p52 ministère du tourisme ,elemenets de la stratégie de developpemet durable du tourisme en algerie horizon 2010 , 2001,p52

ثالثاً: الواقع الإلكترونية

18. www.uae4ever.com/vb1/Emara8/thread3956.html .
19. www.unesco.org/ar/home/resources-services/faqs/world-heritage.

دور динامية النهرية في الاستغلال الفلاحي في المجالات الفيضية لواد محاصر (جهة بني ملال خنيفرة، إقليم ازيلال، دمنات، المغرب)

-3 عبد الله الوعزاني. جامعة السلطان مولاي سليمان البريد

-4 محمد الغاشي. جامعة السلطان مولاي سليمان

ملخص

يقع حوض واد محاصر بالأطلس الكبير الأوسط، ويمتد إداريا من الجنوب العربي لجهة بني ملال خنيفرة إلى حدود جهة مراكش أسفى، ويتمتد مجراه الرئيسي بترب ست جماعات هي تفني، دمنات، تيديلي فطواكة، سور العز، أولاد خلوف وإمليل.

ويتناول هذا البحث إشكالية هيدرولوجية واقتصادية تتجلى في تأثير динامية النهرية على مجـرى واد محاصـر وما ينـتج عنـها من توـضـعـات يتم استغـالـلـها فلاـحـيـاـ، وقبلـ الـقـيـامـ بـتـحـدـيدـ وجـردـ الـاستـغـالـلـيـاتـ الـفـلاـحـيـةـ الـمـتـواـجـدـةـ بـالـمـجـالـاتـ الـفـيـضـيـةـ لـوـادـ مـحـاـصـرـ قـمـنـاـ بـدـرـاسـةـ الـخـصـائـصـ الـطـبـيـعـيـةـ وـالـبـشـرـيـةـ لـهـذـاـ الحـوـضـ، حيثـ يـتـمـيزـ حـوـضـ وـادـ مـحـاـصـرـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ الـطـبـوـغـرـافـيـ بـتـبـيـانـاتـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ الـإـرـفـاعـاتـ وـبـغـلـةـ الـاـنـدـهـارـاتـ الـقـوـيـةـ الـتـيـ تـبـلـغـ مـسـاحـتـهـ حـوـالـيـ 99ـ كـلـمـ². أماـ عـلـىـ الـمـسـتـوـيـ الـجـيـوـلـوـجـيـ يـتـسـمـ بـغـلـةـ الـتـوـضـعـاتـ الـدـقـيـقـةـ لـلـزـمـنـ الـرـابـعـ كـمـاـ أـنـ الـغـطـاءـ النـبـاتـيـ يـعـرـفـ تـنـوـعاـ وـيـشـكـلـ الـبـلـوـطـ الـأـخـضـرـ 50%ـ مـنـ مـسـاحـتـهـ وـيـتـواـجـدـ بـالـجـهـةـ الـجـنـوـبـيـةـ الـغـرـبـيـةـ.

الكلمات المفاتيح: الدـينـاميـةـ الـنـهـرـيـةـ، الـاستـغـالـلـ الـفـلاـحـيـ، الـمـجـالـاتـ الـفـيـضـيـةـ، وـادـ مـحـاـصـرـ

Abstract:

The watershed Wally M'hasser by the Middle High Atlas and extends administratively from the south of Arabia in the direction of Beni Mellal-Khenifra to the borders of the Marrakesh-Safi region.

This research deals with a hydrological and economic problem that is manifested in the effect of river dynamics on the course of a besieged valley and the resulting deposits that are exploited agriculturally. The topography is characterized by variations in the level of elevations and the predominance of strong slopes with an area of about 99 km². As for the geological level, it is characterized by the predominance of minute deposits of the fourth time, and the vegetation cover is known for its diversity, and the green oak constitutes 50% of its area and is in the southwestern side.

Keywords : river dynamics, agricultural exploitation, flood fields, M'hasser Valley

تقديم عام:

تعتبر الدينامية النهرية من العمليات الجيومورفلوجية الأكثر انتشاراً ولها أهمية في التأثير على السطح وتغيير معاله، حيث تقوم الأودية بنقل معظم المواد الصخرية القارية التي اقلعتها إلى البحار أو المنخفضات المحلية، وبالتالي فالدينامية النهرية تعمل على تخفيض سطوح القارات بشكل متواصل، وتنشر الأنهار عند كل مستويات الارتفاع عن سطح البحر وفي كل النطاقات المناخية تقريباً، ولا يقتصر فعل المياه الجارية على النحت والتعرية فقط، بل تقوم كذلك بوظيفة التشكيل أيضاً، ويتجلى ذلك في السهل الفيضية والدلتا والحوادير.

ويعتبر واد محاصر مجالاً خصباً لنشاط الدينامية النهرية لأنّه يعرف تساقطات قوية ومركزة، وترتبط هذه الدينامية بصبيب المجرى الناتج عن تجمع التساقطات المطرية التي يستقبلها حوض محاصر، فالتساقطات تعتبر المحرك الرئيسي والعامل الأساسي في نشاط الدينامية النهرية، حيث كلما قلت التساقطات كان الصبيب ضعيفاً، مما يجعل الجريان المائي بالجري الرئيسي هادئ وعادي يتخد مجراه الاعتيادي^(١)، وينتج عن نشاط الدينامية النهرية المتمثل في النحت والنقل والإرباب تشكيل مجموعة من الاستغلاليات الفلاحية بالقرب من المجرى المائي على طول واد محاصر، هذه الاستغلاليات يتركز فيها نشاط فلاحي مهم، وسنعمل خلال هذه الدراسة على تحديد المناطق المرسبة والتي يتم استغلالها فلاحياً داخل المجرى، وسنقوم بإنجاز كارتوغرافية لاستغلاليات الفلاحية ثم تصنيفها حسب معايير عدة منها المساحة والموقع وفترة الاستغلال ثم نوع الزراعات.

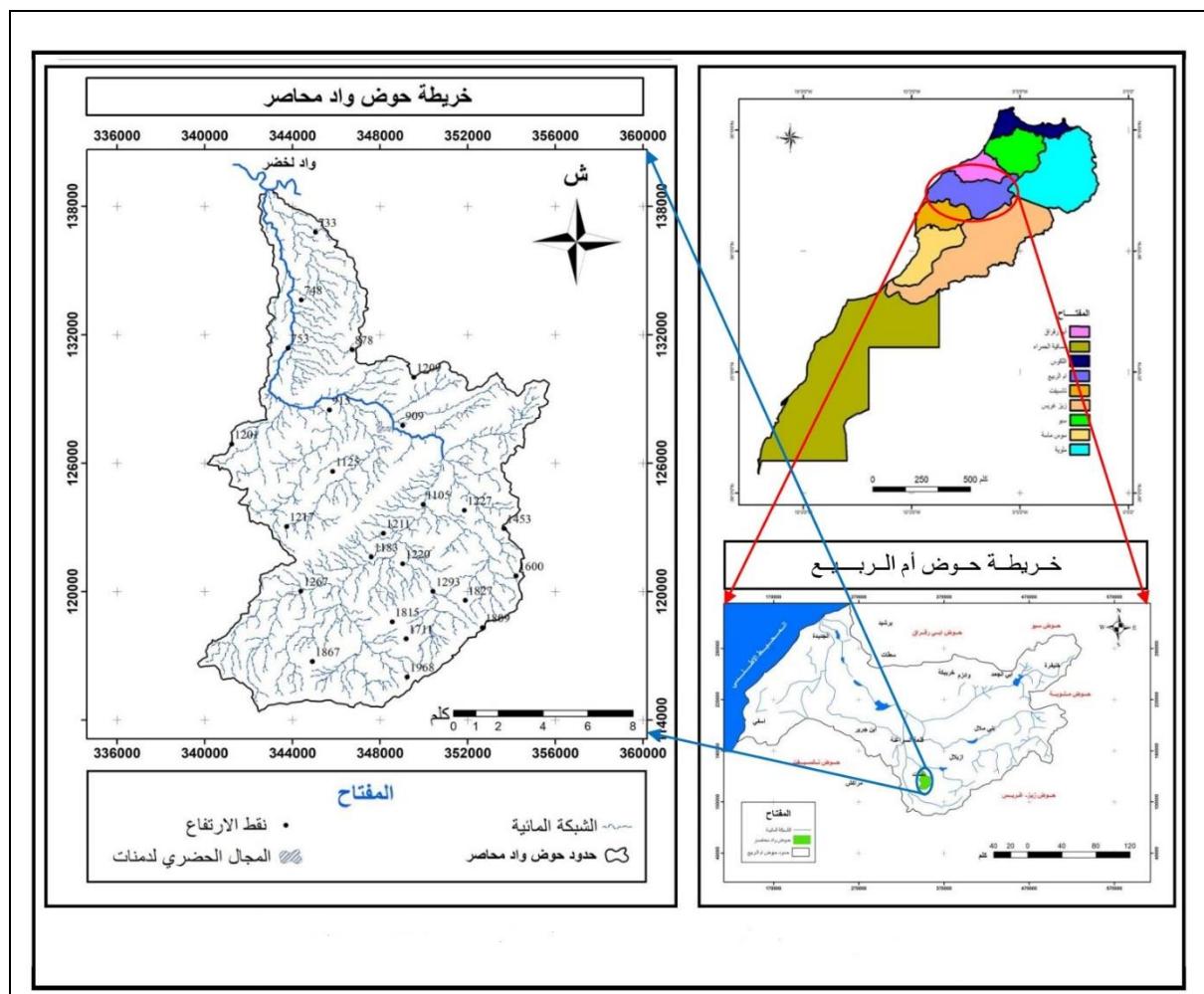
هذه الاستغلاليات الفلاحية تميز بتواجدها في مجال حركة النهر وبالتالي في عبارة عن مجالات مهددة بالفيض خاصة خلال فترة الامتطاحات الناتجة عن تركز وقوف التساقطات المطرية التي يعرفها حوض واد محاصر، وهذا يدفعنا إلى تقييم الاستغلال فلاجي الذي تعرفه هذه المجالات، حيث سنقوم بتفسير طبيعة التدخل البشري في هذه المجالات للتأقلم مع خطر الفيض الذي يعرفه مجرى واد محاصر خصوصاً الاستغلاليات الفلاحية في سافلة الحوض بالقرب من المصب حيث السهل الفيسي متسع مما يؤدي إلى خروج المياه من المجرى الاعتيادي والمجرى الأصغر، وبالتالي تهدد الاستغلاليات الفلاحية المتواجدة بالمجرى الأكبر لواود محاصر.

● **مجال الدراسة:**

يقع مجال دراستنا ضمن حوض واد محاصر الذي يدخل في ما يسمى بالأحواض الصغرى الجبلية وتبلغ مساحته 208 كلم². إدارياً يمتد حوض واد محاصر من الجنوب الغربي لجهة بني ملال-خنيفرة إلى جهة الشرقية لجهة مراكش-آسفي. ويمتد واد محاصر على طول 26 كلم من قنطرة إمي نفري حيث ينتهي واد تسيلت، ويتحذ مجراه من الجنوب نحو الشرق ويشكل بالإضافة إلى أسيف غزاف وأسيف برنات أهم الروافد لواود لخضر الذي يصب في واد أم الربع ثاني أكبر أنهار المغرب.¹⁹⁷

¹⁹⁷ ELGHACHI, M. (2007, novembre). La Seille : Un système fluvial anthropisé (Lorraine, France). Thèse de Doctorat de l'Université Paul Verlaine de Metz, discipline : Géographie, II. Metz, France.

خرائط رقم 1: الموقع الجغرافي لحوض واد محاصر وطنينا، جهرياً ومحلياً



الإشكالية:

تتجلى إشكالية البحث في محاولة دراسة وجد الاستغلاليات الفلاحية داخل واد محاصر في المجالات الفيضية، هذه المجالات الفلاحية المستغلة هي نتاج للدينامية النهرية للمجرى ولعمليات الامطار، حيث يتميز حوض واد محاصر بنشاط عمليات التعريبة نظراً لقوة التساقطات المطرية التي يتلقاها، حيث إن الجريان يقوم بوظيفي التحت والتشكيل مما يؤدي إلى ظهور توضعات في الوادي. هذه العملية ينتج عنها ظهور استغلاليات فلاحية صغيرة وبأشكال مختلفة وتوجد في معظم الأحيان في مجالات فيضية. وهذه الإشكالية تتفرع إلى جملة من الأسئلة:

- ما هي الخصوصيات الطبيعية والبشرية لحوض واد محاصر؟
- ما هي الخصوصيات المناخية والبيئولوجية لحوض واد محاصر؟
- كيف تساهم الامطار في نشاط للدينامية النهرية بمجرى واد محاصر؟
- أين تتوزع الاستغلاليات الفلاحية الناتجة عن الامطار والدينامية النهرية؟ وكيف يتم استغلالها

فلاجياً؟

المقاربات المعتمدة في الموضوع:

- **المقاربة التاريخية:** هي مقاربة قديمة تبني على جمع البيانات وتقوم على دراسة المعلومات التاريخية يدوياً في الغرف التي يتم فيها تخزين الوثائق شريطة أن تكون لها صلة بموضوع الدراسة.

- مقاربة الاشتغال الميداني: الهدف من المرحلة الميدانية هو:
 - التحقق من بعض الأخطاء أو إبطالها.
 - إكمال بعض المعلومات الضرورية التي قد تساعد في
 - التقاط صور وأخذ قياسات من الميدان.

لكن قبل البدء في الزيارة الميدانية يجب ان نبدأ مع مقالات وبحوث وكتب وأدلة وأطروحتات تتناول الموضوعات التي تتأثر بالموضوع لفهم العناصر التي تحتاج الى دراسة في الدينامية النهرية والاشتغال في المجرى المائي.

المقاربة الإحصائية التقنية: سوف يتم تنفيذ هذه المقاربة باستخدام أدوات وبرامج معلوماتية (برامج معالجة البيانات) للقيام بمعالجة إحصائية لبيانات درجات الحرارة والتتساقطات وكذلك لإنجاز واعداد الخرائط.



لإجابة عن أشكالية البحث بطريقة علمية تضمن ترابط وسلسل عناصر الموضوع سنعتمد على منهجية تتضمن عدة مراحل وخطوات:

- في المرحلة الأولى: سنركز على العمل البليوغرافي وذلك بالاطلاع على مختلف المراجع التي تتناول موضوع الدينامية النهرية والاستغلاليات الفلاحية بالمجالات الفيophysie (كتب، مقالات، تقارير...).
 - في المرحلة الثانية: القيام بزيارة أولى للميدان قصد التعرف على اهم خصوصياته.
 - في المرحلة الثالثة: وضع استماراة تمكنا من رصد اهم الاشكال الناتجة عن الدينامية النهرية وعمليات الامتطاح، وطرق استغلالها فلاحيا.
 - في المرحلة الرابعة: العودة الى الميدان قصد القيام بالدراسة اعتمادا على الاستماراة المنجزة.
 - في المرحلة الخامسة: القيام بتفريغ المعطيات وتحليلها وإنجاز كartoغرافية الاشكال النهرية.

1- الخصائص الطبيعية لحوض واد محاصر :

تعتبر الخصائص الطبيعية عاماً محدداً للدينامية المائية التي تستغل داخل المجرى في حالة الحوض الذي نحن بصدد دراسته يشكل المجرى المائي لواد محاصر المحور الذي تصب فيه المجاري المائية الموسمية، وبالتالي فدراسة و جرد الاستغلاليات الفلاحية يرتبط بخصائص المجال المزود من خصائص مورفومترية وتضاريسية، والطبيعة الجيولوجية والصخearية، بالإضافة إلى الشبكة المائية، فتحديد هذه العناصر سيسهل عملية دراسة و جرد الاستغلاليات الفلاحية

1- المؤشرات الهندسية للحوض :

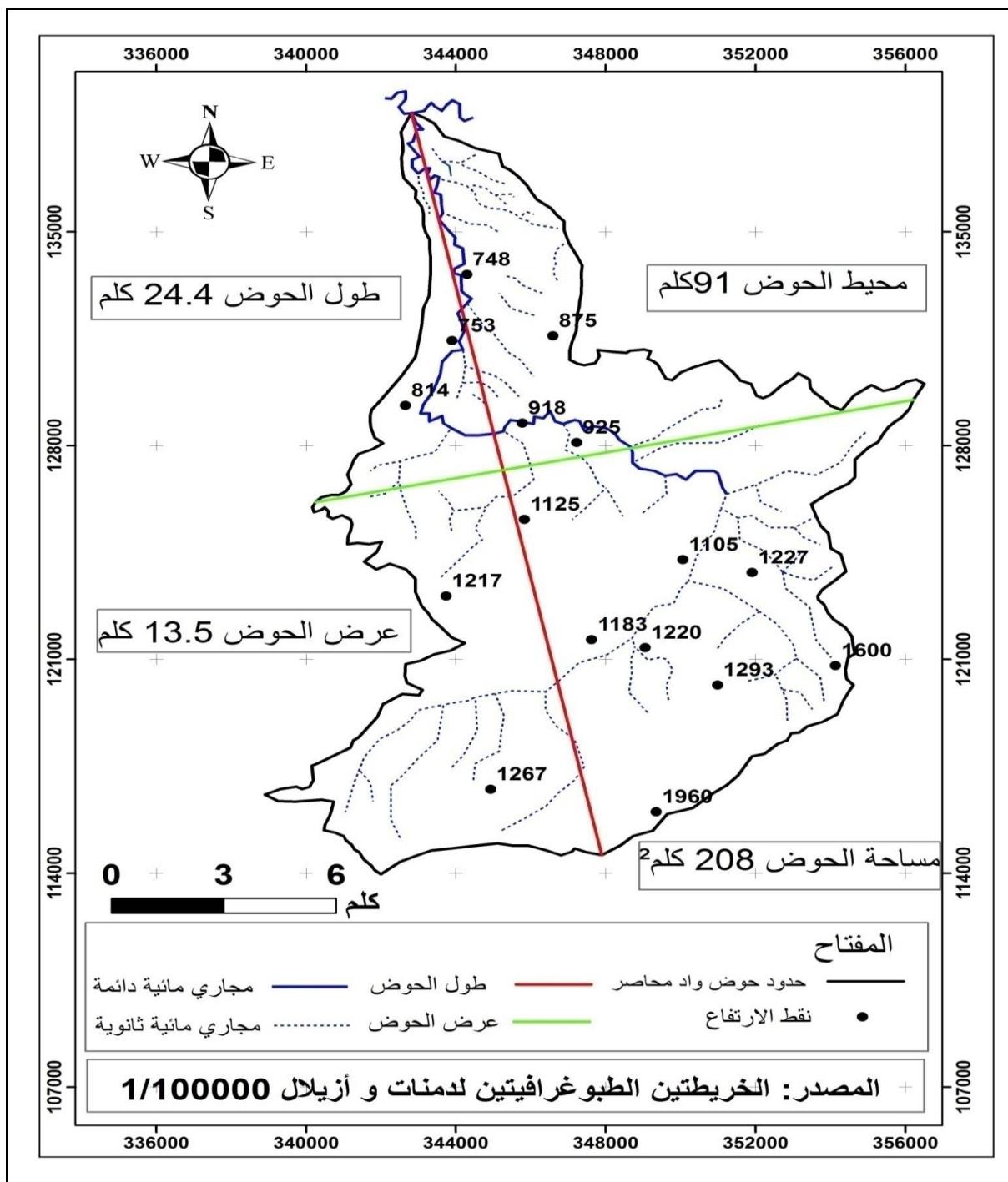
يتم تحديد مساحة الحوض ومحيطة انطلاقا من خطوط تقسيم المياه، ويعتبر هذان المؤشر ان عاملان مهمان في توضيح شكل الجريان والامتداد المجالي للشبكة المائية. ويوضح الجدول التالي مساحة ومحيطة الحوض وقد تم الحصول عليه باستعمال نظم المعلومات الجرافية:

حدول 1: مساحة ومحيط حوض، واد محاصر

الثوابت الهندسية	حوض واد محاصر
المساحة	208 كيلومتر مربع
المحيط	91 كيلومتر

**دور الدينامية النهرية في الاستغلال الفلاحي في المجالات الفيضية لواد
محاص (حبة بة، ملا، خنفة، إقليم اينيل، دمنات، المغرب)**

خريطة رقم 2: خريطة الأبعاد الهندسية لحوض واد محاصر



1-2 الخصائص التضاريسية للحوض:

تلعب الخصائص التضاريسية دورا هاما في دراسة الأحواض النهرية حيث إنها تمكّنا من معرفة طبيعة الطبوغرافية والأشكال المرتبطة بها، وتلعب التضاريس دورا مهما في تزايد وتناقص وقيرة الجريان، فالانحدارات القوية تساهم في تسريع وقيرة الجريان. خلال هذه المرحلة سنقوم بتفصيل الارتفاعات والانحدارات لمعرفة توزيعها المجالي على امتداد الحوض واستخراج الفئة المهيمنة وذلك بالاعتماد على برنامج Arc GIS 10.3.

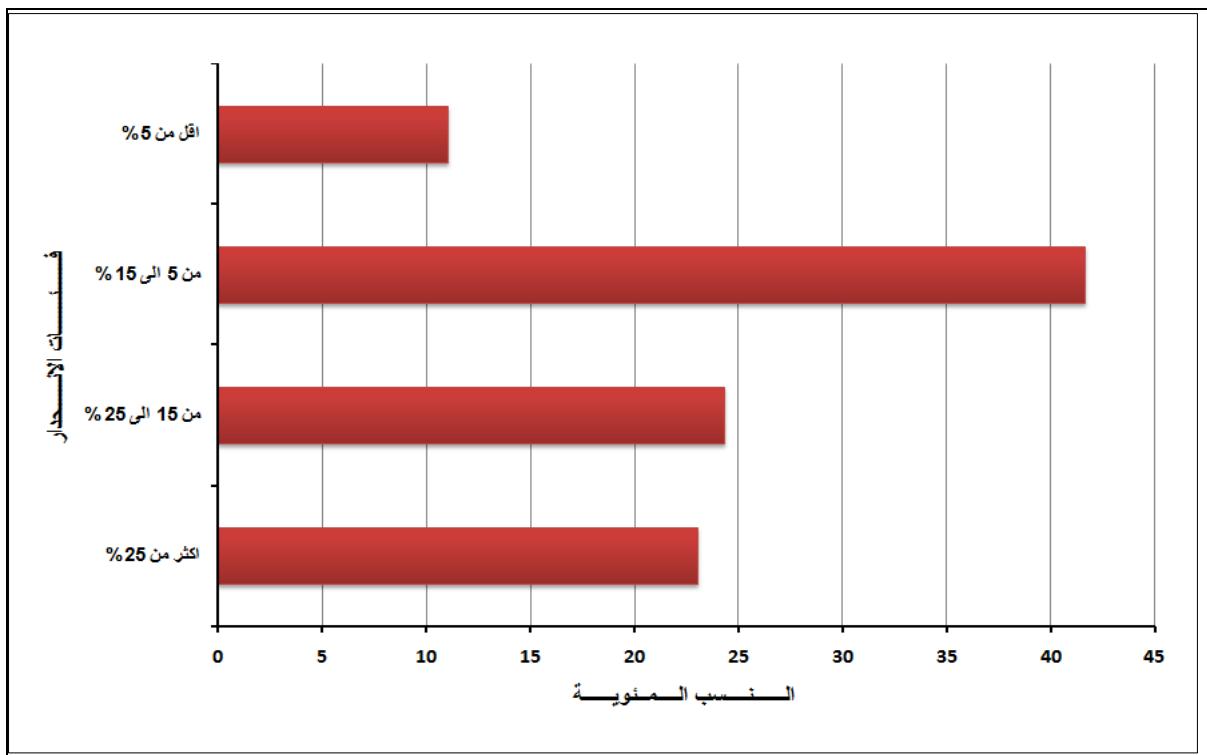
جدول 2: الفئات الارتفاعية داخل حوض واد محاصر

النسبة المئوية	المساحة بالكلم ²	الفئات الارتفاعية بالمترا
19.71	42	أقل من 900
54.34	72.61	900-1200
82.01	57.05	1200-1500
95.96	28.73	1500-1800
100	7.06	أكثر من 1800
100	208	المجموع

على مستوى النتائج نسجل أن أعلى نقطة ارتفاعية داخل حوض واد محاصر هي 2179 بجبل ميمون بينما تصل أدنى نقطة ارتفاع إلى 657 بالقرب من المصب عند واد لخضر أي بفارق يصل إلى 1522 مترا. ومن أجل إبراز مختلف الانحدارات داخل الحوض سنعمل على تقسيم الانحدارات إلى أربع فئات:

- الانحدارات الضعيفة أقل من 5%
- الانحدارات المتوسطة ما بين 5 و 15%
- الانحدارات القوية ما بين 15 و 25%
- الانحدارات القوية جداً أكثر من 25%

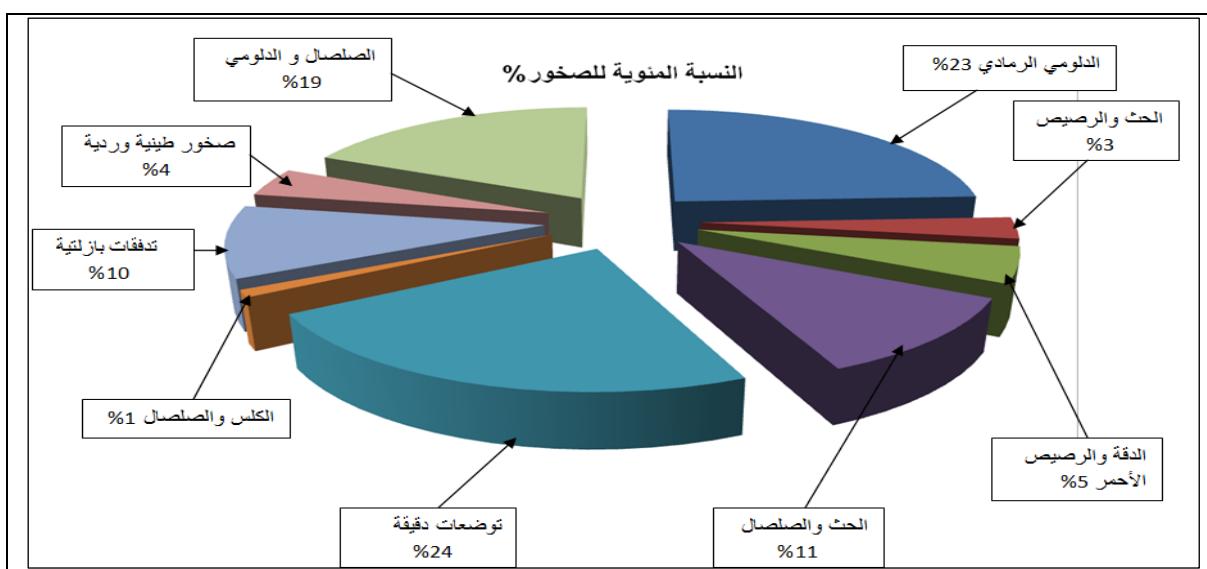
مبيان 1: توزيع فئات الانحدار داخل حوض واد محاصر



3-1 توزيع الصخور داخل الحوض:

تلعب مقاومة الصخور دوراً مهماً في اختلاف وانتشار الأشكال الناتجة عن الدينامية النهرية داخل المجرى الرئيسي لواود محاصر، ويتميز حوض واد محاصر بالتنوع الصخاري الكبير مع سيادة الصخور الهاشة، خاصة التوضعات الدقيقة المتواجدة على طول المجرى.

مبيان 2: توزيع الصخور داخل الحوض

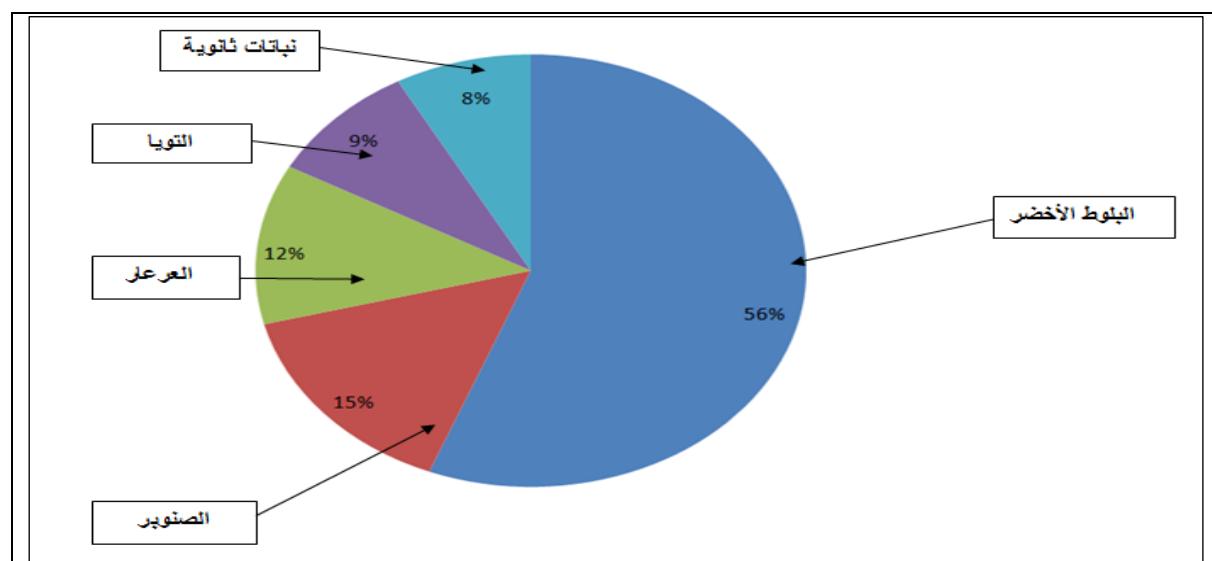


4-1 الغطاء النباتي:

يلعب الغطاء النباتي دوراً هاماً في تحديد نظام الجريان، ويظهر هذا الدور في حماية السفوح والتكتونيات السطحية من مختلف أنواع التعرية المائية وانجراف التربة وذلك حسب نوعيته وطبيعة المساحة التي يغطيها بحيث يعيق عملية سيلان

المياه السطحية ويخفف من حدتها كما يخفف من تأثير وعنة القطرات المطرية على السطح، وبالتالي فهو يقوم بتنظيم حركة الجريان والحد من الفيضانات والتلوّح السريع للسدود. وانطلاقاً من هذه العوامل سنقوم بتصنيف أهم الانواع النباتية داخل الحوض، حسب كثافتها وأصنافها ومحال انتشارها.

مبيان 3: أصناف الغطاء النباتي بحوض واد محاصر



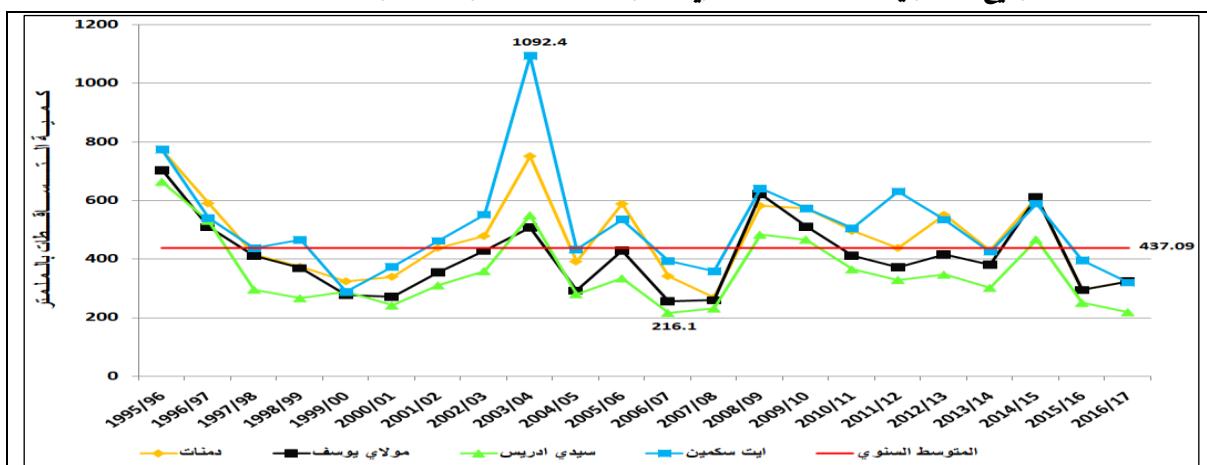
المصدر: مركز المياه والغابات بدمياط 2018، انجاز: عبد الله الوعزاني

يتميز الغطاء النباتي بحوض واد محاصر بالتنوع الكبير، بحيث نجد العديد من الاصناف النباتية مثل البلوط الاخضر الذي يشكل حوالي 56% من مجموع الغطاء النباتي داخل الحوض وينتشر في الجهة الجنوبية الغربية بينما يمثل العرعار الأحمر والعرعار المجنح 12% وينتشر وسط الحوض شمال منخفض تيزكي. بينما نجد الصنوبر بصنفيه البحري والحلبي وكذلك التويا بنسبة 24% ويتوارد بجبل اغري ، هذا بالإضافة إلى أنواع نباتية ثانوية كالدوم والصبار بنسبة 8%.

الخصائص، المناخية والبيئية، ولوحة لحوض واد محاصل:

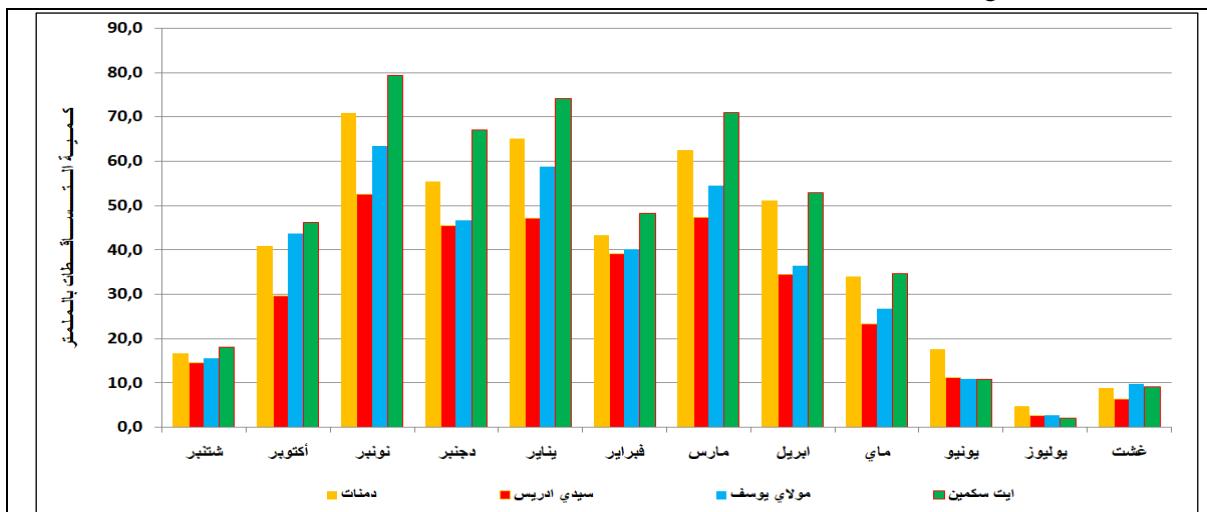
-2- الخصائص المناخية:
يجب دراسة المناخ كمشكل للصبب ومحرك للدينامية الهرية، فمعرفة العناصر المناخية المميزة للحوض ضرورية جداً لتوضيح تأثيرها على الدينامية الهرية، وسنخص بالدراسة عنصري الحرارة والتساقطات وإبراز تغيراتها ولا سيما عنصر التساقطات كونها تشكل العنصر الأساسي لنشاط الدينامية الهرية. لهذا سنعمل خلال تحليلنا للعناصر المناخية على توضيح طبيعة التوزيع المجالي والزماني للأمطار انطلاقاً من معطيات ثلاث محطات تتوزع داخل الحوض، والحرارة السنوية لمحطة واحدة خارج الحوض باعتبار حوض واد محاصر لا يتتوفر على أي محطة لقياس الحرارة.

مبيان 4: التوزيع السنوي للتساقطات المطرية بحوض واد محاصرين سنوات 1995-1996 و 2016-2017



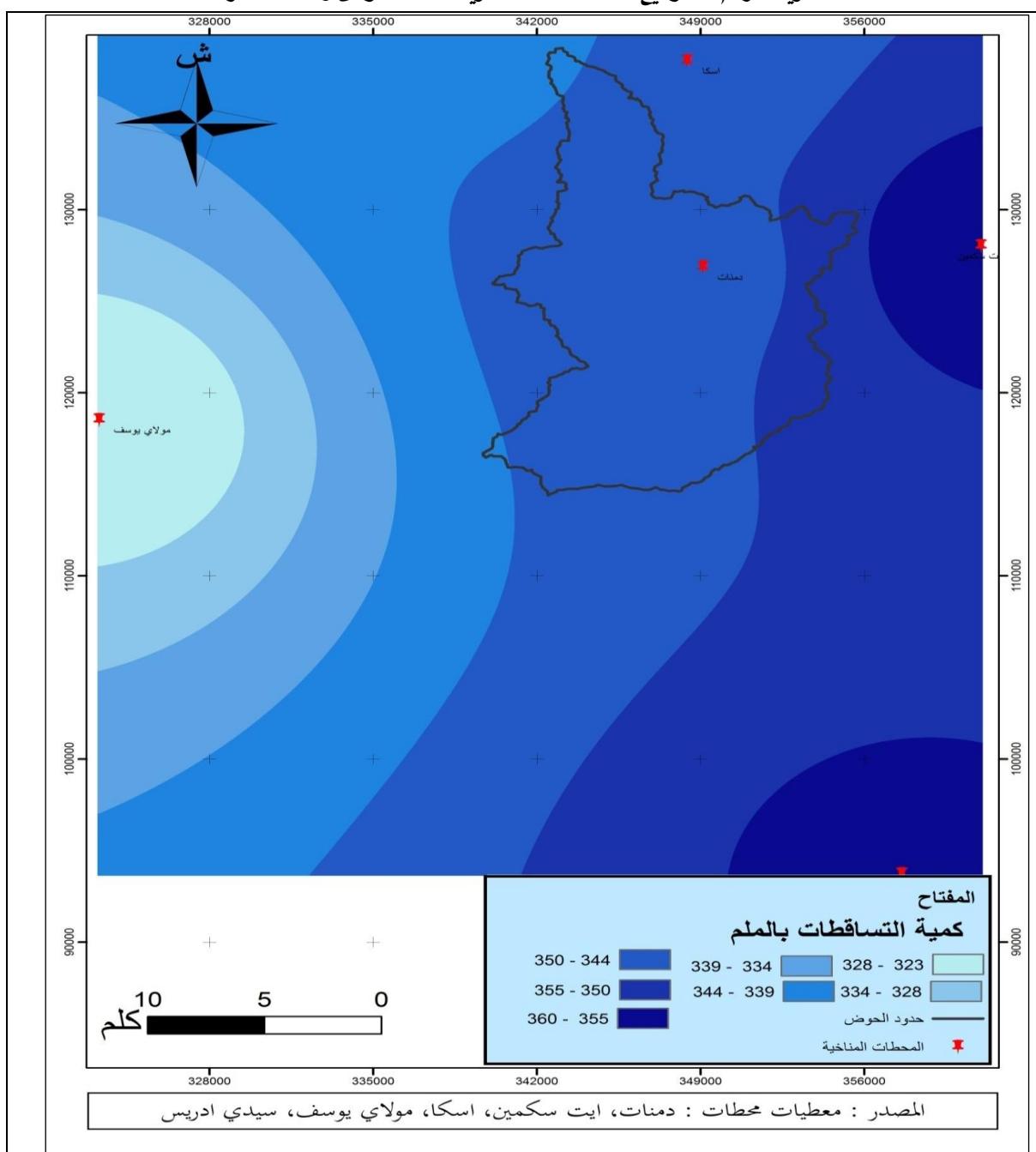
على مستوى النتائج وعند مقارنة نتائج المحطات الأربع يتضح أن هناك تباينات واضحة بين هذه المحطات على مستوى التساقطات وذلك راجع إلى تواجداتها في ارتفاعات مختلفة، كما نسجل تغيرات سنوية مهمة داخل كل محطة على حدة. التوزيع الشهري للتساقطات المطرية:

مبيان 5: التوزيع السنوي للتساقطات المطرية بحوض واد محاصرين سنوات 1995-1996 و 2016-2017



يعرف التوزيع الشهري للتساقطات المطرية تبايناً بين شهر وأخر حيث ان هناك شهور رطبة تعرف تساقط كميات مهمة تفوق المعدل الشهري كما هو الشأن بالنسبة لشهر نونبر الذي سجل 52 ملم بينما يسجل شهر يوليو أدنى قيمة بـ 2.7 ملم.

خريطة رقم 3: توزيع التساقطات المطرية داخل حوض واد محاصر



يتضح إذا أن مناخ حوض واد محاصر له خصوصيات المناخ الشبه جاف، حيث يتميز بعدم انتظام التساقطات وفجائيتها وتحكم فيه عدة عوامل أهمها الارتفاع وتوجيه وانتظام التضاريس فضلا عن التأثيرات المختلفة للكتل الهوائية المحيطية والمدارية،

3- الخصائص الهيدرولوجية:

يعرف صبيب واد محاصر تغيرات زمنية ومكانية طوال السنة، ويصنف نظام جريانه ضمن الأنظمة البسيطة الجريان لكونه يتغنى من مصدر مائي واحد ويتميز هذا النظام بضممه لفصلين هيدرولوجيين متناقضين: الفصل الأول يكون فيه معدل الوفرة مرتفع (يزداد منسوب المياه) والفصل الثاني يضعف فيه هذا المعدل. ويتميز نظام الجريان لواد محاصر

بارتفاع الصبيب خلال الفصل البارد وانخفاضه خلال الفصل الحار ليتحقق بذلك أدنى صبيب خلال شهر غشت وشتبر وترتبط هذه الوضعية بكون كمية المياه ترتبط بالتساقطات المطرية.

وأطلاقاً من هذه الخصائص يتضح أن حوض واد محاصر مجال خصب لنشاط الدينامية النهرية التي تكون عنيفة نتيجة التساقطات المطرية العنيفة والمركزة مما يؤدي نحت المواد من العالية ونقلها إلى أماكن أخرى حيث تشكل توضعات في المجالات الفيضية حيث يتم استغلالها فلاجياً وسنعمل على جرد هذه الاستغلاليات وتصنيفها وانجاز كartoغرافية لهذه الاستغلاليات على طول المجرى الرئيسي لـ واد محاصر.

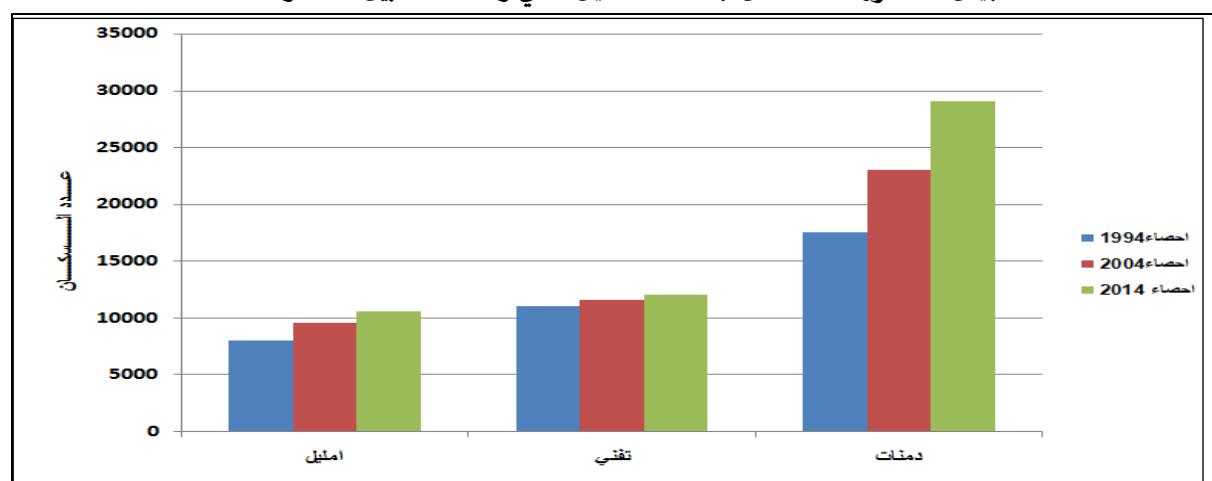
4- الخصائص البشرية لحوض واد محاصر:

تتجلى أهمية دراسة العنصر البشري في فهم الخصوصيات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لمنطقة معينة، فكما كان السكان نشطين إلا وكان مستواهم المعرفي والتكنولوجي مرتفعاً مما سينعكس إيجاباً على الوسط الطبيعي حيث يكون التدخل منتظماً لا يخل بالتوازنات البيئية لكن داخل حوض واد محاصر فالوضع مختلف لكون الإنسان لا يزال يعيش في بنية موروثة، مما يجعل سلوكه اتجاه الوسط الطبيعي يتسم بالعشوبية والتلقائية، فأمام ضيق المساحات المزروعة وحاجيات السكان المتزايدة يتم توسيع الرقعة الفلاحية بشتى الوسائل، وما يزيد الأمر استفحلاً هو أن التدخل يتم على حساب الغابة، هذا إضافة إلى العوامل السالفة الذكر من هشاشة الصخور وأهمية الانحدارات وعدوانية التساقطات.

4-1 النمو демографي داخل الحوض:

يتم تفسير تطور عدد السكان داخل مجال معين انطلاقاً من عاملين أساسين هما: التزايد الطبيعي وحصيلة الهجرة مع العلم بأن هذين العاملين يتاثران بعوامل ثقافية واقتصادية واجتماعية، كالتعليم والصحة وطريقة العيش. ويمتد مجال الدراسة على تراب ثلاث جماعات وهي دمنات وإمليل وتفي، ولذلك سنقوم بدراسة تطور الساكنة في هذه الجماعات من خلال إحصاءات 1994، 2004، 2014.

مبيان 6: تطور عدد سكان جماعات إمليل، تفي ودمنات ما بين 1994 و2014



انطلاقاً من المبيان رقم (5) يتضح أن ساكنة الجماعة الحضرية لـ دمنات سجلت نمواً ديموغرافياً سريعاً ما بين 1994 و2014 حيث انتقل عدد سكانها من حوالي 17000 نسمة سنة 1994 إلى 29000 نسمة سنة 2014 بينما عرفت جماعتي تفي وإمليل نمواً طفيفاً، مما يدل على أن هاتين الجماعتين عبارة عن مجالات طاردة للساكنة.

4-2 النشاط الفلاحي:

يؤدي الاستغلال البشري إلى الضغط المفرط على الموارد الطبيعية، وبالتالي ظهور آثار سلبية تخل بالتوازن البيئي للحوض وتحتفل درجات هذا الضغط تبعاً للنمو الديموغرافي والظروف التاريخية والسوسيو-اقتصادية للساكنة. وتعتبر الفلاحة النشاط الرئيسي بحوض واد محاصر وترتبط بها مختلف نواحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية للساكنة، وقد

فرض التكامل بين الزراعة البدوية والزراعة المنسقية تطورا في نمط استغلال الأرض. وتمثل الأراضي المخصصة للزراعة داخل حوض واد محاصر حوالي 34% من المساحة الكلية للحوض، ويتميز مجال انتشارها بالزحف نحو المناطق الغابوية التي تعرف تراجعا بفعل الاجتثاث، وتتضمن صنفين من الزراعة بورية ومسقية ، وتحصص الأراضي البدوية للزراعة الموسمية كالحبوب بينما تستغل الأراضي المنسقة في الزراعة المعاشرة كالخضر وعلف الماشية والقطنيات.

4-3 تربية الماشية:

يحتل قطاع تربية الماشية مكانة مهمة داخل حوض واد محاصير حيث يشكل موردا اقتصاديا هاما ويعتبر مكملا للأنشطة الزراعية. ويتميز حوض واد محاصير بتنوع كبير على مستوى أصناف الماشية والدواجن وتختلف أعداد المواشي من جماعة إلى أخرى، بحيث ترتفع هذه القيمة خاصة بجماعتي تفني وأمليل بينما تعرف انخفاضا ملحوظا داخل جماعة دمنات لكونها تنتشر فقط في هوماش المجال الحضري. كما نجد أيضا تربية النحل الذي أصبح نشاطا معتمدا من طرف الساكنة.

جدول 3:أعداد وأصناف الماشي بحوض واد محاصير

الجماعات	الأبقار	الأغنام	الماعز	الدواجن	النحل
امليل	1150	5436	1457	15000	580
تفني	1870	9562	14280	15000	52
دمنات	433	1908	123	4000	120
المجموع	3463	16906	15860	34000	752

المصدر: منوغرافية دائرة دمنات 2018

يتتوفر حوض واد محاصير على تراث ثقافي متنوع ، وتعتبر الموقع التراثية المشيدة بطريقة تقليدية تراثا معمريا استخدمته الساكنة لأغراض متعددة لتعويض النقص الحصول في البنية التحتية كتشييد القنطر والطاحونات التقليدية والإبداع الفني خاصة صناعة الخزف والأواني الفخارية.

4-4 التراث الثقافي والمعماري:

أسوار دمنات التاريخية وأبوابها: تعتبر أسوار دمنات معلمة فريدة من نوعها، إلا أن مجملها تعرض للتدهور باستثناء بعض المعالم التي تم ترميمها، بينما لا تزال أبواب هذه الأسوار صامدة أمام زحف الاسمنت وتخالف هذه الأبواب من حيث الحجم والأهمية وكذا درجة التدهور.⁽²⁾

صورة 1 : باب إعرابن بمدينة دمنات قبل وبعد ترميمه



4-5 الصناعة التقليدية داخل حوض واد محاصير:

تشتهر منطقة دمنات بالصناعة التقليدية وخاصة صناعة الفخار فبمجرد الحديث عن صناعة الخزف تبادر إلى الذهن منطقة بوغرارت، حيث تحتضن صناعة هامة تمثل في صناعة الأواني ذات الاستعمال المطبخي، وترتكز هذه الصناعة التقليدية على العمل اليدوي الذي يتطلب جهداً بدنياً كبيراً، وتواجهه منافسة قوية من طرف الصناعات الحديثة، ومن أبرز المنتجات الخزفية هناك المزهريات والأطباق والأكواب... وبالإضافة إلى صناعة الفخار تزاول الساكنة المحلية العديد من الأنشطة والحرف كالدباغة والحياكة والتجارة والنسيج وغيرها وتساهم هذه الأنشطة في الدينامية التي تعرفها مدينة دمنات.

صورة 2: جانب من الصناعة الفخارية بمنطقة بوغرارت بحوض واد محاصر



يتوفر حوض واد محاصر على مؤهلات كبرى يمكن توظيفها لتطوير سياحة مندمجة تكون العمود الفقري لتنمية محلية مستدامة. فالمنطقة تتتوفر على مميزات وأمكانيات مهمة تتجلى في المعمار القديم والصناعة التقليدية بالإضافة إلى مشاهد طبيعية يمكن أن تشكل أساساً لقطب سياحي مندمج.

يتضح من خلال دراسة الخصائص الطبيعية والبشرية أن الحوض يتميز بتنوع تضاريس ما بين سلسلة جبلية في العالية ومنخفضات منبسطة في السافلة، مما يشكل مجالاً لنشاط عمليات التعريبة، هذه التعريبة تغذيها طبيعة المناخ الذي يسود داخل الحوض حيث التساقطات المطرية والحرارة تعرف تذبذباً مهماً من سنة لأخرى ومن شهر لآخر داخل نفس الشهر. كما أن الخصائص الجيولوجية التي تتميز بغلبة الصخور الرسوبية مما يسرع من تدهور الأوساط الطبيعية داخل الحوض، وتعربة ضفاف واد محاصر باعتبار هذا المجرى هو المحور الرئيسي داخل الحوض.

يلعب الإنسان كذلك دوراً هاماً داخل الحوض حيث يختلف النمو الديموغرافي بين منطقة وأخرى داخل الحوض، وتتوزع هذه الساكنة بطرق غير منتظمة داخل الحوض وتوافق غالباً مناطق السفوح المشرفة على الأراضي الفلاحية فرغم أن للإنسان تأثير سلبي على المجال حيث يساهم في تدهور الوسط الطبيعي، إلا أن له أيضاً دوراً إيجابياً يتجلى في تشييد معالم ثقافية ومعمارية وفنية تزيد من جمالية المشاهد داخل الحوض بالإضافة إلى الصناعة التقليدية التي تعتبر من خصوصيات المنطقة وتلعب دوراً هاماً خاصة في الجانب السياحي.

هذه الخصائص في مجملها تجعل من حوض واد محاصر يتميز بدينامية خاصة حيث يعرف نشاط الدينامية النهرية وعمليات الامتطاح التي تؤدي إلى إفراز أشكال داخل المجرى الاعتيادي والتي تعرف تدخلاً بشرياً عبر استغلالها فلاحياً.
ثانياً: كارطوغرافية الاستغلاليات الفلاحية: جرد وتصنيف وتقدير

تعتبر الكارطوغرافية الوسيلة الأكثر فعالية لتقديم المعلومة الجغرافية وسنقوم في هذا الفصل بإنجاز كارطوغرافية الاستغلاليات الفلاحية المتواجدة على طول مجرى واد محاصر وسنعالج إشكالية تركز نشاط فلاحي بالقرب من المجرى

المائية وسنعتمد منهجية تقوم على العمل الميداني للحصول على المعلومات الازمة، كما سنستخدم معطيات تم الحصول في مراحل البحث الميداني، وسهدف إلى توطين الاستغلاليات على مستوى المقطع الطولي للنهر وتقييم الاستغلال الفلاحي بها. حيث مجرى مائي يعرف نشاط الدينامية النهرية المرتكزة على فلسفة النحت والنقل والإرساب، هذا النشاط على مستوى المجرى يؤدي إلى ظهور استغلاليات فلاحية بالقرب من المجرى المائية، حيث تعرف هذه الاستغلاليات تركيز نشاط اقتصادي مهم.

1- بيان المعطيات:

نوع الاستغلال		الموقع العرضي بالنسبة للمجرى		الموقع بالنسبة للوحدات الهيدروجيومورفولوجية	
EX1	تربيبة الماشية	B1	الضفة اليسرى	LMA	المجرى الأكبر
EX2	الفلاحية	B2	الضفة اليمنى	LMI	المجرى الأصغر
الشكل		نوع المزروعات		الموقع الطولى بالنسبة للمجرى	
F1	مستطيل	CH1	الحبوب	P1	علية الحوض
F2	مربع	CH2	الفاصنة	P2	وسط الحوض
F3	دائري	CH 3	القصب	P3	سفالة الحوض
F4	آخر	CH 4	السفرجل		
		CH 5	مزروعات متعددة		
		CH6	القمح والزيتون		
		CH7	الزيتون والقصب		
		CH8	الخضر والزيتون		
		CH9	الرمان والفصنة		
الاستغلال العام				المساحة	
ExG1	فصلي			S1	مجهرية
ExG2	سنوي			S2	صغيرة
ExG3	موسمى			S3	متوسطة
				S4	كبيرة

2- قاعدة البيانات:

نوع الفلاحة	نوع المزروعات	نوع الاستغلال	الاستغلال العام	المساحة F2 بالمتر	المساحة	الشكل	الموقع الطولى بالنسبة للمجرى	الموقع العرضي بالنسبة للمجرى	الموقع بالنسبة للوحدات الهيدروجيومورفولوجية	الموقع العام			اسم الاستغلالية	رقم الاستغلالية
										z	y	x		
Agr1	CH5	EX2	ExG1	300	S2	F1	P1	B1	LMA	100 6	127179	349883	أيت أمغار 1	1
Agr1	CH5	EX2	ExG1	800	S4	F1	P1	B1	LMA	100 2	127190	349613	أيت أمغار 2	2
Agr1	CH5	EX2	ExG2	450	S3	F3	P1	B2	LMA	993	127172	349530	أيت أمغار 3	3
Agr1	CH1	EX2	ExG1	350	S2	F4	P1	B2	LMA	984	127780	348591	إغرافان	4
Agr1	CH2	EX2	ExG3	160	S1	F1	P1	B2	LMA	983	128249	348525	احناون 1	5
Agr1	CH1	EX2	ExG2	300	S2	F1	P1	B1	LMA	983	128327	348519	احناون 2	6
Agr1	CH5	EX2	ExG1	900	S4	F1	P1	B2	LMA	978	127798	347885	احناون 3	7

Agr1	CH11	EX2	ExG2	950	S4	F1	P1	B1	LMA	976	128794	347742	احتلون 4	8
Agr1	CH12	EX1	ExG3	500	S3	F4	P1	B1	LMA	950	128789	347542	أيت معياضن 1	9
Agr1	CH1	EX2	ExG2	300	S2	F4	P1	B2	LMA	945	128760	347469	أيت معياضن 2	10
Agr1	CH12	EX1	ExG3	120	S1	F4	P2	B2	LMA	905	7,01752892	31,7454145 2	اسران 1	11
Agr1	CH3	EX2	ExG2	150	S1	F4	P2	B2	LMA	900	7,01178014	31,7456768	اسران 2	12
Agr1	CH2	EX2	ExG3	450	S3	F1	P2	B1	LMA	896	7,02040503	31,7471959 7	اسران 3	13
Agr1	CH12	EX1	ExG3	140	S1	F2	P2	B1	LMA	894	7,02167681 9	31,7458434 9	اسران 4	14
Agr1	CH7	EX2	ExG1	250	S2	F4	P2	B2	LMA	892	7,02354852	31,7455233	لحرونة 1	15
Agr1	CH12	EX1	ExG3	280	S2	F1	P2	B1	LMA	887	7,02459297	317443215 6	لحرونة 2	16
Agr1	CH11	EX2	ExG1	500	S3	F1	P2	B1	LMA	881	7,02837921 1	31,7441995 3	لحرونة 3	17
Agr1	CH2	EX2	ExG3	480	S3	F1	P2	B2	LMA	875	7,03154909	31,7440434 8	لحرونة 4	18
Agr1	CH1	EX2	ExG2	300	S2	F1	P2	B1	LMA	863	7,03722007	31,7405580 3	أولاد علي 1	19
Agr1	CH12	EX1	ExG3	350	S2	F1	P2	B2	LMA	860	7,04732501	31,7425826 3	أولاد علي 2	20
Agr1	CH12	EX1	ExG3	520	S3	F3	P2	B1	LMA	855	7,05034236 7	31,7440938 3	أولاد علي 3	21
Agr1	CH12	EX1	ExG3	250	S2	F1	P2	B2	LMA	832	7,05330543	31,7434426 7	أولاد علي 4	22
Agr1	CH12	EX1	ExG3	300	S2	F2	P2	B1	LMA	810	7,05256201	31,7561474 3	أولاد علي 5	23
Agr1	CH3	EX2	ExG2	200	S2	F1	P2	B1	LMA	806	7,0523048	31,7561465	أولاد خلوف 1	24
Agr1	CH12	EX1	ExG3	550	S3	F1	P2	B1	LMA	803	7,04781982 5	31,7642478 5	أولاد خلوف 2	25
Agr1	CH12	EX1	ExG3	350	S2	F1	P2	B2	LMA	794	7,04503392	31,7694086 1	أولاد خلوف 3	26
Agr1	CH1	EX2	ExG2	250	S2	F1	P2	B1	LMA	791	7,04598754	31,7739706 1	أولاد خلوف 4	27
Agr1	CH12	EX2	ExG3	150	S1	F2	P2	B1	LMA	783	7,04551689	31,7755903 6	أولاد خلوف 5	28

Agr1	CH1	EX2	ExG2	200	S2	F4	P2	B2	LMA	782	7,04271956	31,7798280 2	أولاد خلوف 6	29
Agr1	CH1	EX2	ExG2	450	S3	F1	P3	B2	LMA	705	134249	344107	أمضغوست 1	30
Agr1	CH1	EX2	ExG2	220	S2	F1	P3	B2	LMA	704	134340	344063	أمضغوست 2	31
Agr1	CH1	EX2	ExG2	180	S1	F2	P3	B2	LMA	703	134550	344041	أمضغوست 3	32
Agr1	CH12	EX1	ExG3	160	S1	F1	P3	B1	LMI	701	134640	343965	أمضغوست 4	33
Agr1	CH1	EX2	ExG2	180	S1	F2	P3	B2	LMA	700	134658	343920	كاف حمام 1	34
Agr1	CH11	EX2	ExG1	700	S4	F2	P3	B1	LMA	700	134670	343899	كاف حمام 2	35
Agr1	CH12	EX1	ExG3	240	S2	F4	P3	B2	LMA	699	134942	343887	كاف حمام 3	36
Agr1	CH11	EX2	ExG1	500	S3	F3	P3	B1	LMA	698	134957	343857	كاف حمام 4	37
Agr1	CH11	EX2	ExG1	800	S4	F4	P3	B2	LMA	694	135202	343710	غيران النبيب 1	38
Agr1	CH12	EX1	ExG3	300	S2	F3	P3	B1	LMI	694	135283	343703	غيران النبيب 2	39
Agr1	CH11	EX2	ExG1	500	S3	F1	P3	B2	LMI	691	135333	343640	غيران النبيب 3	40
Agr2	CH8	EX2	ExG1	900	S4	F2	P3	B1	LMA	686	135508	343525	غيران النبيب 4	41
Agr1	CH12	EX1	ExG3	500	S3	F1	P3	B2	LMA	685	135865	343530	غيران النبيب 5	42
Agr2	CH5	EX2	ExG1	700	S4	F4	P3	B1	LMA	685	135874	343504	غيران النبيب 6	43
Agr1	CH1	EX2	ExG1	800	S4	F2	P3	B2	LMA	681	136165	343490	بلاد السرمق 1	44
Agr1	CH12	EX1	ExG3	180	S1	F2	P3	B2	LMA	672	136127	343275	بلاد السرمق 2	45
Agr1	CH3	EX2	ExG3	160	S1	F4	P3	B1	LMI	670	136919	343162	بلاد السرمق 3	46
Agr2	CH7	EX2	ExG1	2000	S4	F1	P3	B1	LMA	669	136994	343050	بلاد السرمق 4	47
Agr1	CH12	EX1	ExG3	300	S2	F2	P3	B2	LMI	660	137164	342761	بلاد السرمق 5	48
Agr2	CH5	EX2	ExG1	800	S4	F1	P3	B2	LMA	659	137331	342676	بلاد السرمق 6	49
Agr2	CH5	EX2	ExG1	3000	S4	F1	P3	B1	LMA	655	137492	342630	بلاد السرمق 7	50
Agr2	CH5	EX2	ExG1	2000	S4	F1	P3	B1	LMA	653	137707	342754	بلاد السرمق 8	51
Agr2	CH10	EX2	ExG1	1500	S4	F1	P3	B2	LMA	658	137741	342702	بلاد السرمق 9	52
Agr2	CH5	EX2	ExG1	500	S3	F2	P3	B1	LMA	647	137709	342642	بلاد السرمق 10	53
Agr2	CH9	EX2	ExG1	500	S3	F4	P3	B2	LMA	647	137920	342587	بلاد السرمق 11	54
Agr2	CH9	EX2	ExG1	1500	S4	F3	P3	B1	LMA	656	137934	342569	بلاد السرمق 12	55
Agr2	CH9	EX2	ExG1	250	S2	F3	P3	B2	LMA	656	138181	342663	بلاد السرمق 13	56
Agr2	CH9	EX2	ExG1	1000	S4	F2	P3	B2	LMA	649	138471	342791	بلاد السرمق 14	57

دور الدينامية النهيرية في الاستغلال الفلاحي في المجالات الفيضية لواحد

محاصر (جهة بني ملال خنيفرة، إقليم ازيلال، دمنات، المغرب)

عبد الله الوعزاني، محمد الغاش

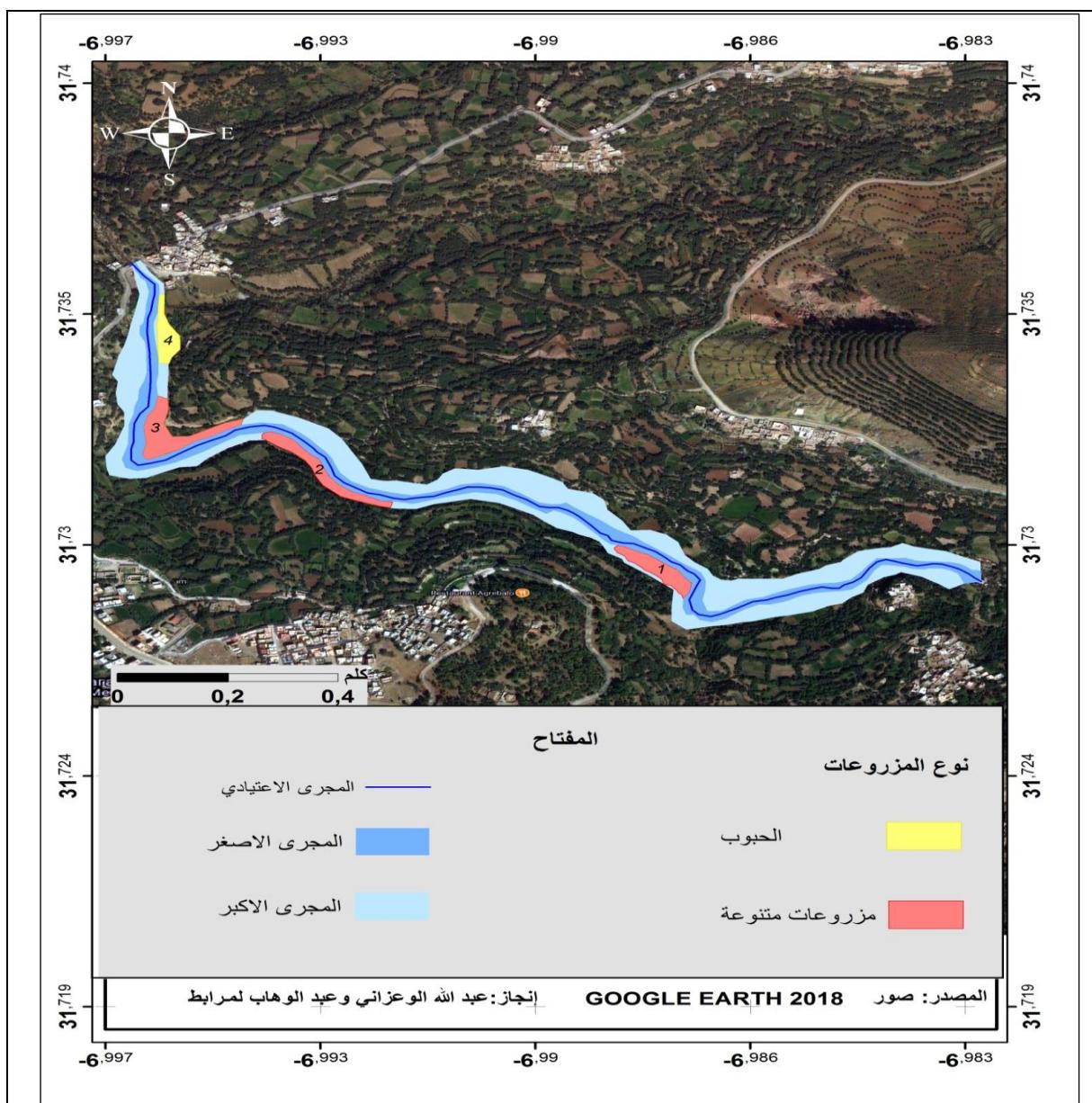
3-توزيع الاستغلاليات في عاليه المجرى:

1-المنطقة الأولى:

رقم الاستغلالية	اسم الاستغلالية	الاستغلال العام
1	أيت أمغار 1	سنوي
2	أيت أمغار 2	سنوي
3	أيت أمغار 3	موسمي
4	إغرفان	سنوي

على مستوى النتائج نسجل أن اغلب الاستغلاليات ذات استغلال سنوي، لكونها تستفيد من الموارد المائية طيلة السنة وذلك بسبب الجريان الدائم في العالية. وتبين الخريطة التالية توزيع الاستغلاليات حسب نوع المزروعات:

خريطة رقم 4: خريطة انواع المزروعات بالمنطقة 1



3- المنطقة الثانية:

الاستغلال العام	اسم الاستغلالية	رقم الاستغلالية
فصلي	احناون 1	5
موسمي	احناون 2	6
سنوي	احناون 3	7
موسمي	احناون 4	8
فصلي	أيت معياض 1	9
موسمي	أيت معياض 2	10

معظم الاستغلاليات تستغل طيلة السنة لوجودها في عاليه الحوض حيث تكون بعيدة نسبياً عن تأثير الفيض بسبب وجود غطاء نباتي بضفاف المجرى. وتختلف المزروعات داخل المنطقة 2 من استغلالية لأخرى، حيث نجد الفصة بالاستغلالية رقم 5 والحبوب بالاستغلاليتين رقم 6 و10، بينما نجد مزروعات متعددة كالقصب والزيتون والسفرجل بالاستغلالية رقم 7 نظراً لشساعة مساحتها وتستغل الاستغلالية رقم 9 كمراعي خلال فصل الربيع. كما تتدنى الاستغلاليات في المنطقة 2 في غالبيتها شكلًا مستطيلاً نظراً لقلة المنعطفات الهرية، بسبب الانتظام على مستوى الانحدار في العالية.

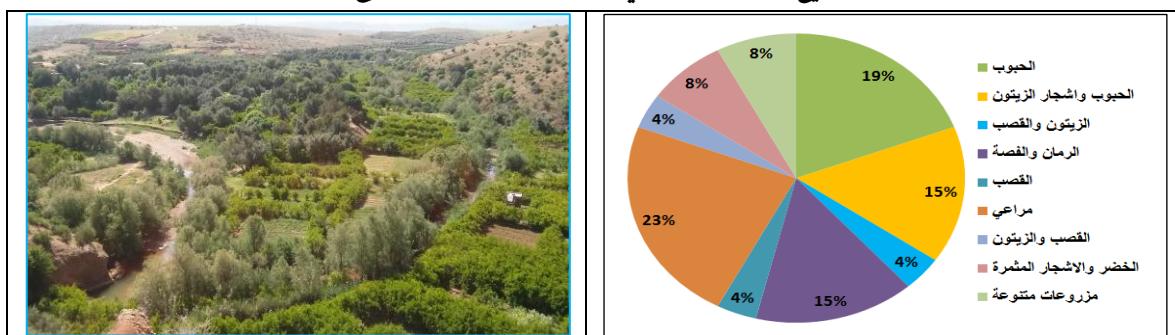
3- توزيع الاستغلاليات في سافلة المجرى:

تتميز المنطقة السفلية لمجرى واد محاصر بوجود استغلاليات كبرى، وذلك راجع إلى عوامل طبوغرافية كضعف الانحدار مما يؤدي إلى اتساع المجرى الذي يشكل سهلاً فيضياً، كما تتميز هذه المنطقة بوفرة الموارد المائية بفعل وجود عدة عيون تغذي المجرى الرئيسي وتتوارد بهذه المنطقة حوالي 28 استغلالية تتوزع على ثلاث مناطق. وتتوارد بهذه المنطقة استغلاليات مهمة تفوق في أغلبها 400 متر²، وتتميز بمزروعات متعددة وبفتره استغلال طيلة السنة، ويرجع ذلك إلى وفرة مياه العيون داخل المجرى، وإلى شساعة مساحتها، بالإضافة إلى توافر ساكنة تتنفذ من الفلاحة نشاطاً رئيسياً.

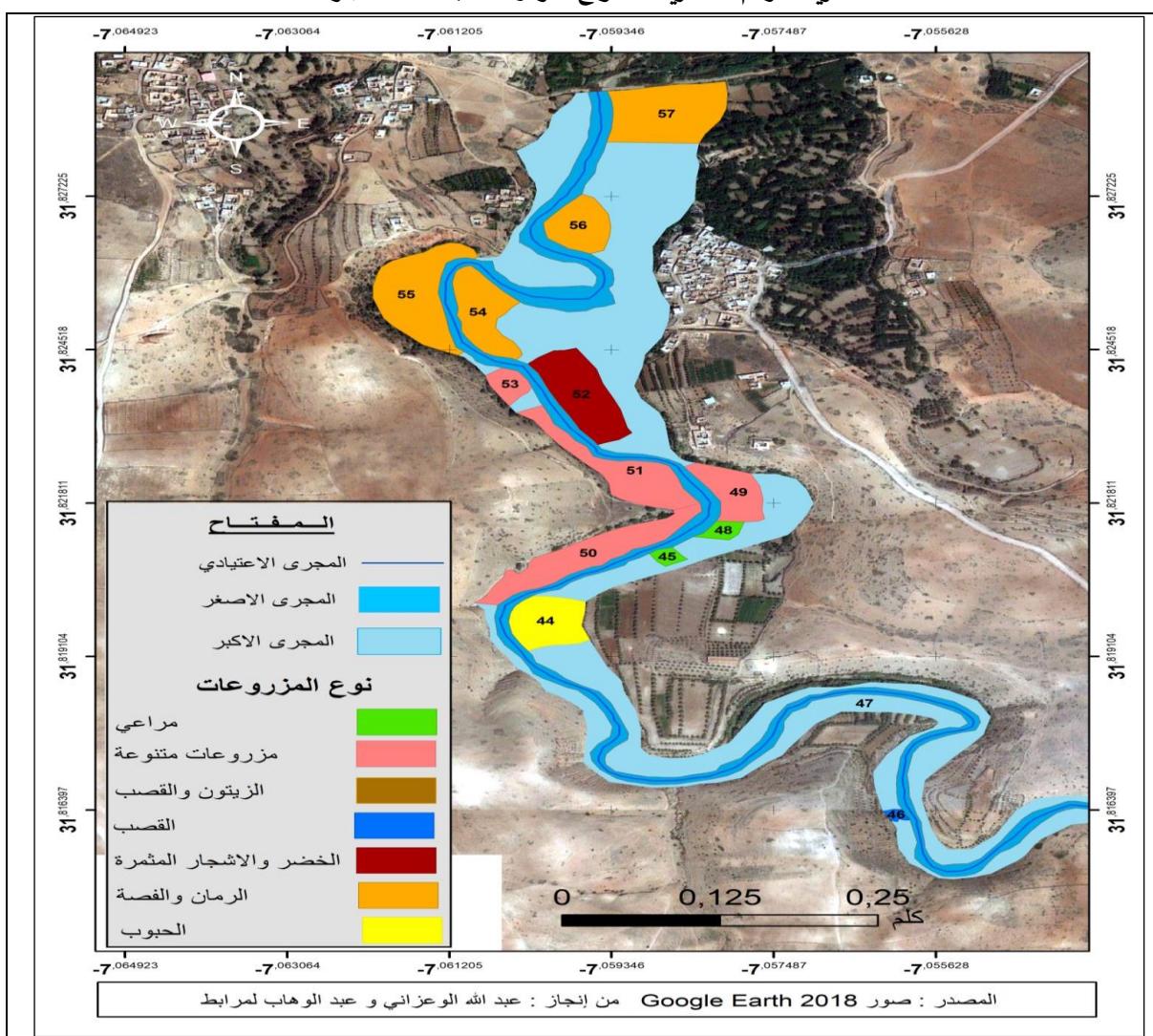
تحكم العوامل الهيدرولوجية المتمثلة في تجدد جريان واد محاصر بفعل وجود مجموعة من العيون داخل أو بالقرب من المجرى، كما أن هذه المنطقة تعتبر مجال ترسيب المواد المنقولة من العالية مما يؤدي إلى تشكيل استغلاليات كبيرة داخل السهل الفيسي، وتمارس بها أنشطة فلاحية متعددة، وتوجه مجموعة من المزروعات نحو التسويق.

تتميز هذه المنطقة بالقرب من مصب واد محاصر وبالتالي تزداد مساحة الاستغلاليات التي تكون في أغلبها استغلاليات كبيرة تمارس فيها الأنشطة الزراعية طيلة السنة وتنتشر بها على الخصوص الأشجار المثمرة كالرمان وزراعة الخضروات. يهيمن الاستغلال السنوي على الاستغلاليات الفلاحية في سافلة مجرى واد محاصر بسبب أهمية الفلاحة كنشاط رئيسي للساكنة وكذلك بسبب وفرة الماء وخصوصية التربة بهذه المناطق التي تشكل السهل الفيسي حيث تتوضع المواد المنقولة من العالية. كما ان المزروعات تعرف تنوعاً كبيراً بهذه الاستغلاليات بفعل اعتماد الساكنة على تسويق المنتجات الزراعية كالخضروات والرمان في الأسواق الأسبوعية المجاورة. وبين المبيان والخرائط أسفله توزيع الاستغلاليات في سافلة المجرى حسب فترة نوع المزروعات:

مبيان 7: توزيع الاستغلاليات في سافلة المجرى حسب نوع المزروعات



خرائط رقم 5: خريطة أنواع المزروعات بسافلة المجرى



تعدد أشكال الاستغلاليات في السافلة نتيجة تراجع النحت لصالح التوضع الذي يختلف من منطقة إلى أخرى وبسبب التدخل البشري الذي يعمل على تغيير شكل الاستغلاليات كـ تلائم حاجيات الساكنة، وتغلب المساحات الكبيرة على الاستغلاليات الفلاحية بفعل العوامل الطبوغرافية المرتبطة بضعف الانحدار والقرب من المصب وتحتل المساحات الكبيرة حوالي 43% من مجموع الاستغلاليات تليها الاستغلاليات ذات المساحة المتوسطة.

خلاصة عامة:

يقع حوض واد محاصر بالأطلس الكبير الأوسط ويتميز بخصائص طبيعية وبشرية متنوعة، حيث يندرج ضمن الأحواض الصغرى الجبلية وتقدر مساحتها بحوالي 208 كم²، كما يتميز بخصائص طبوغرافية يغلب عليها التضاريس في العالية وبشبكة هيدروغرافية كثيفة، اما على المستوى الجيولوجي فتغلب التكوينات المهمشة وهي توضّعات تنتهي للزمن الرابع، اما مناخ الحوض فهو مناخ شبه جاف يتميز بتركز التساقطات خلال فصل الشتاء، ويتميز الحوض بسلوك هيدرولوجي تغلب عليه الامتطاحات طول السنة.

هذه الخصائص الطبوغرافية، المناخية والميدلوجية تساهُم في نشاط لليَّانِمِيَّةِ الْهَنْرِيَّةِ المركزة على فلسفة النحت، النقل والإرساب، لليَّانِمِيَّةِ الْهَنْرِيَّةِ التي يعرّفها المجرى الرئيسي لواد محاصر تؤدي إلى وجود توضّعات في المجرى الأكبر والصغر ويتم استغلالها فلاحياً بطرق مختلفة. كل هذه العوامل تساهُم في تركز نشاط اقتصادي يساهُم في تثبيت الساكنة بهذه المجالات وبالتالي تساهُم ديناميَّة الوسط الْهَنْرِيَّ باعتباره وسطاً طبيعياً في لليَّانِمِيَّةِ الْاِقْتَصَادِيَّةِ الْعَامَّةِ.

المراجع باللغة العربية

بريان محمد، بنحليمة حسن ، العوينة عبدالله (1989) : قراءة وتحليل الخريطة الطبوغرافية ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية فاس-سايس، 182 صفحة.

عبد القادر السباعي (1993): قراءة وتحليل الخريطة الجيولوجية تطبيقات جيومرفولوجية ، جامعة محمد الأول، كلية الاداب والعلوم الإنسانية وجدة، شعبة الجغرافيا، الطبعة الأولى 1993 ، 300 صفحة.

عبد اللطيف السنّيري (2016) : التقييم النوعي والكمي للتعرية المائية بواحد محاصر مقاربة خرائطية.

عبد اللطيف لكي، عبد الصمد باولحسن (2017): الموضع الميدلوجي جيومرفولوجي بواحد محاصر (جهة بني ملال خنيفرة إقليم ازيالل دمنات) جرد، تقييم وتشخيص

الغاشي محمد، ادالي محسن، لحلو نادية (2014) : الخصائص المورفومترية للأحواض الجبلية ودورها في السلوك الميدلوجي لحوض اسيف غراف بالأطلس الكبير الأوسط حالة الامتطاح الفيضي لسنة 2009 " مختبر ديناميَّةِ المشاهد : المخاطر والتراث" جامعة السلطان مولاي سليمان ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بني ملال، 47 صفحة.

محمد منسوم (2015): الجيومرفولوجيا العامة، مدخل لعلم التضاريس، الطبعة الأولى: سبتمبر 2015.

يزمي زطاييط محمد، ذ.الغاشي محمد، ذ.الحالقى يحيى : الديناميَّةِ الْهَنْرِيَّةِ بواحد سبو الأوسط (بين واد فاس وواد ايناون) الأساليب من خلال نموذجي 2008 و 2009 ، فريق بحث " ديناميَّةِ المشاهد : المخاطر والتراث" جامعة السلطان مولاي سليمان ، كلية الاداب والعلوم الإنسانية بني ملال.

المراجع باللغة الفرنسية

Bravar, J.P & F.P (2000) : Les Cours D'eau, Dynamique Du Système Fluvial, Armand Colin.

EIGHACHI, M. (2007, novembre). La Seille : Un système fluvial anthropisé (Lorraine, France). Thèse de Doctorat de l'Université Paul Verlaine de Metz, discipline : Géographie, II. Metz, France.

Girait A. (2007) : Hydrologie Fluviale, Ellipses, 2007 262p (Université Géographie).

Khallou A. (2016) : La Dynamique Fluvial Actuelle Dans Le Bassin Versant De L'oued M'hasser : Cartographie Et Analyse.

Laborde, G.P (2009) : Elements D'hydrologie De Surface. Université Nice Sophia Antipolis.

Taous , A. (2005) : Geomorphodynamique Fluviale. Publication De La Facult2 Des Lettres Et Sciences Humaines Saïs-Fes ? Serie : « These Et Monographies » N° 11 , 425p.

النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة: الواقع والمخاطر.

Household Solid Waste in Kelaa Des Sraghna City: realities and Risks

- 5 محمد جاد، طالب بسلك الدكتوراه جامعة بن طفيلي، القنيطرة، المغرب. Mohammed609jad@gmail.com.
- 6 عبد الفتاح دالي، طالب بسلك الدكتوراه جامعة بن طفيلي، القنيطرة، المغرب. Dalysalim48@gmail.com.

الملخص:

تواجه مدينة قلعة السراغنة بالغرب خطراً بيئياً، يتعلق بتراكم النفايات المنزلية الصلبة بمختلف أحياء المدينة، نتيجة عوامل ديمغرافية، عمرانية وسوسية اقتصادية، مما يتسبب في خلق عدة بؤر سوداء تشوّه المشهد الحضري، ويسيء المظهر البلدي المتواجد بالقرب من المدينة في تلوث الأحياء السكنية القريبة منه، مما يستدعي من الفاعلين المحليين وضع استراتيجيات مستقبلية لتدبيره ودرء أخطاره.

الكلمات المفاتيح: التلوث _ النفايات الصلبة _ المشهد الحضري _ الخطر البيئي.

Abstract :

Kelaa Des Sraghna, a Moroccan City, faces an environmental risk related to the household solid that has been accumulating over the last years at an alarming rate. This situation could be seen as a direct result of demographic, urban and socio-economic factors which have led to the creation of several black spots that distort the urban landscape. What is needed, on the part of the municipality and stakeholders, is the design of a strategic plan to manage household solid waste effectively and efficiently.

Key Words : pollution _ solid waste _ urban landscape _ environmental hazard.

مقدمة

شهد المغرب خلال العقود الأخيرة تطور ظاهرة التمدن، مما أسفر عن تزايد مهم في كمية ونوعية النفايات المزبلية الصلبة والتي تزايدت بتطور الأنشطة الاقتصادية لسكان المدن وتحسين مستواهم المعيشي وعاداتهم الاستهلاكية. ولكون هذه النفايات تضم كميات مهمة من المواد المضرة بالصحة والبيئة، أصبحت تشكل أبرز أسباب تلوث البيئة الحضرية بالمغرب. وتعد مدينة قلعة السراغنة من المدن المغربية التي تعاني من هذا المشكل البيئي، حيث أنها شهدت تمدننا سريعاً خلال العقدين الأخيرين لعدة عوامل منها ترقية المدينة إلى مركز للإقليم وارتفاع الهجرة القروية والانتقال السريع للساكنة من العقدين 1971 إلى 1992، 163 نسمة حسب إحصاء 2014. فتزايد بذلك الطلب على السكن، مما انعكس على توسيع المجال الحضري على حساب الأراضي الفلاحية والمجالات الضاحوية، وهذا التوسيع غير المقاوم بتخطيط مسبق كان له نتائج وخيمة على المستوى البيئي بالمدينة.

• إشكالية الدراسة.

تنبع إشكالية البحث مما تشكله الأخطار البيئية من تهديد وخطورة على المدن، التي تعد من أشكال التطور الحضاري للإنسان حيث تترك السكان والأنشطة وما يرتبط بها من تجهيزات، غير أن هذا التركيز غالباً ما يفرز الكثير من الاختلالات، والتي تمتد إلى المناطق المتاخمة للمدينة. وتعتبر مدينة قلعة السراغنة من المدن التي تواجه تحديات إيكولوجية وسوسية اقتصادية، نتيجة التزايد السريع لعدد السكان، وظهور أنماط تعميرية متباعدة، لا تقييد في غالب الأحيان بالضوابط الأساسية للتهيئة العمرانية. فأصبحت سلامة البيئة الحضرية مهددة بترامك النفايات الصلبة وسوء تدبيرها، كأحدى التحديات البيئية الصعبة بالمدينة، التي تفتقر للإمكانات الفعالة والدائمة لمعالجتها.

وفي هذا السياق، فإن الإشكالية المطروحة هي: ما العوامل المفسرة لترامك النفايات المزبلية الصلبة بالمدينة؟ وما آثارها؟

من خلال الإشكالية المركزية، يمكننا طرح التساؤلات الفرعية التالية:

ـ ما واقع إنتاج النفايات المزبلية الصلبة بالمدينة؟ وما العوامل المتحكمة فيها؟

ـ ما الانعكاسات البيئية المتربعة عن النفايات المزبلية الصلبة خاصة بمنطقة تواجد المطرح؟

• فرضيات الدراسة.

إذن في بعد تحديد الإشكالية العامة للبحث والتساؤلات المركزية التي تتمحور حولها إشكالية واقع إنتاج النفايات المزبلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة وانعكاساتها، وانطلاقاً من الدراسة الأولية، فإن الفرضيات الأساسية التي سنحاول في هذا البحث تأكيدها أو نفيها حول هذا الموضوع هي:

ـ نفترض خصوص إنتاج النفايات المزبلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة للحتمية السوسية- مجالية.

ـ يرتبط تدهور الوضع البيئي في المدينة بتواجد المطرح أو بمكبات النفايات نفسها وكيفية إدارتها من جهة ثانية.

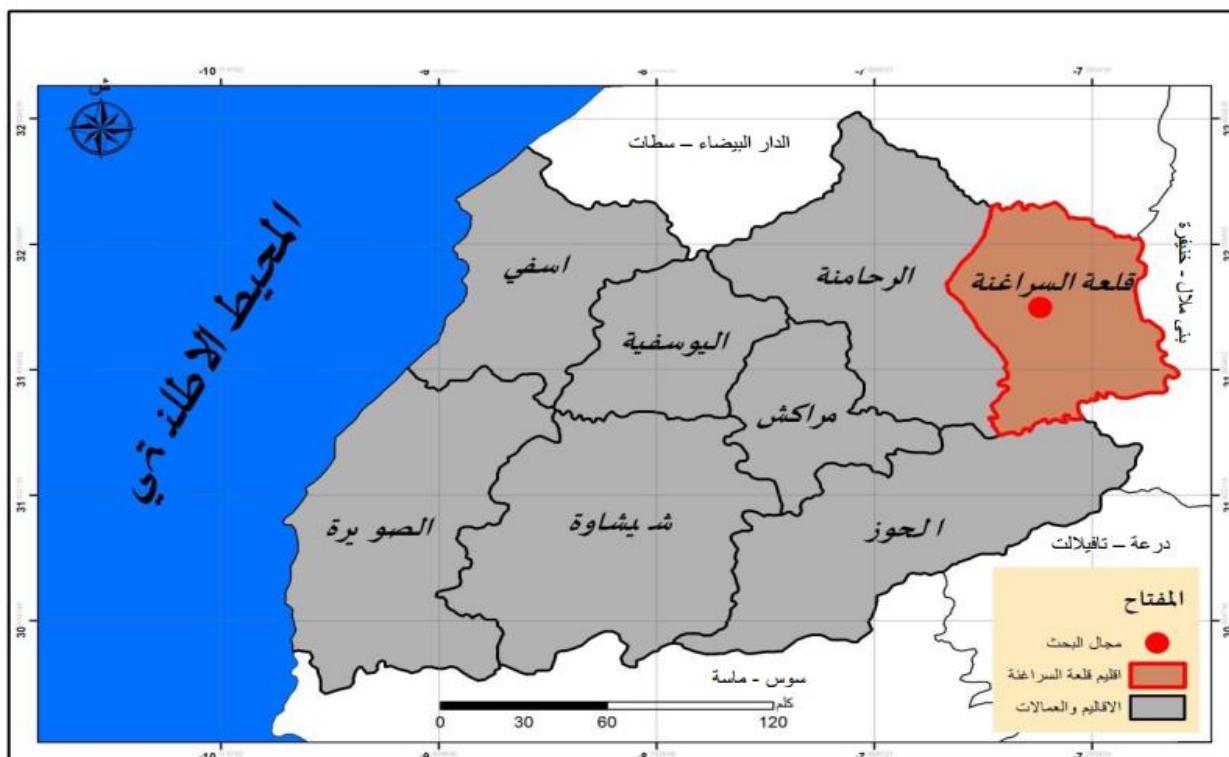
• منهجية الدراسة وأدواتها.

خلال عملية إنجاز هذا البحث، وظفنا المنهج الوصفي التحليلي المرتكز على مبادئ المقاربة الاستقرائية التي مكنتنا من التدرج المنهجي في التعامل مع قضيّاً البحث، بداية من الملاحظة وتحليل وتفسير العلاقة القائمة بين مجموعة من المتغيرات الديمografية والسوسيو- اقتصادية والثقافية للسكان وبين الظاهرة المدروسة وتمثيلها بأساليب التعبير البياني أو الكارطغرافي لتيسير فهمها، وانتهاء ببلورة إطار نظري يمكن تعميم خطوطه على مختلف الدراسات المشابهة. كما تم الاستناد على أبجديات وتقنيات أبحاث دراسة الأثر البيئي، لتحديد مجلل التأثيرات الناجمة عن النفايات.

• مجال الدراسة.

تنتمي مدينة قلعة السراغنة إلى جهة مراكش أسفي، تمت ترقيتها إلى عمالة سنة 1973، تقع على حدود عمالة مراكش في الجنوب الغربي وإقليم أزيلال في الجنوب الشرقي وإقليم بني ملال في الجهة الشمالية الشرقية وإقليم الرحامنة شمالاً، كما تتوسط وسط المغرب بمنطقة منبسطة في أغليها، وهي جزء من المجال الأطلسي الداخلي¹⁹⁸.

الخريطة رقم 1: توطين مدينة قلعة السراغنة ضمن جهة مراكش أسفي.



المصدر: عمل شخصي سنة 2023.

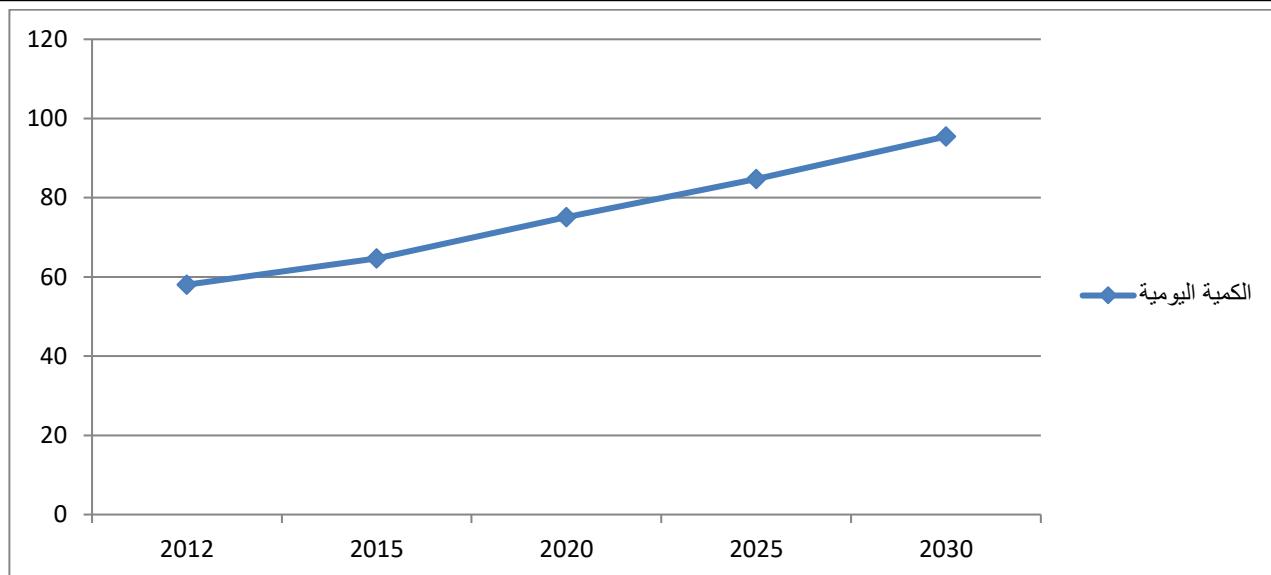
١- الخصائص الكمية والنوعية للنفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة.

١- تطور كمية النفايات المنزلية الصلبة بالمدينة.

سيعرف إنتاج النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة تطويراً ملحوظاً، ما بين سنتي 2012 و2030 كإسقاطات، نتيجة لمجموعة من التحولات التي شهدتها المدينة خلال هذه المرحلة، وسنحاول من خلال هذه الفقرة العمل على جرد بعض المعطيات الإحصائية التي ستمكننا من رصد التطور الحاصل في معدلات الإنتاج.

مبيان رقم 1: تطور إنتاج النفايات المنزلية بالمدينة (الكمية اليومية بالطن) بين سنتي 2012 و2030 كإسقاطات.

¹⁹⁸Monographie del' kelaa des sraghna 2017.



Etude du plan directeur provincial de gestion des déchets ménagers et assimilés de la province d'El kelaa des sraghnah, p33.

عرف تطور إنتاج النفايات المنزلية الصلبة تزايداً في الكمية اليومية حيث انتقل من 58,04 طن يومياً سنة 2012، أي بمعدل 21184,6 طن سنوياً إلى 75,08 طن يومياً سنة 2020، لتقدر بـ 27404,3 طن سنوياً، ومن المرتقب أن تستمر هذه الكمية في التزايد بسبب النمو السكاني والتلوّع الحضري لتصل في أفق 2030 إلى 95,45 طن في اليوم وبمعدل 34839,25 طن سنوياً، دون احتساب مخلفات المنشآت الصناعية ونفايات الهدم والبناء، كما أن نسبة جمع النفايات بمدينة قلعة السراغنة لا تزيد عن 20%，بمعنى أن 20% لا يتم جمعها بسبب سوء عملية الجمع والتنظيف والكنس مما يؤدي إلى تراكم يومي للنفايات داخل الأحياء السكنية والفضاءات العامة¹⁹⁹.

1-1- تباين إنتاج النفايات المنزلية الصلبة بالمدينة حسب فصول السنة.

من خلال مقابلة أجربناها مع مسؤول بشركة تدبير النفايات المنزلية الصلبة بالمدينة (كازا تكنيك)، أكد لنا أن كمية النفايات تختلف من مكان إلى آخر، حسب الكثافة السكانية ومستويات عيش السكان ودرجة وعيم البيئي، إذ تباين كمياتها حسب فصول السنة، إذ تتخذ خطاط تصاعدياً، بين شهري فبراير وغشت، بفعل العوامل التالية:

ـ تباين الخصائص المناخية لفصول السنة، إذ ترتفع معدلات الاستهلاك في فصل الصيف، وبالتحديد ما بين شهري ماي وغشت، حيث تتراوح كمية النفايات بين 90 و 120 طن يومياً. وترتبط بإحياء الكثير من المناسبات الاجتماعية والحفلات، كما تتوفر كميات كبيرة من الخضر والفواكه التي يتقوى تناولها خلال هذه الفترة من السنة، أما باقي الفصول فتتأرجح بين 70 و 80 طن يومياً.

ـ تضاعف معدل استهلاك الأسر خلال تخليد المناسبات الدينية المألوفة كشهر رمضان وعيدي الفطر والأضحى، إضافة إلى تزامنها طوال السنوات الأخيرة مع فصل الصيف وفترة العطلة المدرسية، حيث تزايدت معدلات الاستهلاك بشكل قياسي وساهمت بشكل كبير في ارتفاع كمية النفايات المنزلية الصلبة²⁰⁰.

¹⁹⁹ - Etude du plan directeur provincial de gestion des déchets ménagers et assimilés de la province d'El kelaa des sraghnah, p33.

مقابلة مع مسؤول بشركة كازا تكنيك التي تهتم بتدبير النفايات الصلبة، ديسمبر 2023.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا الصنف من النفايات لا يطرح الكثير من المشاكل العملية، إذا ما تم جمعها ونقلها ومعالجتها دون إحداث أضرار بالصحة والسلامة العامة، وعلى العكس من ذلك، فكل تفاصيل في التخلص من النفايات المنزلية، يمكن أن يشكل خطرا على الصحة والبيئة، نظراً لوجود مواد عضوية تتعدى بسرعة، وتتصاعد منها رائحه كريهة تتسبب في تكاثر الديدان والحيثارات والقوارض.

2_ الخصائص النوعية للنفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة.

2-1 - التركيبة الفيزيائية للنفايات المنزلية الصلبة.

الحديث عن موضوع النفايات المنزلية الصلبة، يستدعي إبراز خصائصها النوعية، والمقصود بالخصائص النوعية تصنيف النفايات حسب بنيتها الفيزيائية "النفايات العضوية الورقية الزجاجية- المعدنية.. ، أو حسب مصدرها "نفايات منزلية نفايات طبية- نفايات صناعية" و "نفايات حضرية نفايات ريفية" ، أو حسب القطاعات الاقتصادية التي تنتج عنها "نفايات صناعية، نفايات فلاجية، نفايات تجارية".²⁰¹

وبناء على ذلك، تصنف النفايات الصلبة حسب القانون الفرنسي المتعلق بجمع النفايات والتخلص منها، إما حسب القطاعات الاقتصادية التي تصدر عنها، أو حسب نوعية المواد المكونة لها، كما يقسم النفايات الحضرية إلى قسمين، يشمل الأول النفايات المنزلية والمشابهة لها، وتندرج ضمنها النفايات العضوية ونفايات الأثاث والأجهزة المنزلية وأشغال الصيانة، أما الصنف الثاني فيشمل النفايات الطبية و الصناعية الخطيرة التي تخضع لقواعد تنظيمية خاصة.²⁰²

وتجدر الإشارة إلى غياب تصنيف علمي دقيق للنفايات المنزلية الصلبة، نظراً لتنوع خصائصها وارتباط مكوناتها بطبيعة بيئه الإنتاج، خصوصاً وأن لكل بلد نمط عيش خاص به تتمحض عنه نفايات لها مميزات خاصة، قد لا تكون بالضرورة مشابهة لنفايات مجتمع آخر ومن هنا ستعتمد هذه الدراسة على تصنيف يرتكز على المواد المكونة للنفاية، ومقتبس عن تصنيف معتمد في إحدى الدراسات الفرنسية، كما يبين ذلك الجدول التالي:

جدول رقم 1: تصنيف النفايات الصلبة المعتمد في الدراسة.

نوع النفايات	مكوناتها
عضوية	مخلفات المطابخ والتغذية (فواكه- خضر- عجائن)، وبقايا تقليل الأشجار..
معدنية	عبوات حديدية- عبوات الألومينيوم- معلبات العصائر والمشروبات الغازية والكافولية..
زجاجية	زجاج معلبات المواد الغذائية والأدوية، قوارير المشروبات الغازية أو الكحولية سواء الشفاف أو الملون..
ورقية - كرتونية	ورق الجرائد- الكتب المدرسية- الورق الغذائي- كرتون متعدد أو أحادي الطبقات.
بلاستيكية	بلاستيك المعلبات والمواد الغذائية- الأكياس البلاستيكية- حفاظات.
مواد أخرى	النسيج- الخشب- المطاط- الجلد- الأدوية - الأسلاك الكهربائية - البطاريات.

Nicolas PERRIN Approche globale des besoins en informations des collectivités locales dans le domaine de la gestion des déchets ménagers , Thèse de doctorat, institut de géographie Alpine, France, 2014, p85

وبذلك، ستصنف هذه الدراسة النفايات التي تنتجه ساكنة مدينة قلعة السراغنة إلى نفايات عضوية كمخلفات الطبخ والتغذية...، معدنية تندرج ضمنها العبوات الحديدية والمعدنية، زجاجية تتضمن القوارير وبقايا أشغال الصيانة المنزلية،

ريم خالد الأنغا، أطروحة تقييم إدارة النفايات الصلبة في محافظة خان يونس، الجامعة الإسلامية- غزة، 2013، ص.23

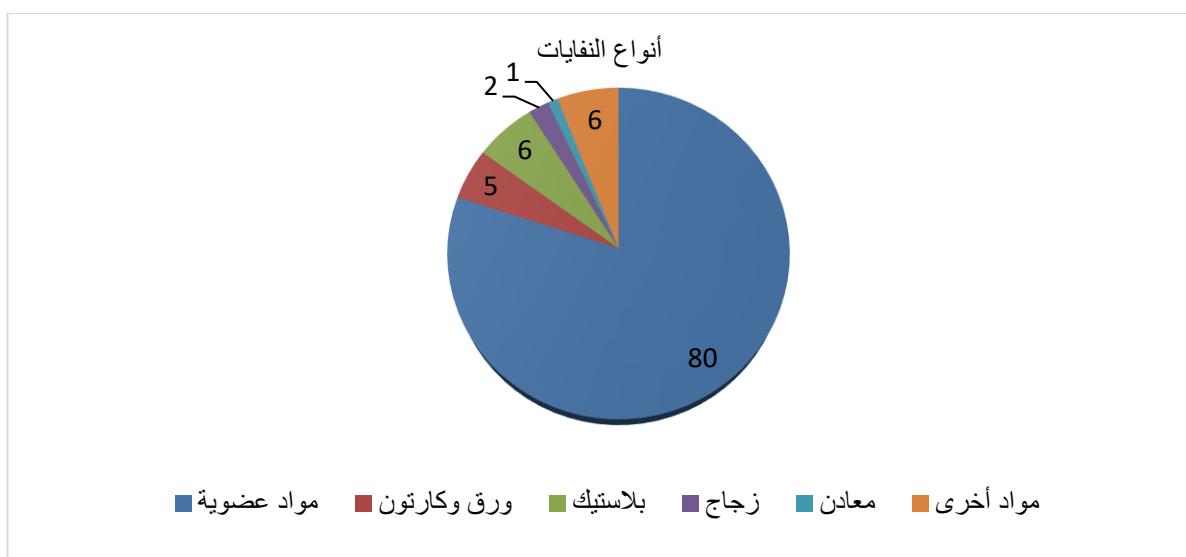
²⁰² La loi n 75-633 du 15 juillet 1975 relative à l'élimination des déchets et à la récupération en France.

ورقية وكرتونية كمخلفات الجرائد والكتب المدرسية وورق التعليب، بلاستيكية كالأكياس والمعلبات البلاستيكية وحفاظات الأطفال، وأخيراً مواد مختلفة تشمل مخلفات النسيج والخشب وبعض الأنشطة الصناعية²⁰³.

2- بنية النفايات المنزلية الصلبة بالمدينة بين التنوع وهيمنة المواد العضوية.

يعنى بالنفايات المنزلية الصلبة كل النفايات المترتبة عن أنشطة منزليه، وهي متنوعة غالبيتها مواد عضوية، وتشمل أيضاً البلاستيك، المعادن، الكرتون، الأوراق، الأقمصة، الزجاج ومنتجات أخرى انتهت استعمالها. حيث أصبحت هذه النفايات تعرف ارتفاعاً ملحوظاً خلال السنوات الأخيرة بسبب التزايد السكاني المهم الذي عرفته المدينة²⁰⁴.

مبيان رقم 2: أصناف النفايات بالمدينة ونسبيها من النسبة العامة للنفايات المنزلية الصلبة.



Etude du plan directeur provincial de gestion des déchets ménagers et assimilés de la province d'El Kelaa des Sraghnna, p33

يوضح المبيان أعلاه، تعدد أنواع النفايات المنزلية الصلبة وتبالين نسب أصنافها، حيث يهيمن صنف المواد العضوية بـ 80%، على باقي الأنواع من بلاستيك ومواد أخرى بـ 6%， وورق وكارتون بـ 5%， الزجاج بـ 2% ثم المعادن بـ 1%.

II_ العوامل المتحكمة في إنتاج النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة.

تعد النفايات المنزلية الصلبة من تحديات البيئة الحضرية، ويفسر إنتاجها بمجموعة من المؤشرات الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية، لذا تتطلب الإحاطة بموضوع الدراسة، تبيان مختلف العوامل المتحكمة في إنتاجها.

1_ دور التحولات الديمغرافية.

1_1_ التزايد السكاني.

السنوات	2030	2025	2020	2014	2010	2007	2004

203 حميد موفرجي، أطروحة دكتوراه "النفايات الصلبة وتأثيرها على المجال الحوزي للدار البيضاء" نونبر 2018، ص 49-50.

204 ريم خالد الأغا، مرجع سابق، ص 26.

137325	120198	105207	93927	80601	74417	68694	عدد السكان
--------	--------	--------	-------	-------	-------	-------	------------

جدول رقم 2: يوضح النمو السكاني بمدينة قلعة السراغنة بين سنة 2004 وسنة 2030 كإسقاطات. المصدر:

دراسة لمكتب تدبير النفايات الصلبة بمراقب قلعة السراغنة تحت عنوان برنامج تطهير المراكز الصغرى بالقلعة ص 13، سنة 2020.

قدرت ساكنة المدينة حسب إحصاء سنة 2014 في حدود 93927 نسمة، ومن المتوقع أن يصل عددها 137325 نسمة سنة 2030، وانطلاقاً من هذه التوقعات ستواجه المدينة عدة تحديات، مرتبطة بزيادة عدد السكان، خاصةً بعد نهج سياسة الهيئة الحضرية والتلوّح العماري، الذي سيشمل مجموعة من الدواوير المتاخمة للمدينة والتي توجد ضمن الحدود الإدارية، وخاصةً دواوة، البانكة، كدية الجمالية، أولاد بوكرين، فهذه الدواوير أصبحت داخل البرامج المهيكلة للمدينة، وأصبحت تفرض ضرورة إدماجها في الصبرورة التنموية المدعومة بتوسيع وتأهيل للبنية التحتية الأساسية، فقد سجل بهذه الدواوير، نسب نمو تفوق 3% حسب إحصاء لسنة 2014²⁰⁵.

جدول رقم 3: يوضح تطور السكان ببعض الدواوير بضاحية المدينة.

الدور	2004	2007	2010	2015	2020	2025	2030
دواوة	1170	1280	1394	1590	1794	2002	2211
البانكة	2295	2511	2735	3119	3519	3927	4336
كدية الجمالية	961	1052	1146	1307	1474	1645	1816
الدوار الجديد	2453	2673	2901	3295	3707	4132	4562
المجموع	6879	7516	8176	9310	10494	11706	12925

المصدر: دراسة لمكتب تدبير النفايات الصلبة بمراقب قلعة السراغنة تحت عنوان برنامج تطهير المراكز الصغرى بالقلعة ص 25، سنة 2020.

انطلاقاً من الجدول أعلاه، فإن ساكنة الدواوير المشار إليها، إضافةً للمدينة ستصل إلى ما مجموعه 115700 نسمة في أفق 2025 و 150250 نسمة خلال عام 2030، وبالتالي فإن التطور السكاني سيكون له لا محالة تأثير على تدبير المجال البيئي. بحكم تزايد حاجيات الساكنة من الطعام والماء الصالح للشرب والسكن...، مما سيعكس تضاعف حجم النفايات بمختلف أنواعها، وهناك مطابق النفايات التي تشكل وستشكل بدورها تحديات كبيرة على الفاعلين المحليين، لذا وجب تحسين التعامل مع الوسط بما يتماشى والمحافظة على النظام البيئي في إطار التنمية المستدامة.

1_2 البنية العمرية.

.²⁰⁵ دراسة لمكتب تدبير النفايات الصلبة بمراقب قلعة السراغنة تحت عنوان برنامج تطهير المراكز الصغرى بالقلعة ص 13، 2020.

جدول رقم 4: الفئات العمرية لساكنة المدينة حسب إحصاء سنة 2014.

المجموع	الإناث	الذكور	
29,8	28	31,6	الصغار أقل من 15 سنة.
62	64	59	الشباب من 15 إلى 59 سنة.
8,3	8,1	8,5	الشيخ أكثر من 60 سنة.

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014 .

يبين الجدول، بأن الفئة العمرية الغالبة على مجموع الساكنة هي من 15 – 59 سنة، أي فئة الشباب باختلاف الجنسين، حيث يمثل الذكور 59% والإإناث 64%， ومنه يتبيّن أن معظم الساكنة هي قادرة عن العمل أو نشيطة .

نستنتج بأن التطورات الديمغرافية تؤثر وبشكل مباشر على تطور الكمية المنتجة من النفايات المتنزية الصلبة بمختلف الوحدات الإدارية للمدينة ، إذ لوحظ أنه كلما تزايد عدد السكان إلا وترتفع معه كمية المخلفات الصلبة، والعكس صحيح، مما يدل على العلاقة الطردية القوية فيما بينهما. وبالتالي فكلما كانت التركيبة العمرية لساكنة فتية، إلا وارتقت بموازتها كمية النفايات التي يتم التخلص منها، خصوصاً إذا كانت الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للأسر لا بأس بها. إلا أن هذا العامل لا يعتبر المفسر الوحيد لتباطئ معدل إنتاج النفايات من منطقة لأخرى، بحيث تداخل عوامل اقتصادية واجتماعية أخرى سيتم التطرق إليها فيما يلي من مضامين هذا العمل.

2- دور التحولات السوسية- اقتصادية للأسر.

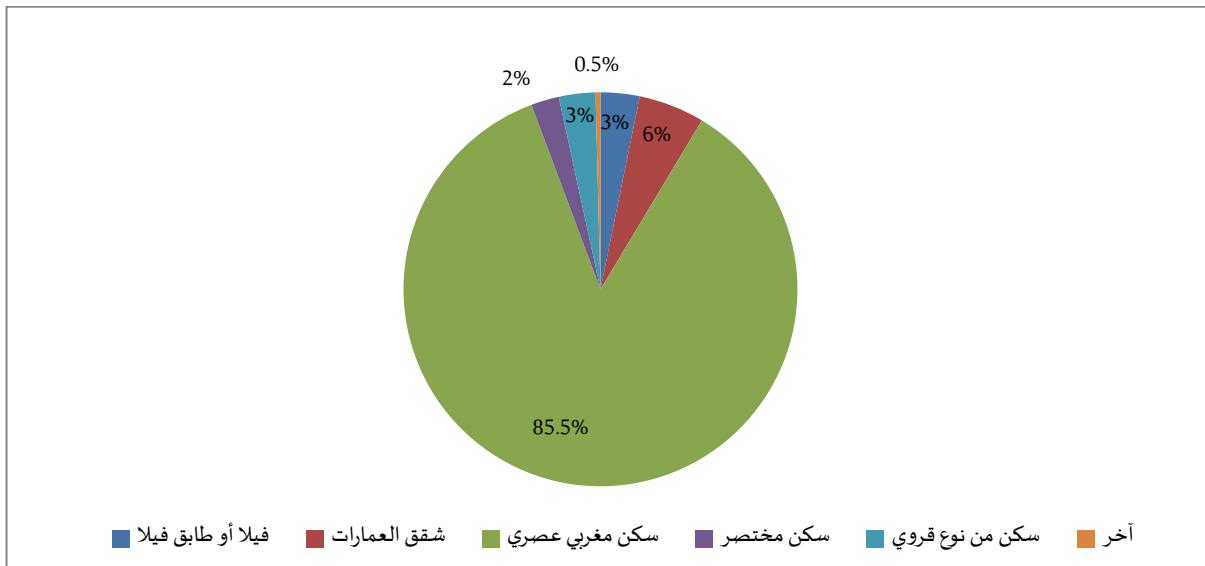
لا يمكن الحديث عن ظاهرة إنتاج النفايات المتنزية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة، إلا باستحضار مورفولوجية المجتمع الحضري، من خلال دراسة أشكال التوزيع الجغرافي لأنماط السكن، ورصد العلاقة الترابطية بين نوع السكن والوضعية السوسية اقتصادية للأسر، وتدمج هذه الأخيرة بين العديد من المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية وتتيح إمكانية فهم العلاقة الناظمة بين الوضعية السوسية- اقتصادية للأسر وإنتاج النفايات المتنزية.

2_1_ نوع السكن.

يعكس تنوع أنماط السكن الوضعية الاجتماعية والمُستوى السوسيو- اقتصادي للأسر، بناء على نوع السكن أو الحي الذي تقطنه، ويعد هذا الأخير شكلاً من أشكال التمايز الاجتماعي داخل المجال الحضري بمدينة قلعة السراغنة، بحيث تبرز الفوارق الاجتماعية بشكل واضح في أنماط الإقامة، الأمر الذي يجعل المدينة تنقسم إيكولوجيا إلى أحياط راقية وأحياء شعبية وأخرى عشوائية وكل فئة أنماط معيشية معينة²⁰⁶.

3: أنواع السكن بمدينة قلعة السراغنة سنة 2014.

206 حميد موفراجي، مرجع سابق، ص 102.



المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2014.

نظراً لغياب معطيات إحصائية متعلقة بكمية النفايات المنزلية الصلبة المنتجة حسب الأنواع السكنية المبينة أعلاه، يمكن أن نستخلص، استناداً إلى نسبة كل نوع سكني من النسبة العامة، أن أحياء السكن المغربي تتصدر باقي الأ domicات السكنية في كمية النفايات المنتجة بالمدينة، تليها الشقق في العمارت ثم الفيلات وأخيراً السكن العشوائي. وتتفنن عن هذه الأحياء مستويات اجتماعية متباينة، يتربّع عنها اختلاف في حجم ومكونات النفايات بانتقالنا من نوع سكني لأخر، فنفايات أحياء سكن الفيلات تختلف عن نفايات السكن المغربي كمياً ونوعياً على سبيل المثال لا الحصر.

2_الوضعية المهنية.

يقصد بالوضعية المهنية توزع الساكنة النشطة على القطاعات الاقتصادية الثلاث "الزراعة، الصناعة، التجارة" أو حسب نوعية القطاع خاص أو عام، وتكتسي دراسة البنية المهنية للساكنة أهمية كبيرة، لتأثيرها على الوضع الاجتماعي للأسر كالدخل المادي، المستوى التعليمي، المستوى المعيشي، القدرة الشرائية وعن نمط الاستهلاك، وتقدر نسبة السكان النشطين حسب إحصاء سنة 2014 بمدينة قلعة السراغنة بحوالي 62 %، كما بلغت نسبة النشاط الاقتصادي 45,47 % وقدر عدد المأجورين ب 19,56 %. كما تعكس الوضعية المهنية الوضع الاقتصادي للأسر، كأحد العوامل المؤثرة في كمية النفايات، وعليه نستخلص من خلال تحليل معطيات البحث الميداني، ما يلي:

ـ فكلما ارتفع الدخل الأسري وتحسن المستوى المعيشي ترداد كمية النفايات، ويؤثر على بنيتها. وبالتالي فمرد اختلاف كمية النفايات من منطقة لأخرى يعزى كذلك لتباطئ الحالة الاقتصادية والاجتماعية للأسر.

ـ انخفاض نسبة المواد العضوية بارتفاع المستوى الاقتصادي للأسرة، ويرجع ذلك إلى ارتفاع القدرة الشرائية المتبعة لاقتناء واستهلاك الأغذية المعلبة والجاهزة، بالإضافة إلى الأغذية المعدة في المنزل مع ارتفاع نسبة الورق، البلاستيك، المعادن والزجاج لدى فئة الموظفين والتجار.

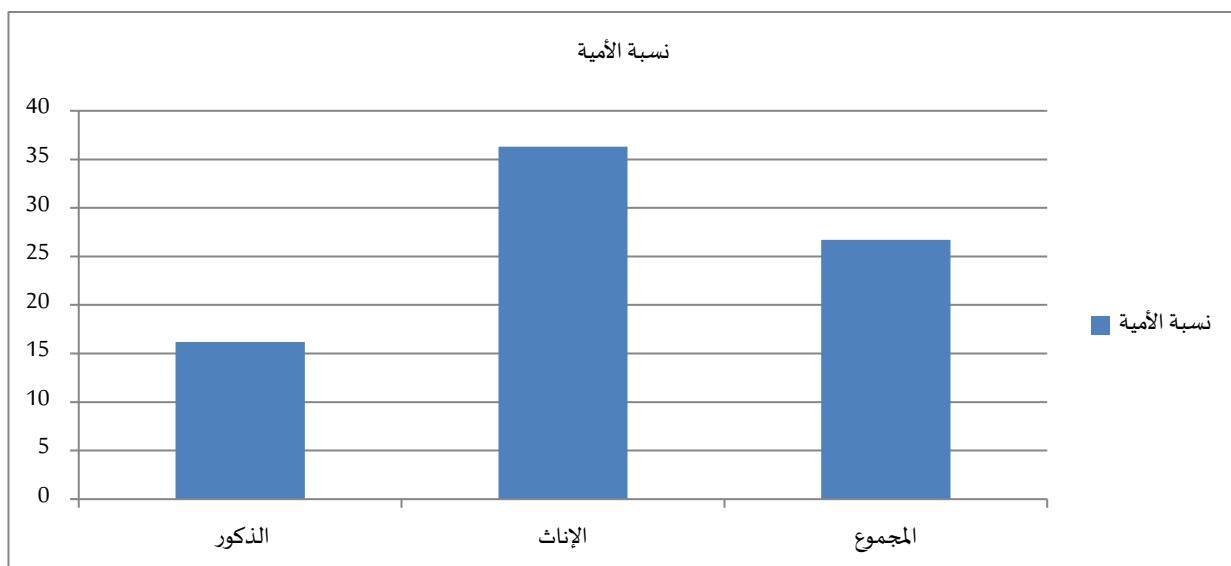
3- التحولات السوسية-ثقافية للأسر.

نهدف من خلال هذه الفقرة تحديد العلاقة القائمة بين ثقافة المجتمع الحضري و كمية النفايات و نوعيتها ، وذلك بالوقوف عند المستوى التعليمي، نمط الاستهلاك السائد والفعل السيكولوجي والسلوكي للأفراد اتجاه نفاياتهم.

3-1- المستوى التعليمي لأرباب الأسر.

يعكس المستوى التعليمي للأفراد الوضع السوسيو-ثقافي للأسر ودرجة وعيهم بالظواهر السائدة بالمجتمع، وقد ركزنا على المؤشر التعليمي لأرباب الأسر لقياس العلاقة بينه وبين خصائص النفايات المنزلية الصلبة، وكيفية التعامل معها.

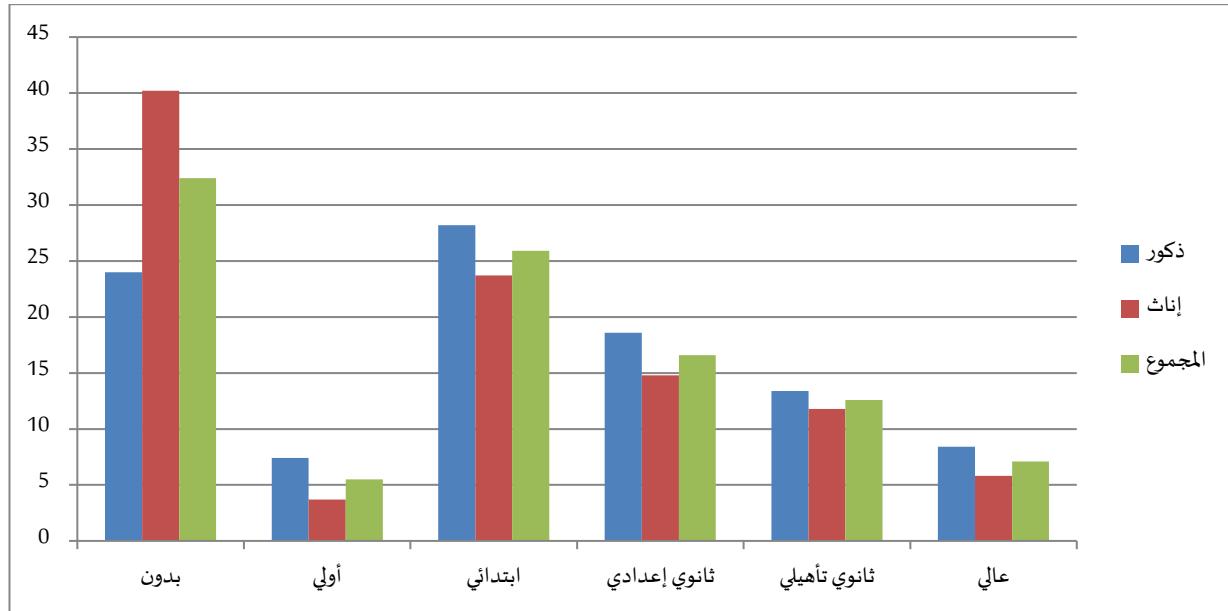
مبيان رقم4: نسبة الأمية حسب الجنسين بمدينة قلعة السراغنة سنة 2014.



المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2014.

قدرت نسبة الأمية بمدينة قلعة السراغنة سنة 2014 بحوالي 26,7 %، بتباين حسب الجنسين، حيث تصل إلى 36,3% بالنسبة للإناث، وتنخفض عند الذكور بنسبة 16,2 %، وهي دون المعدل الوطني الذي سجل .32,2%

مبيان رقم 5: خصائص المستوى التعليمي لساكنة مدينة قلعة السراغنة سنة 2014.



المصدر: المندوبية السامية للتخطيط، الإحصاء العام للسكان والسكنى سنة 2014.

يتضح من خلال المبيان، أن المستوى التعليمي لساكنة المدينة حسب المستويات الدراسية، يمثل نسبة 25,9% من الساكنة لها مستوى ابتدائي، 16,6% ثانوي إعدادي، 12,6% ثانوي تأهيلي و 7,1% لهم تكوين جامعي، مع اختلاف المستوى التعليمي بين الجنسين بتفوق الذكور على حساب الإناث. وبالتالي، فقد كشفت الدراسة الميدانية على علاقة ترابطية بين المستوى التعليمي لأرباب الأسر وخاصة الأم وكمية النفايات المنزلية الصلبة حيث لمسنا ما يلي :

ـ ارتفاع ملحوظ في حجم النفايات لدى الأسر التي تتوفر فيها الأهمات على مستوى دراسي جامعي مع تزايد كمية بقايا الورق المكونة من مخلفات الجرائد والمجلات والكتب. مقارنة مع ربات الأسر ذات مستويات أخرى أو بدون. مع العلم أن التطور التكنولوجي قد ساهم في تقليص حجم المخلفات الورقية نتيجة لتعويضها بأخرى الكترونية.

ـ لوحظ أن المستوى التعليمي للأم يؤثر نسبياً في كيفية حفظ المخلفات، بحيث استنتجنا، ميل معظم ربات الأسر ذوات المستوى الجامعي والثانوي إلى حفظ النفايات في أكياس بلاستيكية محكمة الإغلاق، وعلى العكس من ذلك تتجأ ربات البيوت الآخريات إلى حفظ القمامه في أوعية بلاستيكية "سطل" متفاوتة الحجم والنوع.

ـ اضطرار بعض الأهمات إلى التخلص من النفايات برميها مباشرة على الأرض مبررة ذلك بعدم توفر الحي على العدد الكافي من الحاويات، في حين تفضل ممنهن إلقاء الأزبال في الحاويات المخصصة لذلك. وفي المقابل يتبين أنه كلما تراجع المستوى التعليمي ترتفع نسب الأهمات اللواتي تلجأن للتخلص من النفايات بطرحها على الأرض مباشرة بالنسبة للأهمات الأمياء وصاحبات المستوى الابتدائي والعكس صحيح.

وبشكل عام، لمسنا نزوع مختلف ربات البيوت باختلاف مستواهن الدراسي إلى التخلص من القمامه بوضعها في الحاويات، غير أن هناك عوامل متحكمة في كيفية التخلص من القمامه، منها الطريقة التي تعتمدها شركات التدبير المفوض مرفق النظافة في تجميع النفايات، مورفولوجية الأحياء السكنية وعدد وشكل الحاويات التي تتوفّر عليها.

2- تأثير مستجدات الثقافة الاستهلاكية.

يقصد بنمط الاستهلاك الأسلوب الذي تتبعه الأسر في تلبية حاجياتها سواء الضرورية أو الثانوية، وإن نمط الاستهلاك لا يقتصر على الأبعاد الاقتصادية "إشباع حاجات الفرد من السلع والخدمات" بل يتأثر بمجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية والدينية. كما أنه شديد الارتباط بتطورات الأفراد حول موضوع القيم، والمفاهيم، والممارسات السلوكية التي تحدد المكانة الاجتماعية للفرد في السلم الاجتماعي²⁰⁷. وعلى الرغم من أن التغير الاجتماعي ظاهرة طبيعية يمر بها أي مجتمع ، إلا أنه يجب أن يكون تحولا إيجابيا، يضمن العيش الكريم والسلامي للفرد وسط المجتمع، ويضمن الحفاظ على استدامة موارد المجال الذي يعيش فيه. ونظراً للعلاقة القوية بين حجم الاستهلاك وكمية النفايات التي ينتجها الفرد، فقد تأكّد من خلال الدراسة الميدانية ما يلي:

ـ تزايد النزعة الاستهلاكية الفردانية للمجتمع الحضري، بالانتقال من اللمة والجلسة العائلية إلى ثقافة الأكلات السريعة الفردية، فترتب عن هذا التحول تغير ملحوظ في بنية وحجم المخلفات، التي تنتجه الأسر، وتفسر هذه الوضعية بعدة عوامل، منها ظروف عمل أرباب الأسر ، كقضاء الآباء والأبناء اليوم بكامله في العمل أو المدرسة، الشيء الذي يحتم عليهم تناول الوجبات الغذائية خارج البيت.

ـ تنامي السلوك الاستهلاكي التفاخري للأفراد والأسر ، بلجوء العديد منها للقرصنة الاستهلاكية، لمواكبة ارتفاع الأسعار وتلبية الحاجيات المتزايدة للأسر، ناهيك عن المغالاة في الاستهلاك. وقد تسّرّلت هذه الثقافة الاستهلاكية الجديدة إلى بيوت المجتمع القلعاوي من خلال العوالم الافتراضية، وغزت جميع الطبقات الاجتماعية حتى الفقيرة منها.

وتترتب عن التجذر المتنامي لهذه العادات الاستهلاكية ارتفاعاً كبيراً في حجم المخلفات المنزلية الصلبة وبكل أصنافها، بحيث أثبتت الدراسة الميدانية عن التزايد المضطرد لكمية النفايات الناجمة عن الأطعمة، حيث صرحت العديد من الأسر برميها لأطعمة صالحة للاستهلاك، ولا أذل على ذلك من كمية الخبز التي تلقى يومياً في سلة المهملات، بالإضافة إلى ارتفاع كمية النفايات البلاستيكية، المعدنية، الالكترونية....

وفي هذا الصدد، ترتفع كمية الخبز المودعة يومياً في القمامات كنفاية. ويدل ذلك على تضخم حجم إنفاق الأسر القلعاوية على الطعام بشكل يفوق حجم استهلاكها، كما لوحظ عبر المقابلات الميدانية، أن هناك ارتباط وثيق بين ثقافة الاستهلاك، والقيم السائدة في المجتمع وسيكولوجية إنتاج الأفراد وتعاملهم مع النفايات.

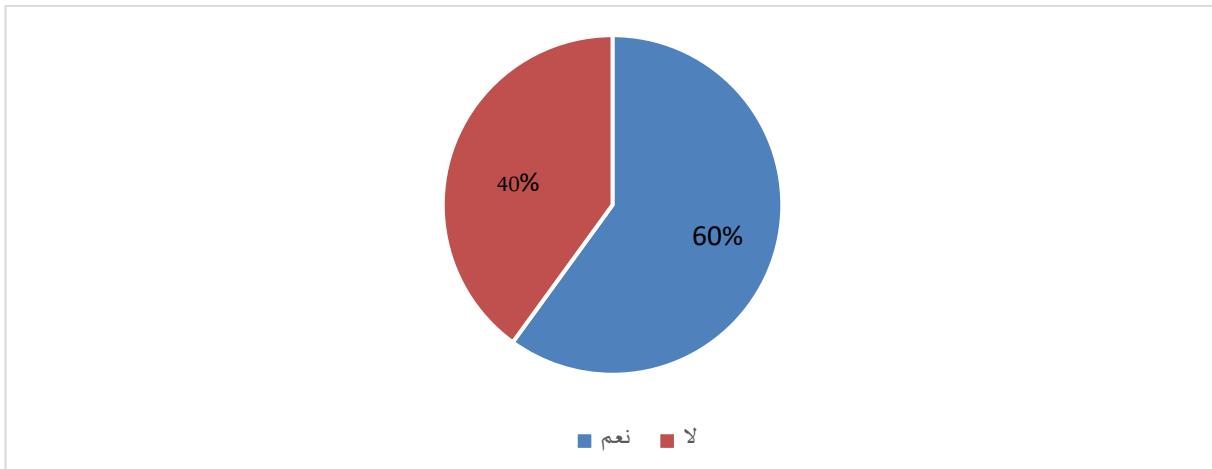
3- دور العامل السيكولوجي في إنتاج وتدبير النفايات.

يعتبر علم النفس البيئي أحد فروع علم النفس الحديث، ويهتم بدراسة العلاقة التفاعلية(التأثير والتاثير) بين عناصر البيئة المادية والاجتماعية وسلوك السكان، ومن موضوعاته العمارة والسلوك والمعرفة والضغوط البيئية ودراسة أشكال التلوث، وتأثيرها على سلوك الإنسان وعلى صحته ومستويات إدراكه²⁰⁸. ويشكل التناقض السلوكي نموذجاً للعلاقة غير الصحيحة بين السلوك البشري والبيئة الحضرية، فتهور الأفراد وأنانيتهم دون مراعاة المصلحة العمومية. يجسد أحد أشكال تعامل الساكنة مع مخلفاتهم المنزلية، كعدم انضباط معظمهم لأوقات محددة أثناء إخراج النفايات، بحيث استنبطنا أن

²⁰⁷ عمر حبيل، المظاهر الاجتماعية والثقافية المحددة لنمط الاستهلاك في المجتمع الليبي، 2013 طرابلس، ص 4.
²⁰⁸ عبد الرحمن محمد عيسوي، في علم النفس البيئي، منشأة المعارف الإسكندرية، 1997، ص 29.

معظم الأسر المستجوبة لا تلتزم بإخراج نفاياتها في وقت محدد، مما يظهر غياب الالتزام السلوكي في التخلص من المخلفات في زمن محدد والذي يعيق عملية الجمع. ونبين ذلك من خلال المبيان التالي:

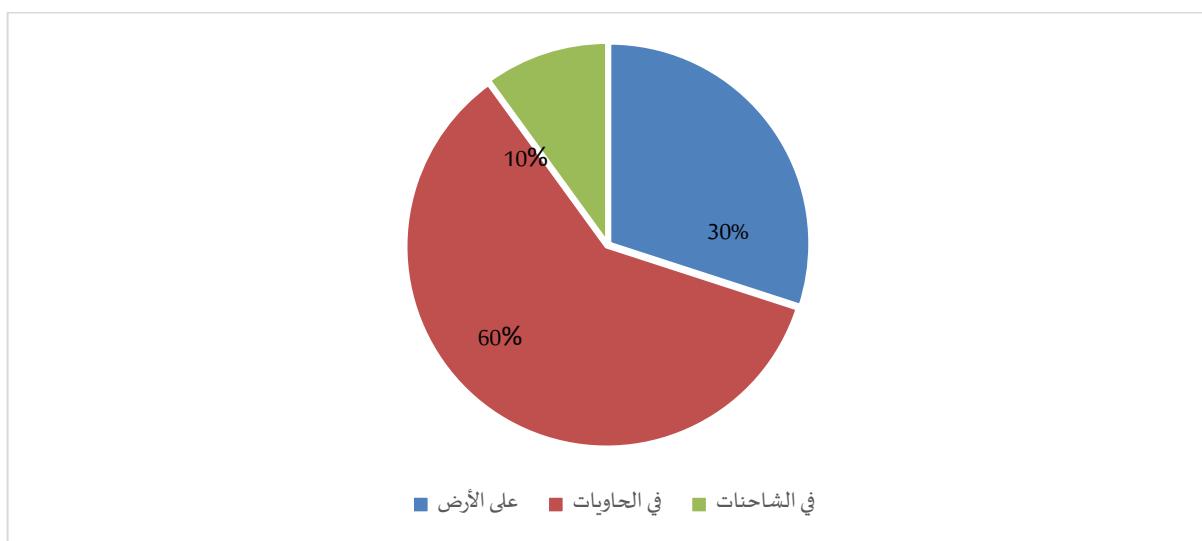
مبيان رقم 6: يوضح مدى ضبط السكان لزمن التخلص من النفايات المنزلية الصلبة بالمدينة.



المصدر: بحث شخصي شمل 120 أسرة سنة 2023.

كما تظير مجموعة من السلوكيات غير المسؤولة، أثناء تخلص المارة وأرباب السيارات من المناديل الورقية وبقايا السجائر وعبوات المشروبات وغيرها بطرحها بوقاحة مستفزة مباشرة على الطريق العام، واللاحظ هو تحول تلك الممارسات إلى ظاهرة تهم عدد كبيراً من سكان المدينة، الشيء الذي يساهم بشكل كبير في تفاقم أزمة البيئة الحضرية بهذه المدينة. وتدل هذه السلوكيات واللامبالاة، عن علاقة التناقض بين السكان والمجال الذي يستوطنونه، وعن غياب الوعي والحس البيئي لدى معظمهم، وتطهر كذلك هذه السلوكيات في طريقة تخلص ساكنة المدينة من النفايات المنزلية، كما هو واضح من المبيان التالي:

مبيان رقم 7: يبين كيفية تخلص السكان من النفايات المنزلية الصلبة.



المصدر: بحث شخصي شمل 120 أسرة سنة 2023.

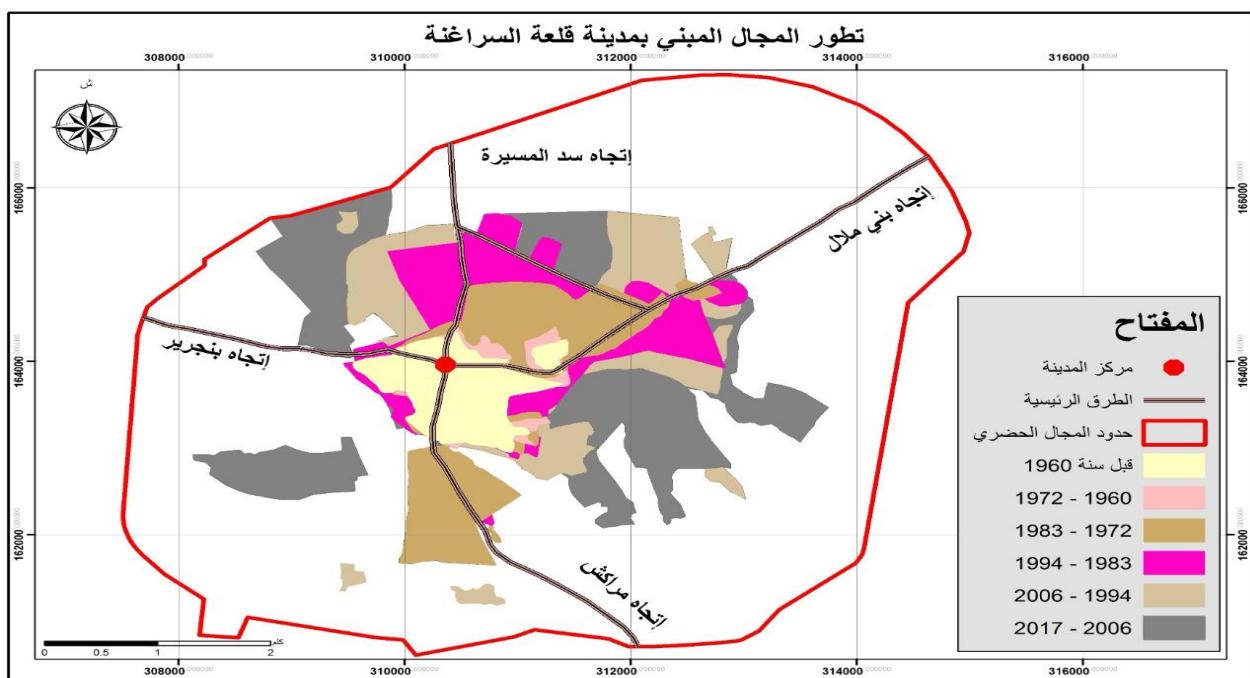
يتبيّن من خلال المبيان، أن ساكنة المدينة تتخلص من النفايات المنزلية بطرق مختلفة، بحيث أن 60% من السكان، يضعون القمامات في الحاويات، 30% على الأرض و 10% مباشرة في الشاحنات.

٤ دور التوسيع العمراني في اتساع نطاق النفايات.

بعد ترقية إقليم قلعة السراغنة إلى عمالة تم إخراج أول تصميم تهيئة للوجود سنة 1978، الذي حدد مجالات توسيع المدينة عمرانياً بتقسيم أراضي المجال الحضري حسب استعمالات مختلفة، واستهدف تأهيل مركز المدينة والنواة العتيقة، بخلق مناطق للتعمير بشمال وجنوب المجال الحضري ثم حماية المناطق الضاحوية وتشييد منطقة للتجهيزات الإدارية والخدمات العمومية بجنوب المدينة.²⁰⁹

وفي ظل تطور سياسة التعمير بالمدينة، تم إنجاز أغلب التجزئات الحديثة بالشمال الشرقي والشمال الغربي للمدينة، بحيث حتم تزايد النمو السكاني تدخل الدولة عبر الشركة الوطنية للتجهيز والبناء لتهيئة وتجزيء عدة عقارات للسكن الاقتصادي والاجتماعي، ثم مؤسسة العمران بإحداث تجزئات : النور 1 و 2، النور امتداد، سيدي عبد الواحد و مدخل السراغنة، ثم إعادة تهيئة الدواوير المحاذية بالمدينة للحد من توسيعها على حساب المجال الفلاحي. و تميزت هذه الفترة أيضاً بدخول المنشعين العقاريين الخواص لميدان السكن الاقتصادي بعد تعديل مدونة التعمير، مما سمح بولوج عدة شركات كخدلون العقارية التي عملت على تهيئة وإنجاز تجزئين على حساب أجنة الزيتون و هما تجزئة الريحان على مساحة 10 هكتارات، و البستين على مساحة 50 هكتار وأيضاً على حساب أراضي رعوية بجانب المقبرة الإسلامية بالمدينة. مما ساهم في خفض تكلفة السكن بشكل نسبي و إعداد عرض سكني متنوع مقابل استهلاك مجالات فلاحية مهمة، لإحداث هذه التجزئات السكنية، مثل شركة تانسيفت العقارية التي أحدثت ثلاث تجزئات على التوالي المنارة 1 و 2 و 3 على حساب أراضي فلاحية بمحاذاة تعاونية امحياطة و القناة المائية زراوة.

الخرائط رقم 2: التوسيع الحضري بالقلعة بين 1960 و 2017.



المصدر: الوكالة الحضرية، بتصرف.

محمد الزاوي، ماستر، التهيئة الحضرية و الرهانات العقارية بمدينة قلعة السراغنة ، المعهد الوطني للتهيئة والتعمير الرباط، 2003²⁰⁹

واسم تدخل الفاعلين في مجال السكني والتعهير بالمدينة بالعشوائية، لأن هذا التوسيع لم يكن مخطط له بشكل منظم وأنجز بتصميم هيئة متوازنة، حيث أن المدة المحددة للعمل به هي عشر سنوات، تم تجاوزها بكثير مما سمح بتوسيع المدينة في كل الاتجاهات تقريباً، والأخطر من ذلك توسعها على حساب المجال الأخضر. وتتجذر الإشارة إلى الارتباط الوثيق بين توسيع المجال الحضري وإنتاج وتدبير النفايات المتنزية الصلبة، بحيث يستوجب هذا التوسيع مجموعة من التجهيزات والخدمات العمومية المرتبطة بجمع النفايات والتخلص منها. إلا أنه تبين من خلال الدراسة الميدانية تدني خدمات النظافة بعدة أحياء محدثة في ضواحي المدينة.

III- آثار النفايات المتنزية الصلبة على البيئة الحضرية.

إن النقص الحاصل على مستوى اليد العاملة والتجهيزات المرتبطة بتدبير هذا القطاع، يقابل ارتفاع في كميات النفايات التي تنتجها المدينة. الشيء الذي أدى إلى بروز ظواهر غير مسؤولة يقوم بها بعض السكان في المناطق الهمashية ، كالرمي أو الحرق، مما يتسبب في آثار كبيرة على صحة السكان والبيئة، نعرضها فيما يلي:

1- تشوّه المشهد الحضري للمدينة.

يتميز المشهد الحضري للمدينة بانتشار النفايات الصلبة المختلفة، في أحياe ومناطق مفتوحة، وذلك بسبب عدم تغطية عملية الجمع لهذه النفايات، أو تأخر قطاع النظافة في تدبيرها إضافة إلى غياب الوعي المجتمعي في التعامل معها لا على مستوى كيفية جمعها أو وضعها في الحاويات المخصصة لها، وهو الأمر الذي ساهم في ظهور العديد من النقاط السوداء بالمدينة، تشهد تراكم لأنواع مختلفة من النفايات، وهذا ما يتضح من خلال الجدول التالي:
جدول رقم5: أهم النقاط السوداء بالمدينة وطبيعة النفايات بها.

Etude du plan directeur provincial de gestion des déchets ménagers et assimilés de la province d'El kelaa des sraghna, p21 .

النقط	السوداء	الموقع	طبيعة	النفايات	الأصل
السوق	السوق	السوق	ركام - نفايات عضوية وبلاستيكية	سوق	الاثنين
الشعبي	الشعبي	أمام جنان الشعبي	نفايات متنزية - ركام	جنان	الشعبي
القلعة	الراشية	جانب الهاشمي	ركام - نفايات تجارية ومتزلية	القلعة	الراشية - الباعة المتجللون
السوسيكية	الغابية	مقفر	نفايات متنزية ناتجة عن الماشية	مقفر	القلعة
السوسيكية	الغابية	مقفر	نفايات متنزية ناتجة عن الماشية	مقفر	القلعة
تجزئة النور	النور	أمام مسجد طارق	ركام - نفايات متنزية	تجزئة النور- جنان الخليفة- إعدادية الزيتونة	الاثنين
السوسيكية	الغابية	مساكن ب 30 م	نفايات متنزية ناتجة عن الماشية	جامعو النفايات العضوية بالمدينة	الثانوية 2 + الليمون
مجال مقفر النخلة 4	النخلة	مجال مقفر	ركام - نفايات متنزية	ركام	الجوطية
الجوطية	النخلة	أمام	نفايات حديدية	ركام	المركب الاجتماعي الاقتصادي + الباعة المتجللون
الجوطية	النخلة	أمام	نفايات حديدية - ركام	ركام	الجوطية
مجال مقفر النخلة 2	النخلة	مجال مقفر	ركام- نفايات متنزية	ركام-	منطقة الفيلات
المركب الاجتماعي الاقتصادي	النخلة	قرب	المساكن	ركام-	وضع النفايات في مجال فارغ
الجوطية	النخلة	جانب	الجوطية	خردة	الجوطية
المركب الاجتماعي الاقتصادي	النخلة	قرب	المساكن	ركام-	وضع النفايات في مجال فارغ بالمركب
المركب الاجتماعي والاقتصادي	النخلة	قرب	المساكن	ركام-	وضع النفايات في مجال فارغ بالمركب

يترتب عن تراكم النفايات بشكل كبير في الأحياء السكنية بالمدينة، تكاثر الذباب والحشرات، إلى جانب انتشار القوارض كالفئران، حيث أن حوالي 90% من الذباب المتنزلي يتکاثر على القمامات المتراكمة والأوعية المفتوحة، وتزداد حدة هذا المشكل خلال فصل الصيف مع ارتفاع درجة الحرارة، وهو ما ينجم عنه:

- ✓ وجود بيئات ملوثة لا تتوفّر فيها شروط السكن، وقد تبيّن لنا من خلال الزيارات الميدانية إلى بعض الأحياء السكنية انتشار الحظائر المخصصة لتربيّة الحيوانات (حي المرس، جنان بكار، الغابية...).
- ✓ تشوّه البيئة المحيطة بالسكان بتجمّع القمامات وتركها منتشرة في الشوارع والساحات العامة حيث يتم نشوب حرائق بها خاصة خلال فصل الصيف، وهو ما يؤثّر على صحة السكان.
- ✓ تسبّب في تلوّث الهواء بالغازات ثانوي وأكسيد الكربون وغاز الميتان والجزيئات الدقيقة.

2- أضرار المخلفات الصلبة على سكان المدينة.

صورة رقم 1: نشوب حريق بالمطرح البلدي للمدينة. صورة رقم 2: سحب الدخان الناجمة عن الحريق.



صور مأخوذة من موقع الجريدة الإلكترونية هيسبريس (الأحد 5 مارس 2023 - 18:22).

عاني سكان عدة أحياء بمدينة قلعة السراغنة، كجنان بكار، وحي المرس، والقدس، وبلاوك الحريرة والنخلة 1 والنخلة 2، من سحابة دخان تسبّب فيها المطرح البلدي، وكانت النيران شبّت في النفايات الصلبة المنتشرة في أرجاء المطرح، فتصاعد دخان خانق تركت روائحه أثراً سيئاً على صحة السكان: من قبيل ضيق التنفس ومعاناة على مستوى الصدر للعديد من الأطفال الصغار وكبار السن. ودفعت سحب الدخان الخانق سكان هذه الأحياء إلى قضاء ليلة بيضاء، بسبب الروائح الكريهة التي انتشرت بجوار المطرح البلدي، إثر حريق مازالت أسبابه مجهولة، حسب تصريحات متطابقة من بعض السكان لجريدة هيسبريس.

وتزامن هذا الحريق مع ارتفاع درجة الحرارة وهبوب رياح شرقية، أدت إلى انتشاره وجعلت عناصر المطافئ تكافد للسيطرة على ألسنة النيران التي التهمت كمية كبيرة من النفايات الصلبة، دون أن تخلف خسائر في الأرواح، كما خلقت رعباً واستياء لدى ساكنة الأحياء المحيطة والقريبة من المطرح.²¹⁰

²¹⁰ موقع الجريدة الإلكترونية هيسبريس (الأحد 5 مارس 2023 - 18:22).

استهدفت هذه الدراسة، تشخيص واقع حال النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة، بتبع مسار تطور الكمية المنتجة منها وإبراز خصائصها النوعية والوقوف على مختلف العوامل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والمالية، التي تحكم في إنتاجها، وقد مكنتنا هذه الدراسة من استخلاص العديد من الاستنتاجات، نعرض منها:

تطور تصاعدي للحجم الكلي من النفايات المنزلية الصلبة بمدينة قلعة السراغنة مع السنوات، مع تباين حجم ومكونات النفايات المنزلية الصلبة مكانياً وвременно، تحت تأثير الظروف المناخية والمناسبات الاجتماعية وهيمنة النفايات العضوية على مجموع مكونات النفايات.

تأثير إنتاج النفايات المنزلية الصلبة بالتحولات الديمغرافية التي تشهدها المدينة، إذ يلاحظ الارتباط القوي بين متغير التطور السكاني ومتغير تطور إنتاج النفايات. ويرتبط إنتاج النفايات العضوية بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسر، وبعدد أفراد الأسرة، في حين يتأثر إنتاج مخلفات الكرتون بالمستوى الثقافي للأبوين وعدد الملتحقين بالمدرسة، أكثر من التأثير بالمستوى الاقتصادي للأسر. كما يرتبط ارتفاع إنتاج المخلفات البلاستيكية والزجاجية بالأحياء الراقية.

تخلف النفايات المنزلية الصلبة آثار سلبية تشوّه المشهد الحضري، كتراكم النفايات عند المكبات، ظهور بعض المطاحن العشوائية والنقط السوداء، تناثر النفايات في الأرقة والشوارع وسوء ترکز المطرح قرب المدينة.

وختاماً، نؤكد صحة الفرضيات المطروحة سابقاً، في ظل واقع حال يخيّم عليه تراكم النفايات المنزلية الصلبة بالمدينة وانعكاساتها المختلفة، مما يفرض على الفاعلين المحليين إدراك مخاطرها وتحسين استراتيجيات تدبيرها كضرورة ملحة.

لائحة المراجع المعتمدة.

- المراجع بالعربية.
 - حميد موفراجي، أطروحة دكتوراه "النفايات الصلبة وتأثيرها على المجال الحوزي للدار البيضاء"، نوفمبر 2018.
 - دراسة لمكتب تدبير النفايات الصلبة بمراب قلعة السراغنة بعنوان برنامج تطهير المراكز الصغرى بالقلعة، سنة 2020.
 - ريم خالد الأغا، أطروحة تقييم إدارة النفايات الصلبة في محافظة خان يونس، الجامعة الإسلامية- غزة، سنة 2013.
 - عبد الرحمن محمد عيسوي، في علم النفس البيئي، منشأة المعارف الإسكندرية، سنة 1997.
 - عمر حبيل، المظاهر الاجتماعية والثقافية المحددة لنمط الاستهلاك في المجتمع الليبي، طرابلس، سنة 2013.
 - محمد الزاوي: الهيئة الحضرية والرهانات العقارية بمدينة قلعة السراغنة رسالة لنيل دبلوم الماستر في التعمير، المعهد الوظيفي للهيئة والتعمير الرباط، 2003.
 - مقابلة مع مسؤول بشركة كازا تكنيك التي تهتم بتدبير النفايات الصلبة، ديسمبر 2023.
 - موقع الجريدة الإلكترونية هيسبرس (الأحد 5 مارس 2023 - 18:22).

• المراجع بالفرنسية.

- Etude du plan directeur provincial de gestion des déchets ménagers et assimilés de la province d'El kelaa des sraghna, p33.
- La loi n 75-633 du 15 juillet 1975 relative à l'élimination des déchets et à la récupération en France.
- Monographie d'el kelaa des sraghna 2017.
- Nicolas PERRIN Approche globale des besoins en informations des collectivités locales dans le domaine de la gestion des déchets ménagers , Thèse de doctorat, institut de géographie Alpine, France, 2014, p85.

دور الدولة في إنتاج المجال الحضري، حالة مدينة تاوريرت (شمال شرق المغرب)

The role of the State in the production of the urban field, the case of Taourirt city (north-eastern Morocco)

عبد اللطيف اعميرو: طالب باحث في سلك الدكتوراه

مختبر دينامية الأوساط الجافة، الإعداد والتنمية الجهوية. بنية البحث الجيوماتية وتدبير التراب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة

محمد الأول وجدة

abdelatif.amirou@ump.ac.ma**ملخص**

إنتاج المجال الحضري، صيغة معقدة تتدخل فيها العديد من العوامل، طبيعية، وبشرية، وتنظيمية، وسياسية، وتاريخية، واقتصادية، تظهر في جزء منها منسجمة ومترادفة، وفي جزء آخر متناقضه وخاصة على المستوى السياسي والتنظيمي حيث تتدخل الاختصاصات والأهداف، وسنركز في هذا البحث على إشكالية دور الدولة بمختلف أجهزتها وشركائها في إنتاج المجال الحضري بمدينة تاوريرت.

يهدف هذا البحث إلى دراسة دور إدارات الدولة المركزية والمحلية، إلى جانب الشركاء في إنتاج المجال الحضري بمدينة تاوريرت، وذلك باعتماد المقاربة الجغرافية التي تقوم أساساً على تتبع التحولات المجالية التي تمس الظواهر الجغرافية، إلى جانب المقاربة التاريخية التي تم توظيفها للتتبع تطور تدخل الدولة في مجال التعمير انطلاقاً من فترة الحماية الفرنسية إلى الأن. لقد تمكّن البحث من التوصل إلى نتيجتين مهمتين، أولاً: دور الدولة في إنتاج المجال الحضري تأرجح منذ الاستقلال بين الجانب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، لكن دون المساس برأسمنة قطاع التعمير. ثانياً: دور جل المؤسسات المحلية استشاري في ميدان التعمير مما يجعل قضية التعمير قضية مركزة، وتخضع للهاجس الأمني، الامر الذي يساهم في إنتاج مجالات حضرية مختلفة.

الكلمات المفاتيح: تاوريرت – إنتاج المجال الحضري – الدولة

Abstract :

There are many factors that interfere in the process of producing urban areas, and these factors can be natural, human-related, organizational, political, historical, and economic. Though appearing in harmony in parts, some of these factors are contradictory at other, in particular on political and organizational levels where roles and objectives overlap. This paper will shed light on the problematic role of the State, its various bodies, and partners in urban production in the city of Taourirt.

This research aims to examine the role of central and local state departments along with the partners in the production of the urban field in the city of Taourirt, by adopting a geographical approach based on tracking field transformations affecting geographical phenomena. Moreover, a historical approach was used in tracking the development of the state's intervention in reconstruction from the French protectorate era to the present. The findings research can be summarized in two main points. Firstly, the State's role in urban production since independence can be characterized as a swinging motion among economic, political and social aspects, but without compromising the capital of the reconstruction sector. Secondly, the role of most local institutions is advisory in the field of reconstruction, making the issue of reconstruction a centralized issue and subject to security concerns, which contributes to the production of dysfunctional urban areas.

Keywords : Taourirt - Urban Production - State

مقدمة

تتشعب القوى الفاعلة في إنتاج المجال الحضري بصورة يصعب في كثير من الأحيان التمييز بينها وتحديد مساحتها، تتدخل الأدوار على مستوى الإدارات المكلفة بشؤون المدينة بين إدارات مركزية وجهوية وأخرى محلية من جهة، وتزداد المنافسة بين الفاعلين الخواص على المستوى المحلي من جهة أخرى. سيدرس هذا البحث الفاعلون في إنتاج المجال الحضري؛ وهم الدولة بمختلف أجهزتها سواء على المستوى المركزي أم الجهوي والمحلي، إضافة إلى مبادرات المنشعين الخواص، والجمعيات، والوداديات والتعاونيات التي تعتبر شريكًا للدولة في إعداد المشاريع السكنية.

إشكالية البحث

شهدت مدن العالم الثالث بصفة عامة، ومدينة تاوريريت بصفة خاصة نمو حضري سريع تحكمت فيه إضافة إلى العوامل الطبيعية، والاقتصادية، والبشرية المميزة للمجال المحلي، آليات فوقية تحكم في تزييلها الدولة المركزية إلى جانب عدة إدارات محلية، وفي هذا الصدد حضيت المدن الكبرى بالعديد من الدراسات، فيما ظلت المدن الصغرى والمتوسطة دون اهتمام، ومن هنا نبع اهتمامنا بموضوع دور الدولة إنتاج المجال الحضري بمدينة تاوريريت شمال شرق المغرب، وللوقوف على أهمية الموضوع، سنتناول بالدراسة الإشكالية الرئيسية من خلال تحديد مساهمة الدولة في التوسيع الحضري لمدينة تاوريريت على المستوى المركزي، ثم مساهمة الإدارات المحلية باعتبارها ممثلاً للدولة على المستوى المحلي في إنتاج المجال الحضري.

منهجية البحث

للإحاطة بإشكالية البحث تم اعتماد المقاربة الجغرافية التي تقوم على تتبع التحولات خاصة المجالية باعتماد التحليلين الأفقي والعمودي²¹¹، وبذلك يتأسس هذا البحث على دراسة ميدانية، اعتمدنا فيها على عمليتي الملاحظة والجرد الميدانيين، وتوج العمل الميداني بأخذ صور لعناصر الظاهرة المدروسة. إلى جانب المقاربة الجغرافية فقد اعتمدنا على المقاربة التاريخية في بعض أجزاء البحث لكن دون أن تتعارض مع المقاربة الرئيسية. كما تم الاتصال بالعديد من المصالح الإدارية التي لها علاقة بالموضوع المدروس للحصول على بعض المعلومات المتممة للعمل الميداني.

أهمية البحث وأهدافه

تكمن أهمية موضوع دور الدولة في إنتاج المجال الحضري بمدينة تاوريريت، أولاً، في اعتبار النمو الحضري أحد أهم المشاكل التي تؤرق الدول والمهتمين في مختلف بلدان العالم. ثانياً، في اعتبار الدولة أهم منتج للمجال الحضري بمؤسساتها المركزية والمحليّة. ثالثاً، في أصلة الموضوع وجدته وذلك نظراً للدينامية التي يتميز بها موضوع النمو الحضري وخاصة في بلدان العالم الثالث. لقد حددنا أهداف البحث في هدفين أساسيين هما:

- تحديد دور الدولة المركزية في إنتاج المجال الحضري؛
- تحديد دور مؤسسات الدولة على المستوى المحلي في إنتاج المجال الحضري لمدينة تاوريريت.

²¹¹ - محمد الزبير، 2015. الدينامية الحضرية والتنمية المجالية بمدينة بي ملال، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء.

2015

١- دور الدولة في إنتاج المجال الحضري

للدولة دور رئيس في إنتاج المجال الحضري، بتدخلها من خلال أجهزتها المختلفة، وعلى امتداد القرن 19 لعبت أدوار متناهضة تبعاً لفترات زمنية معينة.

١-١ على المستوى المركزي

ما ميز فترة الحماية هو جنوح السياسية التعميرية نحو تكريس مبدأ المبادرة الحرة، في إنتاج المجال الحضري، بالسماح للرأسمال الأجنبي بالتلغلل داخل المنظومة الإنتاجية تمويلاً، وتسييراً. وذلك ناتج عن كون المجالات الحضرية شكلت إبان هذه الفترة نافذة لتصدير الخيرات نحو أوروبا²¹²، وهو ما يفسر ضعف منجزات السلطة الاستعمارية في مجال السكن حيث كانت تمثل دائماً لاعطائه صبغة اقتصادية. بعد الاستقلال ستعمل الدولة على تركيز التعمير في قبضتها، من أجل ترسيخ النظام السياسي، وتكتيف أشكال مراقبة المجال الحضري.

١-١-١ الإطار التنظيمي

تميزت فترة الحماية بتفادي وضع أي نص قانوني مؤطر في البداية تفادياً لتضييق الخناق على المبادرة الحرة، إلى غاية إرساء هذه الأخيرة لقواعدها قامت السلطات الاستعمارية بإصدار بعض النصوص التنظيمية أهمها ظهير 1914 وظهير يوليو 1952 وظهير شتنبر 1953، لكن دون المساس برأسملة إنتاج المجال الحضري. استمرت دولة الاستقلال في تبني نفس الاستراتيجية، وتجلى ذلك بعد تراجعها عن قانون الإطار لسنة 1970 الهدف إلى تأطير التشريع المتعلق بإنتاج المجال الحضري. تمثلت بوادر التحول في الاستراتيجية مع قانون المالية لسنة 1978 بإحداث ضريبة على الأرباح العقارية وأخرى على الأراضي غير المبنية، إلا أنها تراجعت عن هذه الإصلاحات بعد الضغط الذي مورس عليها من طرف القطاع الخاص، بعد ذلك أصدرت الحكومة قانون الاستثمارات العقارية لسنة 1981 ورغم الإعفاءات الضريبية الكبيرة فقد زادت مطالب القطاع الخاص، فأصدرت الدولة قانون آخر سنة 1985 تم تعديله بعد ثلاث سنوات²¹³، كان الهدف من وراء ذلك توسيع الامتيازات المنوحة للخواص، وفي الوقت الراهن تعمل الدولة على تنظيم تدبير المجال الحضري من خلال وثيقتين مهمتين، قانون التعمير 90.12 لسنة 1992 ومدونة التعمير، وقانون 25.90، كما وضعت بنيات جديدة مثل الوكالات الحضرية ومفتاحيات التعمير، وإن كانت هاتان المؤسسات قد تعرضتا لعدة انتقادات، إذ اعتبرتا وسائل لتهميشهما الجماعات المحلية وسلب اختصاصاتها في ميدان التعمير²¹⁴. التخطيط التشريعي للدولة، وفتح الباب أمام المبادرة الحرة سيكون له أثر بلغ على تنظيم المجال الحضري المغربي على العموم، والمجال الحضري بمدينة تاوريرت على وجه الخصوص، وعلى توفير بنيات الاستقبال، لكون المبادرة الحرة هدفها الربح السريع وبكل الطرق.

212 - المصطفى شويكي، الدار البيضاء مقاربة سوسية-محلية، جامعة الحسن الثاني-عين الشق، ص 41

213 - المصطفى شويكي، نفسه، ص 44

214 - عبد الرحمن السرغيني، أثر التشريعات في الحد من السكن غير اللائق بمدينة تاوريرت، تاوريرت-واد زا/القصبة التاريخ والمجال والتنمية، ص 164

2-1 مصادر التمويل

في مجال التمويل عمل المعمر على تنشيط قطاع البناء من خلال فتح المجال أمام الاستثمارات الأجنبية، واستغلال كل الموارد المحلية المتاحة، فصدر ظهير 1913 ظاهرياً بهدف تحديث مؤسسة الأحباس، لكن باطنياً جاء لتحويلها لمؤسسة استثمارية في مجال التعمير، ولا أدل على ذلك من اشتغال القطاع العمومي بحوالي 50% من تمويله كمصادر محلية، و57% للقطاع شبه العمومي ما بين 1949 و1956، وحوالي النصف بالنسبة للقطاع الخاص ابتدأ من سنة 1940. إبان دولة الاستقلال تشعبت مصادر التمويل بشكل كبير، بالعمل بمقاربة اندماجية بين الرأس المال الأجنبي والمغربي بحيث إن 86% من المؤسسات الوطنية كانت تعرف تشاركاً بين الرأس المال المحلي والأجنبي، فإلى حدود سنوات التسعين عملت الدولة على ترسيخ مكانة المبادرة الحرة في إنتاج المجال الحضري، برب ذلك من خلال العديد من الاستراتيجيات من أبرزها "السكن على استطاع تسديد قروض السكن" والتي نهجتها انطلاقاً من السبعينيات، وإستراتيجية "الحد من الاستثمارات العمومية في مجال إنتاج المجال الحضري" التي نهجتها انطلاقاً من الثمانينيات، ثم استراتيجية معادلة السكن الاقتصادي التي بدأت العمل بها منذ الثمانينيات كذلك²¹⁵. كل هذه السياسات ما هي إلا ترسيخ لقوانين السوق، وهي متعددة إلى الوقت الراهن حيث لا زالت لوبيات العقار تهمن على القطاع، في ظل تناقض منطقها الريعي مع المرامي الاجتماعية التي من المفترض أن يكسرها هذا القطاع.

3-1 السكن في استراتيجية الدولة: هدف أم وسيلة

على طول مسار إنتاج المجال الحضري المغربي خلال القرن المنصرم، كانت سياسة السكن وسيلة لبناء الثروة عوض خدمة الأهداف الاجتماعية، باستثناء المحاولات المحتشمة في العقود الأخيرة، فقد تميزت فترة الحماية بخاصيتين هما تحويل السكن من الانتفاع إلى بضاعة، وسن سياسة العزل الاجتماعي بتخصيص أحياe للمغاربة وأخرى للأجانب، وهي نفس السياسة التي تبنتها دولة ما بعد الاستقلال ببحثها عن السلم الاجتماعي من خلال السكن، وهو الأمر الذي يظهر جلياً من خلال النسيج العمراني المميز لمدننا (فيلات، سكن اقتصادي، سكن تقليدي...).

بمدينة تاوريرت وفي مرحلة ما بعد الاستقلال وإلى حدود بداية القرن الحالي يبدو جلياً غياب دور الدولة، حيث لم تظهر تدخلاتها إلا بعد 2004 بمساهمة مجموعة من الشركاء وخاصة شركة العمران وبعض الوداديات، والجمعيات والتعاونيات، تمخض عنه إنجاز عدة تجزئات سكنية مثل تجزئة النسيم، والقدس، والرياض، والوحدة...

4-1 ترقية مدينة تاوريرت

منذ حصول المغرب على الاستقلال أصبحت تاوريرت مركزاً حضرياً برسم الظهير الشريف رقم 1.59.351، الصادر بتاريخ فاتح جمادى الآخرة 1379 (02 شتنبر 1959) في شأن التقسيم الإداري بالمملكة المغربية آنذاك والذي تلاه تنظيم أول انتخابات جماعية سنة 1962. وظلت الجماعة على هذه الوضعية مع صدور الميثاق الجماعي لسنة 1976، إلى أن ارتفعت إلى مستوى جماعة حضرية بموجب المرسوم رقم 2.92.408 الصادر في 28 ذي الحجة 1412 (30 يونيو 1992) المتعلق

215 - المصطفى شويكي، المرجع السابق، ص 45

بتحديد قائمة الدوائر والقيادات والجماعة الحضرية والقروية²¹⁶، بعد ذلك بفترة وجيزة أصبحت حاضرة لإقليم قائم الذات محدث بموجب المرسوم عدد 79.281 بتاريخ 9 أبريل 1997، هذه الترقيات التي عرفتها المدينة منذ نهاية الفترة الاستعمارية، ستعمل على زيادة جاذبيتها، فبدأت تعرف موجات هجرية كثيفة ساهمت في توسيع المجال الحضري بصورة سريعة انطلاقاً من نهاية السبعينيات.

2- مؤسسات تنفيذ سياسات الدولة على المستوى المحلي

في إطار ترسیخ منطق اللامركزية الإدارية في إنتاج وتدبير قطاع التعمير، عمل المغرب على تقوية بعض اختصاصات السلطة المركزية إلى الإدارات المحلية في الوقت الذي احتفظ لنفسه بالجوانب الاستراتيجية. تتعدد الإدارات المحلية المهمة بقطاع التعمير، منها ما هو تابع لوزارة الداخلية كالعمالة والبلدية وهو أمر يوجي بسيطرة التعمير الأمني، ومنها مؤسسات شبه عمومية تتمتع بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي وهي خواص تشتراك فيها مع الإدارات السابقة الذكر، كما أنها تخضع لوصاية الدولة، من قبيل الوكالات الحضرية.

1-2 الجماعة المحلية فاعل أساسى في إنتاج المجال الحضري على المستوى المحلي

الجماعات المحلية حسب المادة 100 من الدستور هي الجهات والعمالات والأقاليم والجماعات الحضرية والقروية، وقد حدد المشرع اختصاصات الجماعات المحلية في ميدان التعمير من خلال القانون 78.00 المتعلق بالميثاق الجماعي، والقانون 12.90 المتعلق بالعمارة. ويمكن تحديد دورها في التعمير من خلال أمرين إثنين هما، دورها في إعداد وثائق التعمير ودورها في تنفيذها.

1-1-2 دور الجماعة في إعداد وثائق التعمير

يمكن التمييز بين نوعين من وثائق التعمير، وثائق التعمير التقديرية متمثلة في المخطط التوجيهي للهيئة العمرانية، ووثائق التعمير التنظيمي المتمثل في تصميم التنطيق وتصميم الهيئة، وبما أن مدينة تاوريرت لا تتوفر إلا على تصميم للهيئة فسنقتصر فقط على دورها في إعداده دون التطرق إلى الوثائق الأخرى. تنص المادة 23 من قانون التعمير على "يتم وضع مشروع تصميم الهيئة بمبادرة من الإدارة وبمساهمة الجماعات المحلية وتم الموافقة عليه طبق الإجراءات والشروط التي تحدد بمرسوم تنظيمي"²¹⁷، نفس الأمر جاءت به المادتين 6 و15 من نفس القانون. إن عبارة بمساهمة تبدو جد غامضة ولا تحدد الدور المنوط بالجماعات المحلية في ميدان إعداد وثائق التعمير بشكل دقيق. تقرر المادة 44 من الفقرة الثالثة من الميثاق الجماعي على أن المجلس الجماعي "يبدي رأيه حول سياسات وتصاميم إعداد التراب والتعمير، كما يبدي رأيه حول مشاريع الهيئة والتعمير..."²¹⁸، نفس الأمر ورد في الفقرة 2 من المادة 38 من القانون رقم 78.00 المنظم للعمالات والأقاليم²¹⁹، من هنا يمكن أن نقول بأن دورها يبقى مقتضاً على تقديم الاستشارة دون أن يرقى إلى المشاركة الفعلية في إعداد تصميم الهيئة، في المقابل وفي إطار اتخاذ التدابير التحفظية من طرف رئيس الجماعة، يمكنه إعلان دراسة مشروع

216 - مونографية بلدية تاوريرت، ص 6

217 - ظهير شريف رقم 1.92.31 صادر في 15 من ذي الحجة 1422 (17 يونيو 1992) بتنفيذ القانون 12.90 المتعلق بالعمارة، ص 6

218 - القانون رقم 78.00 الصادر سنة 2002 والتعديلات الجديدة الواردة في القانون 17.08.2009 الصادر سنة 2009، ص 15

219 - موقع بلاصتك الإلكتروني، نشر في الثلاثاء 7 ماي 2013

تصميم الهيئة، الذي يمكن من خلاله تجاوز أي عرقلة تترتب عن سوء الإنجاز ومن شأنها أن تعرض للخطر تنفيذ الوثيقة التعميرية بعد المصادقة عليها، ومدة سريان هذا القرار محدد في 6 أشهر، ودوره غاية في الأهمية لكونه يسمح بتحديد المجال الذي سيغطيه تصميم الهيئة، وبالتالي فدور رئيس الجماعة هو تأجيل مختلف العمليات الرامية إلى إحداث تجزئات أو مجموعات سكنية أو إقامة أي بناء داخل المنطقة المحددة بالقرار المذكور²²⁰. تعتبر الجماعة المحلية أقرب الإدارات وأكثرها دراية بالمجال وإكراحته، وتمكينها من اختصاصات فعلية في ميدان التعمير كان بإمكانه أن يجنبنا الكثير من المشاكل التي تعاني منها المجالات الحضرية في الوقت الراهن، لكن اختصاصاتها أعلى بين محدودية تدخلاتها في ميدان التعمير، ويبقى دورها بالنسبة لإعداد وثائق التعمير استشاريا وغير ملزم، فهل يعني ذلك أن الدولة هي المنتج الوحيد للمجال الحضري في الوقت الذي تلعب فيه الإدارات المحلية دوراً إدارياً فقط؟ إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب بعض التراث إلى حين الاطلاع على مهامها في تنفيذ وثائق التعمير.

2-2 دور الجماعة في تنفيذ وثائق التعمير

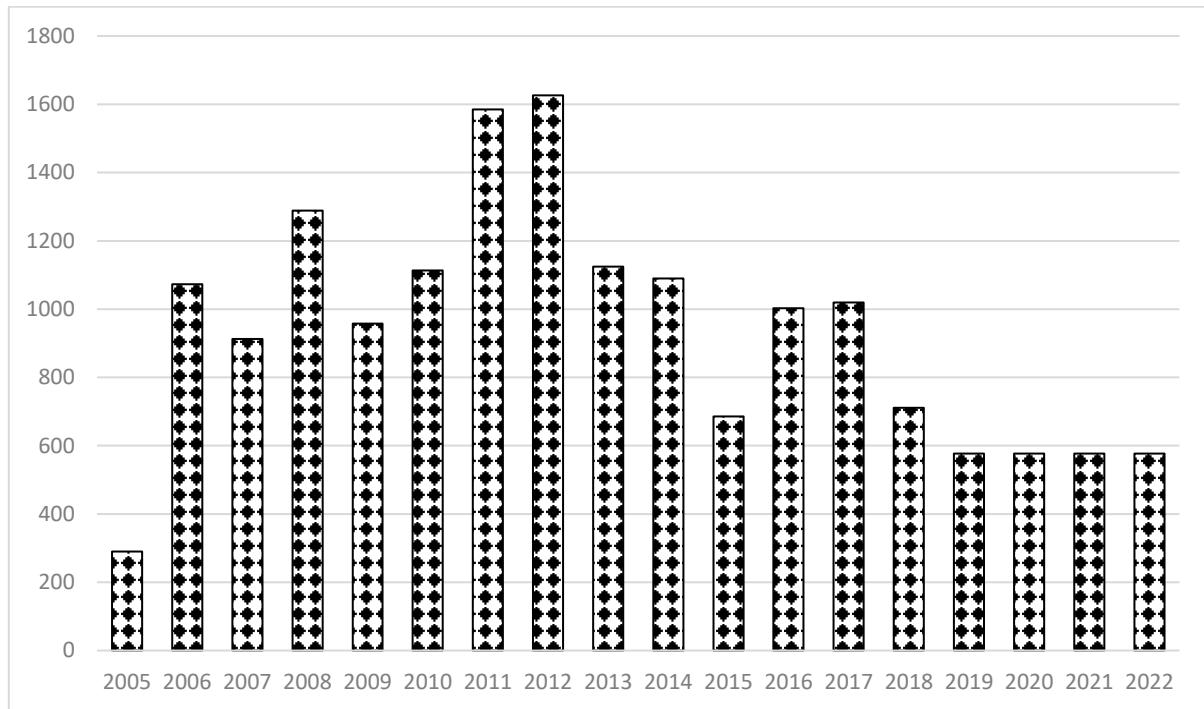
يسهر رؤساء الجماعات المحلية على تطبيق القوانين والأنظمة المتعلقة بالعمير، ويمارسون بمقتضى القانون الشرطة الإدارية الجماعية²²¹ بما فيها شرطة التعمير كما جاء في المادتين 49 و50 من الميثاق الجماعي.

1-2-1-2 دور الجماعات المحلية في مجال الأبنية

تعمل الجماعات المحلية على ضبط وتقنين التعمير من خلال رخصتين هما رخصة البناء التي تسلم عند بداية البناء، ورخصة السكن التي تسلم بعد انتهاء البناء والتأكد من مطابقة البنية للشروط المعمول بها. رخصة البناء في جانها الظاهري هي مجرد وثيقة قانونية ضبطية، وباطنيا هي فعل يسهم في النمو الحضري بزيادة الرقعة المبنية داخل المدينة، فقد تطورت عدد رخص البناء المسلمة من طرف قسم التعمير ببلدية تاوريرت من 290 رخصة سنة 2005 إلى 1073 رخصة في سنة 2006 ثم إلى 1626 رخصة سنة 2012، لتتراجع بعد ذلك لمستوى 577 رخصة بناء في سنة 2019. إن الزيادة في عدد الرخص خلال السنوات الأخيرة لا يعني بأي حال زيادة وثيرة البناء عن السنوات السابقة، وإنما هو تعبير عن خصوصية أكثر للضوابط القانونية.

220 - محمد الكنوني، الوكالات الحضرية وتدير ميدان التعمير - حالة الوكالة الحضرية للسطات، ص. 68-69

221 - المملكة المغربية، وزارة العدل، الميثاق الجماعي، إصدارات مركز الأبحاث والدراسات بمديرية الشؤون الجنائية والعنف، سلسلة نصوص قانونية، العدد 5، غشت 2011، ص 29



شكل 1: تطور عدد رخص البناء بين 2005 و2019. المصدر: سجل رخص البناء ، مصلحة التعمير والممتلكات ببلدية تاوريرت، والمندوبيّة الساميّة للتخطيط، المديريّة الجهوّيّة لجهة الشرق، النشرة الإحصائيّة السنويّة لجهة الشرق لسنوات 2017، ص 68، و2018، ص 78، 2019، ص 83، و2020 ص 95

هكذا فقد بلغت عدد رخص البناء المسلمة ما بين 2005 و2022، 16790 رخصة، فإذا افترضنا أن مساحة المتر الواحد تبلغ 100 م² في المتوسط، فهذا يعني أن المساحة المبنية جاوزت 167,9 هكتار، ناهيك عن البنيات العشوائية والتي تمت خارج الإطار القانوني علما أنها تشكل النسبة الساحقة من الأراضي المبنية بالمدينة. والجدول 1. يبين المساحة المستهلكة من المجال بين 2016 و2019 حسب معطيات المندوبيّة الساميّة للتخطيط.

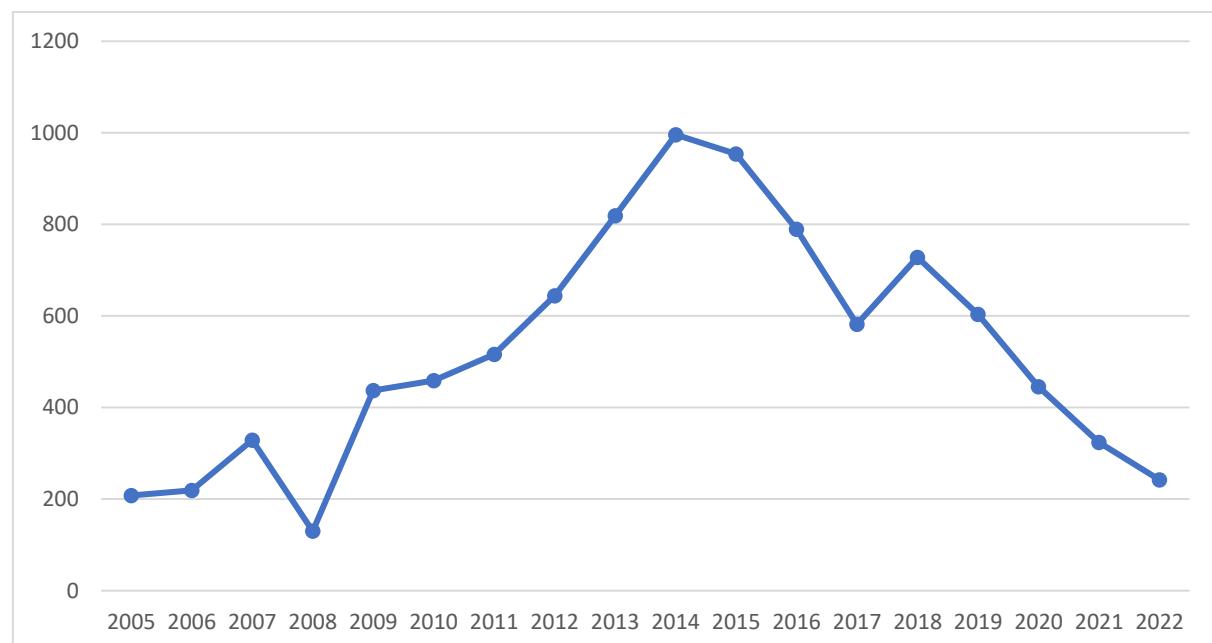
جدول 1: تطور عدد رخص البناء المسلمة من طرف الجماعة الحضرية لتاوريرت سنة بين 2016 و2019

				السنوات
				عدد رخص البناء
151 001				المساحة المنسقفة (م ²)
65 347				المساحة المبنية (م ²)
1 282				عدد المساكن
3 811				عدد الغرف
291 514				القيمة المتوقعة

المصدر: المندوبيّة الساميّة للتخطيط، المديريّة الجهوّيّة لجهة الشرق، النشرة الإحصائيّة السنويّة لجهة الشرق لسنوات 2017، ص 68، و2018، ص 78، 2019، ص 83، و2020 ص 95

هكذا وكما يوضح الجدول في بين 2016 و2019 استهلك حوالي 35,49 هكتار من الواقع العقاري الحضري لمدينة تاوريرت، وذلك بواقع 6 بناء سكنية جديدة، ناهيك عن البنيات المخصصة لأغراض أخرى غير الوظيفة السكنية، والبناء العشوائي رغم تطبيقه وخلق مصادره خلال العقودين الآخرين؛ من خلال سياسة التجزئات السكنية.

أما رخص السكن فقد عرفت تزايداً مستمراً بين سنتي 2005 و2014، ويعد سبب هذا التزايد إلى الشروع في إنجاز عدد من التجزئات السكنية انطلاقاً من 2004 حيث كان يغلب على الفترة السابقة البناء العشوائي غير المنظم، وبعد تراجع عدد رخص السكن في الفترة اللاحقة وخاصة بعد 2019 إلى تأثير جائحة كورونا على مختلف الأنشطة الاقتصادية ومن بينها قطاع البناء الذي شهد ركوداً كبيراً ولازالت الأزمة ترخي بضلالها عليه لحد الآن. والشكل 2. يبيّن تطور رخص السكن بين 2005 و2022.

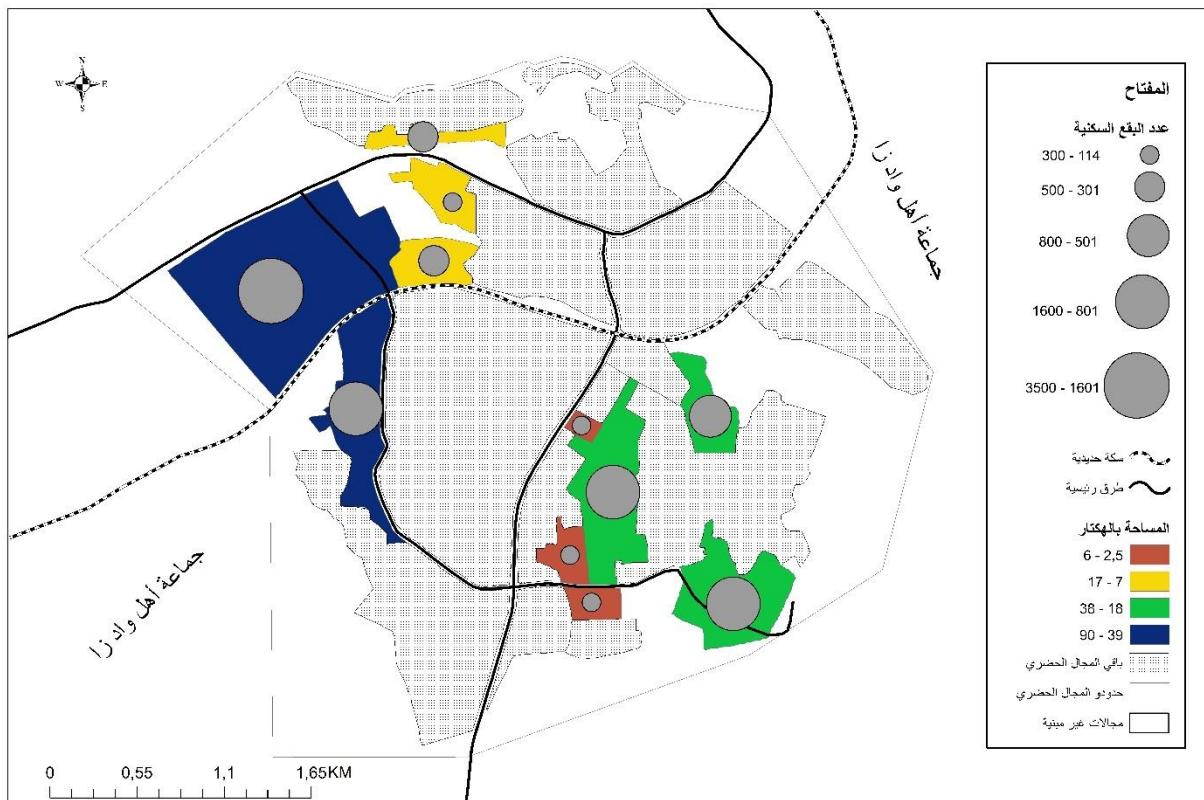


شكل 2: تطور عدد رخص السكن بين 2005 و2022 (إلى حدود 7 أكتوبر 2022)، المصدر: سجل رخص السكن، مصلحة التعمير والممتلكات ببلدية تاوريرت.

لقد حثت المادة 50 من الميثاق الجماعي والمادتين 40 و55 من قانون التعمير على وجوب تسليم رخص البناء والسكن من قبل رئيس المجلس الجماعي، ليس هذا هو الدور الوحيد الذي يلعبه المجلس وإنما له دور مهم كذلك في مجال التجزئات العقارية والمجمعات السكنية وتقسيم العقارات.

2-2-1-2 دور الجماعات في مجال التجزئات العقارية والمجمعات السكنية وتقسيم العقارات

هذه الوظائف وخاصة التجزئات العقارية من الأدوار المهمة التي تسمح للجامعة المحلية بالتحكم في توسيع المجال الحضري، وتفادى البناء الفوضوي، ولتكريس الأمر تعمل السلطات المكلفة بالتشريع بمدينة تاوريرت بشراكة من القطاع الخاص وشبهه الخاص على إنجاز وتجهيز تجزئات سكنية متوازية منذ بداية العقد المنصرم، تشكل حزام يحيط بالمدينة كما يوضح الشكل 3. ويبلغ عددها 11 تجزئة منها على سبيل المثال لا الحصر، تجزئة النسيم، وتجزئة مولاي علي الشريف، وتجزئة القدس ثم تجزئة المسيرة والوحدة.



شكل 3: التوزيع المجالي للتجزئات السكنية، المصدر: مونوغرافية بلدية تاوريرت، ص.ص 45-44

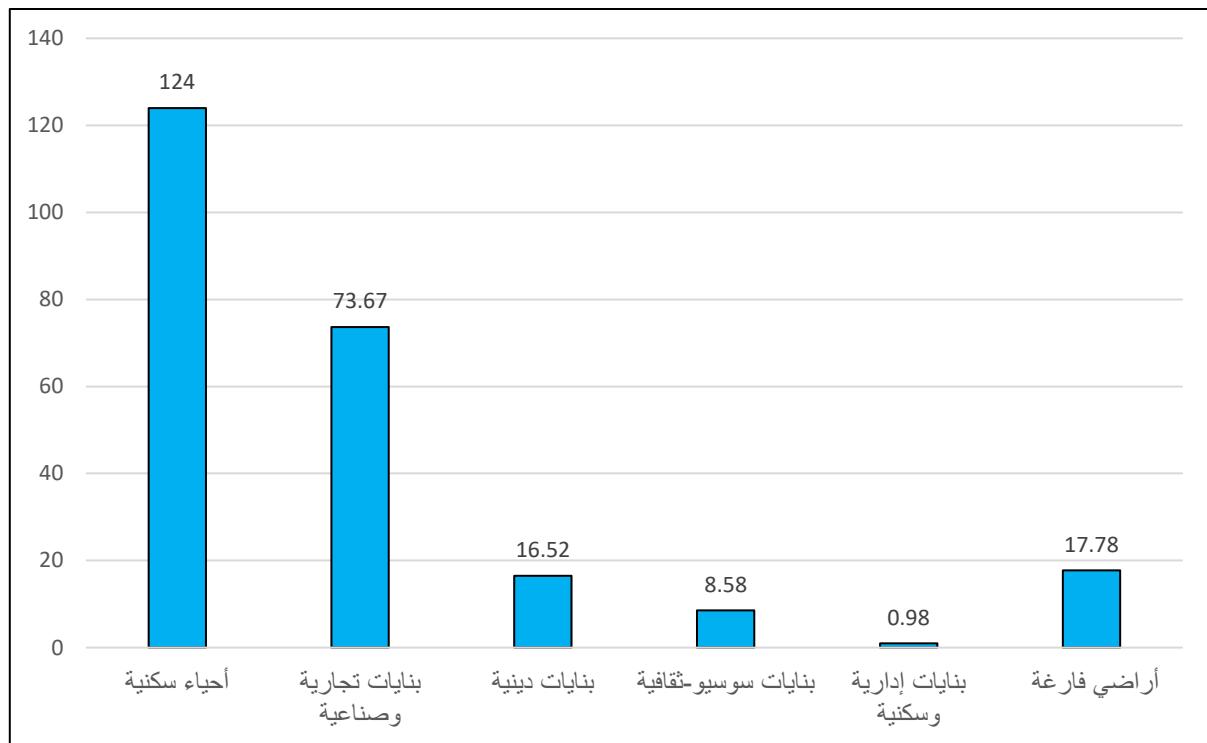
تبلغ مساحة التجزئات السكنية 304,5 هكتار من مساحة المجال الحضري، تعتبر تجزئة النسيم بشطريها الأول والثاني أكبرها مساحة إذ تبلغ 90 هكتار، وتحتوي على 3500 بقعة سكنية، ثم تجزئة القدس بـ 60 هكتار، و1300 بقعة سكنية، وتبلغ مساحة تجزئة مولاي علي الشريف في شطريها الأول 38 هكتار، وتتوفر على 1300 بقعة سكنية، وفي شطريها الثاني 35 هكتار، و1600 بقعة سكنية، فيما تصل مساحة تجزئة المسيرة إلى 29 هكتار، وعدد بقعها السكنية 800، وتضيق المساحة إلى أقل من 20 هكتار بكل من تجزئة الرياض، والوحدة، والنصر، والبرج، والربح، وداد حيث تبلغ مساحتها مجتمعة 52,5 هكتار، ويصل عدد البقع السكنية بتجزئة الرياض إلى 300 بقعة، وفي تجزئة الوحدة إلى 321 بقعة، والنصر إلى 500 بقعة، والربح 201 بقعة، وأخيراً وداد بـ 114 بقعة.

إن أمر التجزيء يعود إلى الجماعات المحلية حسب النصوص التنظيمية المعمول بها، أما في حالة وجود الأرض موضوع التجزيء داخل تراب أكثر من جماعة واحدة فإن أمر تجزئتها يعود إلى وزارة الداخلية، هذا العنصر هو الوحيد الذي يتजاذبه المركز مع الجماعات المحلية في مجال تطبيق وثائق التعمير، بناء عليه بات بمقدورنا القول بأن للجماعة المحلية دور مهم في إنتاج المجال الحضري، حيث لا يمكن القول إنه إنتاج مركزي خالص في إطار الاختصاصات الجديدة الممنوحة للجماعات المحلية انطلاقاً من قانون التعمير لسنة 1992.

3-2-1-2 دور جماعة تاوريرت في إنتاج المجال الحضري

إضافة إلى مساهمة الجماعة المحلية بتاوريرت في إنجاز العديد من التجزئات السكنية بمساعدة العديد من المتتدخلين، فقد ساهمت أيضاً بشكل مباشر في التوسيع الحضري، من خلال توفيرها لوعاء عقاري مهم أقيمت عليه مجموعة من

الأحياء غير التجزئات المذكورة أعلاه، كما أحدثت العديد من المنشآت التجارية والصناعية والسوسيو-ثقافية، ساهمت هي الأخرى في توسيع المجال الحضري وزيادة الرقعة المبنية، كما هو موضح في الشكل 4.



شكل 4: مساحة الملاك الخاصة والعمومية للجماعية المحلية بباتنة بتاونريرت بالكتار، المصادر مونوغرافية بلدية تاوريريت 2013، ص 51-55.

ساهمت الجماعة في توسيع مجال قدره 241,53 هكتار من خلال توفيرها 124 هكتار لإقامة مجموعة من الاحياء هي حي المسيرة، وحي الحرية، وحي السلام، وجاء من حي النهضة، إضافة إلى حي التقدم، وحي الشهداء، والحي القديم، والعقارات المحيطة بتجزئة وداد. كما وفرت الأراضي التي أقيمت فوقها الحي الصناعي والبالغ مساحتها 72,92 هكتار، إضافة إلى بناءات تجارية متنوعة تبلغ مساحتها 0,75 هكتار. استهلاكت البناءات الدينية المتمثلة في مقبرتين ومصلى 16,52 هكتار من الوعاء العقاري. أما البناءات السوسiego-ثقافية فقد استهلاكت 8,58 هكتار متمثلة في 4 مسابح بلدية، وملعب رياضية، وخزانة جماعية، ولازالت الجماعة الحضرية تحتفظ بحوالي 17,78 هكتار من الأراضي الفارغة التي من شأنها أن تشكل وعاء للتوسيع الحضري المستقبلي.

دور الوكالات الحضرية في التوسيع الحضري لمدينة تاوريرت 2-2

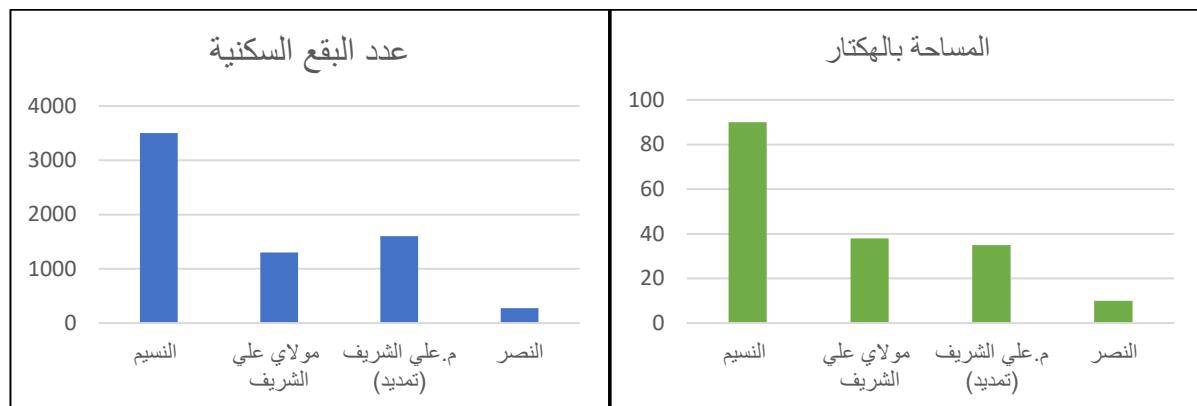
جاء تأسيس الوكالات الحضرية في إطار تدعيم اللامركزية الإدارية في مجال التعمير، وهي تقوم في هذا الإطار بأدوار مهمة وخاصة في مجال التخطيط العمراني من خلال تدخلها في إنجاز وثائق التعمير. تنص المادة 23 من قانون التعمير على أنه "يتم وضع تصميم الهيئة بمبادرة من الإدارة...²²² والمقصود بالإدارة هنا الوزارة المكلفة بالعمير أو الوكالة الحضرية حسب الحال، وتقوم الوكالة الحضرية هنا بدراسات متعددة التخصصات نظراً للطابع الشمولي والمستقبلبي المأهول إلى

²²² - ظهير شريف رقم 1.92.31 صادر في 15 من ذي الحجة 1422 (17 يونيو 1992) بتنفيذ القانون 12.90 المتعلق بالتعمير، ص 18

تنمية المجالات الحضرية والتحكم في نموها، فتقوم بدراسات سوسيو-اقتصادية تهدف إلى التعرف على الخصائص الديموغرافية والاقتصادية للمجال الحضري، ودراسات مجالية تروم التعرف على الخصائص الطبيعية، ثم دراسات قطاعية تساعد في التعرف على عدة مجالات مثل السكن والتجهيزات والبيئة²²³. إذا فدور الوكالات الحضرية في إنتاج المجال الحضري هو دور وقائي هدفه الابتعاد عن السقوط في اختلالات مجالية، ويبقى السؤال مطروحاً عن مدى فاعلية هذا التدخل.

3-2 دور شركات الإنعاش العقارية العمومية في التوسيع الحضري لمدينة تاوريرت

تعتبر شركة العمران أهم الشركات العمومية التي تشغّل في مجال الإنعاش العقاري العمومي في مدينة تاوريرت، وللإشارة فقط فإن مجموعة التهيئة العمران تشكلت خلال سنة 2005 بعد اندماج كل من الوكالة الوطنية لمحاربة السكن غير اللائق، وشركة التشاركة للتهيئة والبناء والإنشاء العقاري، والشركة الوطنية للتجهيز والبناء²²⁴، وفي سنة 2007 تم تحويل المؤسسات السبع الجهوية للهيئة والبناء إلى شركات مساهمة وإدماجها في المؤسسة الجديدة بموجب القانون 27.03، وقد عهد لمؤسسة العمران تهيئة الأراضي المخصصة للسكن، وإنعاش السكن الاجتماعي، والقضاء على دور الصفيح، إضافة إلى إنجاز التجهيزات أو البنى المرتبطة ببرنامج السكن²²⁵، ويندرج تأسيس الشركة في إطار توجّه الدولة لتكريس سياسات ما بعد الاستقلال، المهدّفة إلى تحرير السوق العقارية. على مستوى مدينة تاوريرت فقد أنجزت شركة العمران عدة تجزئات سكنية كما يبيّن الشكل 5.



شكل 5: مساحة التجزئات المنجزة من طرف شركة العمران وعدد بقعاها السكنية، المصدر: مونوغرافية مدينة تاوريرت (2013)، ص 46

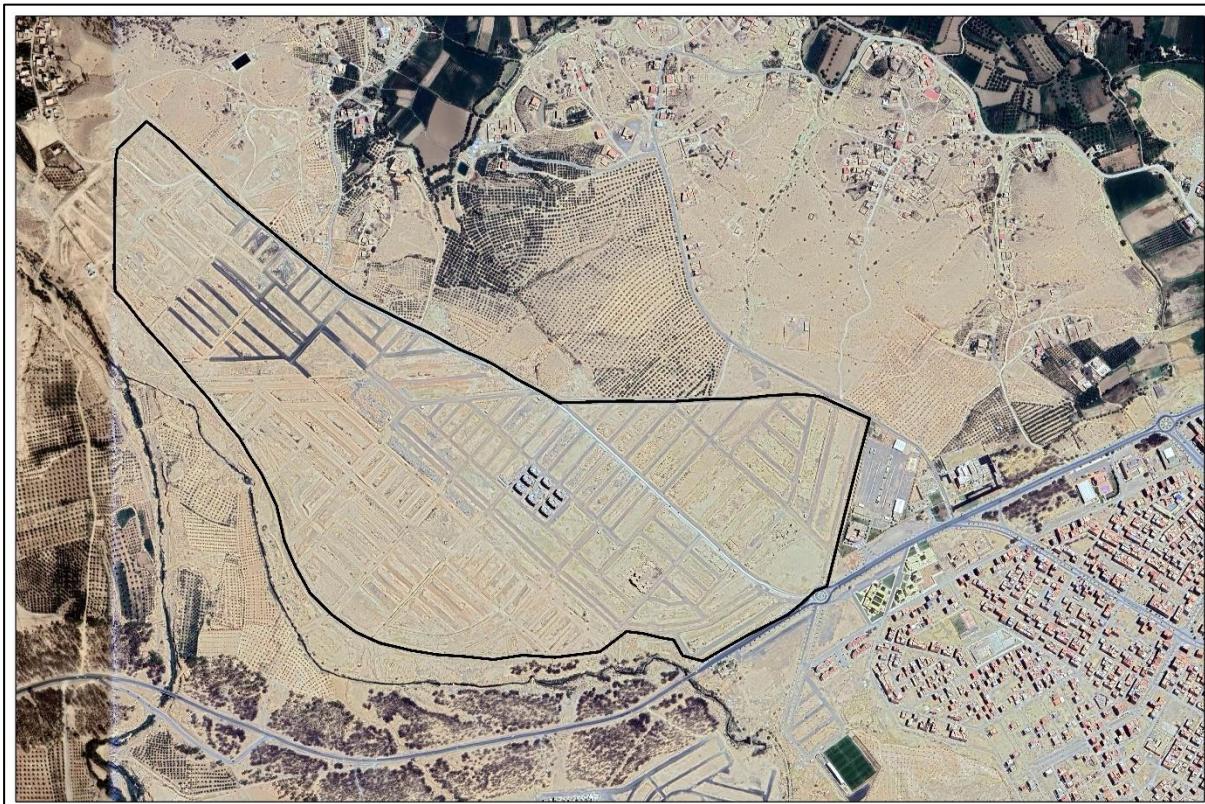
منذ بداية تدخلها بمدينة تاوريرت قامت شركة التهيئة العمران بتجهيز وتوزيع أربع تجزئات سكنية هي تجزئة النسيم، وتجزئة مولاي علي الشريف، ومولاي علي الشريف تمديد التي أنجزت في إطار البرنامج الوطني لمحاربة السكن غير اللائق، إضافة إلى تجزئة النصر، حيث تصل المساحة المبنية التي قامت بإعدادها إلى حوالي 173 هكتار، وقد وفرت هذه التجزئات 6674 بقعة سكنية، الأمر الذي يبيّن أهمية مساهمة شركة العمران في مسلسل إنتاج المجال الحضري لمدينة تاوريرت. لازالت مساحتها مستمرة في الوقت الراهن من خلال إشرافها على تجهيز 3 تجزئات الياسمين بأسطرها الثلاثة،

223 - محمد الكنوبي، نفس المصدر السابق، ص 35

224 - الموقع الرسمي لمجموعة العمران، تاريخ الاطلاع 18/11/2022

225 - قانون رقم 27.03 يقضي بتحويل المؤسسات الجهوية للتجهيز والبناء إلى شركات مساهمة تسمى "العمران"

حيث تبلغ مساحتها مجتمعة حسب قياسات المساحة في برنامج ArcGis حوالي 154 هكتار، وتتجدر الإشارة إلى أن هذه التجزئات لازلت خارج المدار الحضري، بحيث أن آخر عملية همت توسيعه كانت سنة 2009، وكما هو موضح في الصورة 1. فقد بوشرت عمليات البناء في الشطر الأول منها بينما لازال الشطر الثالث قيد الإنجاز، وقد باشرت العمran الأشغال في الشطر الأول من التجئة منذ أكثر من 10 سنوات.



صورة 1: تجزئة الياسمين بأشطربها الثلاثة عند المدخل الغربي لتاوريرت، تاريخ الحصول على الصورة 19/11/2022، المصدر: Terra Incognita

إن تحرير السوق العقارية لا يعني تدخل المؤسسات التي تخضع لوصاية الدولة فقط وإنما يفتح الباب على مصراعيه أمام القطاع الخاص الذي يلعب دورا هو الآخر في النمو الحضري.

4- دور المديريات الجهوية للتجهيز في إنتاج المجال الحضري لتاوريرت

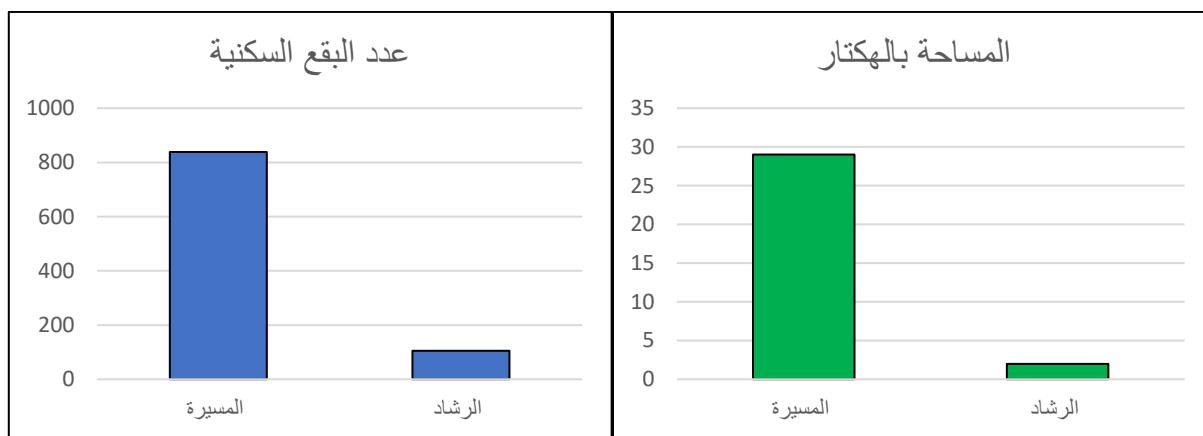
أسست المديريات الجهوية للتجهيز بموجب قرار لوزير التجهيز في 7 يوليو 1983²²⁶، الذي نص على تأسيس 41 مديرية جهوية وإقليمية²²⁷، من بينها مديرية جهة الشرق. تتكون المديريات الجهوية من 10 مصالح من بينها المصلحة التقنية التي تقوم باختصاصات متمثلة في "إعداد وتطوير الهياكل النموذجية والتقنيات الملائمة للمنطقة. وتنسق الوسائل التي تمكن

226 - قرار لوزير التجهيز رقم 856-83 صادر في 25 من رمضان 1403 (7 يوليو 1983) تحدد بموجبه اختصاصات وتنظيم المصالح الخارجية لوزارة التجهيز.

227 - نفس المرجع، الفصل الرابع

من القيام بالتجارب والفحوص الالزمة لتنفيذ الأشغال. ويمكنها أن تساهم في التنمية المعمارية بوضع البنية التحتية، واستخدام المواد المحلية في البناء، كما تضطلع بنفس الدور في التنمية المبنائية بدراسة الموقع الملائمة²²⁸.

تشير اختصاصات المصلحة التقنية بالمديريات الجهوية إلى إمكانية مساهمتها التنمية المعمارية، وبناء على هذا الدور فقد قامت المديرية الجهوية للتجهيز بوجدة بتجهيز وتوزيع تجزئتين سكنيتين هما تجزئة المسيرة والرشاد كما هو موضح في الشكل 6.



شكل 6: مساحة وعدد بقع تجزئي المسيرة والرشاد المنجزتين من طرف المديرية الجهوية للتجهيز، المصدر: مونografie بلدية تاوريرت 2013 ص 46.

ساهمت التجزئين المنجزتين من طرف المديرية الجهوية للتجهيز، في استهلاك 31 هكتار من الوعاء العقاري لمدينة تاوريرت، وقد وفرت 943 بقعة سكنية.

II- دور الخواص ومبادرات الأفراد في انتاج المجال الحضري لمدينة تاوريرت

إضافة إلى مساهمة الدولة، ساهم المنعشون الخواص، والأفراد من خلال الجمعيات والودادات والتعاونيات بدورهم في انتاج المجال الحضري لمدينة تاوريرت؛ من خلال تجهيزهم لعدد مهم من التجزئات.

1- دور الإنعاش العقاري الخاص في انتاج المجال الحضري لتاوريرت

فتح الباب أمام الخواص في إنتاج المجال الحضري، ساهم في فترات كثيرة في حل أزمة السكن، من خلال انخراط الخواص في برنامج السكن الاجتماعي الذي أقرته الدولة، والموجه بالأساس للطبقات الاجتماعية المتوسطة، إلا أنه غالباً ما تظل جودة العرض السكني المقدم من قبلها محط تساؤل، هل هو بناء لحل أزمة السكن أم تكريس للأزمة؟، فقد يعني فتح الباب أمام الخواص، اختلالات مجالية وجمالية، نتيجة منظمتهم الربحية، وبطريق سؤال الجودة، والسكن الكريم، وتوفير التجهيزات الأساسية والخدمات العمومية التي يحتاج إليها الإنسان الحضري في حياته اليومية، سواءً كانت ترقيمية أو خدماتية، فمن النادر أن تجد حديقة في كل التجزئات التي تقاس مساحتها بعشرات الهكتارات، وإن وجدت فمساحتها لا تتجاوز بضع أمتار مربعة، نتيجة ثغرت قانونية مرتبطة بالاستثناءات في مجال التعمير. لقد استخدمتها عصابات التعمير بالمدينة لقتل الروح الحضرية بها، كما ترا مت على الأراضي السلالية الواقعة خارج المجال الحضري بأثمان زهيدة، وتحاول

228 - قرار لوزير التجهيز رقم 856-83، الفصل الخامس.

جاهدت تحويل التوسيع المستقبلي للمدينة نحو التجزئات التي قامت بتجهيزها، كما هو الحال بالنسبة للتجزئة الموضحة في الصورة 2.



صورة 2: تجزئة للخواص خارج المدار الحضري بالمنطقة الجنوبية على الطريق الوطنية رقم 19 الرابطة بين تاوريرت ودبودو، تاريخ الحصول على الصورة 19/11/2022.
المصدر: Terra Incognita

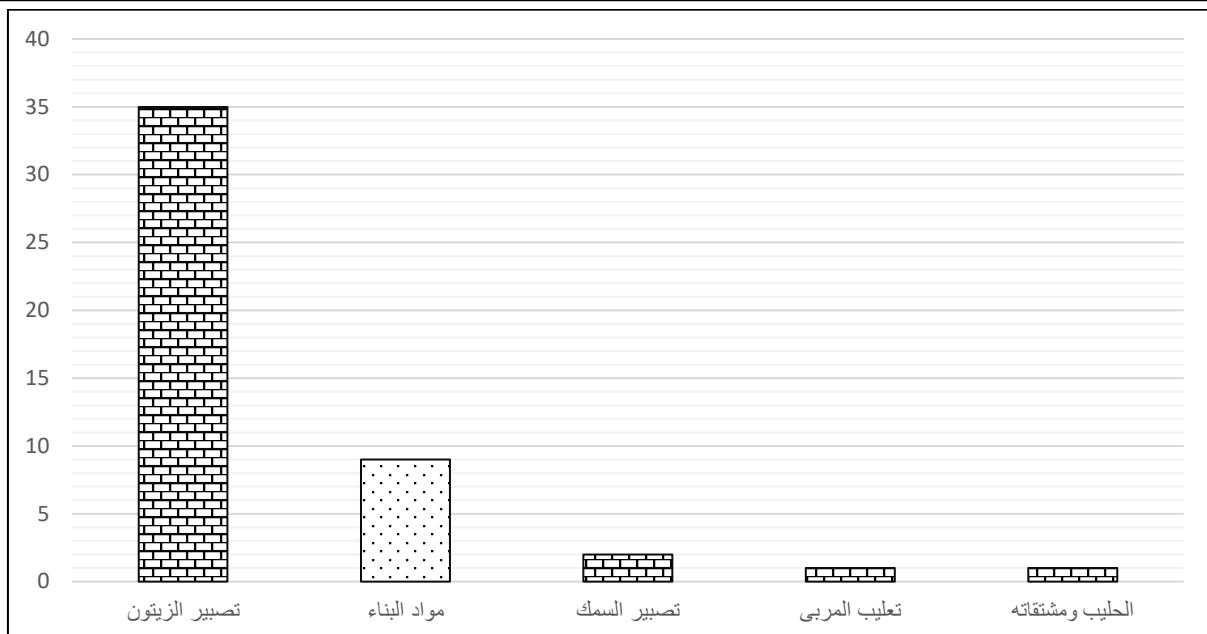
باتلاعنا على تصميم الهيئة الجديدة الموجود قيد المصادقة في المرحلة الراهنة، فإن المنطقة الجنوبية من المدينة لن تكون محل تعمير سكني، بل سيتركز هذا الأمر في الجزء الغربي من المدينة في الوقت الذي سيخصص الجزء الجنوبي لأنشطة الصناعية، مع العلم أن تصميم الهيئة القديم منتهي الصلاحية منذ سنة 2015 مما يترك فراغا قانونيا تستغله لوبات العقار.

إضافة إلى تجهيز وتوزيع التجزئات السكنية بدأ يظهر جليا في الوقت الحالي ميلهم للسكن الاقتصادي، حيث بدأت تظهر عدة مشاريع لإقامة هذا النوع من السكن، بعد أن كان محصورا في وحدتين سكنيتين إحداهما تتخذ سكن للعسكريين، والصور 3. تبين بداية اهتمام المنعشين العقاريين بهذا النوع من السكن.



صور 3: سكن اقتصادي من إنجاز منعشين عقاريين خواص، الصورة 1 من جنوب المدينة خارج المدار الحضري، والصورة 2 من مدخل الغربى للمدينة، أما الصورتان 3 و4 من الجنوب الغربى لسكن اقتصادى فى طور الانجاز يتوطن بالقرب من حى المجد والمنطقة الصناعية ومجال غابي ويمر بجانبه واد موسى يستعمل لتصريف عوادم المعامل النشطة فى مجال تصبير الزيتون، الصورة 1 التقطت بتاريخ 07/12/2022، والصورة الثانية بتاريخ 11/12/2022، والصورتان 3 و4 التقطتا بتاريخ 26/08/2022.

من الأوجه الأخرى للإنعاش العقاري الفردي نجد معامل إنتاج مواد البناء، التي تساهم في توفير مواد البناء الموجهة لإنتاج المجال الحضري، حيث يبين الشكل 7. احتلال معامل مواد البناء للرتبة الثانية ضمن الأنواع الصناعية الموجودة بمدينة تاوريرت.



شكل 7: عدد معامل البناء بالمقارنة مع عدد المعامل الأخرى، المصدر: عبد اللطيف اعمريو، الأنشطة الاقتصادية دورها في التنمية بمدينة تاوريرت: الصناعة نموذجاً

لقد أدى التزايد السكاني الكبير لمدينة تاوريرت خلال العقود الأخيرة إلى زيادة الطلب على السكن، وبالتالي على مواد البناء، الأمر الذي شكل عاملاً مهماً في ظهور العديد من المؤسسات الصناعية التي تنشط في إنتاج مواد البناء، وعموماً يتكون هذا القطاع من معامل طوب البناء والأجور والزليج، ويبلغ عدد الوحدات الإنتاجية التي تنشط في هذا المجال بمدينة تاوريرت إلى 9 وحدات صناعية²²⁹.

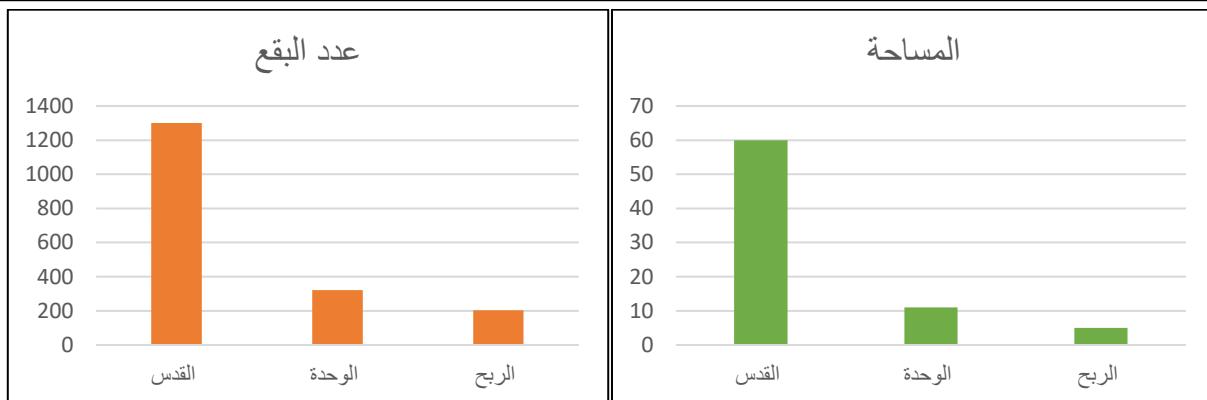
2- دور مبادرات الأفراد في إنتاج المجال الحضري بتاوريرت

أمام تزايد حدة المضاربة العقارية وما ينتج عنها من ارتفاع في أسعار الأراضي، يضطر العديد من الأفراد إلى اتخاذ مبادرات فردية بهدف الحصول على سكن لائق، وفي هذا الإطار نجد العديد من المبادرات تمت داخل جمعيات وودادات وتعاونيات، تنتج عنها تجهيز وتوزيع عدد مهم من التجزئات السكنية بمدينة تاوريرت.

1-2 دور الجمعيات في إنتاج المجال الحضري بتاوريرت

بالإضافة إلى دور الدولة، والمعيشين العقاريين العموميين والخواص، تتدخل الجمعيات التي جاءت كاستجابة لحاجة ملحة لفئة مهمة من السكان الراغبين في امتلاك مسكن، في إنتاج المجال الحضري من خلال قيامها بتجهيز وتوزيع ثلاث تجزئات بمدينة تاوريرت هي تجزئة الريح والوحدة والقدس، كما يوضح الشكل 8.

229 - عبد اللطيف اعمريو، الأنشطة الاقتصادية دورها في التنمية بمدينة تاوريرت: الصناعة نموذجاً، ص 33



شكل 8: مساحة التجزئات المجهزة من طرف الجمعيات وعددها السكينة، المصدر: مونوغرافية بلدية تاوريرت 2013، ص 46

أنجزت التجزئات الثلاث فيما بين 2007 و2009، وساهمت مجتمعة في توفير 1825 بقعة سكنية، بحيث وفرت تجزئة القدس 1300 بقعة، وتجزئة الوحدة 321 بقعة، فيما وفرت تجزئة الربح 204 بقعة سكنية. ساهمت في توسيع المجال الحضري من خلال استهلاكها لمساحة 76 هكتار، فقد استهلكت تجزئة القدس لوحدها 60 هكتار، فيما استهلكت تجزئة الوحدة 11 هكتار، وتجزئة الربح 5 هكتار من الوعاء العقاري.

2-2 دور الوداديات والتعاونيات في إنتاج المجال الحضري

تشترك الوداديات والتعاونيات مع الجمعيات في الغاية وهي الحصول على سكن يضمن الكرامة بعيداً عن جشع الشركات ومضاربات سماسترة القطاع، وما تخلفه عملياتهم من اختلال بين قيمة العقار الحقيقة وثمنه في الواقع، والجدول 2.2. يبيّن التجزئتين الوحيدةين المنجزتين من طرف ودادية وتعاونية.

جدول 2: التجزئات السكنية المنجزة من طرف الوداديات والتعاونيات

المنجز	عدد البقع	المساحة بالهكتار	اسم التجزئة
تعاونية	138	17	الرياض
ودادية	114	2.5	وداد

المصدر: مونوغرافية تاوريرت 2013، ص 46

لقد أشرفـت تعاونية على تجهيز وتوزيع تجزئة الرياض، وهي عبارة عن سكن للفيلات، مكونة من شطرين، شطر أول خاص برجال التعليم، وشطر ثاني مخصص للمحامين والأطباء وموظفو العمالة... وقد استهلكت هذه التجزئة 17 هكتار من الوعاء العقاري الموجود بالمدار الحضري، في المقابل وفرت 138 بقعة سكنية، ونشير إلى أن عدد مهم من هذه البقع تم تفويتها من المالكين الأصليين إلى فئات إجتماعية أخرى غير الموظفين وخاصة المهاجرين بالخارج، والصورتان 5. تبيـان الوضعية الحالية لهذه التجزئة.



صورتان 5: نماذج من منازل حي الرياض، الصورة 1 من الشطر الأول الخاص برجال التعليم، والصورة الثانية من الشطر الثاني الخاص بالمحامين والأطباء، تاريخ التقاط الصورة الأولى 20/08/2022، والصورة الثانية 26/10/2022

فيما يخص تجزئة وداد فقد أقيمت في وسط المدينة في مكان كان مخصص في السابق لسوق بيع الخردة، وهو الأمر الذي يفسر صغر حجمها الذي لا يتجاوز 2,5 هكتار، وبقعها السكنية تبلغ 114. لقد ساهمت هذه التجزئة في توسيع داخلي لمدينة تاوريرت، بحيث أقيمت بمركز مدينة تاوريرت على عكس التجزئات الأخرى التي أقيمت بهوامش المدينة.

خاتمة

تلعب الدولة على المستوى المركزي أدوار مهمة في إنتاج المجال الحضري، من خلال أولاً توفير الإطار القانوني والتنظيمي لميدان التعمير. وثانياً من خلال توفير مصادر التمويل، التي تبانت منذ فترة الحماية إلى الآن وتميزت بالجمع بين الاستثمارات الأجنبية والإمكانات المحلية. وثالثاً من خلال ترقية مدينة تاوريرت من مركز حضري سنة 1959 إلى قائد للإقليم سنة 1997، مما عزز مكانتها وجاذبيتها. على المستوى المحلي تسخر الدولة إدارات مختلفة أهمها الجماعة المحلية، حيث قامت بإنجاز عدة تجزئات بمساعدة الفاعلين الآخرين، إضافة إلى توفير أراضي شاسعة لإقامة عدة أحياء أخرى، ناهيك عن مختلف التجهيزات والبنيات التحتية التي أقامتها وساهمت في استهلاك وعاء عقاري مهم. إلى جانب الجماعة المحلية ساهمت مؤسسات أخرى في إنتاج المجال الحضري وعلى رأسها الوكالات الحضري التي وفرت الدراسات الالزمة، والمديرية الجهوية للتجهيز التي أشرف على تجهيز وتوزيع تجزئتين، وأخيراً شركة العمران التي تعتبر من أهم منتجي المجال الحضري لمدينة تاوريرت بإشرافها على تجهيز وتوزيع 173 هكتار من الأراضي، وإشرافها حالياً على تجهيز حوالي 153 هكتار أخرى. إلى جانب الدولة لعب الخواص والأفراد الممثلين بالجمعيات والوداديات والتعاونيات دوراً مهماً في التوسيع الحضري لمدينة تاوريرت بإشرافهم على إنجاز 7 تجزئات سكنية.

لائحة المراجع والمصادر

- محمد الزبير، 2015، الدينامية الحضرية والتنمية المجالية بمدينة بني ملال، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه تخصص جغرافيا وتهيئة المجال، وحدة التكوين تمدين أحواز المدن، الهيئة والتنمية المستدامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء، 392 ص.
- الشويكي المصطفى (1996)، الدار البيضاء مقايرية سوسيومجالية، جامعة الحسن الثاني-عين الشق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 517 ص.
- السرغيني عبد الرحمن، أثر التشريعات في الحد من السكن غير اللائق بمدينة تاوريرت، تاوريرت-واد زا/القصبة التاريخ وال المجال والتنمية، أعمال الندوة الوطنية 9-8 ماي 2007، نشر فريق البحث في الكتابة التاريخية وتقنيات الاعلام والتواصل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- وجدة، ص.ص من 159 إلى 168.
- الكنوني محمد (2008)، الوكالات الحضرية وتدبير ميدان التعمير-حالة الوكالة الحضرية للسلطات، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة في القانون العام، جامعة الحسن الأول، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية-سلطات، وحدة التكوين-تدبير الإدارة المحلية، 193 ص.
- اعمريو عبد اللطيف، الأنشطة الاقتصادية ودورها في التنمية بمدينة تاوريرت: الصناعة نموذجا، بحث مقدم لنيل شهادة الاجازة في الآداب والعلوم الإنسانية-شعبة الجغرافيا، جامعة محمد الأول، كلية الآداب والعلوم الإنسانية- وجدة، 99 ص،
- ظهير شريف رقم 1.92.31 صادر في 15 من ذي الحجة 1422 (17 يونيو 1992) بتنفيذ القانون 12.90 المتعلق بالتعمير
- القانون رقم 78.00 الصادر سنة 2002 والتعديلات الجديدة الواردة في القانون 17.08 الصادر سنة 2009
- المملكة المغربية، وزارة العدل، الميثاق الجماعي، إصدارات مركز الأبحاث والدراسات بمديرية الشؤون الجنائية والعفو، سلسلة نصوص قانونية، العدد 5، غشت 2011، ص 29
- قانون رقم 27.03 يقضي بتحويل المؤسسات الجهوية للتجهيز والبناء إلى شركات مساهمة تسمى "العمان"
- قرار لوزير التجهيز رقم 856-83 صادر في 25 من رمضان 1403 (7 يوليوز 1983) تحدد بموجبه اختصاصات وتنظيم المصالح الخارجية لوزارة التجهيز.
- قرار لوزير التجهيز رقم 856-83، الفصل الخامس.
- مونوغرافية بلدية تاوريرت 2021
- الموقع الرسمي لمجموعة العمran، تاريخ الاطلاع 18/11/2022

*دور التعاونيات الفلاحية في التنمية المحلية بالجهة الشرقية للمغرب:

إقليم تاوريرت نموذجاً

Agricultural cooperatives and their role in local development of the eastern Morocco: the Taourirt region is a model

- بندحو شهزاد، طالبة باحثة بسلك الدكتوراه، مختبر التواصل، التربية، الاستعمال الرقمي والإبداع، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة.
bendahou.chahrazad@gmail.com

- بلغيثي الحسن، أستاذ التعليم العالي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول وجدة.
Belrhitri2@yahoo.fr

الملخص

عرف المجتمع القروي المغربي تحولات عميقة مسّت بنياته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وفي هذا المقال سنحاول تبع مسار التعاونيات في الميدان الفلاحي بالوسط القروي المغربي بإقليم تاوريرت، والتي عرفت تطويراً ملحوظاً باعتبارها مقاولة اقتصادية واجتماعية. والتعرف على هذه التنظيمات وطريقة عملها وتوزيعها، والامكانيات التي توفر عليها، ثم العرائق والصعوبات التي تواجهها بالمنطقة، بهدف الخروج من وضعية الركود إلى وضعية التثمين واستثمار الموارد والمؤهلات التي توفر عليها هذه المجالات التربوية لتحقيق التنمية المستدامة بال المجال المدروس.

الكلمات المفتاحية: التعاونيات الفلاحية - إقليم تاوريرت - الموارد التربوية - تثمين - التنمية المحلية

Abstract:

The Moroccan rural society has undergone profound transformations that affected its economic, social and cultural structures. In this article, we tried to follow the path of cooperatives in the agricultural field in the Moroccan rural milieu of region the Taourirt, which witnessed a remarkable development as an economic, social.

And intending to identify these organizations and the way they are distributed, then their capabilities, then the problems and difficulties they face in the region to get out of the situation of stagnation to the position of valorization and invest the resources and qualifications that these soil areas have, in order to achieve in sustainable development in rural areas.

Keywords: Agricultural cooperatives -the region of the Taourirt -territorial resources - Valorization-Local development

مقدمة:

أطلق المغرب منذ سنوات مشروع الجهوية المتقدمة، والتي تروم إلى تحقيق نوع من الاستقلال الاقتصادي والإداري والحد من المركبة، ويقوم هذا المشروع أساساً على تعزيز قدرات الجهات الاقتصادية، وذلك بتوظيف مؤهلاتها وثرواتها، خاصة الفلاحية وما تزخر به من خبرات ومؤهلات، وقد تبنت وزارة الفلاحة مشروع التعاونيات، وشرعت في تعميمه على الجهات، وخاصة تلك التي تعاني من الفقر والهشاشة وقلة فرص العمل، وتقوم هذه التعاونيات بالأمسان على مساعدة وتحميم أبناء المنطقة عبء ومسؤولية الهوض بمنطقتهم وتطويرها اقتصادياً.

ومن أجل ذلك تم إطلاق برنامج "المبادرة الوطنية للتنمية البشرية" وهو صندوق تمويلي يعمل على تمويل المشاريع وأفكار المشاريع المتوسطة والصغيرة للحد من الفقر والهشاشة الاقتصادية، ودعم المستفيدين لتحقيق مشاريعهم وإيجاد مورد قار و دائم للرزق. تقوم المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بتمويل اقتناء وشراء الأدوات الضرورية للعمل كالمعدات والآليات الفلاحية، وتوفير ورصد المبالغ المالية الضرورية لإعداد تكوينات للمنخرطين بهدف الحصول على يد عاملة مؤهلة. وعلى غرار باقي الأقاليم شكلت التعاونيات الفلاحية بإقليم تاوريرت أهمية كبيرة في الاقتصاد المحلي، نظراً للدور البالغ الذي تلعبه في هذا الصدد، وأيضاً لأهميتها العددية وتنوع مجالات تدخلها، فقد حظي هذا القطاع باهتمام جل المسؤولين والفاعلين التربويين بالمنطقة حيث استفادت التعاونيات الفلاحية من مشاريع تمويلية مهمة، وأيضاً تبني الإقليم بمجاله الحضري بمدينة تاوريرت إقامة وتنظيم المعرض الجهوي للصناعة التحويلية الفلاحية والذي سيقام بشكل سنوي، حيث عرف مشاركة 110 تعاونية فلاحية في دورته الثانية بتاريخ 14 إلى 19 يناير 2023 ، تحت شعار الصناعة التحويلية "تمتين للموارد المائية ونجاعة للاستثمار" ، والمهدى من هذه المبادرة الفلاحية هو التعريف ب المؤهلات الفلاحية للمنطقة، وكذا جلب وإيجاد أسواق للتعريف بمنتجات هذه التعاونيات وتسويقيها، وذلك لتجاوز الإكراهات والصعوبات التي تخلل مسارها المهني.

إشكالية الموضوع:

أمام الدينامية التي يعرفها القطاع التعاوني بإقليم تاوريرت منذ انطلاق مخطط المغرب الأخضر فقد واجهت هذه التنظيمات المهنية الناشئة عدة إكراهات في تمرين الموارد التربوية المتاحة بالإقليم.

وهذا ما يجعلنا نطرح مجموعة من الأسئلة حول الإشكالية المطروحة:

- كيف تتوزع التعاونيات الفلاحية داخل الإقليم؟
- ما هي طبيعة الأنشطة التي تقوم بها؟ وإلى أي حد يمكن أن تعتبر توفر المورد التربوي عامل مساهם بشكل كبير في تأسيس التعاونيات؟
- وكيف يمكن للتعاونيات الفلاحية أن تساهم في تمرين المنتجات المحلية أمام العارقين والصعوبات التي تواجهها وخاصة في مجال التسويق، وأن تساهم في تحقيق التنمية التربوية بالمجال المدروس؟

أهداف الدراسة:

بنحو شهرزاد، بلغيثري الحسن

دور التعاونيات الفلاحية في التنمية المحلية بالجهة الشرقية للمغرب:

إقليم تاوريرت نموذجاً

إن الهدف الأساسي لكل بحث علمي هو البحث عن إجابات للأسئلة المطروحة، وذلك باتباع قواعد وإجراءات علمية. وفي هذا الإطار تهدف هذه الدراسة إلى:

- التوعية بأهمية التعاونيات الفلاحية، وأن الإمكانيات من الموارد الترابية المتاحة بالمجال هي التي تساهم في خلق وتوزيع هذه التنظيمات.
- مساحتها في تثمين الموارد الترابية بالمجال المدروس، والدور الاقتصادي والاجتماعي المنوط بها لتحقيق التنمية الترابية.
- حصر مختلف الصعوبات والعراقيل التي تواجه هذه التنظيمات، لحلها مستقبلا.

المنهجية المتبعة:

تكمن وظيفة أي بحث أو أي دراسة في كونها عملية منظمة ودقيقة قصد الكشف عن الحقائق المتعلقة بالظاهرة المعالجة، بحكم أنها مشكلة تحتاج إلى دراسة ومتابعة. كما أن هناك منهجان في الدراسة الجغرافية وهما المنهج الوصفي والمنهج الكمي، وأكثر الدراسات التطبيقية التحليلية تمثل إلى المنهج الكمي لأنه أدق من لغة الكلام لاعتماده لغة الأرقام.

سيؤدي المنهج المتبوع حتماً إلى الكشف عن حقيقة وفق قواعد عامة تهيمن على سير العقل حتى تجعله يصل إلى النتيجة المطلوبة، بمعنى أن المنهج هو الخطة أو التصميم الذي يسير فيه الباحث في محاولته لحل المشكلة.

لذلك يمكن تقسيم العمل إلى ما يلي:

***العمل البيبليوغرافي:**

للإحاطة بموضوع البحث، يشكل العمل البيبليوغرافي مرحلة أساسية من مراحل إنجاز هذا العمل، إذ ركزنا خلال هذه المرحلة على مجموعة من الكتب والمقالات المتعلقة بالتعاونيات الفلاحية.

***المنهج الوصفي:**

وذلك من خلال تتبع ووصف أساليب وأشكال اشتغال بعض الفاعلين التربين ودراسة العلاقة بين مختلف المتغيرات التي ساهمت في معالجة الإشكالية المطروحة.

***المنهج الكمي التحليلي:**

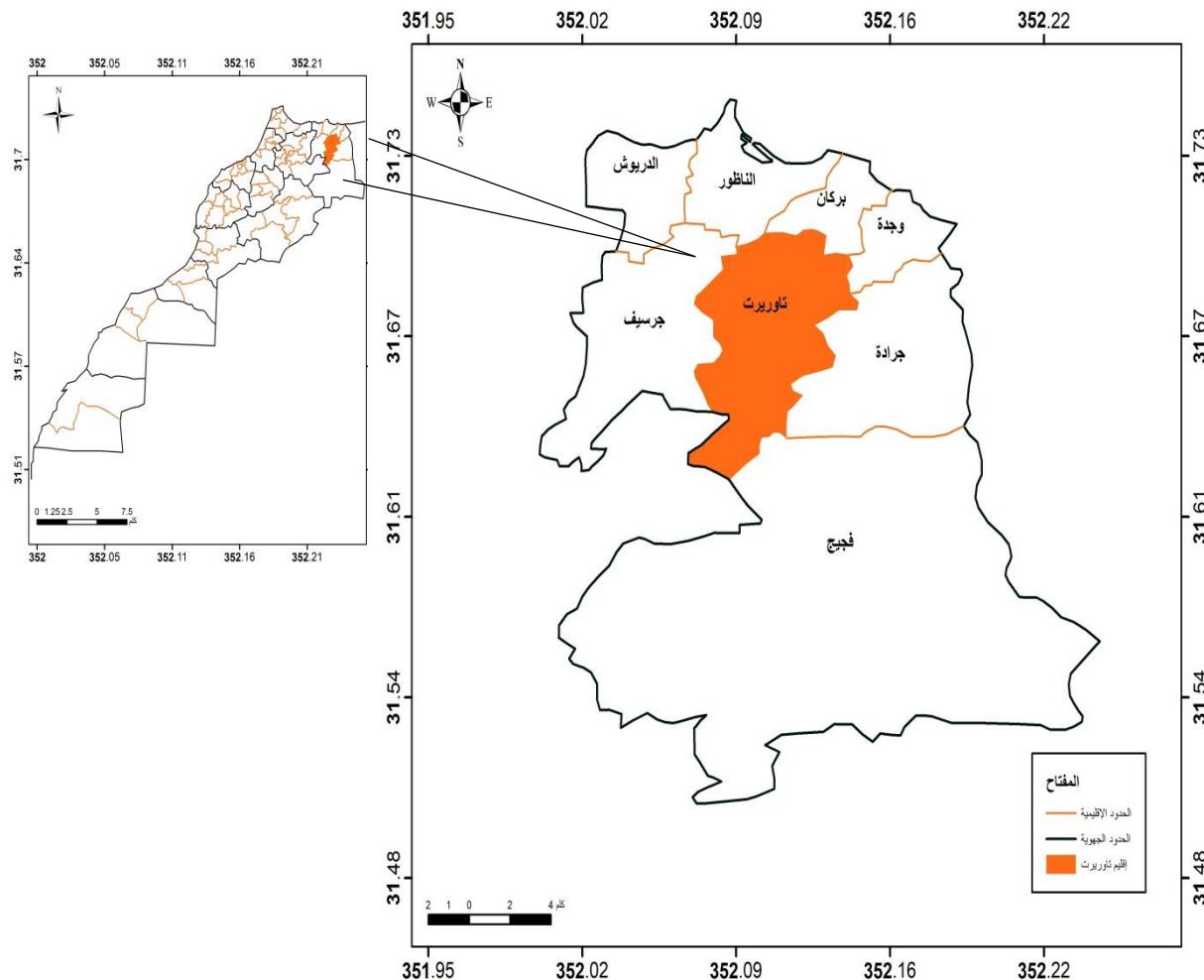
من خلاله تم تحديد إشكالية هذه الدراسة، وجمع البيانات والمعلومات عنها، وعلى إثر ذلك تم طرح تساؤلات وتقديم فرضيات تمثل تخمينات كحلول للإشكالية، ثم أجراء التحليلات، واختبار الفرضيات للتتأكد من صحتها أو العكس.

توطين مجال الدراسة:

إقليم تاوريرت هو أحد أقاليم جهة الشرق يحده غرباً إقليم جرسيف وشرقاً عمالة وجدة أنجاد وإنجاد وإقليم جرادة، ومن الشمال إقليما الناظور وبركان وجنوباً إقليم فكيك وبولمان.

يمتد الإقليم على مساحة تقدر بـ 8541 كم²، تستحوذ منها 11 جماعة قروية على مساحات شاسعة بينما لا تحظى الحواضر الثلاث إلا بمساحة صغيرة.²³⁰

الخرائط رقم 1: توطين مجال الدراسة "إقليم تاوريرت".



المصدر: عمل شخصي اعتماداً على معطيات التقسيم الإداري للجماعات الترابية -المندوبيية السامية للتخطيط- سنة 2015

المحور الأول: الفلاحة التضامنية بإقليم تاوريرت

1- الفلاحة التضامنية: (التعريف)

الفلاحة التضامنية هي مجموع الأنشطة الفلاحية التقليدية التي تدر مداخيل على أصحاب الأراضي خصوصاً المتوسطة والصغرى، ويتم تجميعها في إطار تنظيمات مهنية يكون الهدف منها تثمين المنتوجات المجالية والرفع من قيمتها التسويقية لضمان مداخيل إضافية لهذه الأسر وتحسين مستوى عيشها، ذلك أن اختيار شعار الفلاحة التضامنية هو نتاج طبيعي

²³⁰ - مونوغرافية إقليم تاوريرت.

لحزمة من المعطيات الموضوعية التي ترتكز عليها استراتيجية خاصة بتحقيق هضبة فلاحية تشكل ركيزة أساسية من ركائز النسيج الاقتصادي المغربي. وتهدف هذه الفلاحة إلى تجميع الفلاحين الصغار وتطوير وسائل إنتاجهم وتحسين دخلهم.²³¹

2- التنظيمات المهنية المحركة للفلاحة التضامنية:

تشكل التنظيمات المهنية دعامة أساسية لتطوير وإنجاح الفلاحة التضامنية، التي عرفت انتعاشًا كبيراً في السنوات الأخيرة، تجلّى في تزايد عددها إلى جانب تنوع مجالاتها المنصبة أساساً حول تثمين الموارد المحلية عبر تعينة جل الفاعلين وتشجيعهم على تبني طرق استغلال معقلنة تستجيب للتحديات المطروحة بالمنطقة.

✓ تعريف التعاونيات الفلاحية:

التعاونيات الفلاحية هي شكل من أشكال الاقتصاد التضامني الفاعلة بالمنطقة، وهي تؤمن العديد من فرص العمل، وتساهم في الحد من الفقر والهشاشة، كما تدعم العديد من الغايات الإنمائية سواء من حيث عدد مناصب الشغل التي تخلقها، أو من حيث مشاركتها في التنمية الاقتصادية والاجتماعي²³².

وقد عرفت التعاونيات الفلاحية بإقليم تاوريرت تطوراً ملحوظاً منذ انطلاق المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، مستفيدة من التقاليد المتجددة في المجتمع المغربي القائمة على التعاون والتضامن، و تستقطب هذه التعاونيات الفتاة الأكثر هشاشة كالنساء، وأيضاً أصحاب الدخل المحدود، وتشمل أنشطتها مجالات متعددة، فإلى جانب التخصصات التقليدية الفلاحية، أصبحت هذه التنظيمات تقتصر على مجالات جديدة، وتجه إلى ميادين ذات ميزة تنافسية في السوق كالأعشاب الطبية، والزيوت والأعشاب.

3- المشاريع الفلاحية بالمنطقة الترابية بإقليم تاوريرت:

تهدف العديد من التعاونيات في مناطق مختلفة من الإقليم، إلى تحقيق مشروع الوحدة والاندماج عن طريق جمع التعاونيات التي تنشط في منطقة معينة، لتحقيق وحدة انتاجية واقتصادية متكاملة، وتوحيد الجهود والموارد، وتحقيق دورة انتاجية واقتصادية متكاملة، تعود بالنفع المادي والتنموي على المنطقة، وتساهم في ازدهارها وتطورها.

وبحسب معطيات للمديرية الجهوية للفلاحة لجهة الشرق، فإن ثلاثة برامج طموحة (2010-2017 و 2018 و 2019 و 2020) تشمل مشاريع فلاحية مختلفة ذات وقع سوسيو - اقتصادي هام، توجد قيد الإنجاز وأخرى انجزت في العديد من جماعات إقليم تاوريرت، والتي تهدف إلى تعزيز تنمية القطاع الفلاحي على صعيد الإقليم، وتندرج هذه المشاريع في إطار مخطط المغرب الأخضر، وتتوخى الهوض بالمؤهلات التي ترخر بها المنطقة وتحمي منتوجها الفلاحي وتحسين تنافسيتها.

²³¹- الصافي عادل، الخيوس بشري، نصیر جمال: الفلاحة التضامنية رافعة أساسية للتنمية الترابية بجماعة اسجن، ندوة وطنية في موضوع "آية تنمية ترابية في أفق بلورة النموذج التنموي الجديد بالمغرب؟ مؤلف جماعي" الموارد الترابية والبنيات الاجتماعية والتنمية المحلية بالمغرب، منشورات مختبر الترباب والتاريخ، مطبعة شركة سوركوب، فاس، ص 146. (2020).

²³²- زكاغ بشري: تحديات وآفاق الاقتصاد التضامني بالجهة الشرقية في ظل مقاربة النوع الاجتماعي، مؤلف جماعي "الاقتصاد الاجتماعي والتضامني ورهانات التنمية العادلة". إصدارات مركز تكامل الدراسات والأبحاث، مطبعة قرطبة أكادير، ص 117. (2020).

جدول رقم 1: البرامج والأفاق المستقبلية للفلاحة بإقليم تاوريرت

المشاريع المستقبلية	المشاريع المنجزة
<p>- مستقبلاً تعينه مبلغ يفوق 13 مليار درهم لعصرنة وتعزيز القطاع الفلاحي، خاصة تسويق وثمين المنتجات الفلاحية من خلال اتفاقيتين:</p> <p>- تهدف الاتفاقية الأولى، الموقعة بين الوزارة الوصبة، وعمالة إقليم تاوريرت، ومؤسسة التعاون بين الجماعات "التعاون للمستقبل"، دعم قطاع تربية المواشي وعصرنته والهبوط به وفق مقاربة متدرجة، وتحسين شروط النظافة والظروف الصحية للذبح بهدف الحفاظ على جودة المنتج، وكذا تثمين منتوج اللحوم الحمراء وتسويقه إقليمياً وجهوياً وطنياً، ودولياً، بالإضافة إلى تحسين دخل المربين، وخلق فرص شغل، واحترام المعايير البيئية.</p>	<p>الفترة 2010 – 2017: الهيئة الهيدروفلاحية لسهل تافرطة ومشاريع استصلاح دوائر السقي الصغير والمتوسط ونقط الماء (65 مليون درهم)، علاوة على هيئة المسالك الفروية (30 مليون درهم).</p> <p>أما البرنامج المتعلق بسنة 2018 : (غرس 1600 هكتار من الأشجار المثمرة وتمثيل 2 نقاط للماء)، واستكمال مشروع الهيئة الهيدروفلاحية لسهل تافرطة (الربط بشبكة الكهرباء) وتنفيذ الشطر الثاني من برنامج تنمية المراعي.</p>
<p>- وتعلق اتفاقية إطار الشراكة الثانية، الموقعة بين الوزارة الوصبة، وزاري الداخلية والصناعة والتجارة، وولاية جهة الشرق، ومجلس الجهة، والوكالة الجهوية لتنفيذ المشاريع لجهة الشرق، بإنجاز مشاريع تأهيل وعصرنة وإعادة بناء أسواق أسبوعية لإنعاش المنتجات المحلية بجماعات الجهة الشرقية ومنها جماعات إقليم تاوريرت.</p>	<p>- 2019 – (2020): غرس 4000 هكتار من أشجار اللوز و400 هكتار من أشجار الزيتون، وإحداث 21 نقطه ماء، وغرس 1000 هكتار من الشجيرات العلفية. وتنطوي هذه المشاريع 83 مليون درهم.</p> <p>- استصلاح دوائر الري الصغير والمتوسط (33,5 مليون درهم)</p> <p>- إنشاء وحدة مختصة في تبريد وتحميض الخضر والفواكه الموجهة للتصدير، التي تم إنجازها باستثمار بقيمة 93 مليون درهم. إضافة إلى عصرنة قنوات التوزيع عبر إحداث سوق للماشية وتأهيل الأسواق الأسبوعية.</p> <p>- تنمية الزراعة السكرية بسهل تافرطة فرصة لثمين المنتجات الزراعية وتحسين الظروف السوسية الاقتصادية بالمنطقة.</p>

المصدر: المديرية الإقليمية للفلاحة بتاوريرت - سنة 2023 -

المحور الثاني: الدور التنموي للتعاونيات الفلاحية وانعكاس ذلك اجتماعياً واقتصادياً على الساكنة المحلية

عرف إقليم تاوريرت بروز نظام اقتصادي واجتماعي جديد، حيث لعب الفاعلون التربويون دوراً مهماً في هذه التحولات وخاصة التعاونيات الفلاحية، التي سعت إلى اتخاذ عدة إجراءات لثمين وتسويق الموارد التربوية للمساهمة في تحقيق التنمية المستدامة، ومنه تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية.²³³

1 - نماذج من التعاونيات الفلاحية بالمنطقة:

²³³ - أبو دار مصطفى: أي دور للفاعل التربوي بالمناطق الجبلية في تحقيق التنمية المستدامة؟ "حالة الجماعات التربوية بحوض أوريكة" مؤلف جماعي "الحوز: الهوية والترب والفاعلون"، إصدارات مركز تكامل الدراسات والأبحاث، مطبعة قرطبة أكادير، ص 180. (2022)

تنشط التعاونيات الفلاحية بسائر المجال الترابي للإقليم، وفي كل المجالات تقريباً، وتعتبر النساء ركيزتها الأساسية، وفي بعض التعاونيات تتولى المرأة إدارة وتسهيل أعمالها وتسويق منتجاتها وإيجاد الممولين لمشاريعها، وتترفع هذه التعاونيات شعار "تنمية وتحمين الثروة المحلية وجعلها قابلة للتسويق". حيث تعمل كل جماعة على التركيز على مواردها الطبيعية من قبيل:

1.1- تعاونيات زيت الزيتون والمراعي:

غرس أشجار الزيتون والاستفادة من ثمارها إما بالتعليق أو التسويق، وإما بالعصر واستخلاص الزيوت، هي كذلك من الأنشطة المنتشرة بين التعاونيات خاصة في المناطق التي تعرف انتشاراً واسعاً لشجرة الزيتون، وتميز بعض التعاونيات باعتمادها على الوسائل الآمنة في الزراعة والجني وتحتاجها بجودة عالية لخلو منتجاتها من المبيدات والأسمدة الكيماوية.

من أهم نماذج هذه التعاونيات بالإقليم: تعاونية أحلاف تأسست سنة 2012 وهي عبارة عن تنظيم يضم مجموعة من التعاونيات لزيت الزيتون.

أما تعاونيات المراعي تهتم بغرس الشجيرات العلفية، والمدة الازمة لاستغلال هذا النوع من الأراضي تزيد عن السنتين، وبالضبط يتم اللجوء إليها فقط في فترات الجفاف حيث تقل المراعي الطبيعية.

الجدول رقم 2: بعض تعاونيات المراعي بإقليم تاوريرت

طبيعة النشاط	التعاونية	الجماعة القروية
غرس الشجيرات العلفية	سيدي لخضر	ملق الويدان
غرس الشجيرات العلفية	الكارا	واد زا
غرس الشجيرات العلفية	مبرك الإبل	القطيطير

المصدر: مكتب الاستثمار الفلاحي مليوة-تقسيمة تاوريرت- سنة 2022

2.1- تربية الأرانب والدواجن:

تربية الأرانب والدواجن من بين أكثر المشاريع التي تنشط فيها التعاونيات، حيث تعود عليها بفوائد مادية، خصوصاً بسبب الطلب المتزايد على هذه اللحوم على الصعيد الوطني.

3.1- تربية النحل:

بندو شهرزاد، بلغيثي الحسن

دور التعاونيات الفلاحية في التنمية المحلية بالجهة الشرقية للمغرب:

إقليم تاوريرت نموذجاً

تعمل التعاونيات على تربية خلايا النحل في المناطق التي تنتشر فيها الأعشاب الطبية وفي المناطق الجبلية، لإنتاج عسل عالي الجودة وله خصائص غذائية وصحية عالية جداً، وتنتشر تربية النحل في المناطق التي لا توجد فيها فلاحة عصرية (كون الفلاحة التي تستخدم المبيدات تقضي على النحل). من هذه التعاونيات: صدر سليلي، فاندين، بوقدو.

4.1- تربية المواشي:

تربية المواشي من النشاطات التي تقوم بها التعاونيات لتغطية الطلب المتزايد على اللحوم، وتعمل التعاونيات مع خبراء الفلاحين على تطوير نسل قطاع الماشية، وتحسين نوعية السلالات عن طريق التلقيح والتخصيب بالمزاوجة بين الأنواع، واستيراد سلالات جيدة.

5.1- تربية الأبقار وجمع وإنتاج الحليب ومشتقاته:

تعتبر تعاونيات تربية الأبقار من التعاونيات الرائدة جداً، حيث تستثمر في اللحوم والألبان ومشتقاته، وتبيع منتجاتها عالية الجودة والخالية من أي مواد صناعية بأثمان ممتازة جداً للوحدات الانتاجية الكبرى، ويعتبر إنتاج الحليب وتسيقه من بين الأنشطة التي يهتم بها سكان المنطقة نظراً لعدة عوامل مشجعة، أهمها وجود مراعي على ضفاف وادزا. ويتم تسويق الحليب بتجميعه بمراكز مخصص لذلك بظروف مناسبة لهذه العملية تابع لشركة كوليمو الموجود بالجماعة القروية ملقى الودان. ومن ناحية أخرى فمدينة تاوريرت تضم وحدة لإنتاج الحليب ومشتقاته "روعة"، والتي تسهل عملية جمع الحليب على تعاونيات فلاحية أخرى بأقل تكلفة.

الجدول رقم 3: بعض تعاونيات تجميع الحليب بالمجال الترابي لإقليم تاوريرت

الجامعة القروية	التعاونية	طبيعة النشاط	عدد المنخرطين
مستكمار	السعادة	الحليب	71
مستكمار	النصر	الحليب	52
وادزا	النهضة	الحليب	42
وادزا	الأصالة	الحليب	31
ملقى الودان	السلام	الحليب	29
ملقى الودان	الشروق	الحليب	30
ملقى الودان	بوادة	الحليب	41
القطيطير	رياحة	الحليب	28
القطيطير	ولاد سليمان	الحليب	35
القطيطير	الكرامة	الحليب	66
القطيطير	ولاد التلاغ	الحليب	-

المصدر: مركز الاستثمار الفلاحي ملويه - تقسيمة تاوريرت - سنة 2022

6.1- جمع الأعشاب الطبية والعطرية:

بنحو شهرزاد، بلغيثري الحسن

دور التعاونيات الفلاحية في التنمية المحلية بالجهة الشرقية للمغرب:

ويتم بيعها للمختبرات الطبية وصيدليات التجميل، تحتاج هذه العملية لتكوين خاص تضطلع به الجهات المخولة بالتكوين، كما تعمل تعاونية جمع الأعشاب على عقد شراكات مع الجهات التي تستورد هذا المنتوج، خاصة من دول أوروبا واليابان لتكوين الأهالي وتدريبهم على الطرق والأساليب العصرية الصحيحة في الجني، بالإضافة إلى تمويلهم للدورات التكوينية والتدريبية فيما يخص جمع وجني وحفظ هذه الأعشاب بطريقة سلية وآمنة ومضمونة.

شكل موضوع تثمين النباتات العطرية والطبية وخاصة نبتة الأزير، محور المؤتمر العلمي الدولي الثالث حول "الأزير: التثمين والتنمية المستدامة" الذي نظم يومي 22 و 23 أكتوبر 2022 بمدينة تاوريرت من طرف مختبر الكيمياء الجزيئية، المواد والبيئة (LCM2E) التابع للكلية المتعددة التخصصات بالناظور بتعاون مع جمعية "أزير" للتنمية المستدامة - تاوريرت، ويهدف المؤتمر إلى جعل النباتات العطرية والطبية وخاصة نبتة الأزير، والذي يعد مورداً للمواد الأولية، قطاعاً مصنعاً يمنح منتجات جيدة ذات قيمة مضافة عالية.

وقد أبرز المشاركون أن نبتة الأزير، والتي تعتبر مصدراً مدرراً للدخل بالنسبة للساكنة المحلية، يتم استعمالها على نطاق واسع في مجالات الصحة ومستحضرات التجميل والصناعة الغذائية، مضيفين أن هذا النبات، الذي ينمو بوفرة في جهة الشرق وخاصة بإقليم تاوريرت الذي يتتوفر على مساحة تقدر بـ 150 ألف هكتار من مجموع 500 ألف هكتار بالجهة الشرقية، يتميز بgunaه من حيث احتواه لجزيئات حيوية نشطة وذات قيمة نوعية.

2- الانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية للتعاونيات الفلاحية على المجال المحلي:

لهذه للمشاريع الفلاحية المندمجة انعكاسات اجتماعية واقتصادية على الساكنة المحلية والتنمية الترابية بالمجال المدروس لا بد من تقييمها وتحليلها.

2.1- الآثار الاجتماعية للتعاونيات الفلاحية:

تعتبر التعاونيات الفلاحية مؤسسات اجتماعية تضامنية، تسعى إلى تحسين الوضع الاجتماعي للأعضاء وظروفهم المعيشية وتحقيق المستوى الاجتماعي اللائق للأعضاء وأسرهم، ومن خلال ذلك تقوية القدرة الشرائية للفرد والحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي وذلك يتمثل في:

- إدماج صغار المنتجين في عجلة الانتاج وإحداث وحدات مهيكلة، حيث عرف عدد المنخرطين تطوراً مهماً وتفسر هذه الدينامية بالخدمات المهمة التي تقدمها هذه التنظيمات للمنخرطين، والتي تشكل إطاراً مهيكلًا يحمي حقوق منخرطيه تجارياً وقانونياً ويقوى إمكانياتهم التنافسية.

- تمكّن هذه المبادرات المنخرطين من التخلص النسبي من مشاق قطع مسافات طويلة يومياً لبيع منتجهم، فمثلاً بفضل إحداث مراكز لتجمیع الحليب مزودة بمعدات التبريد، أصبح الزبائن ينتقلون وبشكل منتظم إلى مقر التعاونية القريبة من محل سكناهم لنقل منتجاتهم، وبالتالي ربح الوقت واقتصراد الطاقات وتسخيرها في القيام بمهام إضافية.

- قيام مجموعة من التعاونيات الخاصة بزيت الزيتون بعدد اتفاقيات مع الفلاحين لاقتناء المحصول مباشرة من الأشجار وهم يتتكلفون بعملية المراقبة والجني وجميع العمليات المرتبطة بذلك.

- تسمح التعاونية بشراء المواد التموينية بأسعار منخفضة نسبياً اعتباراً لأهمية الكميات المطلوبة.

- تتمكن التعاونيات بفضل إبرام اتفاقيات شراكة بينها وبين زبنائها من اقتناء المعدات الفلاحية أو الشتلات المنخرط فيها على أساس أن يمول الزبناء في صيغة قروض عملية الاقتناء ويتم تسديده مستحقاتهم في شكل اقتطاعات دورية وبناء على جدول زمني متفق بشأنه، وبالتالي يمول المنخرطون من خلال العائدات المحققة من المبيعات الإضافية.

2.2- المساهمة الاقتصادية للتعاونيات بالمجال المدروس:

تعتبر التعاونيات أداة لتحقيق التنمية الترابية المستدامة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي، حيث فتح الأسلوب التعاوني آفاقاً جديدة لإحداث مشاريع اقتصادية واجتماعية، تساهم بصورة فعالة في محاربة البطالة والفقر وإدماج صغار المنتجين في السوق. ومن هذا المنطلق عرفت التعاونيات بالمنطقة تطوراً ملحوظاً، سواء من ناحية الكم أو الكيف، ومساهمة التعاونيات اقتصادياً من خلال الأهداف التي ترمي إليها والواردة في النصوص القانونية المنظمة لها:

- تحسين الوضعية الاقتصادية لأعضائها بتخفيض ثمن التكالفة، وكذا أثمنة بيع بعض المنتجات والخدمات.

- تحسين جودة المنتجات التي تقدمها إلى أعضائها أو ينتجهما هؤلاء لبيعها للمستهلكين.

- تنمية إنتاج أعضائها ورفع قيمته إلى أقصى حد بالمشاركة في معارض جهوية ووطنية للتعرف بالمنتوجات والافتتاح أكثر على باقي التعاونيات الأخرى خاصة فيما يتعلق بمنتوجات الزيتون والعسل والزيوت الطبيعية.

- تعتبر عملية مراقبة جودة المنتوجات الفلاحية من أهم العمليات لضمان حسن التسويق.

فالتعاونيات واحدة من الدعامات الأساسية للاقتصاد الاجتماعي والتضامني الذي ساهم في محاربة الفقر والهشاشة الاجتماعية وتحقيق التنمية الترابية المتدرجة والحد من التفاوتات المجالية لذلك فالعمل ضمن هذه التنظيمات يسهل تنزيل المشاريع التنموية على أرض الواقع والتي تتعكس إيجاباً على وضعية الساكنة المحلية عبر الرفع من دخلها وتحسين مستوى عيشها، والاهتمام بالعنصر النسوی والذي كان حاضراً وبقوة ضمن أنشطة التعاونيات الفلاحية بالإقليم، مما يعكس بوضوح الدينامية الاجتماعية التي تعرفها المنطقة.

المحور الثالث: مشاكل وأكراهات في عرقلة المسار التنموي للتعاونيات الفلاحية بالإقليم

1 - المشاكل والإكراهات التي تواجه التعاونيات الفلاحية بالإقليم:

عرف المسار التنموي للتعاونيات الفلاحية تحديات مختلفة باختلاف أسبابها، مما أدى إلى مواجهة مجموعة من الصعوبات في تنزيل مشاريعها كاملة على أرض الواقع.

الجدول رقم 4: أبرز المشاكل والإكراهات التي تواجه التعاونيات الفلاحية بالإقليم

التعاونية الفلاحية	طبيعة المشاكل
تعاونيات إنتاج وتسويق زيت الزيتون	- وجود عراقيل في عملية التسويق ومشاكل في عملية الشحن والتخزين. - المنافسة من طرف بعض أصحاب المعاصر المخلين بالجودة وتلوث البيئة. - قلة الوعي بالدور التنموي للتعاونيات.
تعاونيات جمع وتسويق الحليب	- التسويق والمنافسة. - ارتفاع تكلفة إنتاج الحليب أمام غياب الدعم المالي الكافي. - الجفاف، وارتفاع تكلفة العلف ونقص جودة المنتوجات.
تعاونيات تربية النحل	- ارتفاع تكلفة الإنتاج. - ضعف الامكانيات المادية والتقنية التي تتوفّر عليها التعاونيات. - الجفاف مما يستدعي نقل صناديق النحل إلى أماكن لأخرى توفير مرجع مناسبة. - نقص أطر مختصة ل القيام بالتسويق، وضعف التأطير من طرف المسؤولين.

المصدر: المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ملوي - تقسيمة تاوريرت-

2- اجراءات تثمين وتسويق الموارد الترابية لتجاوز الصعوبات والتحديات المطروحة بالإقليم:

سعت كل من التعاونيات الفلاحية والمسؤولين بالمنطقة إلى اتخاذ عدة اجراءات لتثمين وتسويق الموارد الترابية، والمساهمة في تحقيق التنمية، ومنه تحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية للساكنة وذلك من خلال:

- توعية الفلاحين بضرورة الانخراط في إطار التعاونيات قصد الاهتمام أكثر بالطرق العصرية لإنتاج زيت الزيتون.
- مساعدة برنامج تهيئة وعصربنة الأسواق في تحسين ظروف العرض والاشتغال بالنسبة للتجار والحرفيين ورواد الأسواق، وتحقيق المنتجات المحلية، ودعم الاقتصاد الاجتماعي، بالإضافة إلى تشجيع ودعم المشاريع المحدثة لمناصب الشغل المباشرة وغير المباشرة.

- تنفيذ برنامج التخفيف من آثار قلة التساقطات المطرية بالإقليم، الذي يشمل توزيع أكثر من 186 ألف قنطار من الشعير المدعّم لفائدة المربين، وتوزيع الأعلاف المركبة لفائدة منتجي الحليب.

- تقديم التكوين المهني الفلاحي، على مستوى جهة الشرق، عرضاً تكوينياً متعدداً ومساعياً لتوسيع الاستراتيجية الفلاحية، حيث يمكن من تغطية احتياجات مختلف المهن الفلاحية، وذلك في أربعة مجالات أساسية، تهم تربية الماشي، والإنتاج النباتي، والري بالطرق المساهمة في ترشيد الماء، والتدبير.

ومن بين الآفاق الأساسية لتنمية التكوين المهني الفلاحي، الرفع من الطاقة الاستيعابية لمؤسسات التكوين المهني الفلاحي، وتنويع شعب التكوين، ورقمنة التكوين المهني الفلاحي، وإحداث حاضنة على مستوى القطب الجهوي لتعزيز الإدماج الذاتي وريادة الأعمال لدى الشباب؛ حيث سيتم في هذا الصدد، تكوين 10آلاف خريج في أفق 2030 من طرف مختلف المؤسسات على مستوى الجهة.

إضافة للدعم المبرمج للفلاحين وأصحاب التعاونيات الفلاحية من طرف مركز الاستثمار الفلاحي ملوي، هناك جهات أخرى تقدم دعماً تكميلياً من قبيل المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ومجلس الجهة، وذلك لكل جماعة حسب الهشاشة ووضعها الاجتماعي والاقتصادي، لأن الاهتمام بهذه التنظيمات ودعمها، واستغلال تنوع المؤهلات والموارد الترابية

للمنطقة، كفيل بتحسين الظروف المعيشية والمنشى قدما لتحقيق التنمية المحلية رغم كل العوائق والصعوبات، ويبقى توزيع التعاونيات في الإقليم رهين بمدى توفر الموارد الطبيعية المساهم الأكبر في خلق هذه التنظيمات.

خاتمة

إن العنصر البشري أساس كل تنمية فمه تنطلق وإليه تعود وهو يعد الأداة والوسيلة لتحقيقها، هم المنتجون والمستملكون لها وجب الاهتمام بالعنصر البشري، وإشراك السكان في التنمية وهو أمر ضروري لإنجاحها لكن إذا كان العنصر البشري غير مكون وليس لهوعي بمدى أهمية مفهوم التنمية، فكيف يعقل أن يتم إقصاء الساكنة من الإشراك وإبداء الرأي في تنمية منطقهم. لذا يجب تأهيلهم ليصبحوا فاعلين في التنمية وقدرين علىأخذ المبادرة وإعداد وانجاز المشاريع، وهذا لن يتم إلا بتبعة طاقاتهم الذاتية مما يستلزم إزاحة كل العوائق التي تقف أمام التنمية بتكوينهم عن طريق دورات في مختلف الميادين الفلاحية، وتحسين الخدمات المرتبطة بالأمور الاجتماعية والصحية لمختلف الدوائر التي تعاني الفقر والإقصاء، دون أن ننسى الدور الكبير الذي تلعبه المرأة القروية في الحياة اليومية من مسؤوليات، فالمرأة بالإقليم لا تزال تعاني من التهميش، ولهذا يتquin على المسؤولين والمسيرين للشأن المحلي الاهتمام أكثر بالمرأة القروية. وبتبعة السكان بالمعنى الحقيقي سيتحقق لا محالة النتائج الإيجابية في المقاربات الاستراتيجية للتنمية وهذا سيضمن الدعم المستدام للتنمية التي ينادي بها كل الأطراف.

على الرغم من المجهودات الكبيرة التي قامت بها الوزارة الوصية في إطار تأهيل الفاعلين التربويين، إلا أنه من الضروري بذل المزيد من الجهد للرفع من حجم الشراكات التي تربطها بهم لكي تنسجم تدخلات الفاعل المحلي مع التوجه التنموي العام، والتمكن من استغلال الفرص المتاحة لرسم خريطة تنمية مندمجة واضحة الأهداف.

لائحة المصادر والمراجع

- 1- بندحو شهرزاد: حوض واد زا والتحولات الهيدروفلاحية، بحث لنيل شهادة الماستر في التدبير المندمج للتنمية والترب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة. (2006)
- 2- حميش أيوب: دراسة المجالات الفلاحية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد "ممروجدة تاوريرت أنموذجاً" ، بحث لنيل شهادة الماستر في الجيوماتيكية وتدبير الترب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة. (2022)
- 3- عبد الحفيظ حميبي: "دينامية المراكز الحضرية ودورها في تنظيم المجال الريفي وآفاق التنمية التربوية بممر وجدة - تاوريرت" ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية وجدة. (2017)
- 4- أبو درار مصطفى: أي دور للفاعل التربوي بالمناطق الجبلية في تحقيق التنمية المستدامة؟ "حالة الجماعات التربوية بحوض أوريكة" مؤلف جماعي "الحوز: الهوية والترب والفاعلون" ، إصدارات مركز تكامل الدراسات والأبحاث، مطبعة قربة أكادير، ص 170 – 192. (2022)
- 5- الصافي عادل، الخيوس بشري، نصیر جمال: الفلاحة التضامنية رافعة أساسية للتنمية التربوية بجماعة اسجن، ندوة وطنية في موضوع "أية تنمية تربوية في أفق بلورة النموذج التنموي الجديد بالمغرب؟ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر

- مهراز، فاس. مؤلف جماعي "الموارد التربوية والبنيات الاجتماعية والتنمية المحلية بالمغرب"، منشورات مختبر التربة والترااث والتاريخ، مطبعة شركة سوبر كوبى، فاس، ص 143-153. (2020)
- 6- المكاوى حميد، الحريري أمينة: دور التعاونيات النسوية في تحقيق التنمية التربوية والحد من التفاوتات المجالية "حالة إقليم الجديدة" ، ندوة وطنية في موضوع "أية تنمية تربوية في أفق بلورة النموذج التنموي الجديد بالمغرب؟ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ظهر مهراز، فاس. مؤلف جماعي "الموارد التربوية والبنيات الاجتماعية والتنمية المحلية بالمغرب" ، منشورات مختبر التربة والترااث والتاريخ، مطبعة شركة سوبر كوبى، فاس، ص 217 - 230. (2020)
- 7- بليط يوسف، عبد النور صديق، عبد القادر التايري: العمل التعاوني كآلية لتنمية الإنتاج المحلي وتحقيق التجارة العادلة: حالة سلسلة إنتاج الزيتون بإقليم "جرسيف" المغرب الشرقي، مؤلف جماعي "الاقتصاد الاجتماعي والتضامني ورهانات التنمية العادلة" ، إصدارات مركز تكامل الدراسات والأبحاث، مطبعة قرطبة أكادير، ص 106-85. (2020)
- 8- محجوب عزيز: كفاءة التوزيع المجالي الفلاحي بتلال مقدمة الريف الشرقي بالمغرب، دراسة جغرافية باستخدام التحليل الاحصائي ونظم المعلومات الجغرافية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، كتاب جماعي "توظيف: نظم المعلومات الجغرافية والاستشعار عن بعد في الدراسات المجالية" ، إصدارات المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية والسياسية والاقتصادية، ألمانيا/برلين، ص 258-269. (2021)
- 9- زكاغ بشري: تحديات وآفاق الاقتصاد التضامني بالجهة الشرقية في ظل مقاربة النوع الاجتماعي، مؤلف جماعي "الاقتصاد الاجتماعي والتضامني ورهانات التنمية العادلة" ، إصدارات مركز تكامل الدراسات والأبحاث، مطبعة قرطبة أكادير، ص 107-126. (2020)

- 1- BELRHITRI El Hassane: Mutation socio-spatiales et leurs impacts sur les ressources territoriales le cas du couloir: Oujda-Taourirt (Maroc-Oriental) ، *Thèse de doctorat en Géographie humaine*, Faculté des Lettres et des Sciences humaines, Oujda. (2020)
- 2- AHROUCH Said : Analyse et Representation de la Performance Globale des Organisations de L'economie Sociale et Solidaire : cas des Cooperatives, Ouvrage collectif « Economie social et solidaire et les enjeux de développement équitable »، Centre TAKAMUL d'Etudes et de Recherches, imprimerie kortoba Agadi, p 14- 43. (2020)
- 3- AHROUCH Said, AFFAGHROU Wafa : La pratique de la coopération, une véritable dynamique de développement économique et social des entreprises de l'Economie Sociale et Solidaire : Cas de l'Union des Coopératives des Femmes d'Argane (UCFA), Ouvrage collectif « Economie social et solidaire et les enjeux de développement équitable »، Centre TAKAMUL d'Etudes et de Recherches, imprimerie kortoba Agadir, p 107- 124.(2020)
- 4- BENCHIBAN Houda: La contribution de l'économie sociale et solidaire dans le développement territorial « Cas des coopératives de la commune de Tahannaout »، Ouvrage collectif « Le Haouz : Identité, territoire et acteurs »، Centre TAKAMUL d'Etudes et de Recherches, imprimerie kortoba Agadir, p 218 - 234. (2022)
- 5- OULIDI JAWHARI Zineb : Le secteur coopératif : un tremplin d'inclusion socioéconomique des femmes au Maroc، Ouvrage collectif « Economie social et solidaire et

les enjeux de développement équitable », Centre TAKAMUL d'Etudes et de Recherches, imprimerie kortoba Agadir, p 125- 141.(2020)

المصالح والإدارات

- المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية للشرق

- المديرية الإقليمية للفلاحية بتاوريرت

- المكتب الجهوي للاستثمار الفلاحي ملوية- تقسيمة تاوريرت-

- مونوغرافية إقليم تاوريرت 2017

- عمالة إقليم تاوريرت.

الهجرة غير الشرعية من إفريقيا جنوب الصحراء وتعدد مظاهر الانحراف بمدينة وجدة

(دراسة ميدانية)

Illegal immigration from sub-Saharan Africa and the multiple manifestations of deviation in Oujda (Empirical Study)

عدنان زروالي. الكلية المتعددة التخصصات، الناظور

adnaneze@gmail.com

ملخص

شكلت الهجرة غير الشرعية من إفريقيا جنوب الصحراء، واحدة من القضايا والإشكالات التي أثارت النقاش في العلوم الاجتماعية، لما لها من وقع كبير على العديد من الأصعدة، والتي أصبحت الشغل الشاغل للباحثين من اختصاصات متعددة، كونها ظاهرة كونية وذات أبعاد كبيرة.

وقد شكلت الجهة الشرقية من المغرب، أحد أهم أقطاب المهاجرين غير الشرعيين القادمين من دول إفريقيا جنوب الصحراء، والتي انتقلت من مجرد منطقة للعبور إلى منطقة للاستقرار، بعد أن استعصى على هؤلاء المهاجرين الانتقال إلى الصفة الشمالية للبحر المتوسط. وقد تطلبت الإقامة بمدينة وجدة من هؤلاء المهاجرين، ممارسة العديد من الأنشطة، الشرعية منها وغير الشرعية، لتوفير مستلزمات العيش والادخار لتمويل المشروع الهجروي، الأمر الذي أفضى إلى بروز العديد من مظاهر الانحراف لدى هؤلاء النازحين.

شخصت هذه المقالة واقع هؤلاء النازحين الذين أصبحوا يشكلون عنصرا لا يُستهان به في الحياة اليومية للسكان وللدولة كذلك، كما اعتمدت هذه الدراسة على العمل الميداني (استماراة)، وهو ما مكّننا من التعرف عن قرب عن أوضاع المهاجرين وعن سلوكياتهم فيما يتعلق بتديير أمور حياتهم ومعيشتهم بمدينة وجدة. وبالإضافة إلى تقنية الملاحظة المباشرة بالبحث الميداني، تم استخدام بعض صور الأقمار الصناعية لرسم بعض الأشكال.

الكلمات المفاتيح: المهاجرون غير الشرعيين، الانحراف، المشروع الهجروي، سياسة الإدماج، وجدة.

Abstract

The illegal immigration from sub-Saharan Africa has been one of the issues and problemsthat have raised the debate in social sciences, because of itsgreatimpact on manylevels, and has become a preoccupation for researchers, from multiple disciplines, as itis a global phenomenonwith large and dangerous dimensions.

The easternregio of Moroccowas one of the most important poles of illegal immigrants from sub-Saharan Africa, whichmovedfrom a mere transit area to a settlement area, afterthese migrants founditdifficult to move to the northern part of the Mediterranean. Residing in Oujda requiredthese immigrants to practice manyactivities, bothlegal and illegal, to provide living and savingnecessities to finance the migration project, whichled to the emergence of many manifestations of deviationamongthesedisplaced people.

This article characterizes the reality of these displaced people, who have become a significant element in the daily life of the population and the state as well. Oujda. In addition to the field research direct observation technique, some satellite images were used to draw some shapes.

Keywords:illegal immigrants, delinquency, the migration project, integrationpolicy, Oujda

شكلت الهجرة بصفة عامة، والهجرة غير الشرعية بصفة خاصة، إحدى الإشكالات المطروحة بقوة على الساحة الدولية والتي استعصى على المجتمع الدولي حلها، بسبب عدم قدرته على التحكم فيها وضبطها. وكون هذه الظاهرة السكانية كونية، فقد عانى المغرب منها بسبب موقعه الجغرافي ومحاذااته للقارا الأوروبية المقصد الرئيسي للمهاجرين من القارة الإفريقية. وداخل المغرب، تعتبر جهة الشرق أكثر المجالات استقطاباً لمهاجري دول جنوب الصحراء، وهو ما جعل منها وجهة مفضلة ومقصداً رئيسيًا بسبب توافر عوامل الجدب التي تتنوع بين العوامل الطبيعية السهلة الاختراق عبر الصحراء الجزائرية، والعوامل الإستراتيجية كونها قريبة من مدينة مليلية البوابة الرئيسية لأوروبا. ويمكن إضافة العوامل السوسيوثقافية المتمثلة في قبول السكان المحليين للأجانب وقدرتهم على التعامل مع التنوع الثقافي والتعدد الإثني.

لكن تشديد الرقابة على القارة العجوز حال دون انتقال المهاجرين غير الشرعيين إليها، وهو ما فرض عليهم الاستقرار بمدينة وجدة التي تحولت من نقطة عبور إلى نقطة استقرار إلى وقت غير معلوم. لقد دفعت الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للمهاجرين غير القانونيين، حتى الذين تمكنا من تسوية وضعهم الإدارية كذلك، إلى البحث عن مختلف السبل الكفيلة بضمان عيشهم واستقرارهم، ومن ثم ظهور مجموعة من مظاهر الانحراف والانحلال لدى المهاجرين الوافدين. وفي نفس الوقت، ظلت نفوس المهاجرين متعلقة بحلم الانتقال إلى الضفة الشمالية للبحر المتوسط، من خلال مراوغة مراقبى الحدود وتخفي الأسلاك الشائكة في شكل هجرة جماعية، كما حدث ذلك خلال شهر يونيو من السنة الحالية (هجمات العبور الجماعية)*.

لقد أثار هذا الوضع اهتمامنا وفضولنا لدراسة إشكالية صور السلوكيات اليومية للمهاجرين وتعدد مظاهر الانحراف التي لجأ إليها المهاجرون غير الشرعيين، لتدبير أوضاعهم. ولم نكن لنتوصل إلى فهم العديد من القضايا إلا من خلال المعاينة الميدانية ولقاءات المباشرة مع المهاجرين والتي مكنتنا من تجميع كم هائل من المعطيات والتي لم يكن المقال قادرًا على احتضانها بسبب غزارتها. كما اعتمدت هذه الدراسة على الملاحظة المباشرة، من خلال معيشة المهاجرين واكتساب صداقتهم الشيء الذي سهل لنا عملية التواصل معهم. ومهما يكن، فالعمل الميداني أكسب هذا البحث فاعليته وأصالته، سيما وأننا اعتمدنا في تحليل المعطيات على برنامج SPSS الذي مكنتنا من القيام ببعض التقاطعات للبحث عن العلاقات التبادلية.

ركزت هذه الدراسة على ثلاثة مراحل أساسية: مرحلة ما قبل الهجرة لرصد الأوضاع السوسيواقتصادية للمهاجرين، ومن ثم التعرف على العوامل الطاردة لهم، وعلى الخاصيات الديموغرافية لهم. وفي مرحلة ثانية تم تحليل ووصف ظروف الرحلة الطويلة من بلدتهم الأصلي إلى بلد المقصد (وجدة) للوقوف على المعاناة التي تعرضوا لها. وفي مرحلة

*- حاول مئات المهاجرين من إفريقيا جنوب الصحراء، يوم الجمعة 24 يونيو، عبور الحدود بين المغرب وإسبانيا في اتجاه مليلية. ولقي ما لا يقل عن 23 منهم مصرعهم في اشتباكات مع الشرطة. تراوح عدد المهاجرين بين 1500 و2000 مهاجر، معظمهم من السودان وجنوب السودان، والذين كانوا مسلحون بالحجارة والعصى، وعلى استعداد للدفاع عن أنفسهم ضد السلطات الإسبانية والمغربية التي استقبلتهم بالعصى والغاز المسيل للدموع، مما تسبب في تصادمهم في منطقة ضيقة وسوقتهم من السياج الحدودي.

ثالثة تمت معالجة تدبير المهاجرين لأوضاعهم المعيشية من خلال انتهاج سلوكيات عديدة تمكّنهم من ضمان قوتهم المعيشية وعدم العودة إلى البلد الأصلي.

1. اندلاع ظاهرة الهجرة السرية من دول إفريقيا جنوب الصحراء رغم من كل الإكراهات

عانت دول إفريقيا جنوب الصحراء من عدة إكراهات طبيعية وسياسية واجتماعية، الشيء الذي فرض على مجموعة من المهاجرين البحث عن مجالات أفضل تمكّنهم من تحقيق أحلامهم الاقتصادية والاجتماعية. وقد شملت الهجرة فئات متعددة من السكان الذين فضلوا الهجرة غير الشرعية على الرغم من كل الإكراهات والمتابعة التي يتطلّبها الانتقال إلى بلدان المهاجر.

1.1. الخصائص الديموغرافية للمهاجرين غير الشرعيين

من خلال تحليل المعطيات الميدانية، تبيّن لنا أن الهجرة غير الشرعية ليست انتقائية، حيث شملت مختلف الأعمار والمستويات الثقافية، كما يتبيّن لنا ذلك من خلال الجدول التالي:

جدول 1: التباين العمري والتعليمي لمهاجرى دول جنوب الصحراء

%	العدد	المستوى الدراسي	%	العدد	التفصيلى العمري
16.0	8	بدون	10.0	5	من 20 سنة
22.0	11	ابتدائي	54.0	27	بين 20 و30
30.0	15	إعدادي	32.0	16	بين 31 و40
24	12	ثانوي	4.0	2	بين 41 و50
8	4	جامعي	100	50	المجموع
100	50	المجموع			

المصدر: بحث ميداني شخصي، ستنبر 2022

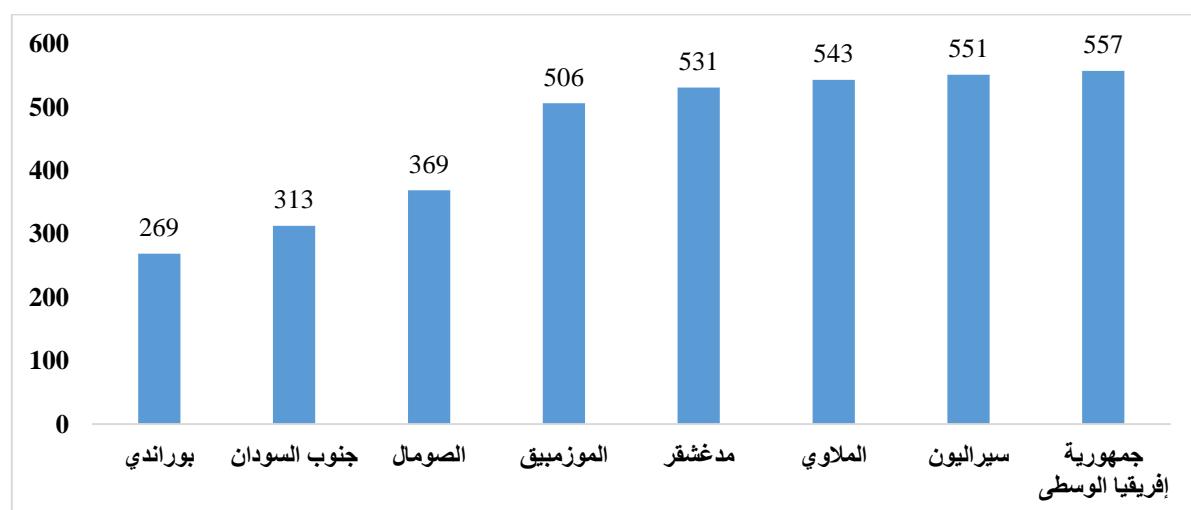
يتبيّن من خلال تحليل معطيات الجدول أعلاه، أن مختلف الأعمار شاركت في الهجرة دون أن تتعدي الخامسة سنة وذلك لأن الرحلة طويلة وشاقة. لذا، فأغلبية المهاجرين يتراوح سنهما بين 20 و40 سنة (86%) وهي الفئة القادرة على تحمل مشاق الصحراء وركوب أمواج البحر لتحقيق المشروع المهاجروي. يضاف إلى ذلك، أن هذه الفئة تتكون الأساسية من العازين والذين بلغت نسبتهم 66%. وكما هو الحال بالنسبة للعمر، فقد شملت الهجرة مستويات تعليمية واسعة، ولم تمس فقط الذين لم يتعلّموا أبداً والذين بلغت نسبتهم 16%， في الوقت الذي بلغت فيه نسبة الجامعيين 8% (جدول 1). وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على أن الشباب المتعلّم يكون أكثر طموحاً للتغيير وضعيته الاقتصادية والاجتماعية سيما وأنه يكون على اطلاع عن أوضاع الشباب الجيدة في البلدان التي تعيش الاستقرار كما هو حال القارة الأوروبيّة.

2.1. تعدد أسباب الهجرة بالنسبة لمهاجرى دول إفريقيا جنوب الصحراء

ساهم تردي الأوضاع الاقتصادية والأمنية والاضطرابات السياسية، في تعزيز منظومة الهجرة وديناميّتها، في ظل التهديدات المتعلقة بـهشاشة سبل العيش وغياب الأمن الاقتصادي والأزمات السياسية والتزاولات المحليّة وعدم الاستقرار السياسي. وترتبط هذه الهجرات الدائمة بعوامل متعددة، منها ما هو مرتبط بالأحوال المعيشية وارتفاع الهشاشة الاجتماعيّة والاقتصاديّة، ومنها ما هو مرتبط بالأوضاع السياسيّة الداخليّة لبلدان المهرّج.

مما لا شك فيه، أن نسبة الفقر والهشاشة تمس العديد من الدول الإفريقية، فحوالي نصف فقراء إفريقيا جنوب الصحراء يتركزون بخمس دول هي نيجيريا وجمهورية الكونغو الديمقراطية وتanzانيا وإثيوبيا ومدغشقر والصومال وزمبابوي. وبالطبع، فإن تلاحم آثار كوفيد 19 والصراعات والتغيرات المناخية زاد من حدة الفقر الذي غزا مجالات أوسع وبالخصوص تلك التي توجد في وضعية هشة.

شكل 1: الدول الأضعف عالمياً من حيث الناتج الداخلي الخام لسنة 2022 (دولار أمريكي)



Source : Statista Research Department, 2022. <https://fr.statista.com/Société/Économie>

أثبتت الدراسة الميدانية التي أجريناها، أن بعض هذه الدول وغيرها، شكلت مصدراً رئيسياً لتدفق النازحين على مدينة وجدة، حيث أفرزت الاستمارنة أن الفقر والبحث عن العمل بأوروبا (جدول 2)، مما الدافعان الرئيسيان لمعادرة أوطانهم والناتجة عن مخلفات السياسة الاستعمارية وعن استمرارية الاعتماد على القطاعات الإنتاجية الأولى، كما يشير إلى ذلك العادلي "وهذا التباين الاقتصادي يتجلّى بصورة واضحة بين الدول الطاردة والدول المستقبلة أو الجاذبة وهو ناتج عن تبنّي وتبني التنمية في البلدان التي لا زالت تعتمد في اقتصاديّاتها على الفلاح والتعدين؛ وهما قطاعان لا يمكنهما امتصاص الفائض من اليد العاملة".²³⁴

جدول 2: عوامل الطرد التي دفعت بأفارقة جنوب الصحراء إلى المهرّج

²³⁴- مصطفى العادلي، 2021. دراسة سوسيولوجية حول العلاقة بين الهجرة الدوليّة والجريمة بال المغرب (نموذج الجهة الشرقيّة). كلية الآداب والعلوم الإنسانية. المحمدية. ص. 138-137

% التكرارات	%	العدد	العامل الطارد
12.0	5.8	6	متابعة الدراسة
30.0	14.6	15	البطالة
62.0	30.1	31	الفقر
2.0	1.0	1	توقف الدراسة
36.0	17.5	18	البحث عن السلم
58.0	28.2	29	البحث عن عمل بأوروبا
6.0	2.9	3	الاستغلال
206.0	100	103	المجموع

المصدر: بحث ميداني شخصي، سبتمبر 2022

يضاف إلى عوامي الفقر والبحث عن العمل بأوروبا (جدول 2)، البطالة التي تمثل شريحة واسعة من سكان القارة الإفريقية بسبب ضعف عوامل التنمية وفشل البرامج التنموية. هذه الوضعية الاقتصادية السيئة جدا هي التي تدفعهم إلى البحث عن أي بلد من شأنه أن يوفر لهم ظروف اقتصادية أحسن. وهكذا يشكل البحث عن العمل مطلبًا جوهريا بالنسبة لـمهاجري الدول الإفريقية جنوب الصحراء وقد يعد سبباً مركزاً للهجرة.

لا شك في أن هذه الوضعية السيئة، ساهمت فيها النزاعات القبلية والاضطرابات السياسية، ومن ثم فـ 17.5% فروا من هذه الأوضاع غير المستقرة، كما هو الحال بالنسبة للصوماليين التي دفعت بهم الحرب الأهلية إلى التهجير. يتبيّن كذلك، من خلال معطيات الجدول أعلاه، أن الدراسة لا تشكّل المعيار الحقيقي للهجرة بحيث إلى جانب هذه العوامل البشرية الطاردة للسكان، يمكن إضافة بعض العوامل الطبيعية، وخاصة ما يتعلق بالمناخ وتغيراته "إن تعاظم الأرقام الخاصة بموجات الهجرة السرية التي تنطلق سنويًا من مناطق الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى باتجاه دول شمال إفريقيا وأوروبا، تثير الكثير من علامات الاستفهام حول الأسباب الحقيقية لتصاعد هذه الظاهرة، فإذا كانت الحروب والاضطهاد والفقر متغيرات تصلح لمقاربة ظاهرة الهجرة السرية من زاوية صحيحة، فإنه في المقابل لا يمكن التغاضي والإغفال عن عامل مهم يدفع ملايين البشر من الهرب من مناطقهم حتى في حالات الاستقرار السياسي، ونعني به العامل المناخي أو العامل البيئي".²³⁵

وبالطبع، تشير الأبحاث إلى أن للتغيرات المناخية الأثر الكبير في تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للعديد من البلدان الإفريقية، التي تعاني اليوم من الحالات المناخية المتطرفة كالفيضانات وبالخصوص الجفاف الذي يضرب العديد منها، كما هو الحال بالنسبة لـإثيوبيا وكينيا وليبيريا وسيراليون والصومال وجنوب السودان وتogo... هذا في الوقت

²³⁵- طريف شاكر، 2016. معضلة الهجرة السرية في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى وارتدادها الإقليمية. مجلة العلوم القانونية والسياسية. عدد 13. ص.

الذي تشهد فيه إفريقيا نمواً ديموغرافيًا متسارعاً ومقلقاً، حيث أكد تقرير لليونيسف سنة 2017 أن عدد الأطفال سيزداد بحوالي 170 مليون حتى عام 2030، ليصل بذلك عدد الأشخاص دون الثامنة عشرة إلى 750 مليون نسمة. ومعنى هذا، أنه إذا لم يتم الاستثمار في شباب القارة وأطفالها، فمن المحتمل جداً أن تحل كارثة ديمografية تتسم بالبطالة وعدم الاستقرار²³⁶. وحسب تقرير مصلحة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للأمم المتحدة الصادر في 11 يوليو 2022، أن سكان دول إفريقيا جنوب الصحراء سيتضاعفون بين 2022 و2050، حيث سيتقلون من 1.15 مليار إلى 1.40 مليار سنة 2030 ثم إلى 2.09 مليار سنة 2050²³⁷.

3.1. المسار الهجري وتعدد مخاطر الرحلة الشاقة

ساهم تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تعانها مجموعة كبيرة من دول إفريقيا جنوب الصحراء، في إقبال أعداد هامة من سكان هذه البلدان على الهجرة بحثاً عن أوطان أخرى أكثر توفيراً لفرص العمل، والتي من شأنها المساهمة في تحسين الأوضاع المعيشية وتحقيق ما يسمى بـ "مشاريع السعادة". وبالطبع، شكلت أوروبا الوجهة الرئيسية التي فضلها المهاجرون، لكن الوصول إليها يتطلب الوصول إلى المغرب بعد قطع مسافات طويلة مملوءة بالمخاطر والآفات التي تمثلت في الاعتداءات والسرقة والاغتصاب والجوع والعطش والأمراض وغيرها (جدول 3). وهكذا، اتخذ المهاجرون من جنوب الصحراء المغارب نقطة عبور مفضلة، بل مجالاً للاستقرار لمن استعصى عليه الوصول إلى أوروبا. من خلال المعطيات المستسقة من الاستماراة، تبين أن رحلة الانتقال من بلدان إفريقيا جنوب الصحراء إلى المغرب (وجدة)، كانت مليئة بالمخاطر والمصاعب بسبب تماضر العوامل الطبيعية القاسية (الصحراء) والعوامل البشرية الجائرةتمثلة في السلوكيات التي مورست على المستضعفين من طرف المرافقين أو من طرف العصابات الإجرامية التي صادفوها أثناء رحلتهم (جدول 3).

جدول 3: تعدد مصاعب ومخاطر رحلة المهاجرين غير الشرعيين

% التكرارات	%	العدد	نوع المصاعب
58.3	24.1	28	اعتداء
37.5	15.5	18	سرقة
8.3	3.4	4	اغتصاب
33.3	13.8	16	مرض
18.8	7.8	9	فقدان أحد المرافقين
52.1	21.5	25	الجوع

²³⁶-اليونيسف، 2017. النمو السكاني في إفريقيا سلاح ذو حدين، عائد تنمي... تمت زيارة الموقع في 25 سبتمبر 2022، وهو متوفّر على: <https://news.un.org › story › 2017/10/>

²³⁷- Agence Ecofin, 2022. L'Afrique subsaharienne contribuera pour plus de la moitié à l'augmentation de la population mondiale d'ici 2050 (ONU). Document consulté le 25 Septembre 2022. Disponible sur : <https://www.agenceecofin.com › actualites › 1207-99627-..>

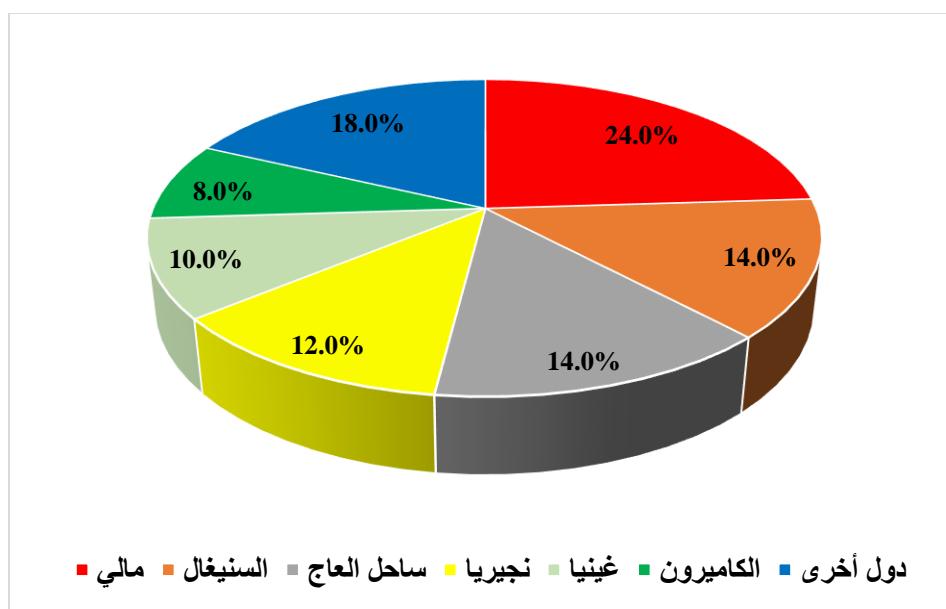
33.3	13.8	16	العشش
241.7	100	116	المجموع

المصدر: بحث ميداني شخصي، سبتمبر 2022

ومما زاد الرحلة صعوبة؛ المسافات الطويلة التي كان يضطر المهاجرون قطعها سيرا على الأقدام عند تعذر توفر وسائل النقل (32%). وبلغت نسبة الذين قطعوا جزءا من الطريق مشيا على الأقدام واستخدمو أيضا السيارات الرباعية الدفع أو الشاحنات 68%. فوق هذا وذاك، فالعديد من المهاجرين قدموا من بلدان بعيدة (شكل 2) وهو ما جعل الرحلة تستغرق بالنسبة لبعضهم أكثر من شهرين.

وينحدر المهاجرون الأفارقة الذين انتهى بهم المطاف بمدينة وجدة، الذين وجدوا أنفسهم مضطربين، غير مختارين، للإقامة بها بسبب استحالة العبور إلى أوروبا، من بلدان إفريقية جنوب الصحراء متعددة ومختلفة (نيجيريا، ومالي، والسنغال، وأنجولا، وساحل العاج، والكاميرون، وغامبيا، وغانا، وليبيريا، وسييراليون...).

شكل 2: توزيع المهاجرين غير الشرعيين حسب الجنسيات



بحث ميداني شخصي، سبتمبر 2022

إن ما يمكن استنتاجه من هذه الرحلة هو أن نجاحها يتوقف على المجهود البدني وقدرة مواجهة الصعاب وتحديها، سيما وأن الشعور بالأمان كان غائبا طوال الرحلة الشاقة التي لا تعرف نهايتها و نتيجتها، لأن المشروع الهجوبي قد يت弟兄 في حالة ال�لاك خلال هذه الرحلة الغامضة. ومن النتائج الأخرى التي استخلصناها، هو أنه على الرغم من سوء المعاملة والاستغلال الذي يعانيه المهاجرون خلال رحلتهم هاته، فإنهم لا يتربدون في ركوب كل هذه المخاطر والمصاعب، آملين في نهاية المطاف تحسين مستوى عيشهم بفضل قدرتهم على الاستفادة من الهجرة.

2. استقرار المهاجرين بوجدة وتعدد الأنشطة غير الشرعية

بعد ما استعصى على المهاجرين غير الشرعيين من تحقيق حلم الهجرة (الالتحاق بأوروبا)، فرض عليهم الاستقرار بوجدة وبالخصوص بالأحياء الهمشية الأقل مراقبة من طرف السلطات المحلية. ولضمان استقرارهم، مارس المهاجرون عدة أنشطة، الشرعية منها وغير الشرعية، وهو ما مكّنهم من ضمان عيشهم في انتظار فرصه سانحة للانتقال إلى أوروبا.

1.2. التركيز المجالي لأماكن استقرار المهاجرين بمدينة وجدة

إن المتوجول داخل مدينة وجدة يلاحظ أن تركز المهاجرين يكاد ينحصر في القسم الجنوبي من المدينة، وذلك من خلال التواجد الفعلي لهؤلاء المهاجرين الممارسين لحرف التسول أو من خلال رصدهم بالمقاهي التي يتقددون عليها. وبالفعل فمعظم المهاجرين يتتركزون بهذا القسم لعدة أسباب؛ نجملها في كونه البوابة الرئيسية التي يدخلون منها بحكم أن 70% من المهاجرين دخلوا البلاد انطلاقاً من الصحراء الجزائرية وخاصة عبر معبر فكيك وعين الشواطر²³⁸. كما أن هذا القسم يتوفّر على غابة سيدي امعافة التي مثلت المأوى الأول للمهاجرين قبل انتقالهم إلى المدينة التي شكلت نقطة تمركز أساسية، ومن ثم أصبحت خياراً أساسياً للاستقرار. وفوق هذا، فالقسم الجنوبي من المدينة يتوفّر على الحي الجامعي الذي كان يوفر للمهاجرين المساعدات الغذائية التي يوجد بها الطلبة على هؤلاء المعوزين. كما أن العديد من الأحياء السكنية بجنوب المدينة تتوفّر على أماكن سهلة للإقامة من حيث ثمن الكراء أو من حيث توفرها على بناءات غير مكتملة البناء والتي يمكن للمهاجرين من التسلل إليها ليلاً للنوم بها ومغادرتها قبل عودة أهلها إليها صباحاً. بل إن بعض مالكي هذه الأوراش كانوا يستخدمون المهاجرين دون مأوى كحراس مقابل السماح لهم باستعمالها منامة. وفوق هذا وذلك، فحي الأندلس وفيلاج هكو وسيدي امعافة وفيلاج بوعرفة وفيلاج الجديد تمثل أفضل الأحياء التي يلتجأ إليها المهاجرون كونها أحياء هامشية وبعيدة عن أعين المراقبين (رجال الأمن)، ومن ثم فري توفر نوعاً من العزلة والعيش في مناطق الظل (شكل .(3)

*- من خلال الاستماراة، سجلنا ضمن المهاجرين المحوثين وجود مواطنين من السنغال وساحل العاج على الرغم من أن سكان هذين البلدين مغيبين من التأشيرة للدخول إلى المغرب. وحسب تصريح لهؤلاء هو أنهما يفضلون قطع هاته المسافات عبر الصحراء عوض ركوب الطائرة لأن تكلفة السفر باهظة، ويفضّلون الاحتفاظ بهذا القدر من المال للانتقال به إلى أوروبا.

²³⁸- بحث ميداني شخصي، سبتمبر 2022

شكل 3: مجالات استقرار المهاجرين بجنوب مدينة وجدة



المصدر: Oujda Map | Morocco Google Satellite Maps- Maplandia

بهاته الأحياء (شكل 3)، يقطن المهاجرون في شقق مشتركة للتغلب على مصاريف الكراء، حيث صرّح لنا 42% من المهاجرين أنهم يفضلون هذا النوع من الغرف لأن المالك لا يفرض ثبوت وثائق رسمية ولا تلك التي تثبت هويتهم. أما الذين يكترون متزلاً ويتقاسمون غرفه فيمثلون 38% غالباً ما يتشاركون من الذين تمكّنوا من الحصول على حرفه مدرة للدخل أو الذين يستفيدون من إرساليات أسرهم والذين يمثلون 14%. أما النسبة المتبقية فتقتصر في مساكن فردية (8%) أو ليس لها مأوى والتي لا زالت تقطن بالأوراش السكنية أو بغابة سيدي امعافة (12%).

2.2. تعداد الأنشطة غير الشرعية لدى المهاجرين غير الشرعيين

يكون المهاجرين غير الشرعيين فئة اجتماعية هشة تفاقمت وضعيتها أكثر بعد وصولها إلى وجدة، على إثر فقدان المهاجرين لما كانوا يحملونه معهم من نقود بسبب مطالب الرحلة أو بسبب الاعتداء الذي تعرض له 16 مهاجراً من أصل الخمسين المبحوثين. لهذا، سرعان ما وجدوا أنفسهم في وضعية حرجة خاصة بعد ما استعصى عليهم الأمر في الوصول إلى أوروبا. لقد أصبحوا عالقين الشيء الذي فرض عليهم البحث عن أنشطة تؤمن لهم قوت عيشهم وتسمح لهم من توفير موارد مالية تمكّنهم من تحقيق مشروع الهجرة والاستقرار بالضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط. وعلى الرغم من عرض توظيفهم في سوق العمل المحلي، فإنهم لم يتمكّنوا من ذلك بسبب وضعياتهم غير القانونية التي لا تسمح لهم بممارسة أنشطة قانونية. ولا شك في أن هذا الأمر، يعود إلى محدودية سوق الشغل وهو ما جعلهم يتعاطون أنشطة متعددة، الشرعية منها وغير الشرعية، في انتظار تحقيق مشروعهم الهجروي الذي يشكّل حلم 72% من المبحوثين، أو العودة المحتملة إلى بلدتهم الأصلي والتي عبر عنها فقط 8%， على الرغم من أن 46% من المهاجرين اعتبروا هجرتهم فاشلة.

ولا شك في أن التسوية الإدارية للمهاجرين ستمكنهم من الاندماج السوسيو اقتصادي من خلال إمكانية ولو جههم إلى الخدمات الاجتماعية الأساسية، كما هو الحال بالنسبة للتعليم والصحة، والسماح لهم بممارسة بعض الحرف والأنشطة وهو ما يؤهلهم للتعايش والاندماج الفعلي في المجتمع المستقبل أو الاستفادة من هذا التأهيل والتكون عند عودتهم إلى بلدتهم الأصلية.

لقد فرض البقاء في مدينة وجدة على المهاجرين غير الشرعيين، بعد أن استعصى عليهم الأمر إنجاح مشروعهم الهجري، البحث عن طرائق جديدة من شأنها مساعدتهم في العيش ببلاد المهاجر، سيما وأن عودتهم إلى بلدانهم أصبحت مستحيلة ما دامت الظروف الطاردة لهم لم تتغير. وبالفعل، فإن الراغبين في العودة إلى بلدانهم لا يمثلون سوى 8% حيث يفضل معظم المهاجرين البقاء في المغرب في انتظار الانتقال إلى أوروبا، الذي قد يأتي أو لا يأتي. وانطلاقاً من فرز معطيات الاستثمار، تبين أن المهاجرين يعدون مصادر دخلهم محاولة منهم لجمع أكبر قدر ممكن من المال يمكنهم من تمويل المشروع الهجري.

مارس المهاجرون غير الشرعيين شتى أنواع مظاهر الانحراف لمحاولة جمع قدر من المال لتوفير سبل العيش وادخار جزء إضافي من أجل دفعه للوسطاء المكلفين بنقلهم إلى الضفة الشمالية للبحر المتوسط. لكن هذه السلوكيات الإجرامية انتهت بعدد منهم إلى السجن كما يشير إلى ذلك العادل "ونظرًا لصعوبة الانتقال إلى أوروبا بطريقة قانونية، لجأ المهاجرون إلى ارتكاب مجموعة من الخروقات القانونية من خلال تزوير الوثائق الإدارية عسى أن يمكنهم ذلك من تخطي حواجز المراقبة... وقد اتضح من خلال فحص السجلات القضائية، أن أكبر العمليات والأكثر ترددًا عند المهاجرين هي الهجرة السرية والتي بلغت نسبتها 24.1% من أصل 349 جريمة مسجلة في حق الـ 149 مهاجر"²³⁹. ولم تكن المرأة المهاجرة بمعزل عن هذه الآفات التي لم تعد من اختصاص الرجال فقط "إن ارتكاب المرأة لهذه الأنواع من الجرائم، ليعبّر عن تدهور ظروفها الاجتماعية المتميزة بالفقر (التصدع المادي وتدني الدخل وسوء التغذية، وهزال السكن، والسكن في أحياط غير منظمة ينتشر فيها الانحراف)، وهو ما يدفعها إلى ارتكاب السلوك الإجرامي. ولا شك في أن هذه السلوكيات تستلزم البحث عن الأسباب النفسية التي باتت تحكم في التركيبة النفسية للمرأة والتي تدفعها لولوج عالم الإجرام".²⁴⁰

يبدو من خلال فرز الاستثمار التي قمنا بها، أن هذه السلوكيات الإجرامية لم تجد نفعاً، ومن ثم لم تعد ممارسة إلا من طرف القليل من المهاجرين. وبالفعل، فالذين يتعاطون بيع المخدرات بكل أنواعها وتسهيل عمليات ترويجها، أو احتراف النصب والاحتيال وتزوير الوثائق والمتجارة في المهاجرين لم يمثلوا سوى 10% (5 مهاجرين). لهذا، امتهن المهاجرون حرفاً أخرى غير قانونية، لكنها أقل ضرراً، كما هو الحال بالنسبة لظاهرة التسول التي مثلت إحدى أهم مظاهر الاسترزاقي التي مارسها المهاجرون من دول جنوب الصحراء بسبب سهولتها ورحابة سكان المدينة. وقد امتهن هذه الحرفة على الخصوص الذين لم يتمكنوا من امتهان حرفة للدخل بسبب عدم قدرتهم على التجاوب مع السكان لعدم إتقانهم اللغة الفرنسية أو

²³⁹- مصطفى العادل، 2021. مرجع سابق. ص. 167

²⁴⁰- نفسه. ص. 176

العربية، ومن ثم فضلوا التسول بالنقطة التي ترتفع الحركة المزورية بها. لكن الملاحظ أن معظم من يمتهن هذه الحرفة، النساء رفقة الأطفال الصغار لاستعطاف المحسنين (صورتا 1 و2).

مما لا شك فيه، أن ظاهرة التسول التي انتشرت بالعديد من المدارس الظرفية بالمدينة خلقت سلوكيات جديدة بين المغاربة والمسؤولين الأفارقة وبين هؤلاء والمحاجبين من المغاربة. كما أن هذا السلوك المشين قد يشوش على سمعة المدينة التي تسعى إلى جذب السياح والاعتماد على عائداتهم مستقبلا. وبالطبع، فإن انتشار وتطور هذه الآفة مداعنة لظهور مجموعة من الانحرافات وهو ما يستلزم استشعار الدولة بخطورة الأمر ومن ثم القيام بالإجراءات اللازمة لتجنب كل ما من شأنه إثارة القلاقل والاضطرابات.



صورتا 1 و2: متسلولات بشوارع وجدة (27 شتنبر 2022)

إلى جانب التقاطعات الطرقات، اعتبرت المساجد من بين الماكن المفضلة التي يقصدها المتسللون حيث يمكن استعمال قلوب المصلين المحسنين مستغلين العاطفة الدينية، كون الصدقة لها مكانة خاصة في نفوس المسلمين، "فالمصلي يخرج من المسجد مع كم هائل من الروحانيات والشعور بالقرب لله مما يجعل استعطافه للصدقة أمر سهل"²⁴¹. لكن الملاحظ، أن المساجد التي يرتادها المتسللون تقع بالمناطق الهامشية للمدينة (حي القدس وهي الأندلس)، وليس بمساجد المركز. ولعل هذا مرد الهروب من مراقبة الشرطة التي تلاحق هؤلاء المتسللين من حين لآخر للتقليل من هاته الظاهرة التي تشين سمعة المدينة. ومن الملاحظات الأخرى التي سجلناها، أن المتسللون من إفريقيا جنوب الصحراء، يطلبون الصدقة على مسافة معينة من باب المسجد^{*}، احتراما للسوبريات اللواتي يتواجدن به، ومن ثم يكتسبون عطف المصلين الذين يجودون عليهم ببعض النقود.

²⁴¹- زهير بخوش وصورية رمضاني وعبد القادر خليفة. 2021. صور المعاش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة دراسة أنثربولوجية لظاهرة التسول أنموذجا. مجلة أنثربولوجيا. مجلد 7، العدد 1، ص. 86.

*- عند استفسارنا لأحد المتولين عن هذا السلوك، استتجينا أن الابتعاد عن باب المسجد يعود بالأساس إلى وجود بعض الفارقة ضمن المصلين ولا يزيدون رؤيتهم في هذه الوضعية تجنبا لإهانتهم أو نقل صورهم لعائلاتهم وهم يتسللون.

جدول 4: تعدد مصادر عيش المهاجرين المقيمين بمدينة وجدة

% الملاحظات	%	عدد الإجابات	الحرفة
16.0	7.5	8	الصدقة
54.0	25.2	27	التسول
38.0	17.8	19	مساعدة الجمعيات
4.0	1.9	2	عمل بالأوراش
12.0	5.6	6	التجارة
14.0	6.5	7	العمل المنزلي
10.0	4.7	5	بيع المخدرات
10.0	4.7	5	تزوير الوثائق
12.0	4.7	6	الاتجار بالبشر
28.0	13.1	14	مساعدة الأسرة
16.0	7.5	8	مساعدة الأصدقاء والجيران
214.0	100	107	المجموع

المصدر: استماراة شتيربر 2022

إن تعدد المسؤولين المنحدرين من جنسيات مختلفة، بالإضافة إلى المغاربة، لمن شأنه إثارة الكثير من الشكوك حول مصداقية هذا السلوك القائم على الاتكالية، كما جاء على لسان هائل الشميري "لقد انخرطت مجتمع من الناس في طوابير التسول لضيق ذات اليد، وأخرون استهونهم مهنة التسول فوجدوا ضالتهم في الكسل والتکفف وسهولة العيش من هذه الحرفة المريحة التي تقتل روح الكدح وتکبح الذكاء والمهارة وتقتل الدافعية وتجعل الإنسان يعيش على فتات الآخرين في المجتمع، ولا يستطيع الوقوف على قدميه معتمداً على نفسه وقدراته وامكانياته العضلية والذهنية والنفسية والسيكولوجية".²⁴²

²⁴²- هائل الشميري، 2012. التسول بصمة كثيبة في جبين المجتمع: دراسة في عوامل وأنماط التسول وأثره الاجتماعية والتربوية. صنعاء: مركز عبادي للدراسات والنشر.



صورة 3: باعة المجوهرات والساعات
16.9.2022

أمام استفحال ظاهرة التسول، أصبح من الضروري التدخل لاحتواء هذه الآفة المшиينة لبلدنا الذي يراهن في اقتصادياته على السياحة حاضراً ومستقبلاً. في واقع الأمر، ليس من المعقول ولا من المقبول، إهمال هذا الموضوع الذي يهدد مجتمعنا اقتصادياً واجتماعياً والذي يجرمه القانون.

ونظراً لوجود فئة ميسورة من المهاجرين المستجوبين والتي كانت تتمرن بعض الحرف المدرة للدخل ببلدها (22%) أو تلك التي لا تزال تتلقى بعض المساعدات العائلية (14%)، امتهنت هذه الفئة النشاط التجاري بعرضها بالشوارع الأكثر حركية لمنتجاتها إفريقية (المواد الغذائية المحفوظة والأعشاب والمراهم والدهون، ومنظف الشعر ومواد التجميل...). لكن في الآونة الأخيرة سجلنا ميل المهاجرين إلى المتاجرة في بيع المجوهرات المطلية بالذهب (plaqué or) بالإضافة إلى الساعات كما هو حاصل بطريق مراكش حيث الصبيب العالي لحركة السكان بالمدينة. وقد مثلت هذه الفئة 12% من المستجوبين. وعلى الرغم من ضعف هذه النسبة، إلا أنها تعبر عن نوع من الاندماج ضمن المجتمع المحلي، كما تعبر عن نجاح سياسة التسوية وظهور بوادر الاستقرار وعدم التفكير في العودة، وهو ما يمكن أن يثقل كاهل سوق الشغل المحلية غير القادرة عن امتصاص العاطلين من أبنائها. ومهما يكن، فإن تعاطي المهاجرين العديد من الأنشطة المدرة للربح ليعبر على أن سياسة التسوية القانونية للمهاجرين المنحدرين من دول جنوب الصحراء شكلت واحدة من المحطات الأساسية التي منحت لهم الإحساس بالاستقرار وربما التفكير في الاستقرار النهائي بإحدى المدن المغربية كما هو الحال بالنسبة لمدينة وجدة.

خاتمة

لقد ترتب عن تدفق المهاجرين، أن أصبح المغرب بعدد من الآفات التي أصبحت تؤرقه اقتصادياً واجتماعياً، سيما وأنه أصبح المقصود الرئيسي لكل من ضاق به العيش من سكان إفريقيا والشرق الأوسط وبعض الدول الآسيوية. لقد وجد المغرب نفسه، من حيث لا يحتسب، بين فكي الملقط، أي بين السبيل من المهاجرين الوافدين عليه ومطالبة الأوروبيين بإيه ردع هؤلاء النازحين، الأمر الذي جعل منه حوض تجمع هام للمهاجرين. هذا التراكم العددي، جعل المغرب محاطاً بتحديات

هائلة وأمام معضلة جديدة تمثل في كفالة حقوق المهاجرين فوق ترابه وهي نفس الحقوق التي يطالب المغرب الأوروبيين الالتزام بها تجاه أبنائه المهاجرين. إنها معادلة صعبة وامتحان عسير يمر به المغرب المطالب بتطبيق الاتفاقيات الدولية الرامية إلى كبح هجرة الأفارقة وبين محافظته على حسن وجودة علاقاته مع الدول الإفريقية، على الخصوص، في إطار سياسته الجديدة معها. كل هذه الأمور تضع المغرب أمام خيارات صعبة، سيما وأنه مطالب بتحقيق نوع من التوازن السياسي والاقتصادي لإرضاء أطراف المعادلة (أوروبا من جهة وإفريقيا من جهة أخرى).

من خلال استقراء الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للبلدان المصدرة لأبنائها، يبدو أن الأفق تسوده الضبابية فيما يتعلق ب نهاية ظاهرة الهجرة التي تداعى نتائجها السياسية والاجتماعية ولاستثنائية والقانونية، وذلك نتيجة لاستمرارية عوامل الطرد واستفحالها واتساع الفجوة بين الدول الغنية والفقيرة من جهة، وتزايد حدة عوامل الطرد من جهة أخرى. كل هذا يشير إلى تزايد ظاهرة النزوح الجماعي غير المشروع، والذي يمكن أن يفضي إلى غزو إفريقي لأوروبا، خاصة وأن سياسة إغلاق الحدود ومراقبتها بمختلف الوسائل والآليات، بقيت بعيدة عن أن تشكل عائقاً مادياً فاعلاً أمام الشباب الإفريقي المولع بتحقيق حلم الهجرة إلى أوروبا.

ببليوغرافيا

- اليونيسف، 2017. النمو السكاني في إفريقيا سلاح ذو حدين، عائد تنموي... تمت زيارة الموقع في 25 سبتمبر 2022، وهو متوفّر على: <https://news.un.org/story/2017/10/1000000000>
- أناس ابن الشيخ، 2022. المهاجرون من إفريقيا جنوب الصحراء في المجتمع المغربي: بين رحلة العبور وإكراهات المعيش اليومي. مجلة سوسنولوجيون. المجلد الثالث. العدد 1. صص. 119-135.
- خالد كوسر، 2021. الهجرة الدولية، ترجمة: محمد فتحي خضر، أبو ظبي، دائرة الثقافة والسياحة – أبو ظبي، مركز أبو ظبي للغة العربية.
- زهير بخوش وصورية رمضانى وعبد القادر خليفة، 2021. صور المعاش اليومي لمهاجري دول ساحل الصحراء في مدينة ورقلة دراسة اثنروبولوجية لظاهرة التسول أنموذجا. مجلة أثربولوجيا. مجلد 7، العدد 1، صص. 79-91.
- طريف شاكر، 2016. معضلة الهجرة السرية في منطقة الساحل الإفريقي والصحراء الكبرى وارتداداتها الإقليمية. مجلة العلوم القانونية والسياسية. عدد 13. صص. 10-23.
- مصطفى العادلي وعدنان زروالي، 2020. الهجرة غير المشروعة لأفارقة جنوب الصحراء بجهة الشرق ومظاهر الانحراف. دفاتر طلبة الدكتوراه. رقم: 2. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية. وجدة. ص. 257-270.
- مصطفى العادلي، 2021. دراسة سوسنولوجية حول العلاقة بين الهجرة الدولية والجريمة بالغرب (نموذج جهة الشرقية). كلية الآداب والعلوم الإنسانية. المحمدية.
- هائل الشميري، 2012. التسول بصمة كثيبة في جبين المجتمع: دراسة في عوامل وأنماط التسول وأثاره الاجتماعية والتربوية. صناعة: مركز عبادي للدراسات والنشر.
- استمارنة مع المهاجرين غير الشرعيين والتي شملت 50 فرداً وذلك خلال شهر سبتمبر 2022

Agence Ecofin, 2022. L'Afrique subsaharienne contribuera pour plus de la moitié à l'augmentation de la population mondiale d'ici 2050 (ONU). Document consulté le 25 Septembre 2022. Disponible sur : <https://www.agenceecofin.com/actualites/1207-99627>.

هزيمة اسلي عام 1844 وبعاتها

The Defeat of Isley in 1844 and its Aftermath

الطالب الباحث الصافي عبد الرزاق، تحت إشراف الدكتور خليل السعداني، الدكتور سيد محمد معروف الدفالي

ملخص:

تعرض المغرب خلال القرن 19 لضغوط استعمارية متنوعة استهدفت اضعافه والتمهيد لاستعماره، نتيجة لعدة اضطرابات ساهمت في تغيير معالم المجتمع المغربي، كانت هزيمة الجيش المغربي في معركة اسلي التي شكلت نقطة تحول في تاريخ المجتمع المغربي.

الكلمات المفاتيح: معركة اسلي، هزيمة

Abstract : During the 19th century, Morocco was subjected to various colonial pressures aimed at weakening it and paving the way for its colonization as a result of several disturbances. Perhaps the beginning of these disturbances and conditions that contributed to changing the features of Moroccan society was the defeat of the Moroccan army in the Battle of Isly, which marked a turning point in the history of Moroccan society

Key Words : Battle of Isly. Defeat

مقدمة

تعرض المغرب خلال القرن 19 لضغوط استعمارية متنوعة استهدفت اضعافه والتمهيد لاستعماره، نتيجة لعدة اضطرابات، وقد انعكست على بنية السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، بل أكثر من ذلك ساهمت في زعزعة أوضاع المجتمع المغربي، ولعل بداية هذه الاضطرابات والأوضاع التي ساهمت في تغيير معالم المجتمع المغربي، كانت هزيمة الجيش المغربي في معركة اسلي التي شكلت نقطة تحول في تاريخ المجتمع المغربي، و عصفت به الى الدخول في دوامة من المشاكل الخطيرة التي جعلت ابوابه مفتوحة أمام التغلغل الاوربي. مما دفع بالمخزن المغربي الى تطبيق بعض الإصلاحات التي باءت بالفشل نتيجة عدة عوامل.

الاشكالية:

فإلى أي حد ساهمت معركة اسلي في تدهور أوضاع المجتمع المغربي وجعلته عرضة للأخطار الاوربية على المستوى العسكري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي؟ ماهي اهم الإصلاحات التي قام بها المغرب؟ وما مآل هاته الإصلاحات؟

الفصل الأول: اسباب معركة اسلی وحيثياتها.

المبحث الأول: اسباب معركة اسلی.

باحتلال الجزائر عام 1830، تبين اطماعها في المغرب هاته الاطماع التي كانت تتجلی في ان فرنسا كانت تقوم بعدة مناورات، ولعل ذلك يتضح من قول ثريا برادة؛ "وقد دخل المغرب وفرنسا منذ 1830 في اختبار قوي، حرص فيه كل منهما على تأكيد سيادته وتفوقه، وعلى اضعاف الآخر، مع تحاشي المواجهة المباشرة والشاملة. وقد بدأ المولى عبد الرحمن هذه المرحلة، بإظهار عزمه على احترام العقد السياسي الديني، فقبل بيعة اهل تلمسان، وأرسل جيشا من العبيد والودايا لتأكيد السيادة المغربية على هذه المنطقة، وأرهف السمع للتحمّس الشعبي للجهاد ضد العدو الكافر، وشرع في تفقد حاميات السواحل، وفي اقتناء الاسلحة. وقدم الاعانة المادية والمعنوية للمجاهد عبد القادر وسلك سياسة "لم أمر بها ولم تسؤني مع القبائل الغربية الشرقية التي كانت تتوجّل في التراب الجزائري وتغير على الجيش الفرنسي"²⁴³.

لقد شكل الاحتلال الفرنسي لدولة الجزائر عام 1830، تهديدا مباشرًا للمغرب. فبعد أن قامت فرنسا بتوطيد نفوذها بإضعاف سلطة الأمير عبد القادر الجزائري، انصب اهتمامها على المغرب مستغلة مساندة المغاربة للأمير فقامت بالتحرش بمناطقه الشرقية، فقد "لجأت فرنسا إلى كل أنواع الضغوط ومظاهر القوة والمناورات التي ترمي إلى اضعاف المخزن وشعبيته، بإظهار عجزه أمام السكان، كإظهار السفن الحربية على السواحل المغربية، بل وبتنظيم توقفات منتظمة للسفن العابرة للبحر الأبيض المتوسط والتوجهة للمحيط الأطلسي أمام طنجة لنشر الرعب والبلبلة. واختارت وقت الازمات الداخلية، كثورة الودايا والغرب سنة 1831م لتتوجّل الجيش الفرنسي في الحدود الشرقية، وارسال انذارات صارمة والقيام بمناورات سياسية كمحاولة إقناع المخزن تارة بخطر شعبية عبد القادر، وأطماعه وتوافقه مع القبائل المغربية ضده، وتارة بعزمها على التحالف مع عبد القادر"²⁴⁴.

يمكن القول ان الاحتلال الذي تعرضت له الجزائر شكل تهديداً مباشرًا للمغرب خاصة بعدما ابان المغرب عن رفضه منع عبد القادر الجزائري من اللجوء الى التراب المغربي، لتبدأ مرحلة العدوان الاستعماري الفرنسي على بلاد المغرب.

المبحث الثاني: حيثيات معركة اسلی

شكل الاحتلال الفرنسي لدولة الجزائر تهديد لا شك فيه للمغرب، حيث بدأت الحملات العدوانية صبيحة 6 غشت 1844، فقد ضربت مراكب فرنسا الحربية الثمانية والعشرون، بقيادة الأمير دو جوانفيلي تحصينات مدينة طنجة بالمدفعية، مخلفة عددا من القتلى والجرحى" فقد كانت مهمة بيجو والامير دو جوانفيلي هي القيام بعمليات خاطفة لتأديب المخزن واسعارة بقدرة فرنسا على نصف موارده التجارية، وتكسير سمعته العسكرية. وفي نفس الوقت الذي كان فيه الأمير دو جوانفيلي يقبل طنجة في 6 غشت 1844 م والصويرة في 15 من نفس الشهر لإشعار المخزن بان البلدان الاوربية بما فيها انجلترا لا تتوى حمايتها، وان البعد الجغرافي لا يعيق فرنسا من استهداف ميناء من اكبر موانئه نشاطا²⁴⁵. قام بوجو بمجموعة من العمليات العسكرية الخاطفة، والتي اخضعا لها لمناورات عديدة تضمن لها كل حظوظ النجاح، بخصوص مولاي عبد الرحمن، فقد ابدى رغبته في الاستجابة لرغبات الرعية في الجهاد وليبين دوره السياسي والعسكري بل والديني أيضا، فكانت محاولاته تصب في تخويف العدو دون شن حرب مدمّرة" خصوصا وان أحداث 30 مايو و 15 يونيو من سنة

²⁴³ ثريا برادة . الجيش المغربي وتطوره في القرن 19، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة رسائل وطروحات رقم 37. ص 191-192-193-194.

²⁴⁴ المرجع نفسه، ص 194-195.

²⁴⁵ نفسه، ص 203.

1844م التي ذهب ضحيتها 275 من مشاة القبائل، ودخول الجيوش الفرنسية لوجدة، وردود الفعل العنيفة للسكان والانذار والشروط التعجيزية التي وضعها فرنسا على اثر الحادث، لم يترك مجالاً للاستمرار في سياسة التراث، فأعطى الاوامر من مراكش لابنه سيد محمد بالخروج من فاس للذهاب لفقد الحدود. وفي صباح يوم الخميس 15 شعبان 1260هـ موافق 14 غشت 1844م خرجت الجيوش الفرنسية التي كانت على علم بتحركات الجيش المغربي من لالة مغنية بقيادة المارشال بيجو على هيئة النظام الذي حدد لها من قبل لتهاجم الجيش المغربي الذي لم يعرف بخروج الجيش الفرنسي ولا بوجهته الا ساعات قليلة قبل المعركة، واجتازت الجيوش الفرنسية نهر اسي ليمرر الى الضفة اليسرى منه، وحينما أصبحت مقابلة للجيش المغربي اجتازت النهر من جديد في حركة هجومية عنيفة²⁴⁶ يمكن القول ان الجيوش تواجهت في معركة ايسلي التي لم تستغرق سوى ساعات قليلة والتي بينت ضعف المغرب على المستوى العسكري، وهو ما يتضح من قول الناصري: "ثم لما التقى الجماع وانتسبت الحرب رصد العدو الخليفة وقصده بالرمي مرات عديدة حتى سقطت بنية امام حامل المظلة وجح فرسه به وكاد يسقط، وما رأى الخليفة ذلك غير زيه خشعت نفوسهم وقال المرجفون: إن الخليفة قد هلك، فماج الناس بعضهم في بعض وتسابق الشراردة إلى المحلة، فعمدوا إلى الخباء الذي فيه المآل فانهبو وتقاتلوا عليه وتبعهم غيرهم من كان الرعب قد ملك قلبه، وجعل الناس يتسللون حتى ظهر الفشل في الجيش من كل جهة... والتفت الخليفة فرأى ما هاله من أمر الناس فرجع عوده على بدئه، وانهزم من كان قد بقي معه عن آخرهم"²⁴⁷.

نبع عن هذه المعركة انهزام المغرب امام فرنسا فلم تدم المعركة سوى اربع ساعات، وهي التي ازاحت النقاب عن ضعف المغرب عسكرياً، وبينت ضعفه في الصمود امام الاطماع الاوروبية، ويمكن ان نضيف ان فرنسا استطاعت ان تبين قوتها في معاهدة الصلح التي وقعت بتاريخ 10 سبتمبر 1844.

الفصل الثاني: تبعيات هزيمة اسلام العسكرية والاقتصادية .

المبحث الاول: الجانب العسكري.

كانت معركة اسلام بمثابة الضربة القاضية للتنظيم العسكري، فقد انهارت السمعة العسكرية التي كونها المغرب منذ قرون طويلة، والتي ساهم خلالها المغرب في اخضاع الجزيرة الإيبيرية للسلطة الاسلامية وانطفأ بريق الامبراطوريتين المرابطية والموحدية، وضاعت هيبة الانتصار الساطع الذي احرزه في معركة وادي المحاذن ضد البرتغاليين ومنتطوي الدول الاوروبية الاخرى الذين جاءوا ليمدوهم بالمساعدة استجابة لنداء البابا، وشهرة المغاربة في محافظتهم على استقلالهم عن العثمانيين الذين احتلوا بلدان شمال افريقيا وجل بلدان العالم الاسلامي وصيانته التقاليد الحربية عته للقبائل، وكذلك الخوف الذي كانت تبعثه الخيالة العربية او "قراصنة سلا".

وكانت الدول المرغمة على دفع الجزية للسلطان من اجل ضمان سلامه مراكبها على امتداد السواحل المغربية كثيرة، نذكر منها السويد والدنمارك وجنة والبندقية ونابولي، وكانت صعوبة النفاذ الى المغرب ومقاومته لمحاولات "الانفتاح" التي كان الاوربيون يحاولون فرضها عليه، من العوامل التي ضاعفت الى حدود وقوع من كثافة الغموض الذي يكتنف قدراته العسكرية. واستغرب احد الصحفيين الاوربيين لذلك فيقول "امر غريب ففي زمن غدت فيه دول العالم تهافت على الانفتاح على جميع الكشفات ها هي منطقة اكثر مجاورة قد ظلت منغلقة ،لانعلم عنها اكتر ما نعلم عن الصين ونونوف جميع قوانا للدخول اليها، انها مملكة المغرب التي ظلت تشكل حصننا حصينا كما انها تعتبر اكتر دول العالم الاسلامي حيوية، فما كان سفرائنا ان يجدوا تعزية على عجزهم عن الذهاب الى بkin ما داموا لم يقووا حتى على الرغم من كوننا

²⁴⁶ ثريا برادة. الجيش المغربي وتطوره في القرن 19، منشورات كلية الاداب والعلوم الانسانية بالرياط سلسلة رسائل وطروحات رقم 37، ص. 205.

²⁴⁷ الناصري، الاستقصا، ج 9، ص. 52.

نشاهد في زرقة الافق رسمها من اعلى المرتفعات الاوربية ، فالمغرب نجح اكثرا من تركيا في ان يحمي نفسه من كل اختراق خارجي اذ ظل يشكل منطقة شاسعة منعزلة عن العالم الاسلامي في زاوية من القارة الافريقية يحيمها البحر وسلسلة كثيفة من الجبال²⁴⁸.

المبحث الثاني: الجانب الاقتصادي.

انتزع الانجليز(القنصل دراموند هاي) عدة امتيازات من السلطان المغربي اهاماها حرية التجارة والعقارات والسكن والتخفيف في الرسوم الجمركية المفروضة على الواردات الى 10 بالمئة التي اضطرت بالاقتصاد المغربي، ولعل ذلك ما يتضح من قول ابن زيدان حول هاته المعاهدة التي تضمنت عدة شروط يمكن ذكرها:

" الشرط الثالث: مضمته توقيير واحترام نائب رينة النجليز ونوابه بجميع المراسي ومن توجهه من قبلها لجانب مولانا أيده الله يكونون محفوظين في أهلهم وديارهم، ولا ينالهم أحد بسوء، ومن عرض لهم بسوء يؤدب..."

الشرط الرابع: مضمته أن لرعاية النجليز أن يسافروا ويسكنوا حيث شاءوا من إيداله سيدنا، لكنهم إن سكروا يتبعون قانون حاكم البلد. ولهم أن يكتروا... الديار والمخازن...

الشرط الخامس: مضمته أن الساكنين بایالة سیدنا او التاجريں بها من إيداله النجليز لهم الأمان التام على أنفسهم وأموالهم ...

الشرط الثامن: إن ما يحدث بين رعيية النجليز بایالة سیدنا من الدعاوى كيف ما كانت إنما يحكم فيها القوانصو أو نوابه ولا يدخل فيها قاض ولا قايد ولا غيرهما"²⁴⁹.

يمكن القول ان القوى الاوربية سلكت تجاه المغرب سياسة التأرجح بين اساليب الترغيب والترهيب، والمنج في غالب الاحيان بين المجاملة واللطف الدبلوماسيين، ولعل ذلك يتجل في خلفيات وظروف عقد معااهدة 1856 م التي تضمنت عدة امتيازات خطيرة، خاصة على المستوى الضريبي، والقضائي لفائدة المتعاملين مع التجار الاجانب، ومن جهة اخرى استغلت باقي الدول الاجنبية هذه المعااهدة مع انجلترا للحصول على امتيازات مشابهة لفائدة رعاياها ومستخدمهم، وانتشرت بطاقات الحمايات بشكل كبير بين المغاربة سواء بشكل قانوني اوغير قانوني، وتم ارغام المخزن على اسقاططنطيرات "الاحتياطات السلطانية" وانباء غلط الاشعار والاكتفاء برسوم جمركية لا تتعدى 10 في المئة مقيمة البضائع المستوردة، وكان ذلك بمثابة انتصار باهض للإنجليز ولكل الدول الاوربية الاخرى المتعاملة مع المغرب، وكان تخفيض الرسوم الى 10 في المئة فقط يعني في واقع الامر تجريد السلطان من السلاح الجمركي الذي كان يعتمد عليه فيما سبق للتحكم في التجارة البحرية، تحكم شبه مطلق يتيح له امكانية وضبط درجة الانفتاح او الانغلاق، طبقا ل حاجياته وحساباته، وبالانتقال الى التطور الجديد اصبح ارتفاع مداخله الجمركية مقيد بشكل عضوي بارتفاع حجم المبادرات مع اوربا، وكان تصاعدا من هذا القبيل يعني حثاما تصاعدا عدد التجار الاجانب ووسطائهم المغاربة، وكان للتجارة البحرية رعايا بريطانيين مقيمين بالمغرب وكذا الوضعية المغاربة المرتبطة به²⁵⁰ وبهذا وضعت بريطانيا في واقع الامر خنقا متينا ومحكما حول عنق المغرم، وبذلك اعطت لنفسها ولغيرها من الدول الاوربية الوسيلة الكفيلة لترك هذا الاخير يتنفس اولا في اي وقت وحين حسب اغراضها وربما بين الفينة والاخري، حسب مفهومهما بطنجة، وكان مهندس هذه المعااهدة يدرك تمام

²⁴⁸ بهجة سيمو، الاصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912، ص. 88-89.

²⁴⁹ عبد الرحمن بن زيدان، اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكتناس، الجزء الخامس، الطبعة الأولى 1933.

²⁵⁰ محمد كنبيب. المحميون، بحوث ودراسات رقم 47 ص 85.

الادرالك ما كانت الشروط المفروضة على المولى عبد الرحمن تحت تهديد مدافع فيزيفيوز وداونتليس جبل، اذا كتب في تقريره له وجهه الى حكومته في 19 فبراير 1856م اي مباشرة بعد انتزاعه لمصادقة السلطان على المعاهدة " ان العلاقة بين نماء التجارة واتساع نطاق الحماية بدءيهية للمغاربة " وكان ذلك يعني ان الحماية أصبحت من الناحية العملية احدى انجح الوسائل لممارسة ضغوط متواصلة على المخزن²⁵¹، وهو ما يوضحه خالد بن الصغير؛ الشرط الأول: تكون التجارة جارية متساوية بين إالية سلطان مراكش وبين إالية سلطانة أكترت بريطن. فرعية سلطانة أكترت بريطن لهم الإتيان والسكنى والبيع والشراء في جميع مراسي سلطان مراكش دون أمد محدود، وفي كل ناحية من نواحي سلطان مراكش، وفي كل محل يستقر فيه غيرهم من الأجناس... ولهم الكراء والإجزاء (حق الانتفاع) وإعمال الديار والمخازن.

الشرط الثاني: سلطان مراكش عهد بإسقاط الكنطرادات والمنوعات في المتاجر...

الشرط السابع: إن اعشار السلع الداخلة بمراسي إياته على يد رعية أكترت بريطن لا يؤدوا علها أكثر من عشرة في المائة على تقويمها بالمال بالسعر الواقعي بمرسى نزولها، ولا يؤخذ عشرها من عينها²⁵²،

في نفس السياق نجد اسبانيا استغلت المعاهدة السابقة الذكر مع انجلترا، وعقدت هي بدورها معاهدة صلح مع المغرب بعد حرب طوان بتاريخ 26 ابريل 1860م بتوقيع مولاي العباس وادونيل، وصادق عليها السلطان محمد بن عبد الرحمن وملكة اسبانيا ايزابيلا الثانية، وتضمنت عدة شروط تتعلق بتوسيع حدود سبتة ومليلية، والحصول على مركز للصيد يدعى سانتا كروز جنوب اكادير والسماح بتعيين قناصل في مختلف مدن المغرب، وكان اخطر هذه الشروط في هذه المعاهدة هو التزام المغرب بدفع غرامة مالية لتعويض خسائر الحرب قدرها مئة مليون بسيطة اي عشرون مليون ريال وتتجسد خطورة هذا الشرط في ان اقتصاد المغرب الذي ينبع الى ما قبل الرأسمالية لا يتحمل هذا التزيف، بحيث تتجاوز غرامة مئة مليون بسيطة الامكانيات المالية للبلاد، فما كان يجمع ربع الغرامة سنة 1860م اي 25 مليون بسيطة كدفعة اولى، حتى فرغت الخزينة المغربية بحيث تم دفع كل القطع الفضية والذهبية التي كان يحتفظ بها منذ القديم، فتوجه السلطان الى الاقتراض من بريطانيا، بتشجيع من ممثلها جون دراموند هاي، ونتيجة للمماطلة وتعثر المفاوضات توجه الى الرعية في شأن الاعانة، واستشارة العلماء، وبدعم من الجهود استطاع ان يجمع عشرة ملايين من مراكش، كما تجمعت خمسة ملايين اخرى بطرق مختلفة مضافا اليها عشرة ملايين اخرى من القرض الانجليزي بعد طول انتظار، وبذلك استطاع المغرب اتمام النصف من الاول من الغرامة، كشرك لغادة الاسпан لمدينة طوان، اما النصف الثاني الغرامة فقد اقتطاعه من مداخيل الجمارك بما فيه القرض الانجليزي، وما اضيف اليه من فوائد لمدة ربع قرن حتى سنة 1885 مما كان له اثر سيئ على وضعية المغرب الاقتصادية والمالية طوال هذه المدة²⁵³، ونتيجة لما تم ذكره تم عقد معاهدة تجارية بطنجة في 20 نونبر من سنة 1861م وقعتها من الجانب المغربي محمد برراكش بمساعدة التاجر عبد الرحمن الفاسي، كما صادق عليها محمد بن عبد الرحمن وملكة اسبانيا ايزابيلا الثانية، وتعطي هذه المعاهدة امتيازات تجارية لإسبانيا كالتي حصلت عليها بريطانيا، بموجب معاهدة 1856م وتفوقها على ذلك بالحصول على حق الملكية العقارية لإسبانيا، وحق الصيد في الشواطئ المغربية²⁵⁴ وفي سنة 1863م تم عقد الاتفاق الذي اصبح يحمل اسم بيكلار بين المغرب وفرنسا، والتي تتوضّح من ابن زيدان؛ "هذه الحماية... تقدر أن تشمل حرمه (حريم المحمي) وأولاده والساكنين معه... ويقدر أن تبقى لبعض الأشخاص مدة عمره. الحماية تنقسم إلى قسمين:

²⁵¹.86 المرجع نفسه، ص.

²⁵² خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا في القرن التاسع عشر-1856، 1886- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة رسائل واطروحات رقم 34 الرباط 1997.

عمر افا. كتاب التجارة المغربية في القرن التاسع عشر ، البنيات والتحولات 1830-1912، ص. 49²⁵³

المرجع نفسه. ص.50

القسم الأول: أولاد البلد الذين يخدمون دار الباشدور، (ويقصد به السفير) وديار القنصلوات نوابه، مثل الكتاب والمتعلمين وشيوخهم.

القسم الثاني: السماسرة المستخدمون عند التجار الفرنسيون في أمور تجارتهم... عدد السماسرة الذين يكونون في الحماية، لا يزيد عن اثنين في دار كل متجر²⁵⁵

وكانت هذه الاختيارة تتطلع لانتزاع تنازلات ملائمة لمراميها التجارية، وقد استغل المفهوم الفرنسي بيكلاير مخاوف المخزن ازاء انتشار الحماية، ولا سيما في البوادي حيث تكاثرت المخالفات في مجال الزراعة وتربية الماشي، وانعكس سلبا على مستوى ارادات بيت المال الجبائية، وبفعل هذه الاوضاع المزرية لم يكن لسيدي محمد بن عبد الرحمن الا ان يندفع بالتفهم الذي ظاهر به الدبلوماسي الفرنسي والاستعداد الذي ابداه لإدخال تعديل يقضي بالتمييز بين الحماية والمخالفات ومن اجل تحسيب مداخلاته الضريبية اتخذ المخزن مباحثات توجت باتفاق 1863 م²⁵⁶ وتم خلاله الاعتراف الصريح بالفرق بين الحماية والمخالفات، وتضع حدا للارتفاع السائد في المجال اذ انهما انزلتا المخالفات وجعلت منها مجرد اجراء تقني من شأنه تسهيل تدخل المواطنين الفرنسيين في القطاع الفلاحي لا غير، لكن النص الفرنسي لم يتضمن تنازلات من هذا القبيل، وكان من شأنه ان يصيب المفوضين المغاربة بالذهول لو اطلعوا على حقيقة فحواه وقابلته للتأنق في اتجاه مغایر تماما لما فهموه او تلقي بيكلاير عمدا اثارة انتباهم الى سوء فهمهم له، وهذه الانحرافات التي كان يتضمنها الاتفاق وتحايل بيكلاير في الاتفاق كان له انعكاس كبير على تأكل السلطة المغربية بفعل تدني المداخل الضريبية المؤددة على الزراعة وتربية الماشي، وتملص المخالفين من الكلف المخزنية، والحركة وشن الاحكام في حالة اقتراف هؤلاء لجرائم، ودخولهم في نزاعات مع غيرهم من الرعايا²⁵⁷، كما ان مؤتمر مدريد لعب دورا حاسما من خلال اقراره حق امتلاك العقارات والاراضي للأجانب مما جعل من هذا المؤتمر منعطفا خطيرا في تقييد المخزن المغربي، وصعوبة تحصيل الضرائب بمختلف انواعها بما في ذلك الزكاة والجزية خاصة مع انتشار الفساد بشتى اشكاله في صفوف المغاربة للحصول على الحماية الأجنبية للإفلات من اداء واجباته الجبائية، واستغل الاجانب المؤتمر للانتقال من تجارة يعتمدون على المحميين كوسطاء الى ملاكين للأراضي والعقارات²⁵⁸

الفصل الثالث: تبعيات هزيمة اسلی السياسية والاجتماعية.

المبحث الاول: الجانب السياسي.

كانت لهزيمة اسلی تبعيات سياسية خطيرة على المجتمع المغربي، فقد فتحت ابواب للأطماع الاوربية، فمباشرة بعد الهزيمة قامت قبائل وجدة علاقات تجارية مع السلطات الفرنسية بغرب الجزائر، فاعتبر المخزن ذلك مصيبة من اعظم المصائب، ودعا القبائل المعنية الى مقاطعة الكافر ومصارمة اهل شيعته، وهذا ايضا جهاد في نظر المخزن، وقد احتل الامر على قبائل الحدود بسبب التناقض الظاهر في سياسة المخزن، فهو من جهة يهادن فرنسا ومن جهة ثانية يحدر القبائل وينزعها من التعامل معها، وبعد توقيع اتفاقية للامغنية حول الحدود في 18 مارس 1845 م²⁵⁹ وتم الاتفاق خاللها على مجموعة من الشروط القاسية في حق المغرب ومن اخطر هذه الشروط:

²⁵⁵ عبد الرحمن ابن زيدان، اتحاف اعلام الناس، الجزء 3

²⁵⁶ محمد كنبيب المحميون، بحوث ودراسات رقم 47 ، ص. 92

²⁵⁷ المرجع نفسه ، ص. 94.

²⁵⁸ محمد كنبيب، م. س. ص 104.

عكاشه برحاب. شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي ، ص 101²⁵⁹

"الشرط الاول: اتفق الوكيلان على ابقاء الحدود بين ايالي المغرب والجزائر كما كانت سابقا مع ملوك الترك وملوك المغرب السابقين، بحيث لا يتعدى احد على حدود الاخر ولا يحدث بناء في الحدود في المستقبل ولا تمييز بالحجارة، بل تبقى كما كانت قبل استلاء الفرنسيين على مملكة الجزائر".

الشرط الرابع: ان ارض الصحراء لا حد فيها بين الجانبين لكونها لا تحرث وانما هي مرعى فقط لعرب الايالتن التي تنزل فيها وتنتفع بخصبها وماها... ولكل السلطانين التصرف في رعيته بما شا وكيف شا من غير معارض...".

الشرط السادس: ان الارض التي قبلة قصور الفريقين في الصحراء لا ماء فيها فلا تحتاج للتحديد لكونها ارض فلاة"²⁶⁰.

وفي سنة 1906م انعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء، وكان المولى عبد العزيز يعتقد ان عقد مؤتمر سيكون الوسيلة الوحيدة الناجعة، لفك طريق الحصار الذي سعت الدبلوماسية الفرنسية الى ضربه حول المغرب، فبذلك الوسيلة سيأخذ المغرب الضمانات الكافية من جميع الدول، حتى لو تكفلت فرنسا بالإصلاحات المزعومة المقترحة. ذلك ان هذه المقتراحات ستناقش بين ممثلي جميع الدول وممثلي المغرب، وكان الهدف من ذلك احترام استقلال البلاد وضمان سيادتها من طرف جميع الدول المعنية، وقبلت فرنسا حضور المؤتمر مرغمة، بعد ان كادت علاقتها مع المانيا تؤدي الى نشوب حرب بين الدولتين اثر الاتفاق الذي بينهما سنة 1905م حول النقطة التي سيتم التطرق لها في المؤتمر، الذي انعقد بالجزيرة الاسانية في 16 يناير 1906م وانتهى بالصادقة على ميثاق عام 7 ابريل 1906م²⁶¹ والجدير باللاحظة، هو ان معظم الوفود التي حضرت ايدت وجهة النظر الفرنسية، وخاصة الدول التي تربطها بهذه الاختير اتفاقيات، وبذلك لم يستجب المؤتمرون لرغبات الوفد المغربي ومطالب المغاربة²⁶²، واكد على الوصاية الدولية ومدعما للاستغلال الاجنبي للمغرب، ففي الفصل الاول قرر المؤتمر تنظيم شرطة بالموانئ المغربية المفتوحة للتجارة ويخضع تأطيرها للفرنسيين والاسبان وحدهم، وهذا ما كان يعارضه المغاربة ورفضوه سنة 1905م وسيكون لهذه المسالة عواقب خطيرة على البلاد، وعلى اثاره الفتنه ضد الاجانب، لأن الدولتين سستستغلانها للتدخل في الشؤون الداخلية للمغرب²⁶³ وفي سنة 1907م تم احتلال وجدة من طرف القوات الفرنسية في 25 مارس وكانت حجة فرنسا العلنية لاحتلال وجدة هي طلب انصافها في قضية مقيل مراكش "موشان" وحل ما كان من دعاوى سابقة، واعلن احتلال مؤقت و沐لى بتلبية كل المطالب الفرنسية، وانه سيبقى منحصرا في المدينة لا غير، وهذا هو الغرض المعلن عند احتلال المدينة، وقد سعى التبرير المذكور الى طمأنة قبائل وجدة تفاديا لاندلاع مقاومة شعبية ضد الغزاوة، وبعد ان استقرت القووة الفرنسية بالمدينة، بررت فرنسا الاحتلال بانعدام الامن بمنطقة الحدود منذ عدة سنوات، اضافة الى انشاء مركز للديوانة بقصبة عجرود وتحصيل رسوم على الواردات مع ان ذلك يتعارض مع اتفاقيات 1901-1902م.

ان الواقع في عين المكان منافق مع لما ادعته فرنسا علينا، فقد ابقت السلطات الفرنسية الجهاز المخزن المحلي كما كان سابقا، لكن بدون سلطة، اما السلطة الفعلية فهي في يد الضباط الفرنسيين الذين اشرفوا على دواليب الجهاز المخزن المحلي، واستحدثت مرافق جديدة في المدينة هدف اظهار ان الاحتلال ليس مؤقتا كما هو مصريح به رسميا، ولتأكيد هذه السياسة عين مفوض للحكومة الفرنسية بالمدينة ابتداء من 19 ابريل 1907م، وكانت مهمته السهر على تسيير الجهاز المخزن بالمدينة، وتطبيق اتفاقيات 1901 و1902م²⁶⁴، وفي الوقت الذي كانت فيه السلطات الفرنسية جادة لاستئصاله

عبد الرحمن بن زيدان. اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس الجزء 5، ص 166²⁶⁰

عكاشه برحاب.م.س، ص 367.²⁶¹

المرجع نفسه. ص 368.²⁶²

عال الخديعي. التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية ، ص 73²⁶³

المرجع نفسه، ص 74.²⁶⁴

القبائل وتوسيع منطقة الاحتلال، بعث السلطان رسائل الى قبائل عمالة وجدة شرح فيها اسباب الاحتلال وحمل الرعية كل المسؤولية، لكنه اكد لهم ان المخزن جاد في ترضية مطالب فرنسا حتى يخرج عسكرها من المدينة ، وخطفهم في اخر رسالة بما نصه " وعلى كل حال فلا يأخذكم هول ولا يروعكم تشویش، فاننا بحول الله مهتمون بهذا الامر وبمال الغون في معالجته حتى يخرج بسلام، فليسن جاشكم ويكمئن بالكم لأننا لا نأول جهدا في صيانتكم والدفاع عنكم بأموالنا ورجالتنا بحول الله حالا واستقبالا²⁶⁵"، ولم يكن هذا الخطاب خاص باهل وجدة، بل ارسل ايضا الى باقي جهات المغرب، وسعى اساسا الى تحذير القبائل وتهديي المشاعر خوفا من ردود فعل قوية ضد الاجانب، وخصوصا الفرنسيين منهم، كما تم الاحتلال الدار البيضاء في 5 غشت من نفس السنة اي سنة 1907م ونتج عن قنبلتها تأثير كان له صدمة في مختلف مناطق المغرب، وكانت سببا مباشراما حدث من تغيير على الحكم في المغرب، فقد دفعت هذه الحديثة مولاي عبد الحفيظ اخ السلطان عبد العزيز وخليفة بمراكش الى اعلان بيته سلطانا بالدرب، وتم عزل أخيه من الحكم كما وجد سكان فاس وعلماؤها في الاحتلال الدار البيضاء الذي اعتمدوا عليها لإعلان بيته مولاي عبد الحفيظ، ويظهر ان العواقب السياسية للحادثة لا تقتصر على ما حدث من تطورات داخل المخزن المغربي، بل نجد الفرنسيين يلجمون الى معاقبة كل من اظهر عواطفه الوطنية المتضامنة مع اخوانه، والمعارضة لتصرفات الفرنسيين، وأول من اصابته مصيبة حادثة الدار البيضاء قائدتها ابو بكر بن بوزيد السلاوي²⁶⁶. بن بوزيد هذا وجد نفسه امام نارين؛ الأولى اتهم بالتعاون مع ماء العينين وثم المطالبة بعزله من منصبه، بعدما ظهر لهم انه يتميز في تعامله باللين واللطف او بالتعاون والتآمر على الفرنسيين خاصة اثناء حادث 30 يوليوز 1907، كما كان من نتائج ذلك " تعرض بعض الزعماء، الذين وجهت لهم بهم، بالتحريض ضد الأجانب، ودفع السكان الى معارضه المشاريع الفرنسية. تعرض هؤلاء إلى السجن بدورهم وصودرت أملاكهم. وكان على رأسهم قائد أولاد حرير، الحاج محمد بن الحاج حمو، وال الحاج الحسين بن محمد الزياني وال الحاج سليمان بن عبد الله الزياني"²⁶⁷.

المبحث الثاني: الجانب الاجتماعي.

ترتب عن هزيمة اسلی مجموعة من الاضطرابات الاجتماعية التي عصفت بالمجتمع المغربي، ودفعت به الى ابرام مجموعة من المعاهدات التي كانت لها صدى كبير على الجانب الاجتماعي للمغرب، وهذه المعاهدات سمحت للأجانب بالوصول الى المغرب، وخلوت لهم حق الملكية فيه، وترتبط عن ذلك تفويت المغاربة ممتلكاتهم الى الأجانب من اجل الحماية، حسب مصطفى بوشيرة في كتابه الاستطان والحماية في المغرب ان احد الاجانب طلب احد المغاربة بحمايته فقال له " اشهد لي امام عدلين بملكتي لأغنمك وابقارك وخ يولك، وسنكون شريكين في ربح راس المال هذا، وتحت مظهر امتلاكي انا الذي سيكون في الواقع امتلاكك انت ستكون مهنيا لي اي سمساري"²⁶⁸، وفي الواقع ان الاجانب استعملوا هذه الوسيلة المتمثلة في الحماية القنصلية من اجل تسخير المغاربة لهم لنهب ممتلكاتهم، واموالهم وتهميشهم، وهذه الطريقة استعملها الجانب سنوات طويلة في المغرب " أصبح من السهل كل تاجر ان يستخدم مغاربة بصفتهم سمسارة محظيين للتتدخل في الاسواق الداخلية ومنافسة المغاربة في شراء المواد الخام، كالحبوب والاصناف والجلود وغيرها"²⁶⁹، وهذه الحمايات القنصلية التي استعملها الاجانب كانت لها اوضاع اجتماعية خطيرة، حيث اصبح المخزن غير قادر على فرض سياسته على ارضه ورعاياه وهو ما مهد لظهور انفلاتات امنية خطيرة اتخذت عدة مظاهر، كتفشي الفساد والفوبي بين صفوف المحظيين وخاصة ذوي النفوذ والولاة والقيادات وكبار التجار، وانتشار ظاهرة التهريب ومالها من عواقب خطيرة على امن

²⁶⁵ نفسه، ص 75.

²⁶⁶ نفسه، ص 278.

²⁶⁷ علال الخديجي، م. س، ص 278.

²⁶⁸ مصطفى بوشيرة، الاستيطان والحماية بالمغرب ، تقديم عبد الوهاب بن منصور ، الجزء الاول ، ص 147.

²⁶⁹ علال الخديجي. م. س، ص 138.

السكان وممتلكاتهم، وإنيار المخزن وعدم قدرته على التدخل، خاصة عندما يتعلق الأمر بالمحميين، وهذا دفع بالكثير من المغاربة خاصة المحافظين منهم عن التعامل مع الأجانب واعتبار ذلك خروج عن الملة والزيغ عن تعاليم الدين الإسلامي، ان تحولت من منطق الرفض إلى التهافت والتسابق على الحماية من الأجانب.

• الإصلاحات المغربية:

لم يبق المخزن مكتوف الأيدي امام كل هاته الاخطار وما نتج عنها من مشاكل، بل نهج سياسة إصلاحية تهدف الى تطوير البلاد وتقوية قدرتها على الصمود في وجه كل هذه الاخطار، وتمثل هاته الإصلاحات في الآتي:

- **إصلاحات عسكرية:** تكوين جيش نظامي لتعويض الجيش التقليدي، وهذا ما يتضح من قول "بيجة سيموا؛" ومهما كان الامر لقد ترسخت لدى السلطان (مولاي عبد الرحمن بن هشام) وابنه سيدى محمد ضرورة التفكير في شروط وشكل إصلاحات مماثلة لما تم في المشرق، وإن بدرجات مختلفة. لقد طمها إلى تكوين نواة جيش وطني قادر على تعويض قبائل الكيش وجيش البخاري الذين ظلا إلى هذا الوقت أساس الجيش المغربي²⁷⁰، بالإضافة إلى جلب مدربين أوربيين بأجور مضاعفة، استيراد الأسلحة من الخارج، اقتصر دور بريطانيا في الإصلاحات العسكرية لسيدي محمد بن عبد الرحمن على الاستمرار في جلب الأسلحة من المصانع البريطانية، ففوض السلطان للتاجر البريطاني فورد جلب المدافع قصد تقوية القدرة الدفاعية لتطوان وغيرها من المدن الساحلية. كما حاول التاجر الإنجليزي كورتيس، الذي كان يقيم في الصويرة، تزويد المخزن بأصناف من المكافحة والمدافع... أما التاجر الرياطي محمد الدكالي، فقد أستند إليه مهمة جلب المدافع من مدينة ليفرپول.²⁷¹ عدا إنشاء معامل لإنتاج الأسلحة بفاس ومراکش تحت اشراف اجنبي (المكينة 1888 بفاس، معمل القرطوس بمراکش)، زد على ذلك فقد ثم ارسال مجموعة من البعثات الطلابية إلى الأكاديميات العسكرية ومصانع السلاح الأوربية.

- **إصلاحات اقتصادية:** تشجيع محمد بن عبد الرحمن زراعة وصناعة القطن والسكر لتحقيق الاكتفاء الذاتي، فقد اهتم سيدى محمد بن عبد الرحمن بالقطن والسكر اللذين كان استيرادهما يكلف المغرب مبالغ هامة، فقام منذ 1860 بتشجيع زراعتهما في منطقة الحوز، وبدأ يفكر في تصنيع جزء منها. فاشترى سنة 1861 من إنجلترا الآلات الضرورية لذلك، وتم إعداد بناءات ضخمة في مراکش لوضع هذه الآلات. وأمر بالتفكير في توسيع زراعة القطن في مناطق أخرى، وصار يشجع الفلاحين بمدهم بالبذور، بل واشتري من بلجيكا آلة جديدة للحرث... وفي موعد أشرف مصنعاً لصناعة الورق...²⁷²، بالإضافة إلى إنشاء مصنع للورق واستغلال المخزن لمagem الفحم، سك عملة جديدة من الفضة والنحاس بأوروبا في عهد الحسن الأول، وهو ما يظهر من قول عمر أفا؛" وقد بدأت محاولات الإصلاح النقدي في القرن 19 بالتجديد الذي اجراه مولاي سليمان لسعر الريال الإسباني ومساوته بالمقابل المغربي...وجعل (سيدى محمد بن عبد الرحمن، الريال يساوي 32 أوقية... وتوصل السلطان مولاي الحسن إلى نوع من التجديد في الإصلاح وذلك بضرب النقود بأوروبا سنة 1881"²⁷³، كما فرض ضريبة الموكوس على الجلد والأبواب والبهائم والأسواق ودفع الضرائب النقدية إضافة إلى محاولة فرض ضريبة الترتيب سنة 1884.

Bahija simou, les réformes militaires au maroc de 1844 à 1912, rabat, 1995, p 127²⁷⁰

²⁷¹ خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19، 1886-1856، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل واطروحات العدد 34 الرباط 1979 ص. 456.

J.l.miege, le maroc et l'europe 1822-1906, rabat, 1996, tome 3, p.116²⁷²

²⁷³ عمر أفا، مشكلة النقود ومحاولات الإصلاح في المغرب القرن 19، ضمن الإصلاح والمجتمع ص86

- **الإصلاحات الإدارية:** اصلاح شؤون المراسي بتوجيهه من القنصل البريطاني بطنجة، واقالة كبار أمناء المراسي وتعويضهم بأمناء مأجورين، اصلاح نظام السلطة المحلية بتجزئي القيادات الكبرى الى وحدات إدارية صغرى للضبط وتفادى معارضته المخزن، اصلاح الجهاز المخزن بإحداث وزارات جديدة مثل العمال الكبير ووزير البرانية الخارجية.

- **إصلاحات تعليمية:** تأسيس مدارس جديدة مثل الدراسة الحسنية بفاس في عهد الحسن الأول وتدريس مواد الحساب، الهندسة، التنجيم، الجغرافية، اللغة العربية، المبادئ الدينية الأولية، لغة أجنبية²⁷⁴ والفلك... كما ثم ارسال بعثات طلابية الى اروبا على نفقة المخزن للاستفادة من تطور الدول الأوربية في عدة مجالات.

خاتمة

صفوة القول، ترب عن هزيمة المغرب في معركة اسلی، تبيعات كثيرة كان لها انعكاسات سلبية وخطيرة على المجتمع المغربي، وكشفت النقاب عن ضعف المغرب عسكريا مما ساهم في تزايد اطماع الدول الاوروبية فيه، وبذلك اقتحمت الدول الاربية البلاد من خلال عقدها لمجموعة من المعاهدات التي شكلت انقلاب موازين البلاد من جميع النواحي، سواء العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، انتهت بفرض نظام الحماية عليه، والتي تصدى لها بأساليب مسلحة تمثلت في اندلاع مجموعة من الثورات في مختلف ربوع البلاد في الريف بزعامة محمد بن عبد الكريم الخطابي، وفي الاطلس المتوسط بزعامة مoha او سعيد الوراوي، مoha او حمو الزيني وسيدي رحو... بالإضافة الى الأساليب السياسية المتمثلة في الحركة الوطنية.

الببليوغرافيا

- ثريا برادة، الجيش المغربي وتطوره في القرن 19، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة رسائل وطروحات رقم 37.
- خالد بن الصغير، المغرب وبريطانيا في القرن التاسع عشر-1856، 1886- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل واطروحات رقم 34 الرباط 1997
- الاصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912، تأليف وتعريب بهيجة سيمو.

محمد كنبيب، المحميون ، بحوث ودراسات رقم 47

- عمر افا. كتاب التجارة المغربية في القرن التاسع عشر، البنيات والتحولات 1830- 1912-
- عكاشة برحاب، شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي
- عبد الرحمن بن زيدان، اتحاف اعلام الناس بجمل اخبار حاضرة مكناس، الجزء الخامس، الطبعة الأولى 1933.
- مصطفى بوشعرة ، الاستيطان والحماية بالمغرب ، تقديم عبد الوهاب بن منصور ، الجزء الاول .
- علال الخديمي، التدخل الاجنبي والمقاومة بالمغرب حادثة الدار البيضاء واحتلال الشاوية، الطبعة الثالثة: 2006.

²⁷⁴ محمد المنوني، مظاهر يقطنة المغرب الحديث، ج 1 ص 147

تطور التخطيط الحضري بالمغرب، بين ضبابية الرؤية وهيمنة النزعة التحكمية

Evolution of urban planning in Morocco, between dirigisme and blurred vision

حميد بوكرين، طالب باحث بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب

hamid.bougrine@uit.ac.ma

الملخص:

تعرف المدن المغربية أزمة على مستوى تدبير مجالاتها الحضرية، بالنظر إلى العديد من العوامل من بينها كثرة المتتدخلين في عملية بلورة المخططات الحضري وهيمنة سياسة قطاعية مشتلة وكذا غياب مخاطب أساسي برؤية موحدة ضمن سياسة وطنية كبرى حول إعداد المجال، تقدم تصورا حول إعداد المجالات الترابية الوطنية بصورة متكاملة ومتوازنة وعادلة؛ بالإضافة إلى الدور المركزي الذي تلعبه الدولة المركزية، صاحبة "الحل والعقد" في مجال الإعداد والتسيير الترابي، عبر تدخل أجهزتها المركزية والمحلية في ضبط المجال الحضري وتوجيهه؛ وهو الأمر الذي يفسر استمرار وصاية وزارة الداخلية على قطاع التعمير بالمغرب، باعتبار التخطيط الحضري أداة مراقبة اجتماعية للنظام الحضري. تنضاف إلى كل هذا مجموعة من التغيرات التي تطال المنظومة القانونية المرتبطة بتدبير الشأن الحضري ذاتها.

الكلمات المفاتيح: التخطيط الحضري – التحكم في المجال الحضري – السلطة المركزية – المراقبة الاجتماعية.

Abstract:

Moroccan cities are experiencing a crisis at the level of managing their urban spaces, given many factors including many interventions in the process of developing urban schemes, and the dominance of a fragmented sectoral policy, and also the absence of a keynote speaker with a unified vision within a major national policy on the spatial planning which provides a vision for the integrated, balanced and equitable development of national territorial spaces on the other hand ; in addition to the central state's key role in the field of spatial planning through the intervention of its central and local agencies in the control and guidance of the urban space. This explains the continuing custody of Morocco's urbanism sector by the ministry of the interior, whereas urban planning is a means of social control. All this adds up to a many gaps in the legal system associated with urban governance itself.

Key words: urban planning – urban control – central authority – social control

مقدمة:

تشكل هذه الورقة جزءاً من متابعيتي العلمية، من موقع الباحث السوسيولوجي المهتم بقضايا تهيئة المجال، وخاصة ما يتصل بشؤون التعمير والتخطيط الحضري ومدى حضور رؤية موحدة ضمن سياسة وطنية كبرى حول إعداد المجال، تقدم تصوراً حول إعداد المجالات الترابية الوطنية بصورة متكاملة ومتوازنة وعادلة، في ظل هيمنة سياسة قطاعية مشتلة وهيمنة نزعة تحكمية في صناعة القرارات المتصلة بتدبیر قطاع التعمير. ومن المعلوم أن الطابع المركزي في تدبیر المجال الحضري والتحكم فيه قد لقي نقداً من طرف السوسيولوجيا، تمثل في مساهمات عدد من السوسيولوجيين الذين يمثلون مرجعاً في هذا الباب من أمثال هنري لوفيفر (Henri Lefebvre)، مانويل كاستل (Manuel Castells)، رايمون لودري (Raymond Ledrut)، جان لوچكين (Jean Lojkine)؛ وكذا بعض السوسيولوجيين المغاربة المهتمين بالشأن الحضري من أمثال عبد الرحمن رشيق (Rachid Abderrahmane)، دون أن ننسى عدد من الجغرافيين ذوي الإسهام المتميز في الدراسات الحضرية.*.

تسعى الورقة إلى تقديم عناصر أولية تبين طبيعة الرؤية الموجهة للتخطيط الحضري بالمغرب، وكذا طبيعة صناعة القرار المتصل بتدبیر قطاع التعمير، وذلك من خلال محاولة التفكير في الأسئلة الآتية: ما طبيعة الرؤية الموجهة للتخطيط الحضري بالمغرب؟ وما طبيعة القرار المنظم للشأن الحضري على المستوى الوطني؟ ثم كيف يمكن تفسير تعدد الأجهزة المكلفة بالitecting من جهة، وانتقال مسؤولية تدبیرها بين قطاعات وزارية متعددة في ظل استمرار وصاية وزارة بعینها على القطاع من جهة أخرى؟

من أجل الإجابة عن الأسئلة المطروحة، تعتمد هذه المساهمة على نتائج عملية التنقيب في القوانين والمراسيم والدوريات والوثائق المنظمة لقطاع التعمير والتخطيط الحضري بالمغرب الصادرة منذ فترة الحماية إلى الآن، وكذلك نتائج مقابلات مع ممثلي بعض المؤسسات المتدخلة في تدبیر الشأن الحضري. وقبل ذلك ستقدم هذه المساهمة مدخلاً/تأطيراً معرفياً موجزاً لمفاهيم المجال والتخطيط الحضري والتعمير من منظور سوسيولوجي، قبل التطرق إلى التجربة المغربية فيما يخص طبيعة رؤيتها لتنظيم المجال الترابي وصناعة القرار المتصل بتدبیر الشأن الحضري.

1- المجال والتخطيط الحضري في دائرة العلوم الإنسانية والاجتماعية

تهل هذه الورقة من حقوق معرفية تتصل بسوسيولوجيا المجال، والسوسيولوجيا الحضرية، وكذا سوسيولوجيا المدينة، وسوسيولوجيا التخطيط الحضري؛ وخاصة ما اتسمت به هذه المعرفة من صراعات بين اتجاهات نقدية قوية وبين اتجاهات بيروقراطية أخذت السيادة على القرار الإداري في مجال التعمير (التجربة الفرنسية)، وهي معرفة تصلح لقراءة تجربتنا الوطنية (المغربية)، مدرومة ببعض الاجتهادات العلمية وطنياً وإقليمياً لباحثين في السوسيولوجيا، والجغرافيا، والقانون، والعلوم السياسية؛ من شأنها المساعدة على تقرير فكرة هذه المساهمة ومساعها.

-1.1- الطابع السياسي للمجال:

* من أبرزهم قيدوم الدراسات المجالية المغربية الأستاذ محمد الناصري.

« Il y a politique de l'espace, parce que l'espace est politique »²⁷⁵

"هناك سياسية للمجال لأن المجال سياسي"

شكل المجال موضوعاً للدراسات من مختلف الحقول المعرفية التي حاول البعض منها جعل المجال حكراً عليه دون غيره. وقد تجاوز علم الاجتماع النظرة القائلة بأن المجال مجرد معطى طبيعي يمكن اختزاله في بنائه المادي الجغرافي فقط. فالمجال ليس واقعاً محايده وليس معطى مستقلاً، وإنما هو منتج جماعي يعكس قيم وتمثلات أولئك الذين شكلوه في الماضي ويشكلونه في الحاضر. الأمر الذي يدفعنا إلى التفكير فيما يجري ويدور خلف المجال وتمثيلاته الموجهة سياسياً؛ وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن إنتاج المجال (التخطيط الحضري) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بمسألة السلطة وحيازتها.

كما شكلت الأفكار المتعارضة والمصالح المتباعدة المتصلة بالمجال منطلقاً للتساؤل حول الاستعمال السياسي للمجال بوصفه أداة (instrument) ضمن الأيديولوجيات الحضرية. هذا الأمر يسمح بتناول العلاقات المتربطة بين المجال الحضري والسياسة بشكل أعمق، على اعتبار أن الاهتمام بالأيديولوجيا الحضرية هو أيضاً اهتمام بالتوجه السياسي للتمثيلات الاجتماعية للمجال التي تفضي إلى تنظيرات وممارسات وإلى فعل عمومي بطبعية الحال.

عرف هنري لوفيفر (Henri Lefebvre) الأيديولوجيا المجالية بأنها "نظام من الدلالات والمعاني عن الواقع المالي، ومنتج استراتيجية سياسية تفرض تمثيلاتها بل وحاجياتها وتطلعاتها على الطبقات الخاضعة"²⁷⁶ هذا يعني أن هناك نوع من الاستلاب (aliénation) داخل المجال، وأن المجال سيكون موضوع صراع أيديولوجي. ضمن هذا الإطار، صرخ لوفيفر في كتابه "إنتاج المجال" (La production de l'espace) أنه لا يمكن الحديث عن أيديولوجيا دائمة (pérenne) دون العودة إلى المجال، على اعتبار أن كل مجال مفكر فيه (conçu) يحمل أيديولوجيات معينة. يقول لوفيفر في هذا الصدد: "إن ما يطلق عليه بالأيديولوجيا لا يأخذ اتساقه وصلابته (consistance) إلا من خلال التدخل في المجال الاجتماعي وفي إنتاجه"²⁷⁷ بصيغة أوضح يمكن للأيديولوجيا أن تتولد عن المجال بوصفه منتوجاً اجتماعياً، كما ينتج المجال عدة أيديولوجيات بنفس القدر الذي يمكنه أن يخضع لها، وحتى إن تم إنتاجه من طرفها فإن الأيديولوجيا لا يمكن أن توجد إلا بالرجوع إلى المجال.

يفيد هذا ما تمت الإشارة إليه من قبل، من كون المجال ليس محايدها ومستقلاً، بل هو موضوع للتنافس السياسي والاستخدام الأيديولوجي المباشر وغير المباشر.

-2.1 التعمير بوصفه ممارسة فعل سياسي على المجال:

يرى هنري لوفيفر أن المجال ليس مجرد حامل محايده أو وعاء لأنشطة الاجتماعية، بل إنه أصبح رهاناً وحاملاً لاستراتيجيات وتمثيلات اجتماعية متعارضة؛ فالمجال حامل نسيط، يدمج توترات وتمثيلات وممارسات ضمن كيانه، لكنه

²⁷⁵ Lefebvre, Henri, *Le droit à la ville suivi de 'Espace et politique'*, Ed. Anthropos, Paris 1972, p192.

²⁷⁶ Lefebvre Henri, 2001 [1966], « Préface », in : Raymond Henri, Haumont Nicole, Dézès Marie-Geneviève, Haumont Antoine, 2001 [1966], *L'Habitat pavillonnaire*, Paris : L'Harmattan., p 20-22.

²⁷⁷ Lefebvre, Henri, *la production de l'espace*, Ed. Anthropos, Paris, 2ème édition 1981, p 55.

حمل بعلامات ورموز، وأيضاً لكونه منتوج يتم تملكه وتحويله بحسب مصالح وقيم وأفكار مطبوعة بالصراع في إطار ما سماه لوفيفر بتعارض المجال (²⁷⁸*une contradiction de l'espace*) .

فإذا صرخ لوفيفر، بصفته منظراً للسوسيولوجيا الحضرية الناشئة، بأن المجال (الاجتماعي) منتوج (اجتماعي)²⁷⁹ فإنه أيضاً وبطبيعة الحال، منتوج سيامي. يتعلّق الأمر إذن في الآن ذاته بمنتوج ورهان سياسيين²⁸⁰ فال المجال منتوج سياسي بالمعنى الذي يشكل حصيلة لاستراتيجيات وتمثلات وممارسات متعارضة، تجري بدلالة النماذج السوسيوثقافية والمصالح الخاصة والواقع الاجتماعية لكل فئة. كما أن المجال رهان سيامي أيضاً، باعتباره حاملاً (support) وأداة وموضوع نزاع وصراع²⁸¹. إن هناك بالفعل مجالات مهيمنة (dominantes) ومجالات خاضعة (dominés). وبناء عليه يمكن القول أن المجال الخاضع، ضمن الإنتاج الرأسمالي للمجال الاجتماعي، هو المجال المعاش (l'espace vécu)، أي مجال التمثلات والحياة اليومية؛ وهو مجال من المستوى الثاني، في حين أن المجال المفكّر فيه (l'espace conçu) – أي مجال أولئك الذين يضعون تصوراً له (مهندسو حضريون، مخططون حضريون، صانعوا القرار)، يشكل المجال المسيطر²⁸² ضمن هذا السياق، يمكن القول إن المجال الحضري سيامي لعدة اعتبارات:

- أولاً، لكونه موضوع سياسات عوممية، على اعتبار أن سن سياسات حضرية سواء على المستوى الوطني أو المحلي يحيّل بطبيعة الحال على رؤية خاصة ومرغوب فيها للمجتمع.
- ثانياً، وبسبب الرابط الموجود بين المجال والمصير الاجتماعي بما بحمله المجال المعاش من تمثيلات، فإن المجال الحضري مرتبط بمسألة السلطة: سواء تعلق الأمر بالحفظ علىها أو السعي إلى امتلاكها (ممارسة سلطة على المجال من جهة وعلى المجال الاجتماعي من جهة أخرى أيضاً)²⁸³.
- ثالثاً، ودائماً في ارتباط بالخصائص السابقتين، فإن المجال الحضري سيامي لأنه موضوع رهانات وصراعات.

3.1 التعميربوصفه فعلاً لممارسة السلطة:

ارتبط التعمير في العديد من الكتابات ذات الصلة بدراسات التخطيط الحضري بمسألة السلطة، أي سلطة اتخاذ القرارات التي تهم أنماط استعمال المجال. يقول جون-بول لاكاز (Jean-Paul Lacaze) في هذا الصدد: "يمكننا الذهاب بعيداً في التحليل النظري للتعمير، لكن شريطة قبول دراستهبوصفه فعلاً لممارسة السلطة"²⁸⁴ وهي مسألة ضرورية، بحسب الكاتب، من أجل تقديم إيضاحات حول العلاقات الموجودة داخل مجالات اتخاذ القرارات السياسية والإدارية. ذلك أن الجسم في الخيارات المتصلة بمعايير تلك القرارات هي عملية مركبة إن لم نقل مؤسسة لخصوصية التعمير.

²⁷⁸ Lefebvre, Henri, *Le droit à la ville suivi de ‘Espace et politique’*, Ed. Anthropos, Paris 1972, p 258.

²⁷⁹ Lefebvre, Henri, *la production de l'espace*, Ed. Anthropos, Paris, 2ème édition 1981, p 35.

²⁸⁰ Lefebvre, Henri, *Le droit à la ville suivi de ‘Espace et politique’*, Ed. Anthropos, Paris 1972, p 187.

²⁸¹ Ibid, p191.

²⁸² Lefebvre, Henri, *la production de l'espace*, Ed. Anthropos, Paris, 2ème édition 1981, p 48-49.

* يقول إيف لاكoste (Yves Lacoste) في هذا الصدد: "إن معرفة المجال والتحكم فيه يسمح بالحفاظ على السلطة (العسكرية والسياسية أيضاً)، كما يسمح أيضاً بالحفاظ على السلم الاجتماعي." (LACOSTE Yves, 2012 [1976], *La Géographie, ça sert d'abord à faire la guerre*. Paris : La Découverte).

²⁸³ LACOSTE Yves, 2012 [1976], *La Géographie, ça sert d'abord à faire la guerre*. Paris : La Découverte.

²⁸⁴ Lacaze, Jean-Paul, *les méthodes de l'urbanisme*, 3ème édition corrigée, P.F.U, 1997, p 7.

يتحدث جون-بول لاكاز²⁸⁵ عن عنصرين يحجبان النقاش الحقيقى الذى بهم العلاقة بين التعمير والسلطة:

✓ يرتبط العنصر الأول بالوضعيات التاريخية التى تتمتع فيها بعض الأشخاص بسلطة حقيقة لإنشاء أو تحويل بنيات المدينة ومنحها صورة معمارية جديدة (أوسمان Haussmann) بفرنسا، هنري بروست (Henri Prost) بالمغرب (إبان المرحلة الاستعمارية). تكشف دراسة مثل هذه النماذج أن الأمر يرتبط دائمًا بوضعيات انتقالية واستثنائية تستجيب لإحدى الحالتين التاليتين:

- وجود إرادة سياسية عليا يتم التعبير عنها بطريقة صريحة في أشكال حضرية بعينها;
 - تراكم المشكلات الاقتصادية والاجتماعية إلى درجة لا تستطيع معها الأساليب التقليدية إيجاد حل لها؛
- ✓ أما المرجع الثاني، فيتصل بالتيار الفكري ذي النزعة الوظيفية في مجال التعمير، كما تم تحديده خلال ثلاثينيات القرن الماضي، من طرف المؤتمر العالمي للهندسة المعمارية الحديثة (CIAM)، وصياغته في ميثاق أثينا (la Charte d'Athènes). يزعم هذا التيار، وخاصة مع أبرز ممثليه: "لوكوجوبوزي" (Le Corbusier): باعتباره أنشأ شكلًا نهائياً عالمياً للمدينة الحديثة. غير أن هذا الطموح سرعان ما تحول إلى خيبة أمل، إذ أظهرت تجربة التجمعات الحضرية الكبرى (les grands ensembles) بشكلها المتماثل والنططي (uniforme) وتراكم المشكلات الاجتماعية المتصلة بها، أظهرت ذلك الطابع العقدي وغير العلمي لهذا التيار الذي قدم نفسه بوصفه نتيجة منطقية لتقدم التقنيات والمعارف.

لذلك كان لابد من تدخلات معرفية أخرى تراجع مثل هذه التجارب، بانفتاحها على تحليلات وقراءات أكثر عمقاً للتخطيط الحضري.

4.1 التأسيس لسوسيولوجيا التخطيط الحضري بوصفه موضوعاً للسوسيولوجيا الحضرية:

حظي التخطيط الحضري باهتمام العديد من الباحثين الأجانب المنتسبين إلى السوسيولوجيا الحضرية، عكس الدراسات الوطنية التي تعرف ندرة في هذا المجال²⁸⁶ فبتتحديد لعناصر النظام الحضري وعلاقات التفاعل فيما بينها، وضع "كاستل" أسس موضوع سوسيولوجيا إنتاج المجال التي ينبغي أن تركز اهتمامها على ما أسماه "التخطيط الحضري"، إذ قدم اللبنات الأولى لفرع سوسيولوجي جديد هو "سوسيولوجيا التخطيط الحضري". فمن خلال إبرازه للأهمية المتزايدة لتدبير النظام الحضري فيما يخص إنتاج المجال، توصل كاستل إلى استنتاج مفاده أن "الإرث الأساسي للسوسيولوجيا الحضرية، ضمن منهجية تحليل تاريخية، بهم دراسة التخطيط الحضري"²⁸⁷ ليعلن صراحة أن الموضوع الفعلى للسوسيولوجيا الحضرية إنما هو التخطيط الحضري²⁸⁸.

²⁸⁵ Lacaze, Jean-Paul, les méthodes de l'urbanisme, 3ème édition corrigée, P.F.U, 1997, p 7-10.

²⁸⁶ Rachik Abderrahmane, « La recherche urbaine au Maroc », SociologieS [En ligne], Dossiers, Actualité de la sociologie urbaine dans des pays francophones et non anglophones. mis en ligne le 15 novembre 2012.

²⁸⁷ Castells, M. (1969). Théorie et idéologie en sociologie urbaine. Sociologie et sociétés, 1 (2),, p188.

²⁸⁸ Ibid, p414.

- مفهوم التخطيط الحضري:

يعرف معجم التهيئة والتعمير التخطيط الحضري بكونه " مجموع الدراسات والتدابير والمساطر القانونية والمالية التي تسمح للمؤسسات العمومية بمعرفة تطور الأوساط الحضرية، وتحديد فرضيات التهيئة التي تهم في الآن ذاته حجم وطبيعة وموضع التطورات الحضرية، وال المجالات التي ينبغي حمايتها، ثم التدخل من أجل تنفيذ الخيارات المتبناة. في هذا السياق، تشكل وثائق التعمير جزءاً من التخطيط الحضري". يعكس هذا التعريف وجهة نظر المستغلين من داخل مجال التعمير والتخطيط الحضري؛ بحيث لا يشير إلى وجود قصدية للقائمين على هذا المجال في ممارسة نوع من المراقبة الاجتماعية للمجال الحضري من خلال أدوات التخطيط.

ونجد أن السوسيولوجي " رايمنون لودري " (Raymond Ledrut) قد ميز بين التعمير والتخطيط الحضري. إن هذا الأخير أداة مراقبة اجتماعية للنظام الحضري وليس علماً معيارياً للأشكال الحضرية الجيدة. فالخطيط الحضري مجموعة من الآليات والسياسات الاجتماعية التي تجعل مختلف التدخلات التي تساهم في تغيير المدينة وتحديد مسار تطورها متحكماً فيها بشكل واع (Ledrut, 1968, p.51). إن التخطيط مجموعة أدوات تسمح بالسيطرة على الظواهر الجزئية للمدينة عبر إدماجها في كلية حضرية، بشكل يسمح بالتحكم في مصير المدينة. يبدو أن هذا التعريف يشير بوضوح إلى هاجس المراقبة الاجتماعية الذي يورق بالقائمين على التخطيط الحضري، وهو الأمر الذي سنحاول إبرازه لاحقاً من خلال الاقتراب من طبيعة الرؤية الموجهة لقطاع التعمير وإعداد المجال على المستوى الوطني.

يأخذ التخطيط للمدينة من حيثين إثنين: التخطيط بواسطة هيئة "غربية" أكبر من الجماعة الحضرية، وهنا تتحدث عن نوع من الإكراه يسلب المدينة طابعها الخاص ويجعلها مجرد قطعة ترابية من مجتمع مركز تؤخذ فيه كل تفاصيل القرارات بشكل عمودي عبر هيئات مركبة للتخطيط. فالسلطة السياسية الوطنية تتکفل بمصير كل مدينة باعتبارها لا تشكل سوى جزء من مصير المجتمع ككل. أما المنحى الثاني، فعلى العكس من ذلك، يعتبر التخطيط الحضري مجموع الأدوات التي تحكم من خلالها المدينة في نفسها بشكل ذاتي، وتجعلها تسيطر على مستقبلها وتنظم وجودها. وهذا المنحى من التخطيط مشروط بتوفير ممثلي المدينة على سلطة قرار مستقلة. فعندما يلعب المركز الدور الأساسي في التخطيط، فإنه يمنع المدينة من التحكم في مصيرها. وفي هذه الحالة، يتحكم المجتمع الشمولي في وجود المدينة عبر هيئة ترابية عامة ووفق مخططات خاصة. لكن عندما تكون للمدينة سلطة في عملية التخطيط، فإنها تعني مشاكلها الخاصة والتوترات التي ينبغي إيجاد حلول لها. ذلك أن المدينة في هذه الحالة تصير موضوعاً وذاتاً في الآن نفسه، يصبح معها التخطيط الحضري صيغة خاصة للتنظيم والرقابة الذاتية²⁸⁹. ويتتنوع هذا التخطيط بدوره بحسب درجة مشاركة أعضاء الجماعة، وبحسب درجة وشكل الاندماج الجماعي للمدينة، وبحسب العلاقات التي ينسجها مختلف الفاعلين الحضريين، وكذلك بحسب أساليب المراقبة، بالإضافة إلى سلوك المؤسسات والهيئات المكلفة بالتعمير.

²⁸⁹ Ledrut, Raymond, Sociologie urbaine, P.U.F. 1968, p54.

2- التجربة المغربية في قطاع التخطيط الحضري:

تعرف المدن المغربية أزمة على مستوى تدبير مجالاتها الحضرية، بالنظر إلى العديد من الثغرات التي تطال المنظومة القانونية المرتبطة بتدبير الشأن الحضري، وهو ما أكدته تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي^{*} (المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي، 2014، ص18)؛ كما تعرف أيضاً كثرة المتتدخلين في عملية بلورة المخططات الحضرية وهيمنة سياسة قطاعية مشتتة وغياب مخاطب أساسى برؤية موحدة ضمن سياسة وطنية كبيرة حول إعداد المجال، تقدم تصوراً حول إعداد المجالات الترابية الوطنية بصورة متكاملة ومتوازنة وعادلة؛ بالإضافة إلى الدور المركزي الذي تلعبه الدولة المركزية باعتبار أن "الدولة المخططية هي دولة مركزية" بتعبير أنريك أوسمونت (Annik Osmont) L'Etat "planificateur est un Etat centralisé"²⁹⁰ إن الدولة المركزية هي صاحبة "الحل والعقد" في مجال الإعداد والتسيير الترابي، عبر تدخل أجهزتها المركزية والمحلية في ضبط المجال الحضري²⁹¹؛ وهو الأمر الذي يفسر استمرار وصاية وزارة الداخلية** على قطاع التعمير بالمغرب، باعتبار التخطيط الحضري أداة مراقبة اجتماعية للنظام الحضري²⁹².

-1.2- التخطيط الحضري بالمغرب، لجة تاريخية

يتطلب فهم جزء من الاختلالات الحالية للمجال الحضري بالمغرب، العودة إلى المرحلة الاستعمارية التي عرفت وضع اللبنات الأولى للتعمير في شكله الحديث؛ إذ عمل نظام الحماية الفرنسية على إحداث الهياكل الإدارية المكلفة بإصدار التشريعات والقوانين، المتصلة بالتهيئة والتعمير، والعمل على تطبيقها. وتنفيذاً للمقوله الشهيرة لأول وضع لقوانين التعمير بالمغرب "غيوم دو تارد" (Guillaume de Tardé) لا تعمير بدون قوانين "Il n'est pas d'urbanisme sans législation" ؟ فقد وضع ظهير 16 أبريل 1914 المتعلق بتصنيف الأبنية والتصاميم الموضوعة لتهيئة المدن، وكذا الجبايات المفروضة على الطرق، الإطار القانوني العام للتعمير بالمغرب، والذي ما يزال منطقه ومرجعيته ساري الأثر إلى يومنا هذا، بالرغم من الجزئيات

* هو مؤسسة وطنية تضطلع بمهام استشارية حول الاختيارات التنموية الكبرى، والسياسات العمومية في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والتنمية المستدامة والجهوية المتقدمة.

²⁹⁰ Annik Osmont, Pour une planification urbaine démocratique, in : Quel plans pour la ville ? Gouvernance, gestion et politique urbaines ? Gestion des Transformations Sociales MOST Document discussion – no. 69, Table ronde de l'UNESCO au Forum social mondial II, 2004, p 11.

²⁹¹ Lojkine, Jean, Le marxisme, l'Etat et la question urbaine, P.U.F., 1977, p 191.

يقول ميشال إيكوشار (Michel Ecochard) في هذا الباب:

« En 1980, soit 27 ans après mon départ du Maroc alors sous protectorat, le gouvernement de ce pays me demanda de donner mon point de vue sur les problèmes actuels de l'urbanisme. Je fis donc tout le Maroc. Organisation administrative : leur urbanisme est un ministère mais qui a peu d'autorité car le ministère de l'Intérieur décide tout ce qui touche les villes et ceci non sur des bases urbanistiques, mais politiques ». **Ecochard Michel**. L'urbaniste et les pouvoirs. In: Politiques urbaines dans le monde arabe. Lyon : Maison de l'Orient et de la Méditerranée Jean Pouilloux, 1985. pp. 53-57. (Monde arabe et musulman. Études sur le Monde arabe, 1);

https://www.persee.fr/doc/mom_0295_6950_1985_act_1_1_3748

²⁹² Ledrut, Raymond, Sociologie urbaine, P.U.F. 1968, p51.

التي طالت أدواته الجديدة²⁹³. وقد تلت هذا الظهير، جملة من القوانين التي ترجمت رؤية المقيم العام الفرنسي "ليوطى" (Lyautey) لطبيعة تهيئه المدن المغربية، والتي تجسدت على أرض الواقع من خلال أعمال هنري بروست (Henri Prost) الذي كلفه "ليوطى" بالإشراف على وضع مخططات و تصاميم للمدن. ولعل عدم ثبات المؤسسات التي تعنى بتدبير الشأن الحضري بال المغرب في الوقت الراهن، يجد تفسيرا له في الهياكل الإدارية ذات الصلة بالتعمير خلال فترة الحماية. فبعدما كانت مهمة إعداد وثائق التعمير بيد قسم الأشغال العمومية، تم إحداث مصالح جديدة تساعد المديرية العامة للأشغال العمومية في هذه المهام؛ حيث تضمنت مديرية الشؤون المدنية (المنظمة بظهير 23 أكتوبر 1920) قسمًا مكلفا بإعداد وإنجاز مخططات تهيئه المدن. غير أن تزايد عدد سكان المدن، خاصة بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، خلق أزمة على مستوى التدبير الحضري، وأظهر عدم قدرة تلك الهياكل الإدارية على مواكبة المشاكل المتربطة عنها. وهو الأمر الذي عجل بإحداث مجلس أعلى للتعمير، تلاه بعد ذلك إحداث مديرية التعمير التابعة لإدارة الشؤون الأهلية (وزارة الداخلية). وهي تدابير توضح بالملموس الأهمية المركزية التي كان يحظى بها قطاع التعمير لدى الإدارة الاستعمارية من أجل ضبط نمو المجال الحضري والتحكم فيه، وإن كانت مسألة التحكم في المجال تعود إلى مراحل سابقة على ذلك.²⁹⁴

وقد سارت السلطات العمومية بعد الاستقلال على هذا النهج، الأمر الذي يترجمه تعدد الأجهزة الإدارية المكلفة بالتعمير من جهة، وانتقال مسؤولية تدبيرها بين قطاعات وزارية متعددة من جهة أخرى كما سنتعرف على ذلك فيما يلي.

-2.3 تطور قطاع التعمير بالمغرب المستقل، بين ضبابية الرؤية وعدم الاستقرار المؤسسي:

إذا كانت فترة الحماية قد شهدت وتيرة سريعة ومنتظمة من حيث إنتاج التشريعات والقوانين المتصلة بالتعمير، فإن هذه الوتيرة قد انخفضت، أو لنقل، توقفت لمدة أربعين سنة، إذ استمر العمل بمقتضيات قانون 30 يونيو 1952 إلى غاية صدور قانون 12-90 المتعلق بالتعمير سنة 1992. وإن كانت السلطات العمومية قد أصدرت قانون 25 يونيو 1960 المتعلقة بالتكثيلات القروية، والذي يعد أول نص قانوني يصدر بعد الاستقلال في ميدان التعمير بخصوص التجمعات القروية، حيث نص على وثيقة تعميرية هي تصميم التنمية (plan de développement). فلم تحضر السياسات العمرانية إلا ضمن المخططات الاقتصادية التي تبناها المغرب ابتداء سنة 1960، والتي خصصت ضمن ميزانياتها العامة ميزانية فرعية لحل مشكلات السكن لتلك الفترة.

لقد واكب تلك التشريعات عدم استقرار على مستوى الهيئات الإدارية المكلفة بالتعمير، حيث انتقلت مصلحة التعمير والإسكان، التي تقوم بدراسة تصاميم التهيئة، التابعة لوزارة الأشغال العمومية، إلى وزارة الداخلية التي ستتحكم قبضتها لاحقا، على قطاع إعداد التراب والتعمير والإسكان، بشكل مباشر أو غير مباشر، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، بالرغم من إحداث "وزارة" تهم بشؤون هذا القطاع سنة 1972^{*} تحت مسمى "وزارة التعمير والسكنى والبيئة". ولعل تعدد

²⁹³ عبد الغني أبو هاني، "التخطيط الحضري في المغرب، بين تشدد القوانين وتشتت المجال"، المعهد الوطني للهيئة والتعمير، أشغال ندوة العمران في الوطن العربي بين التخطيط والتشريع والإدارة، أيام 10، 11، 12 أبريل 2001، الرباط، ص 239-243.

²⁹⁴ Mohamed NACIRI, « L'aménagement de l'espace territorial au Maroc : lieux d'autonomie et centralisation étatique », Annuaire de l'Afrique du Nord, 1985, ID : 10670/1.bazdkk, p225-243.

* أخذت جل هذه التواريخ من «Recueil des circulaires de l'urbanisme, de l'architecture et de l'aménagement du territoire, du Juin 1964 au 29 Mai 2002»

سميات الوزارة المكلفة بهذا القطاع مؤشر واضح على ضبابية رؤية السلطات العمومية بخصوص التوجه العام لسياسات إعداد التراب الوطني.

فبعد عامين على إحداث "وزارة" وصية على قطاع السكني والتعهير، أضيف إليها قطاع السياحة، لتنتقل في سنة 1977 إلى وزارة السياحة والسكني وإعداد التراب الوطني؛ إذ غيرت هذه الوزارة مسمياتها، كما هو ملاحظ، ثلاث مرات في ظرف خمس سنوات. وقد استمر ترحال هذا القطاع بين الوزارات إلى حدود الآن، وإن كان قد استقر حاليا تحت "وصية" وزارة إعداد التراب الوطني والتعهير والإسكان وسياسة المدينة دون استقلال فعلي عن وصية وزارة الداخلية. ويلخص الجدول التالي الوزارات التي تناوبت على تدبير قطاع التعمير من سنة 1964 إلى الآن:

الجدول 1: الوزارات التي تعاقبت على تدبير قطاع التعمير بالمغرب بعد الاستقلال

الفترة الزمنية	المديرية/القسم/المصلحة	الوزارة
1967 ...	مصلحة التعمير والإسكان	وزارة الأشغال العمومية
1972 - 1967	مديرية التعمير والإسكان	وزارة الداخلية
1974 - 1972		وزارة التعمير والسكنى والبيئة
1977 - 1974		وزارة السياحة والتعمير والسكنى والبيئة
1985 - 1977	مديرية التعمير والهندسة المعمارية (1981 أصبحت هذه المديرية تابعة لوزارة الداخلية)	وزارة السكني وإعداد التراب الوطني
1998 - 1985	-مديرية التعمير والهندسة المعمارية- قسم التعمير -مديرية التعمير وإعداد التراب والبيئة -المديرية العامة للتعمير وإعداد التراب والبيئة - مديرية التعمير والهندسة المعمارية (مديريات تابعة لوزارة الداخلية)	وزارة الداخلية (تبغية التعمير لوزارة الداخلية، والإسكان لوزارة خاصة) (مذكرة بتاريخ 12/06/1995) الخاصة ببرنامج 200000 سكن تشير إلى وجود وزارة للإسكان)
2001 - 1998		وزارة إعداد التراب الوطني والتعمير والبيئة والإسكان
2007 - 2001	وزارة إعداد التراب الوطني والماء والبيئة 2007-2002	الوزارة المنتدبة لدى الوزير الأول المكلفة بالتعهير والإسكان

2012 - 2007		وزارة الإسكان والعمارة وإعداد المجال
2017 - 2012		وزارة الإسكان والعمارة وسياسة المدينة
2017		وزارة إعداد التراب الوطني والعمارة والإسكان وسياسة المدينة

وقد لخص ميشال إيكوشار (Michel Ecochard) مشكلات التعمير بالمغرب، كما رأينا سابقا، في التنظيم الإداري المرتبط بهذا القطاع. ف الصحيح أن لهذا القطاع وزارة خاصة به، غير أن سلطتها محدودة بالمقارنة مع وزارة الداخلية التي تقرر في كل ما له صلة بالمدينة. والأكثر من ذلك هو أن هذه القرارات ذات طبيعة سياسية ولن يستمد بنية على أساس تعميرية صرفة²⁹⁵ ولعل المدة التي قضتها وزارة الداخلية، بشكل مباشر، على رأس قطاع التعمير، كما يوضح الجدول أعلاه (22 سنة إذا ما احتسبنا التاريخ الذي أصبحت فيه مديرية التعمير والهندسة المعمارية تابعة لوزارة الداخلية، أي ابتداء من سنة 1981، تظهر بوضوح وصيتها المطلقة على هذا القطاع؛ حيث عرفت تلك الفترة إحداث جل الهياكل والمصالح الإدارية، وإصدار القوانين والمراسيم والدوريات التي "تنظم" شؤون التعمير بالبلاد. وقد تنوّعت هذه الدوريات بين مواضيع تهم من جهة، الإجراءات المتصلة بالتدبير المناسباتي والظرفي للشأن الحضري والبيئي وإعداد التراب، ومواضيع تتصل بشكل مباشر بوثائق التعمير أو بالمؤسسات والمصالح المكلفة بهذا القطاع، من جهة ثانية. ونظرا لحجم هذه الدوريات سنقتصر فقط على عرض القوانين والمراسيم والدوريات الوزارية التي تهم الشق الثاني من مواضيعها.*.

الجدول 2: كثافة القوانين والمراسيم والدوريات المتعلقة بوثائق التعمير الصادرة في فترة وزارة الداخلية

التاريخ	موضوعه	الظهير/المرسوم/الدورية
1980/11/17	تصاميم تنمية التكتلات القروية	دورية مشتركة بين وزارة الداخلية ووزارة الإسكان وإعداد التراب رقم 1257 MHAT/4
1984/10/09	إحداث الوكالة الحضرية الدار البيضاء	ظهير بمثابة قانون رقم 1.84.188 يتصل بالوكالة الحضرية الدار البيضاء

²⁹⁵ Ecochard Michel. L'urbaniste et les pouvoirs. In : Politiques urbaines dans le monde arabe. Lyon : Maison de l'Orient et de la Méditerranée Jean Pouilloux, 1985, p53-57.

* للاطلاع على كل الدوريات انظر:

« Recueil des circulaires de l'urbanisme, de l'architecture et de l'aménagement du territoire, du Juin 1964 au 29 Mai 2002 ».

1991/10/16	مشروع قانون رقم 012/90 المتعلق بالتعمير	دورية رقم 503/CAB
1992/01/28	مشروع قانون رقم 25/90 المتعلق التجزئات العقارية والمجموعات السكنية وتقسيم العقارات	دورية رقم 23
92/06/17	القانون رقم 12.90 المتعلق بالتعمير، الصادر بتنفيذ الظهير الشريف رقم 31-1-92	
1992/06/17	القانون رقم 25/90 المتعلق بالتجزئات العقارية والمجموعات السكنية وتقسيم العقارات، الصادر بتنفيذ الظهير الشريف رقم 7-1-92	
1992/09/16	إحداث المفتشيات الجهوية للتعمير والهندسة التعميرية وإعداد التراب	دورية رقم 732/CAB
1993/06/28	مشاركة المفتشيات الجهوية للتعمير والهندسة التعميرية وإعداد التراب في أشغال التعمير	دورية رقم 82/DUA/SI
1993/08/06	إحداث مؤسسات عمومية تحت اسم "الوكالات الحضرية"	دورية رقم 320/CAB
1993/08/19	المفتشيات الجهوية للتعمير والهندسة التعميرية وإعداد التراب	دورية رقم 330/CAB
1993/10/14	المرسوم رقم 2-832-92 القاضي بتطبيق القانون رقم 12-90 المتعلق بالتعمير	
1994/01/17	تصميم التهيئة: مراحل الدراسة والبحث والموافقة ومتابعة الإنجاز	دورية رقم 005/D.U.A/SI
1994/02/24	التجزئات والمجموعات السكنية- استشارة المصالح المركزية المكلفة بالتعمير	دورية رقم 43 DUA/JU
1994/03/07	الامتثال لأحكام النصوص القانونية والتنظيمية ولرأي المصالح التقنية في مجال التعمير	دورية رقم 45/DUA/SG
1994/03/30	تقنين البناء في الوسط القروي	دورية رقم 65/DGUAAT/DUA/SG
1994/10/25	ثبت أو تعديل محيط الجماعات الحضرية والراكز المحددة	دورية رقم 245 /DGUAAT/DUA
1995/03/16	إجراءات دراسة وبحث تصميم التهيئة والموافقة عليه	دورية رقم 156/CAB
1995/03/16	خروقات القوانين المتصلة بالتعمير	دورية رقم 157/CAB

1995/03/16	تنفيذ مهام المساعدة والإرشاد المفوضة للمفتشيات الجهوية للتعمير والهندسة التعميرية وإعداد التراب	دورية رقم 158/CAB
1995/06/02	تكوين مدربى الجماعات في مجال التعمير (الرفع من كفاءة موظفي الجماعات المكلفين بالتعمير)	دورية رقم 196 DGUAAT
1995/06/12	إحداث لجن تقنية للتعمير بالعمالات والأقاليم	205/DGUAAT
1995/06/12	آجال تسليم رخص التجزيء والبناء، ورخص السكن، وشهادات المطابقة délais de délivrance des autorisations de lotir, de construire, des permis d'habiter et des certificats de conformité	207/DGUAAT
1995/06/12	برنامج بناء 200000 ألف سكن	(دورية مشتركة لوزارة الداخلية ووزارة 352/CAB)
1995/06/15	تغطية التجمعات السكنية بتصاميم الهيئة وتصاميم التنمية	219 DGUAAT
1995/06/15	التشريع المطبق على العمارات القروية التي تتتوفر على تصميم تنمية مصادق عليه	220 /DJUAAT
1995/06/15	مخطط توجيه الهيئة العمرانية: الدراسة وإجراء البحث والموافقة تتبع التنفيذ	221/ DUA/DPU
1995/06/15	إعادة هيكلة التجزئات غير القانونية	222 /DGUAAT
1995/06/15	توسيع محيط الجماعات الحضرية والمراكز المحددة	223 /DGUAAT
1995/07/14	انطلاق الشطر الأول من البرنامج الوطني لبناء 200000 سكن اجتماعي	547/CAB
1995/09/29	تمويل تصاميم الهيئة وتصاميم التنمية من طرف صندوق التجهيز الجماعي	302/DGUAAT
1995/11/27	اللجنة المحلية لمتابعة مخطط توجيه الهيئة العمرانية	664 /DUA/DPU/2
1995/11/27	لجان فتح الأظرف المتعلقة بدراسات التعمير	206 /DUA
1996/05/14	متابعة تنفيذ مقتضيات تصاميم الهيئة	399 /DGUAAT

تكشف المعطيات الواردة في الجدول أعلاه مفارقة مفادها أن جل النصوص القانونية المرتبطة بتدبير قطاع التعمير صدرت في الفترة التي كانت تتحكم فيها وزارة الداخلية، بشكل مباشر، في كل كبيرة وصغرى تمس هذا القطاع. هذه النزعة التحكيمية التي يعرفها قطاع التعمير نجد تفسيرا لها في إحدى الكتابات السوسيولوجية المختصة بال المجال الحضري التي أشارت إلى أن التمردات الاجتماعية لسنة 1981 رسمت توجهات جديدة في تدبير الشأن الحضري بالمغرب. فكان الهاجس الأمني بالأسماء وراء تهيئة أدوات التخطيط العمراني التي ستتضمن مراقبة أفضل للسكان، حيث سيتم اعتبار وثائق التعمير بمثابة سيامي-مجالي للتوترات الاجتماعية²⁹⁶. وهو الأمر الذي يفسر إحكام وزارة الداخلية لقبضتها على قطاع التعمير، وإن كانت القوانين المنظمة لهذا القطاع تسمح بمشاركة مجموعة من المتتدخلين.

ملاحظات ختامية:

يبدو من خلال ما تقدم أن قطاع التخطيط الحضري بالمغرب ما يزال رهينا لمنظومة قانونية تم إنتاجها في سياق اجتماعي وسياسي مطبوع بالاستعجال والتوتر (نهاية الثمانينات وبداية التسعينات)، كانت الغاية من سنهما ضبط المجال والتحكم في إنتاجه وتطوره وفق مقاربة تقليدية في التخطيط وبمنهجية نازلة (top-down) وممركزة على مستوى سيرورة اتخاذ القرار. ومن المعلوم أن هذه المقاربة قد كشفت عن محدوديتها بل إن الانتقادات التي تعرضت لها، في الكثير من الدول الأجنبية (فرنسا على سبيل المثال)، ساهمت في تطوير مقاربات جديدة تتخذ فيها القرارات بطريقة تصاعدية (bottom-up) عبر إشراك حقيقى لمختلف الفاعلين في تدبير الشأن الحضري. وإذا كانت النصوص القانونية المتصلة بمجال التخطيط الحضري، على المستوى الوطني، تشير إلى نوع من استشارة/إشراك الفاعلين المحليين (المجلس الجماعي، الساكنة...) في إعداد المخططات الحضرية، فإن هذا الإشراك ظل حبيس الاستحضار اللغوي للمقاربة التشاركية، ولم يرق بعد إلى الاستحضار المؤسساتي الفعلى لها، والذي من شأنه الإسهام في خروج المدن المغربية من وضعية الأزمة في تدبير مجالاتها الحضرية، ضمن سياسة وطنية لإعداد المجال تجمع بين المحلي والجهوي والمركزي في إطار علاقة جدلية صاعدة ونازلة.

هكذا تتضح أهمية السوسيولوجيا في قراءة المجال الحضري إنتاجا واستعمالا وتمثلا ورهانات، وعلى الأخص منها ذلك المنظور النقي الذي تبلور ابتداء من أعمال هنري لوفيفير ثم لاحقية.

لائحة المراجع باللغتين العربية والأجنبية:

- ✓ تقرير "دراسة التأثيرات المترتبة عن الاستثناءات في مجال التعمير"، المجلس الاقتصادي والاجتماعي والبيئي،
إحالة رقم 2014/11.

²⁹⁶ Rachik, Abderrahmane, Ville et pouvoirs au Maroc, Casablanca, Editions Afrique Orient, 1995, p140.

✓ عبد الغني أبو هاني، "التخطيط الحضري في المغرب، بين تشدد القوانين وتشتت المجال"، المعهد الوطني للهيئة والتعمير، أشغال ندوة العمران في الوطن العربي بين التخطيط والتشريع والإدارة، أيام 10، 11، 12 أبريل 2001، الرباط.

- ✓ Annik Osmont, Pour une planification urbaine démocratique, in : Quel plans pour la ville ? Gouvernance,
- ✓ gestion et politique urbaines ? Gestion des Transformations Sociales MOST Document discussion – no. 69, Table ronde de l'UNESCO au Forum social mondial II.
- ✓ Castells Manuel. Vers une théorie sociologique de la planification urbaine. In : Sociologie du travail ,
- ✓ 11^e année n°4, Octobre-décembre 1969. Politique urbaine.

- ✓ Castells, M. (1969). Théorie et idéologie en sociologie urbaine. Sociologie et sociétés, 1.(2)
- ✓ » Recueil des circulaires de l'urbanisme, de l'architecture et de l'aménagement du territoire, du Juin 1964 au 29 Mai 2002«
- ✓ Ecochard Michel. L'urbaniste et les pouvoirs. In : Politiques urbaines dans le monde arabe. Lyon : Maison de l'Orient et de la Méditerranée Jean Pouilloux, 1985.

- ✓ Lacaze, Jean-Paul, les méthodes de l'urbanisme, 3ème édition corrigée, P.F.U, 1997
- ✓ LACOSTE Yves, 2012 [1976], La Géographie, ça sert d'abord à faire la guerre. Paris : La Découverte.

- ✓ Ledrut, Raymond, Sociologie urbaine, P.U.F. 1968.

- ✓ Lefebvre Henri, 2001 [1966], « Préface », in : Raymond Henri, Haumont Nicole, Dézès Marie-Geneviève,
- ✓ Haumont Antoine, 2001 [1966], L'Habitat pavillonnaire, Paris : L'Harmattan.
- ✓ Lefebvre, Henri, la production de l'espace, Ed. Anthropos, Paris, 2ème édition 1981

- ✓ Lefebvre, Henri, Le droit à la ville suivi de ‘Espace et politique’, Ed. Anthropos, Paris 1972.
- ✓ Lojkine, Jean, Le marxisme, l’Etat et la question urbaine, P.U.F., 1977
- ✓ Mohamed NACIRI, « L’aménagement de l’espace territorial au Maroc : lieux d’autonomie et centralisation
- ✓ étatique », Annuaire de l’Afrique du Nord, 1985, ID : 10670/1.bazdkk
- ✓ Rachik, Abderrahmane, Ville et pouvoirs au Maroc, Casablanca, Editions Afrique Orient, 1995
- ✓ Rachik Abderrahmane, « La recherche urbaine au Maroc », SociologieS [En ligne], Dossiers, Actualité de la
- ✓ sociologie urbaine dans des pays francophones et non anglophones. mis en ligne le 15 novembre 2012

الجفاف المناخي بمجال الريف الأوسط (المغرب) : حالة سهل النكور-غييس

Meteorological Drought in the Central Rif : A case study of Ghis-Nekor (morocco)

1. خالد بوترضيبيت، طالب باحث بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان (المغرب)
2. محمد الراجي، أستاذ باحث، شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان (المغرب)

البريد الإلكتروني: khalid.butasdit@etu.uae.ac.ma

ملخص:

شكل سهل النكور-غييس منذ زمن بعيد مجالاً فلاحيًا خصباً عرف استغلالاً فلاحياً قديماً، غير أن هذه الوظيفة الفلاحية للسهل لم تدم طويلاً وسرعان ما تراجعت، نتيجة تظافر عوامل طبيعية (الجفاف، ملوحة التربة، التعرية...) وعوامل بشرية (تحولات مجالية واقتصادية)، مما أحدث تحولات عميقة في بنية السهل الوظيفية لصالح قطاع التعمير والتوجه السياحي، الأمر الذي طرح تحديات تهدد استدامة الموارد الطبيعية بالسهل وعلى رأسها الموارد المائية.

ورغم ما تكتسيه مسألة التحكم في الموارد المائية من أهمية استراتيجية ومركبة في السياسات التنموية، فإن مجال دراستنا يعرف عجزاً كبيراً على مستوى موارده المائية، إذ بز لينا بعد تتبع المسار الزمني أن السياق العام الذي ميز التهاب المطري هو التذبذب وعدم الانتظام الشديدان، مع تردد كبير للسنوات الجافة، حيث هيمنت هذه الأخيرة على أكثر من 20 سنة من أصل 35 سنة المدروسة اعتماداً على مؤشر التساقطات الموحد SPI، مما انعكس بشكل كبير على تنافص الكميات الجارية من الموارد المائية بالمنطقة خاصة مع بداية الثمانينيات والسبعينيات وبداية الألفية.

الكلمات المفاتيح: سهل النكور-غييس، الموارد المائية، العجز المطري، السنوات الجافة، مؤشر التساقطات الموحد SPI

Abstract:

The simple-nukor-gies system has been known for some time as an agricultural exploitation method that was utilized in the past. Nevertheless, this agricultural utilization of the simple-nukor system was short-lived and rapidly declined due to the convergence of both natural factors, such as drought, soil salinization, erosion, among others, and human-induced factors, including changes in agriculture and the economy. As a result, this led to significant changes in the functional structure of the simple-nukor system, catering to the needs of the construction and tourism sectors. These developments pose serious challenges to the sustainability of natural resources, particularly water resources, in the simple-nukor system.

Despite the critical importance of water resource management in terms of both strategy and centrality in development policies, our field of study has revealed a significant shortage in rainfall resources. After a thorough analysis of historical data, it has become apparent that the general trend of rainfall decline is characterized by fluctuations and a lack of regularity, with dry years being more frequent. Over the course of the 35-year study, dry years dominated for over 20 years, resulting in a significant decline in the available water resources in the region, particularly in the 80s, 90s, and early 2000s.

Keyword : Plain the Ghis nekkour, Water resources, Rainwater deficit, dry seasons Standardized Precipitation Index

مقدمة:

يكتسي عنصر الماء أهمية استراتيجية في مختلف برامج التنمية الترابية على الصعيد العالمي، ولعل هذه المكانة التي يحظى بها الماء لم تأت من عبث، بل أفرزتها مجموعة من العوامل والخصائص التي تميز هذا المورد الحيوي عن باقي مكونات الوسط الطبيعي، فماء بالإضافة إلى كونه مصدر وأساس الحياة لكافة الكائنات الحية، فإنه يشكل مورداً طبيعياً أساسياً يرتكز عليه الجزء الأكبر من الأنشطة الاقتصادية للإنسان (REMALID, 2005)، ليغدو مع باقي كائنات الوسط الطبيعي بمثابة منظومة بيئية شديدة التعقيد وصعبة الاستمرار بدونه.

وبحكم الموقع الجغرافي للمغرب في العروض شبه المدارية الانتقالية الخاضع باستمرار لتأثير خلية الضغط المرتفع الأصوري والصحراوي والكتل الهوائية المدارية الجافة، والتي جعلت من ظاهرة الجفاف مظهراً طبيعياً مألوفاً في مناخ المغرب، نظراً لكون التساقطات السنوية تكون في الغالب أقل من المعدل، بحكم أن تردد سنوات الجفاف يفوق بمرة ونصف تردد السنوات الممطرة، فإن هذه الظاهرة المناخية تحتدم أكثر في بعض السنوات متخذة طابعاً استثنائياً ومتطرفاً، بفعل موقع المغرب الذي جعله على هامش المسارات المعتادة للأضطرابات الممطرة داخل المنطقة المعتدلة، مما أضفى طابع القحولة والجفاف على مختلف أنحاء البلاد (93%)، وفي أغلب فترات وأيام السنة²⁹⁷. ولا تسقى البلاد أحياناً إلا باضطرابات عابرة، أثناء تفكك خلية الضغط المرتفع الأصوري، أو حدوث انسياب قوي لمؤخرات الجumbas القطبية نحو الجنوب، أو عند تسلل قطرات هوائية باردة في الأجواء العليا نحو العروض شبه المدارية تنتج عنها مجموعة من الأضطرابات المحلية.

وبما أن التراجع المطري يعد السمة البارزة الذي ميز مناخ دراستنا منذ العقود الأخيرة، فإن تقديره من خلال معطيات القياس المتوفرة، تطلب اعتماد منهجية تحليلية هدفنا من خلالها معرفة مدى أهمية التراجع الحاصل في التساقطات المطالية طيلة الفترة المدروسة، مستعملين في ذلك معالجة إحصائية للتعرف على خصائص هذه التغيرات المطالية في الزمان والمكان، مع قياس درجة قوتها وشدة وحدتها وضبط ترددتها ومدى طول أو قصر فتراتها. لهذا سيكون بالإمكان تتبع أوضاع التراجع المطري داخل المعدلات السنوية، وعلى مستوى تطور الأنظمة الشهرية والفصلية، من خلال دراسة تقدير الانخفاضات التي طرأت على المطالبات المطالية بمختلف أنواعها، الشيء الذي سيساعد للوقوف على التغيرات التي طبعت النظام المناخي من خلال عنصر التساقطات المطالية بمجال سهل النكور-غيس (الريف الأوسط).

²⁹⁷ عبد العزيز باحو، 2002، "الجفاف المناخي بالمغرب: خصائصه وعلاقته بآليات الدورة الهوائية وأثره على زراعة الحبوب"، أطروحة دكتوراه الدولة في جغرافية المناخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب، ص: 2.

• محاولة تحديد المفاهيم الأساسية المهيكلة لموضوع البحث

- التغيرات المناخية: اضطراب في مناخ الأرض ونزعه الطواهر الطبيعية إلى العنف

تعرف الهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتغيير المناخي IPCC مصطلح تغير المناخ على أنه يشير إلى تغير ذو دلالة إحصائية في متوسط حالة المناخ، و/أو تغير خصائصه يمتد لفترة طويلة تبلغ عادة عقوداً أو أكثر، وربما يعزى تغير المناخ إلى عمليات داخلية طبيعية أو تأثيرات خارجية أو إلى تغيرات بشرية مستمرة في تركيب الغلاف الجوي أو في استخدام الأرض²⁹⁸. في حين تعرفه اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ في المادة الأولى منها بأنه "التغير في المناخ الذي يعزى بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى النشاط البشري الذي يفضي إلى تغير في تركيب الغلاف الجوي العالمي والذي يلاحظ إلى جانب التقلب الطبيعي للمناخ، على مدى فترات زمنية متماثلة". وعلى ذلك فإن الاتفاقية الإطار تميز بين (تغير المناخ) الذي يعزى إلى الأنشطة البشرية التي تغير من تركيبة الغلاف الجوي، وتقلبية المناخ التي تعزى إلى أسباب طبيعية.

- الجفاف ظاهرة طبيعية معقدة، ذات تعريف متعددة ومتباعدة

إن التعريف الشمولي أو العام يعتبر أن تحديد مفهوم الجفاف يجب ألا يقتصر على جانب أو عنصر واحد داخل المنظومة البيئية، على اعتبار أن الجفاف هو ظاهرة معقدة، تتداخل وتفاعل فيها كثير من العوامل. وعلى هذا الأساس تبنت المنظمة العالمية للأرصاد الجوية تعريفين لظاهرة الجفاف²⁹⁹ (O.M.M) :

- فالأول يقول: "الجفاف هو حدوث عجز في الميزانية المائية العامة، في منطقة محددة، خلال فترة زمنية معينة. وينتج هذا العجز عن ضعف كمية المياه الواردة عن طريق التساقطات، وارتفاع كمية المياه المفقودة عن طريق التبخّر-النتح.

- أما الثاني، فقد ورد فيه ما يلي: "بصفة عامة، يعتبر الجفاف بمثابة حدوث عجز في الموارد المائية الطبيعية، فوق مساحة جغرافية معينة، خلال فترة زمنية طويلة، مقارنة مع الحالة المتوسطة لهذه الموارد، سواء تعلق الأمر بالتساقطات، أو بالجريان السطحي، أو بمية الفرشات الباطنية. ويجب في هذا الصدد عدم الخلط بين مفهومي الجفاف والقاحلة، ذلك أن هذ المفهوم الأخير ينطبق على المناطق القاحلة، التي تتميز بالجفاف الدائم، وبقلة الموارد المائية، حتى في الظروف العادية".

• السؤال الإشكالي:

خلال العقود الأخيرة أثبتت الملاحظات الرصدية لمناخ المغرب، وجود بوادر تحول مناخي محتمل، حيث حدثت خلال هذه الفترة الأخيرة عدة إشارات تمثل في تردد فترات جفاف، ووجود تباينات في التوزيع المعتمد للتساقطات المطرية على مستوى الزمن والمجال.

²⁹⁸ تقرير الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، 2012، ص: 943

²⁹⁹ عبد العزيز باحو، 2002، مرجع مذكور، ص: 34

• الأهداف المرجوة:

- تحديد الخصائص العامة للتساقطات السنوية والشهرية والفصالية بمجال سهل النكور-غيس على المستوى الزمني والمجالي؛
- استخلاص خصائص التغاريء المطرية، مع تقييمها وحساب تردد فترات كل من الجفاف والرطوبة باعتماد مؤشر التساقطات الموحد SPI.

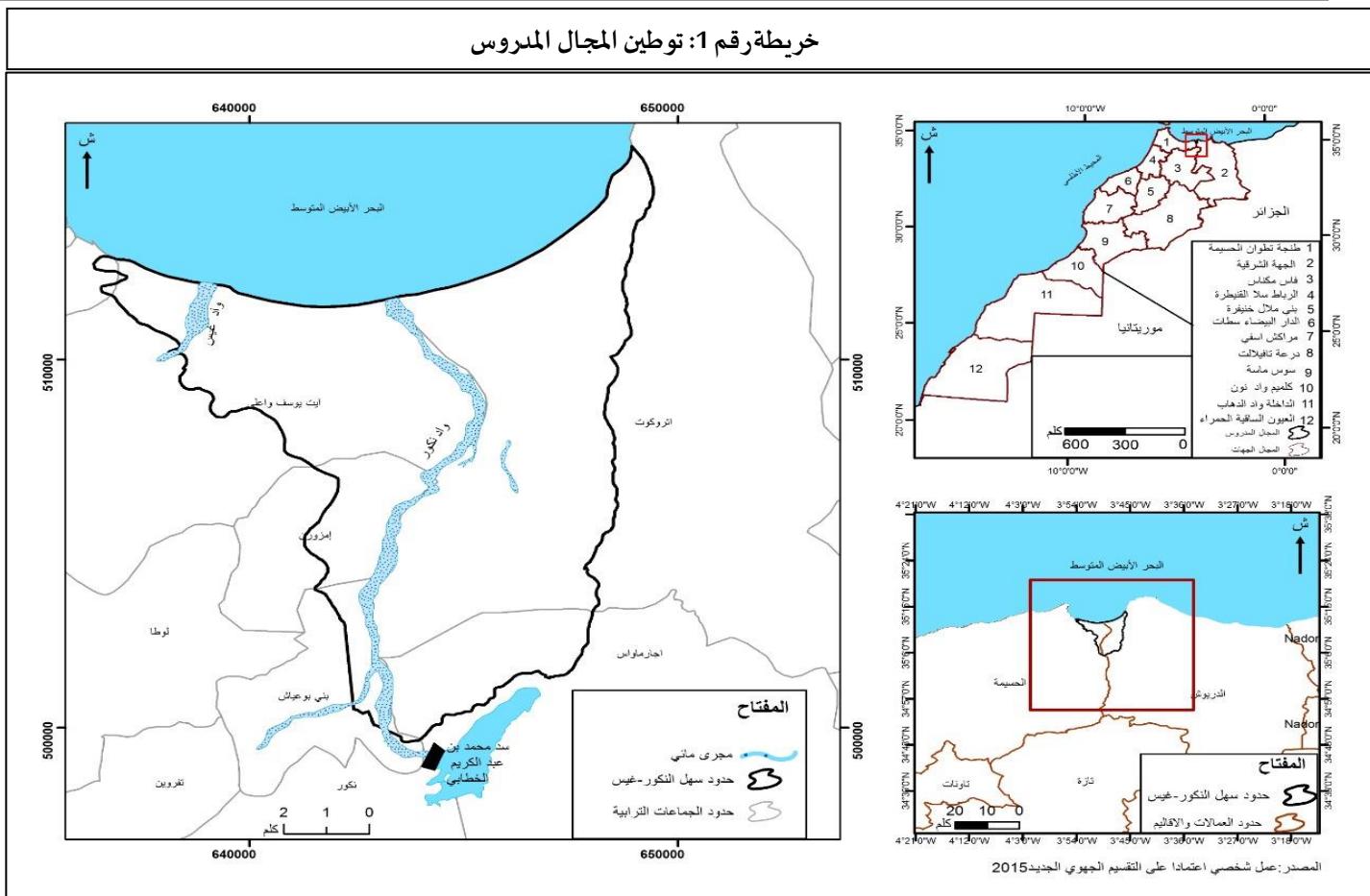
• تقديم مجال الدراسة:

يقع سهل النكور-غيس شمال المغرب في قلب الريف الأوسط، بين خطى طول 35 درجة و13 دقيقة و35 درجة و4 دقائق غرب خط غرينويتش، وبين خطى عرض 3 درجة و45 دقيقة و3 درجة و54 دقيقة شمال خط الاستواء. يحده شمالي البحر الأبيض المتوسط وشرقاً مرتفعات تمسمان، وغريا الطريق الوطنية رقم 2، وجنوباً سد محمد بن عبد الكريم الخطابي. يمتد على مساحة تناهز 6082 هكتار موزعة على منطقتين: منطقة غيس 925 هكتار ومنطقة النكور 5157 هكتار³⁰⁰.

أما من الناحية الإدارية-حسب التقسيم الإداري الأخير 2015- يندرج السهل ضمن مجال إقليمين مختلفين: الأول يتمثل في إقليم الحسيمة حيث يشغل الصفة اليسرى للسهل، وتتوزع فيه أربع جماعات: ثلاث جماعات حضرية (إمزورن، بني بوعياش وأجدير)، وجماعة قروية وحيدة وهي آيت يوسف واعلي. أما الإقليم الثاني فيتجلى في إقليم الدريوش على الضفة اليمنى للسهل، حيث يضم جماعتين قرويتين وهما: جماعتي أربعاء انروكوت وإجارماوس. إلا أن قرب السهل إلى إقليم الحسيمة (حوالى 15 كلم عن مدينة الحسيمة)، جعله غالباً يصنف في معظم التقارير الإدارية والأبحاث العلمية ضمن سهل الحسيمة. ونحن كذلك سنضطر لمعالجته ضمن انتمامه لإقليم الحسيمة، وذلك لكون أغلب الأجهزة الإدارية التي تقوم بمهام تدبير هذه السهل تقع في تراب هذا الإقليم. كما أنها سنقوم بدراسة هذا الوحدة السهلية في إطار وحدة مجالية متجانسة. وبالتالي ارتأينا دراسة الجفاف المناخي بسهل النكور-غيس ضمن وحدة مجالية متجانسة دون التمييز بين حدوده الإدارية والطبيعية.

³⁰⁰ المديرية الإقليمية بالحسيمة، مصلحة التجهيز القروي، 1982، "تجهيز حوض النكور وغيـس بالحسـيمة"، ص: 3

خريطة رقم 1: توطين المجال المدروس



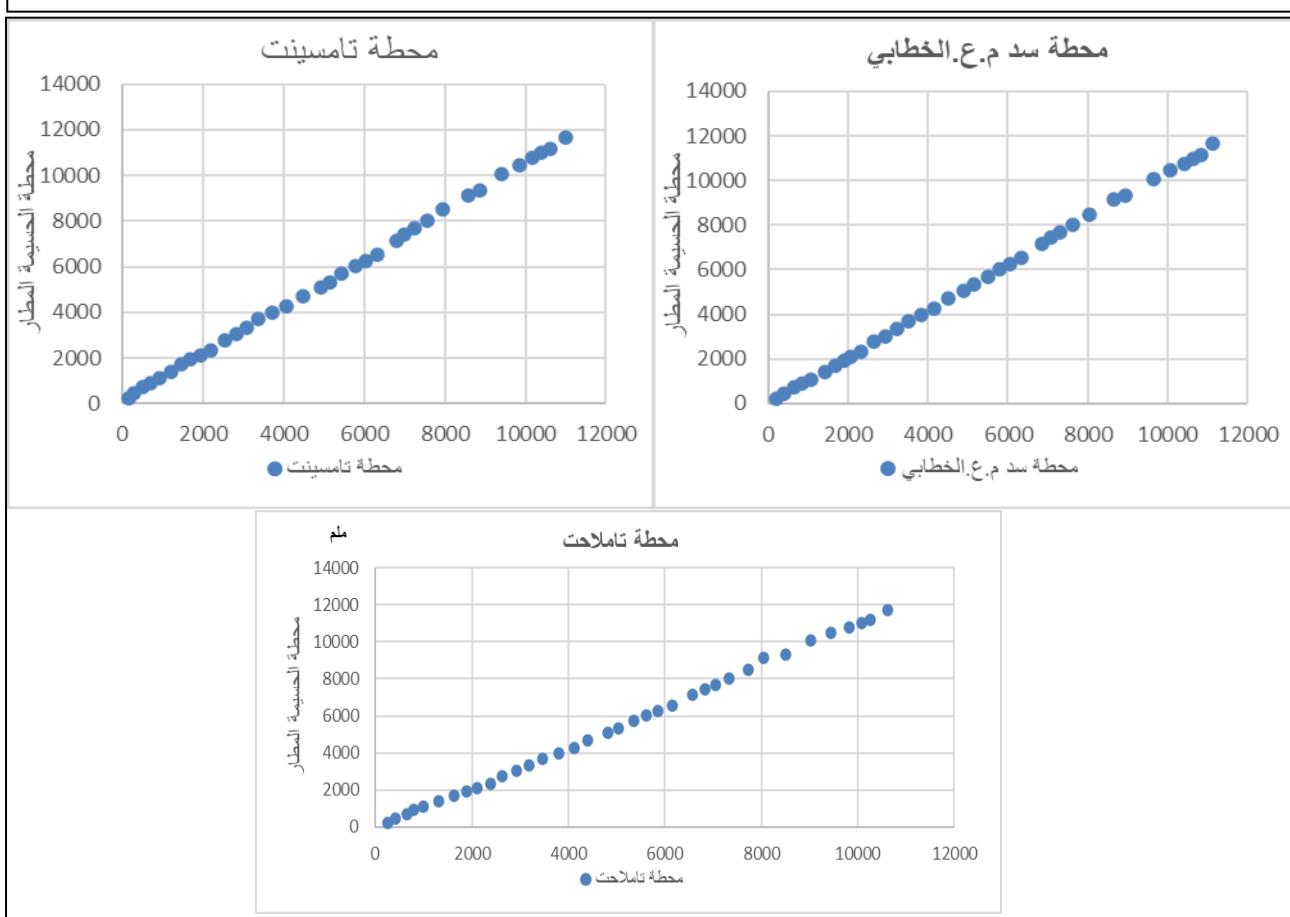
• منهجية وأدوات الدراسة:

- اختبار تجانس القياسات المطرية بواسطة طريقة الكتل المزدوجة

إن السلسلات المطرية المحصل عليها رغم أن مصدرها وكالة حوض المائي اللوكوس، حاولنا إخضاعها لاختبار المصداقية والتجانس قبل الاشتغال عليها، لتبيان درجة تجانس معطياتها. وقد اعتمدنا على طريقة الكتل المزدوجة Méthode de double، حيث قسمنا المحطات المحافظة بها إلى مجموعتين: تضم المجموعة الأولى محطة الحسينية المطار (محطة إرصادية) كمحطة مرجعية، أما المجموعة الثانية فتضم محطات سد م.ع. الخطابي وتماسينت وتمالاحت كمحطات مفحوصة. وقد خلصنا باعتماد هذه الطريقة إلى صحة وتجانس معطيات المحطات المدروسة، حيث أعطتنا منحنيات مستقيمية إلى شبه مستقيمية³⁰¹. وقد توزعت المحطات المعتمدة في هذه الدراسة بشكل مقبول داخل المجال المدروس، أما من حيث الفترة الزمنية المحافظة بها، فهي مقدرة بحوالي 36 سنة والتي تستجيب للمعايير الدولية، وتغطي العقود الثلاثة الأخيرة، حيث تميز عقدي الثمانينات والتسعينات بالجفاف، في حين أن فترة الألفية ترددت فيها بعض السنوات المطيرة.

³⁰¹ التهامي الهمامي، 2004، "التساقطات وزراعة الحبوب بمنطقة اللوكوس"، أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، جامعة محمد الخامس-أكادال، الرباط، ص. 65

رسم بياني رقم 1 : اختبار تجانس القياسات المطرية السنوية بمحطة الحسيمة المطرية بواسطة "طريقة الكتل المزدوجة"

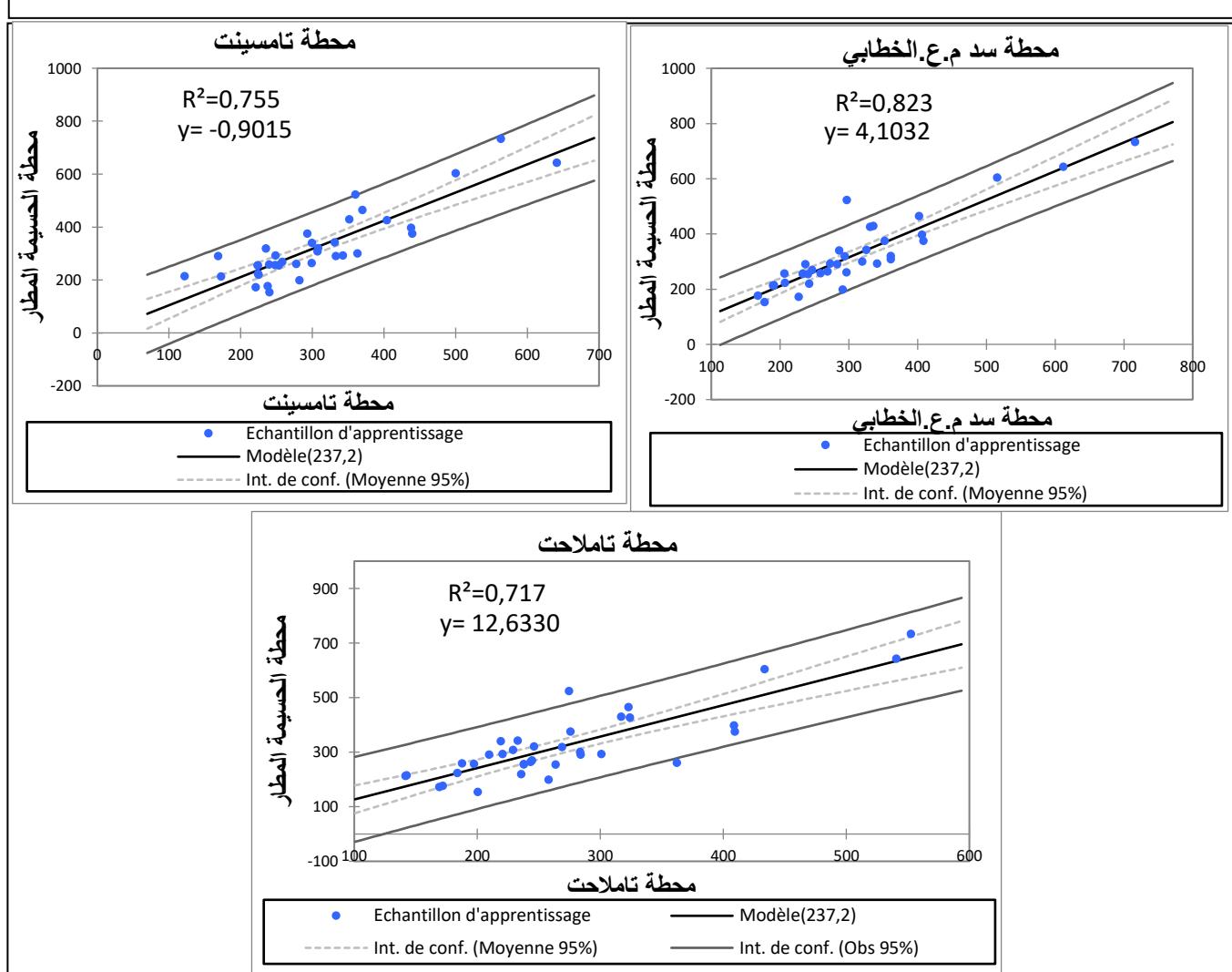


المصدر: استغلال شخصي لمعطيات وكالة الحوض المائي الوكوس

- اختبار تجانس المحطات المدروسة عن طريق معادلة خط الانحدار

اعتمدنا من أجل إخضاع المحطات المدروسة لاختبار المصداقية والتجانس قبل الاستعمال، لتبيان درجة تجانس معطياتها، وخاصة درجة التشتت والاختلاف بين المحطات المتواجدة بالمنطقة المدروسة، وقد ركزنا على مسألة اعتبار محطة الحسيمة المطرية كمحطة مرجعية لقياس مدى تشتت معطيات المحطات الأخرى المدروسة، وذلك من أجل حصر عدد المحطات التي سيتم اعتمادها في هذه الدراسة. وقد أسررت نتائج هذا الاختبار عن طريق معادلة خط الانحدار على وجود تجانس كبير بين مجموعة من المحطات أبرزها: محطة سد م.ع. الخطابي بدرجة تجانس كبيرة، ثم محطة تامسینت وتاملحات التي بينت الرسوم أسفله درجة تجانس مهمة بين هذه المحطات استناداً للمحطة المرجعية الحسيمة المطرية.

رسم بياني رقم 2: معادلات خط الانحدار للمحطات المدروسة استناداً للمحطة المرجعية الحسية المطرار



- اعتماد المنهج الوصفي-التحليلي، من خلال التركيز على عملية تحليل وتفسير إشكالية الجفاف المناخي بمنطقة سهل النكور-غيس، وذلك بتوظيف بعض البرمجيات المعلوماتية ARCGIS و XSTAT التي سمحتنا بإنجاز مجموعة من الأشكال التعبيرية (رسوم بيانية، خرائط...)، وإنجاز بعض العمليات الحسابية لاستخراج بعض النتائج والمؤشرات كمؤشر التساقطات الموحد (SPI) والتددادات السنوية والشهرية والفصلية للتساقطات المطرية.

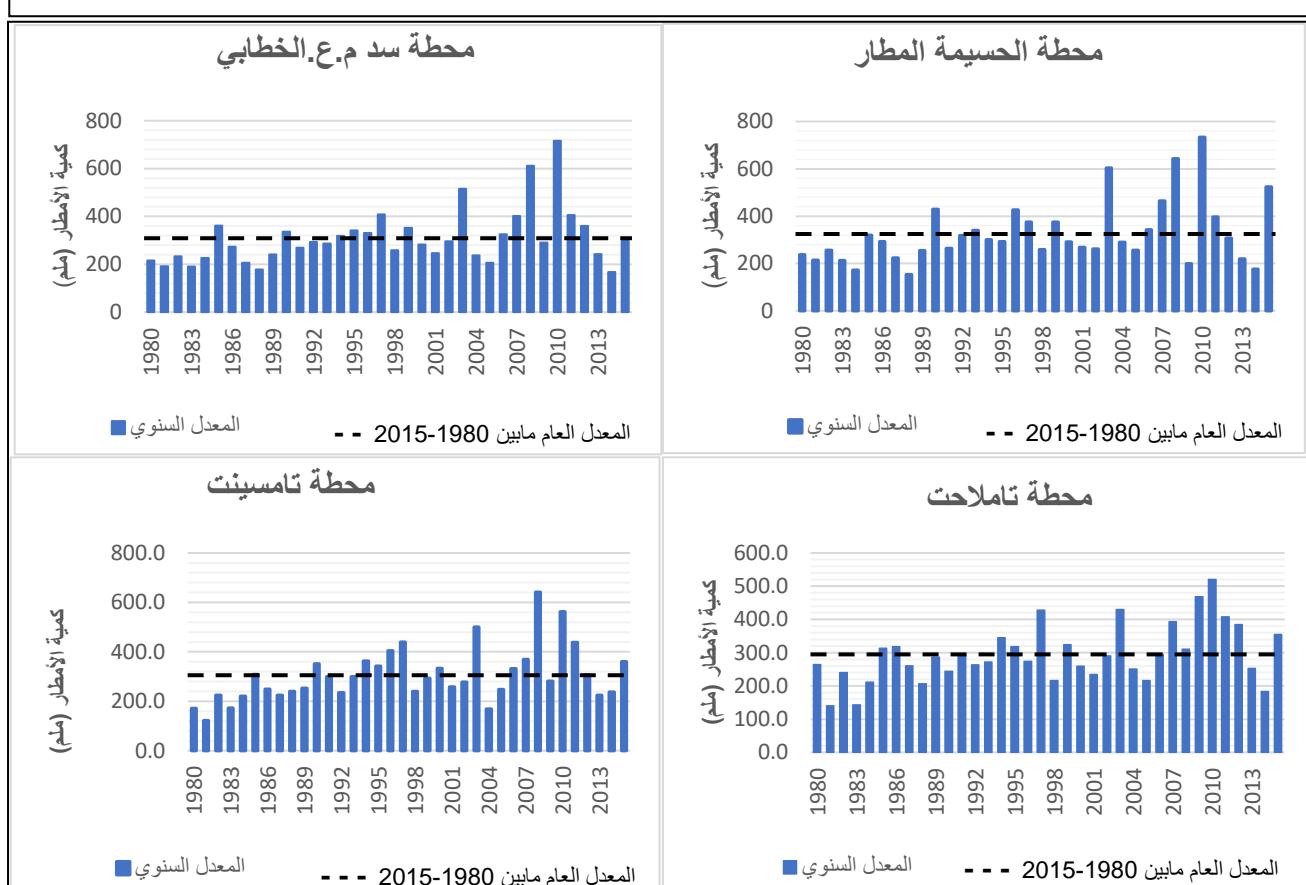
نتائج الدراسة ومناقشتها:

1. تميز التساقطات السنوية بتذبذب كبير زمانياً ومجالياً

نسعى من خلال الرسوم البيانية رقم 3 المقارنة بين المعدل العام للأمطار لكل محطة على مدار الفترة المدروسة 1980-2015 بال معدل السنوي للتساقطات على امتداد السنوات المدروسة، حيث يتضح أن توزيع التساقطات يعرف تبايناً بين مختلف المحطات خلال الفترة المدروسة، وهذا ما يظهر من خلال تسجيل معدلات سنوية أقل من المعدل العام للفترة المدروسة في أغلب المحطات، مما يوحي بهيمنة السنوات الجافة على أغلب المحطات.

نلاحظ من خلال الرسوم البيانية أسفله ظاهرة عدم انتظام التساقطات السنوية وتذبذبها من سنة لأخرى بسهل النكور-غيس، حيث سجلت محطة الحسيمة المطار أكبر معدل سنوي للتساقطات بنحو 733.28 ملم سنة 2010، متبوعة بمحطة سد م.ع.الخطابي بمعدل 716.1 ملم في نفس السنة، ثم محطة تامسينت بمعدل 641.1 ملم في نفس السنة، وأخيراً محطة تاملاحت بمعدل لم يتجاوز 521 ملم في نفس السنة.

رسم بياني رقم 3: معدلات التساقطات السنوية للمحطات المدروسة بمنطقة سهل النكور-غيس ما بين 1980 و2015

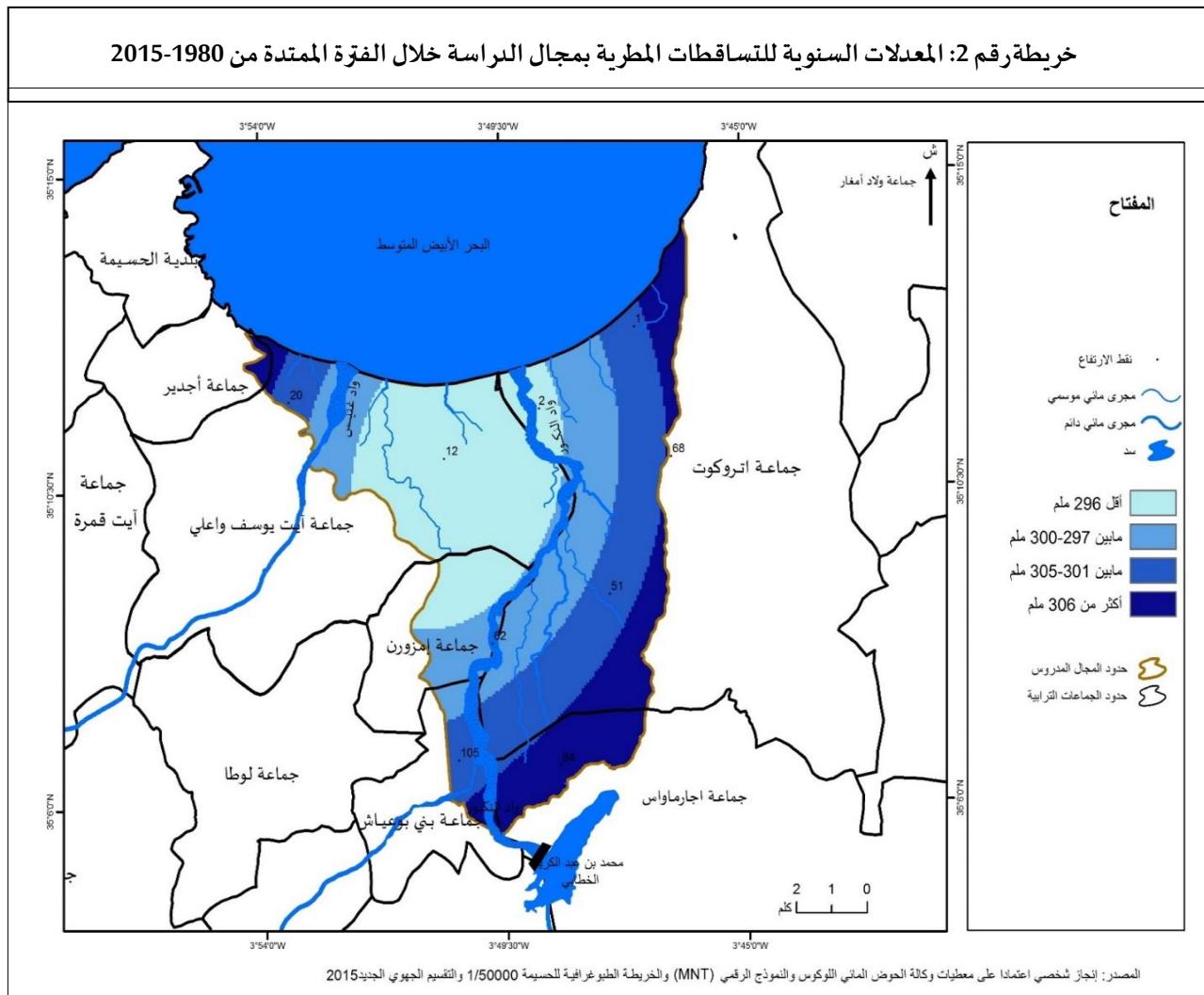


المصدر: استغلال شخصي لمعطيات وكالة الحوض المائي الوكس

أما على مستوى المعدلات العامة المتوسطة المسجلة ضمن الفترة الممتدة من 1980-2015 بالمحطات المدروسة، فقد سجلت محطة الحسيمة المطار أكبر معدل عام سنوي قدر بـ 324.7 ملم خلال الفترة المدروسة، متبوعة بمحطة سد م.ع.الخطابي بـ 308.9 ملم خلال نفس الفترة، ثم محطة تامسينت بـ 305.4 ملم، و محطة تاملاحت بـ 294.8 ملم.

أما على مستوى التوزيع المجالي للتساقطات في مجال النكور-غيس فيعرف مجموعة من التباينات، إذ لا يتجاوز معدل المتساقطات السنوية (1980-2015) للتساقطات المطرية بمعظم مناطق مجال الدراسة عتبة 300 ملم، ما عدا بعض الأجزاء الجنوبية الشرقية من عالية حوض النكور التي تتجاوز المعدل بقليل، ويعتبر مجال دراستنا حسب التقسيم البيومنخي لأمبرجر (Emberger) ضمن النطاق المناخي شبه الجاف (أقل من 300 ملم)، ولعل أهم ما يفسر ذلك هو وجود حاجز تضاريسية وسط البلاد (جبال الريف والأطلس المتوسط) تمنع وصول الكتل الهوائية الرطبة القادمة من الواجهة البحرية الأطلantique إلى الريف الأوسط، كما تمنع المرتفعات الجبلية الموجودة خلف المناطق الساحلية المتوسطية بدورها، وصول الكتل الهوائية المتوسطية للمجال المدروso، مما يجعل مجال دراستنا الأكثر جفافاً بالمقارنة مع المناطق المفتوحة على البحر الأبيض المتوسط.

خريطة رقم 2: المعدلات السنوية للتساقطات المطرية بمجال الدراسة خلال الفترة الممتدة من 1980-2015



1.1. تردد كميات التساقطات المطرية بشكل متباين في مجال سهل النكور-غيس

تمييز التساقطات السنوية بسهل النكور-غيس بسوء توزيعها الإحصائي، حيث تردد كمياتها بشكل متباين. إذ تردد الكميات الصغرى بنسبة مرتفعة، عكس الكبيرة منها. فإذا كان تردد الفئات الصغرى (فئة ما بين 100-250 ملم)، يقارب

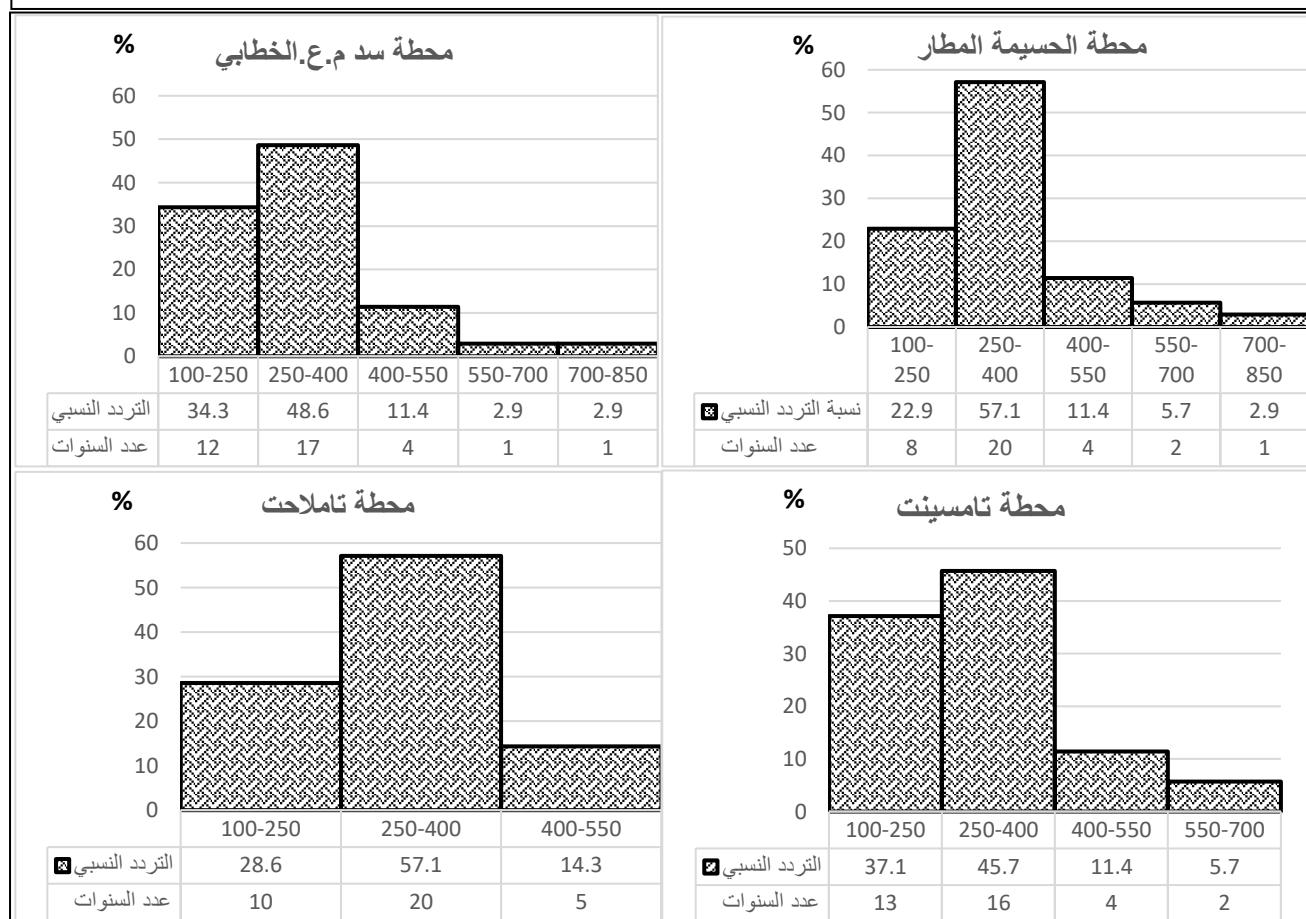
في محطة الحسيمة المطار نسبة 22.9%， فإنه يصل في محطة سد م.ع.الخطابي إلى 34%， أما محطة تامسينت فسجلت ترددًا في الفئات الصغرى بما يقارب نسبة 37.1%， ثم محطة تاملاحت بنسبة 28.6%.

ومن الملاحظ بخصوص تردد الفئات المتوسطة (ما بين 250-400 ملم)، فقد شكلت نصف التردد على امتداد الفترة المدروسة ما بين 1980 و2015، حيث عرفت أغلب المحطات المتوسطة تردد الفئات المتوسطة بنسبة تقارب النصف. وامتد تردد الفئات المتوسطة (ما بين 250-400 ملم) 20 سنة بكل من محطتي الحسيمة المطار وتاملاحت، وما يقارب 18 سنة بكل من محطات سد م.ع.الخطابي وتامسينت.

أما تردد الفئات الكبرى (أكثر من 550 ملم) فلم يتعدى في أغلب المحطات نسبة 6% بكل من محطتي تامسينت وسد م.ع.الخطابي، في حين أن محطة الحسيمة المطار سجلت ما يقارب نسبة 9%.

ويتبين من خلال الرسم البياني رقم 4 أسفله، أن أغلب محطات المجال المدروسة تسجل هيمنة فئات التردد الصغرى والمتوسطة (ما بين 100-250 ملم / و 250-400 ملم)، مما يوحي بأن مجال سهل النكور-غيس عرف تردد فترات جافة ومتوسطة بشكل كبير، مع وجود بعض المواسم الاستثنائية التي سجلت أكثر من 550 ملم، كما هو الشأن بالنسبة لمحطات الحسيمة المطار وسد م.ع.الخطابي وتامسينت، وخاصة في سنتي 2008 و2010.

رسم بياني رقم 4: مدرج تكراري للتوزيع التساقطي السنوي بالمحطات المدروسة بسهل النكور-غيس ما بين 1980 و2015



2.1. تبين النزعة العامة للتساقطات السنوية حدوث تراجع في كميات الأمطار مع تردد للسنوات الجافة لتنطيق معدلات التساقطات تم الالتجاء إلى دراسة التغاییرية المطرية السنوية، بالاعتماد على مؤشر التساقطات الموحد ISP بغية التمكن من تحديد النزعة التي تظهرها التساقطات المطرية خلال الفترات المدروسة.

يعتبر هذا المؤشر من أهم التقنيات الإحصائية المعتمدة لدراسة مظاهر الجفاف، وذلك اعتماداً على معطيات مطرية طويلة لا تقل عن 30 سنة. وقد وظف هذا المؤشر من طرف (McKee et al, 1993) في مناطق مختلفة من العالم. وتبنته المنظمة العالمية للمناخ سنة 2009 واعتبرته أهم مؤشر علمي لقياس درجة خطورة الجفاف المناخي في أي منطقة من العالم (OMM, 2012) ويطلب حساب هذا المؤشر التوفير على معطيات مناخية مطرية سنوية وشهرية. ويمكن لهذا المؤشر من تصنيف السنوات الجافة والسنوات الرطبة مقارنة بالمعدل السنوي للتساقطات المطرية، ولحساب هذا المؤشر نطبق المعادلة التالية:

$$ISP = (Xi - Xm) / Si$$

حيث إن:

Xi : مجموع التساقطات المطرية خلال سنة (i)؛

Xm : معدل التساقطات المطرية السنوية خلال الفترة المدروسة؛

Si : الانحراف المعياري للتساقطات المطرية خلال الفترة المدروسة.

إن كانت نتائجه تبقى عامة واحتمالية نظراً لاعتماده على معيار التساقطات فقط دون احتساب باقي العناصر المناخية، فإن منظمة الأرصاد الجوية العالمية تنصح بتوظيفه لقياس الجفاف الميتيورولوجي³⁰².

تكون القيم المحصل عليها بواسطة (ISP³⁰³) محددة لفترات العجز والفائض على مستوى التساقطات طبقاً لمعطيات الجدول أسفله:

جدول رقم 1: تصنيف مؤشر التساقطات الموحدة حسب (McKee et al, 1993)

قيمة ISP	فئات الجفاف
أكبر من 2	شديد الرطوبة جداً
ما بين 1.5 و 1.99	شديد الرطوبة
ما بين 1 و 1.49	متوسط الرطوبة
ما بين 0 و 0.99	رطوبة معتدلة
ما بين 0 و -0.99	جفاف معتدل
ما بين -1 و -1.49	جاف متوسط
ما بين -1.5 و -1.99	جفاف حاد
أقل من -2	جفاف حاد جداً

³⁰² <http://www.Drias-Climat.fr>

³⁰³ Indice Standardisé de Précipitation

تم الاعتماد كذلك على دراسة الانحراف عن المعدل (EM) فقصد التمكّن من معرفة مدى انحراف مقاييس التساقطات المطرية للسنوات المدروسة عن المتوسط، ويعتبر هذا المعامل الأكثر ملائمة لقياس التشتت بين سنوات العجز من جهة وسنوات الوفرة من جهة ثانية.

لتطبيق هذا المعامل اعتمدنا على القاعدة التالية:

$$EM = \frac{Pi - Pm}{Pm} * 100$$

(%) : الانحراف عن المعدل EM

Pi : معدل التساقطات المطرية للسنة المدروسة بملم؛

Pm : متوسط التساقطات المطرية للفترة المدروسة بملم.

في هذا الإطار حاولنا تبع المسار الزمني للتساقطات السنوية بمجال النكور-غيس خلال الفترة الممتدة من 1980 إلى غاية 2015 معتمدين على معطيات أربع محطات أساسية، حيث عملنا من خلال الرسوم البيانية أسفله على إبراز تطور التساقطات السنوية على مدار الفترة المدروسة، والتي تظهر وجود تغايرية سنوية كبيرة طبعت مختلف المحطات. لكن يبقى الأهم بالنسبة لنا هو أننا من خلالها نستطيع تحديد الفترات الجافة والرطبة بمختلف المحطات، مما يمكننا من أخذ فكرة عن الاتجاه العام الذي تتخذه التساقطات السنوية بالمنطقة المدروسة، وبالتالي الوقوف على أهمية التراجع المطري الذي مس مختلف سنوات الفترة المدروسة.

من خلال الرسوم البيانية رقم 5 أسفله، يتضح أن التساقطات في أغلب المحطات، عرفت ترددًا مهمًا للسنوات الجافة خاصة خلال فترة الثمانينيات والتسعينيات وبداية الألفية، مما أثر بشكل كبير على الواردات المطرية بالمجال المدروس.

عرفت المحطة الإرصادية الحسيمة المطار تردد 24 سنة جافة من أصل 35 سنة المدروسة، بنسبة 65.7% من مجموع السنوات الجافة، وهذا ما كان له انعكاس كبير على تراجع الموارد المائية بالمنطقة، في حين أن محطي سد م.ع.الخطابي وتمالاحت المتواجدتان جنوب المجال المدروس، فقد عرفتا تسجيل 21 سنة جافة بنسبة 60%， ونفس الأمر ينطبق على محطة تامسينت التي عرفت تردد 22 سنة جافة بنسبة 62.9%.

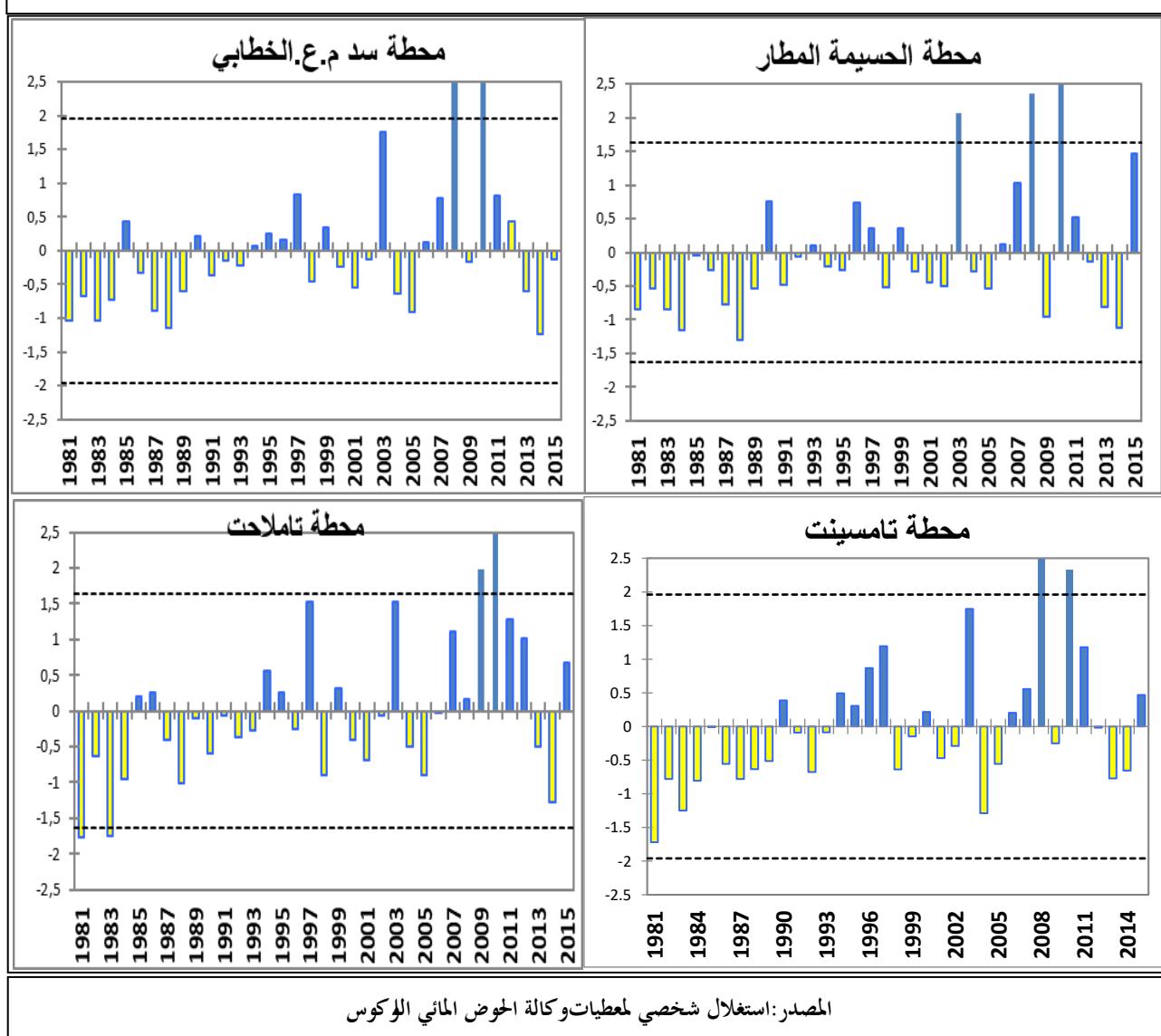
هذا، وللوضوح حدة الجفاف بالمجال المدروس-رغم انتمامها للقسم الشمالي- نورد سنوات الثمانينيات كمثال على فترة محددة للدراسة، حيث نجد مثلاً أن محطة الحسيمة المطار عرفت تسجيل سنوات جافة تراجعت فيها التساقطات عن 100 ملم بالنسبة للمعدل العام المسجل ما بين 1980-1985، وهي سنوات 1981، 1983، 1984، 1987، 1988، 2009، 2013، 2014. نفس الأمر ينطبق على جل المحطات المدروسة التي عرفت فترات جفاف حادة خلال فترة الثمانينيات، حيث تراجعت التساقطات المطرية بأكثر من 100 ملم عن المعدل العام المسجل خلال الفترة المدروسة.

وقد شهدت أغلب المحطات توافر لسنوات جافة طويلة، تباينت حدتها حسب السنوات، إذ سجلت محطة تامسينت سنة 1981 تراجعاً مطرياً عن المعدل العام قدر بـ 183.3 ملم، أما محطة الحسيمة المطار فتراجع فيها التساقطات بـ 171.2 ملم عن المعدل العام خلال الفترة المدروسة سنة 1988، وأما بخصوص محطة تمالاحت فسجلت تراجعاً مطرياً

بنحو 154.5 ملم عن المعدل العام لسنة 1981، أما محطة سد م.ع. الخطابي فعرفت تراجعاً مطرياً قدر بـ 141.2 ملم عن المعدل العام سنة 2014.

نستخلص مما سبق أنه بعد تحليلنا لمعطيات التساقطات السنوية ببعض محطات سهل النكور-غيس، أن السياق العام الذي ميز التهاب المطري هو التذبذب وعدم الانتظام الشديد، مع تردد كبير للسنوات الجافة، حيث هيمنت هذه الأخيرة على أكثر من 20 سنة من أصل 35 سنة المدروسة، مما انعكس بشكل كبير على الموارد المائية بالمنطقة خاصة مع بداية الثمانينيات وبداية الألفية، من هنا نؤكّد ما قلناه سابقاً أن الجفاف بال المغرب يتربّد في شكل دورات طويلة أو قصيرة.

رسم بياني رقم 5: تطور مؤشر التساقطات الموحدة بالمحطات المدروسة ب المجال سهل النكور-غيس ما بين 1980-2015



3. تميز التساقطات الشهرية بمجال النكور-غيس بتغيرية كبيرة مع تركز التساقطات في فصل

الشتاء

حاولنا تحليل خصائص تغيرية التساقطات الشهرية بمجال النكور-غيس في الزمان وال المجال، من حيث تطور التساقطات الشهرية وتحديد تغيراتها وتتركزها على امتداد الشهور. كما حاولنا قياس وتمكين قوتها وشدة ترددتها ومدى طول وقصر فتراتها، مع التركيز على الحالات الاستثنائية. كل ذلك من أجل قياس مدى انعكاسها على الواردات المائية بالمجال المدروس.

وللإجابة على الإشكاليات المطروحة، اعتمدنا على التساقطات الشهرية لأربع محطات داخل المجال المدروس، خلال فترة موحدة ومتزامنة، تمتد على 35 سنة. تمت من 1980 إلى غاية سنة 2015، وهي فترة معبرة إذ تغطي عقد الثمانينيات المعروفة بجفافه الحاد، وفترة التسعينيات والألفية التي عرفت ترداً البعض السنوات الرطبة والجافة.

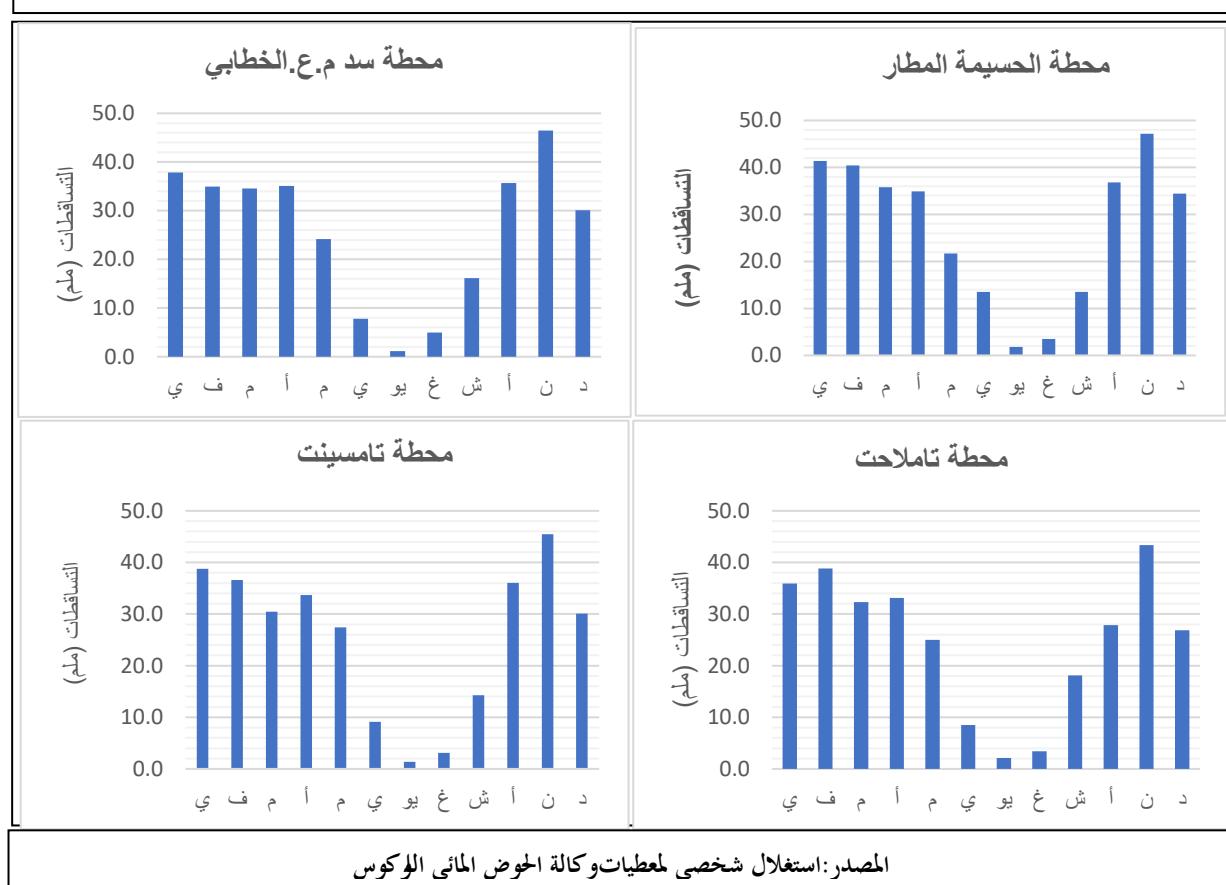
تهاطل أكبر الكميات في شهر نونبر والذي يمثل القمة المطرية الشهرية بكل المحطات المدروسة، إذ يتلقى هذا الشهر وحده حوالي خمس الكمية الشهرية للأمطار، إذ يتراوح معدل التساقطات الشهرية خلال الفترة الممتدة من 1980 إلى غاية 2015 بأغلب المحطات ما بين 40 ملم وأكثر من 47 ملم (محطة الحسيمة المطار). في حين تسجل أدنى الكميات خلال شهر يوليو، وهي كمية ضعيفة جداً وغير معبرة إذ تساهم وبأغلب المحطات بأقل من 1%.

وهكذا يكون مدى التساقطات الشهرية بمجال النكور غيس متوسطاً. إذ يتراوح بين 40 و45 ملم بأغلب المحطات المدروسة، مما يوحي بتقارب متوسط المدى الشهري. وهكذا فإن نصف التساقطات الشهرية تهطل في الأربعة الأشهر الأولى من فصل الشتاء (نونبر، دجنبر، يناير، فبراير)، والأقل من نصفها يتوزع على الثمانية الأشهر الباقية، ثم يستمر التناقض التدريجي للتساقطات حول هذه الشهور الأربع. إلا أنه يجب الإشارة هنا إلى ملاحظتين أساسيتين: الأولى هي أن تساقطات أشهر الربيع أوفر من مثيلتها لأشهر الخريف، والثانية هي أن أمطار شهر أبريل تعرف نوعاً من الانتعاش، قبل أن يعود التراجع مع شهر ماي ليستمر إلى نهاية الدنيا والمنخفضة.

وهكذا، يتجلّى تفاوت توزيع التساقطات الشهرية بمجال النكور غيس، حيث تبدأ التساقطات في الارتفاع مع بداية السنة الفلاحية وخاصة مع بداية شهر نونبر، لتصل مداها في الثلاثة أشهر التي تلي شهر نونبر، ثم تنخفض بالتدريج لتصل إلى قيمتها الدنيا مع نهاية أبريل.

إن ما يميز التساقطات الشهرية بمجال النكور-غيس بصفة عامة، كونها تساقطات شهرية ضعيفة، وهذه الوضعية تشير إلى جفاف نسبي لهذا المجال المتواجد بالقرب من الشريط الساحلي المتوسطي، لا سيما خلال فترة الثمانينيات التي عرفت جفافاً بنرياً من سماته تعاقب الفترات الجافة وإنخفاض التساقطات عن معدلاتها بشكل كبير، الأمر الذي انعكس سلباً على حجم الواردات المائية بالمنطقة.

رسم بياني رقم 6: متوسطات التساقطات الشهرية بالمحطات المدروسة بمجال سهل النكور-غيس ما بين 1980 و2015



4. تميز الأنظمة المطرية الفصلية في المنطقة بتوزيع جيد على الفصول رغم نزعتها نحو التراجع

يُستفاد من الأرقام المسجلة في الجدول أسفله، أن كمية الأمطار يطغى عليها التفاوت بمحطات الرصدية، ويعتبر متوسط تساقطات فصل الشتاء على رأس الفصول التي سجلت نسباً مهمة من التساقطات تتراوح بين 31 – 36 %، فيما فصل الصيف يأتي في مؤخرة السنة بنسبة لا تتجاوز (6%). حيث يعتبر الأجد في سلسلة 35 سنة المدروسة. وما يثير الانتباه، هو التقارب الشديد في نسب التساقطات بين فصلي الشتاء والخريف في جل المحطات المدروسة.

جدول رقم 2: متوسط التوزيع الفصلي للتساقطات المطرية بالمحطات المدروسة

الصيف		الربيع		الشتاء		الخريف		المحطة
%	الكمية (ملم)	%	الكمية (ملم)	%	الكمية (ملم)	%	الكمية (ملم)	
5.8	18,8	28,4	92,4	35.8	116,2	30	97,5	الحسيمة المطار
4.5	13,9	30.4	93,8	33.3	102,9	31.8	98,3	سد م.ع. الخطابي
4.7	14	30,6	90,5	34.3	101,6	30.3	89,4	تملاحت
4.4	13,6	29.9	91,6	34.4	105,4	31.3	95,8	تامسينت

المصدر: استغلال شخصي لمعطيات وكالة الحوض المائي اللوكوس

خلاصة ومناقشة:

كشف تحليل المعطيات المتوفرة بخصوص عنصر التساقطات بالمجال المدروس عن تباينات واضحة سواء في الزمان والمجال. فعلى المستوى الزمني تتوزع التساقطات بسهل النكور-غيس بشكل غير منتظم، حيث تتعاقب سنوات جافة وأخرى رطبة، إلا أن السنوات الجافة هي السائدة، حيث يتعدد الجفاف على المنطقة في شكل دورات مسترسلة خاصة خلال عقدي الثمانينات والتسعينات، مما أدى إلى حدوث عجز مطري ساهمت فيه هيمنة حالات الاستقرار الجوي وتناقص فعالية الأنظمة المطرية، إلى جانب التباينات الحرارية التي لعبت دوراً هاماً في ارتفاع درجة الحرارة، الشيء الذي عرض جزءاً كبيراً من الإمكانيات المائية للت卜خ خاصية أثناء فترات الجفاف.

وقد بروز لنا بعد تتبع المسار الزمني أن السياق العام الذي ميز التهاب المطري هو التذبذب وعدم الانتظام الشديد، مع تردد كبير للسنوات الجافة، حيث هيمنت هذه الأخيرة على أكثر من 20 سنة من أصل 35 سنة المدروسة، مما انعكس بشكل كبير على الموارد المائية بالمنطقة خاصة مع بداية الثمانينيات وبداية الألفية، من هنا نؤكد ما قلناه سابقاً أن الجفاف بالمغرب يتعدد في شكل دورات طويلة أو قصيرة، يتعاقب فيها الجفاف العادي (سنة/سنتين)، أو يتعاقب فيها الجفاف الحاد (3 أو 5 سنوات). فالمنطقة إذن، وكل البلاد، تعرف الجفاف من النوع الممتد، أي الذي يمتد على سنة أو على سنوات متتالية.

أما بخصوص الفترات الرطبة، فيمكن اعتبارها أنها قليلة وتمتد على فترات قصيرة بالمقارنة مع الفترات الجافة، حيث إننا نلاحظ أن التساقطات غالباً ما تعرف وفراً خلال شهور معينة فقط، ولا تكون مسترسلة في غالب الأحيان، الأمر الذي يحيلنا على أنها تكون فجائية وغير منتظمة، هذا وبالعودة إلى كيفية تساقطها خلال الشهر، نجد أنها قد تساقطت خلال أيام معدودة فقط، مما يمكننا من فهم طبيعة عدم الانتظام حتى على مستوى الأيام داخل الشهر.

1. بالعربية

- تقرير الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ، 2012، ص: 943.
- التهامي التهامي، 2004، "التساقطات وزراعة الحبوب بمنطقة اللوكوس"، أطروحة دكتوراه الدولة في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، جامعة محمد الخامس-أكادال، الرباط، ص: 65.
- حسن المحداد، 2003: "ماء والإنسان بحوض سوس، إسهام في دراسة نظام مائي مغربي"، مركز ابن تومرت للدراسات والنشر والتوثيق، جامعة ابن زهر أكادير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكادير، مطبعة المعارف الجديدة. صص: 86-82.
- عبد العزيز باحو، 2002، "الجفاف المناخي بالمغرب: خصائصه وعلاقاته باليات الدورة الهوائية وأثره على زراعة الحبوب"، أطروحة دكتوراه الدولة في جغرافية المناخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب، ص: 2.
- المديرية الإقليمية بالحسيمة، مصلحة التجهيز القروي، 1982، "تجهيز حوض النكور وغييس بالحسيمة"، ص: 3.
- مؤلف جماعي، 2017، "ماء: الموارد والمخاطر والتهيئة"، مختبر الدراسات الجيوبئية والتنمية المستدامة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سايس-فاس، المغرب، ص: 141.

2. بالفرنسية والإنجليزية:

- ARRAJI M., 1995, " *Le climat du versant méditerranéen du rif central (Maroc)* ", thèse de doctorat en climatologie. Trav Inst de Géographie, université Toulouse ; le Mirail, France
- Jouilil i., Bitar k., Salama h., Amraoui mokssit a., Tahiri m. (2013). "*Sécheresse météorologique au bassin hydraulique oum er rbia durant les dernières décennies*". Revue larhyss journal, n° 12, pp 109-127.
- Kessabi, R., & Hanchane, M. (2020). "*Le risque de la sécheresse et la variabilité pluviométrique dans la région de Fès-Meknès à travers l'indice de précipitation normalisé et corrélation avec l'Oscillation Nord Atlantique*". Dans O. A., A. E. B., & F. d. Université Ibn Zohr (Éd.), Risque naturelles, environnementaux et sociaux dans l'espace marocain. Agadir.
- McKee. T.B., N.J. Doesken et J. Kleist. 1993. "*The relationship of drought frequency and duration to time scale*". In: Proceedings of the Eighth Conference on Applied Climatology, Anaheim. California. du 17 au 22 janvier 1993. Boston, American Meteorological Society, 179–184.
- OMM. (2012). *Guide d'utilisation de l'indice de précipitations normalisé*. Genève. p 25.

تدهور الأراضي بـ بحيرة سد سيدى محمد بن عبد الله: منطقة أربعاء السهول نموذجاً (المغرب)

Land degradation at the margins of the Sidi Mohamed Ben Abdallah dam lake: Arbaa al-Suhul area as a model (Morocco)

- 7 فتيحة ويعي: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس. المغرب fatiha.wijja@gmail.com

- 8 ذ. نادية مشوري: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس. المغرب nadiamachouri@gmail.com

الملخص: عرفت المجالات الريفية المغربية تغيرات وتحولات مهمة من حيث البنية العقارية وطريقة التنظيم المجالي، الشيء الذي أدى إلى تدهور الأرضي الناجمة عن تداخل مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية، ولعل تأثيرها يظهر من خلال تطور المشاهد الطبيعية للسفوح المطلة على بحيرة سد سيدى محمد بن عبد الله، والتي قد تساهم في اطماء حقيقة السد. في هذا الصدد سنقوم بدراسة منطقة أربعاء السهول وهي من المجالات التي عرفت تحولات مهمة كما تتميز بسيطرة المناخ الشبه الجاف. يهدف هذا المقال إلى إبراز مظاهر تدهور وتشخيص العوامل الطبيعية الفاعلة في تنشيط مسلسل التدهور بالمنطقة، ولاسيما العوامل المناخية. ولبلوغ هذه الأهداف تم الاعتماد على مقاربة تطورية للمنطقة ما بين 2000-2020، وكذا دراسة التعرية ارتباطاً بالعوامل المسؤولة بالاعتماد على الوصف الميداني خصوصاً فيما يتعلق بأشكال التعرية الحالية. ثم العوامل البشرية المرتبطة أساساً بالتحولات السوسية-اقتصادية التي عرفتها المنطقة. كما سيتم الاعتماد على نموذج EPM بهدف تقييم الكمي للتعرية المائية، وتحديد درجة حساسية التربة إزاء التعرية المائية.

الكلمات المفاتيح: الشاشة الطبيعية، التعرية المائية، العوامل المناخية، نموذج EPM.

Abstract : Morocco's rural area has undergone significant changes and transformations in terms of land structure and mode of spatial organization, which have led to land degradation due to various human and physical factors. Our study area covers an area of 35,102 ha, located in the vicinity of the Sidi Med Ben Abdellah dam.

This article aims to study the current erosion processes based on a detailed description of the various forms of degradation of the natural resources of this basin, following a diachronic approach going from 2000 to 2020. In addition, this study is also based on the analysis of natural factors, such as the degree of slopes, slope exposure, and climate change. Socio-economically, The EPM model will also be used to quantitatively assess water erosion and determine the degree of soil sensitivity to water erosion.

Key Words : natural fragility, water erosion, climatic factors, EPM model.

التأثير العلمي للموضوع الدراسة:

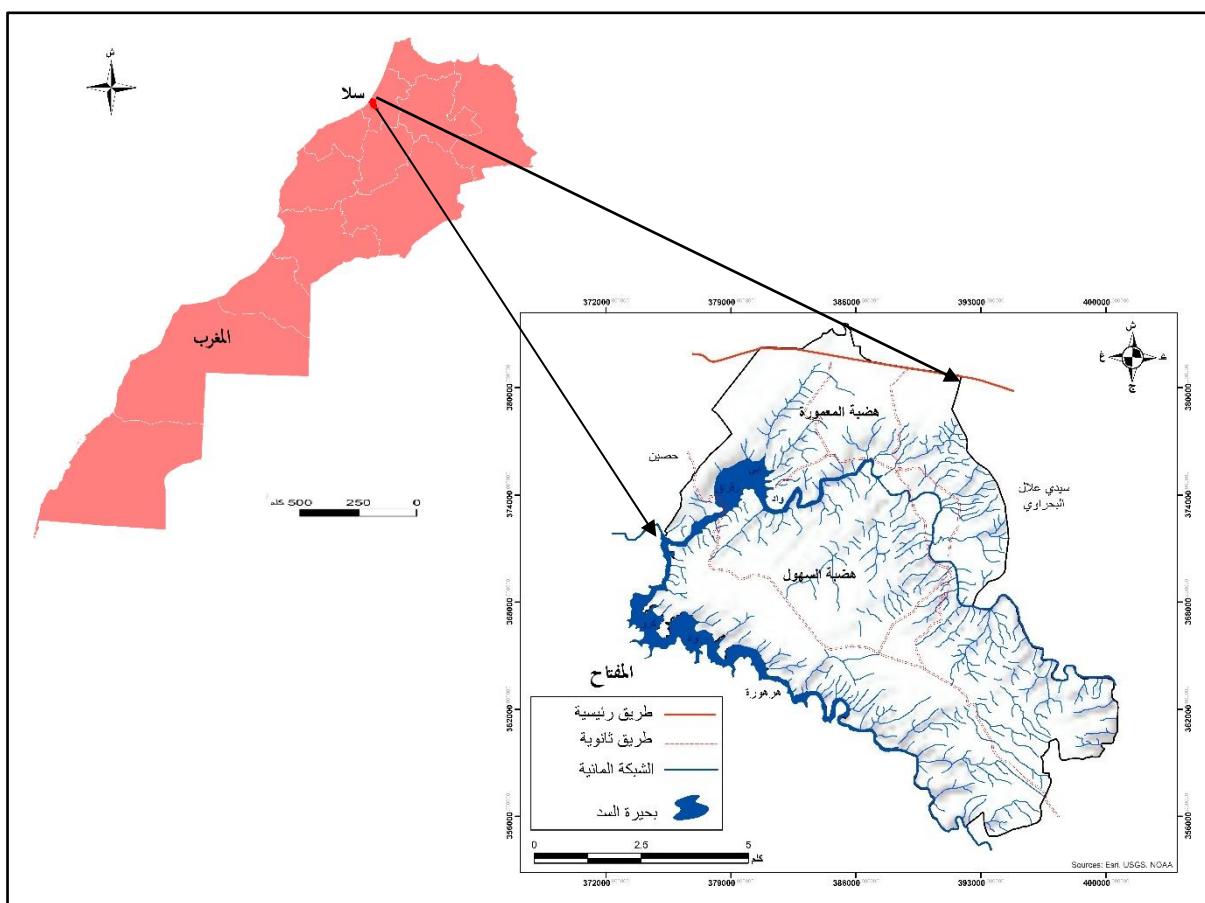
عرفت منطقة السهول تطورات حديثة على صعيد أساليب وطرق الاستغلال، فإلى غاية الستينيات من القرن الماضي كانت جل السفوح غابوية، والأراضي المزروعة بالحبوب على السطح الهضبي. حاليا فقد حدثت تطورات على صعيد استعمالات التربة، سمحت بظهور أنماط مختلفة من التدهور، كما تبين على أن تدهور الأرضي يمتد تدريجيا من الأرضي الهشة بشكل طبيعي إلى أراضي كانت تبدو مستقرة. هذا التطور السريع لمظاهر التدهور يستدعي معرفة ما هي العوامل والنظم المسؤولة عن تسريع وثيرته بهذه الأوساط المطلة على بحيرة سد محمد بن عبد الله.

ومن بين أهداف الدراسة هي إبراز مظاهر التعرية الحالية، من خلال جرد دقيق لمظاهر تدهور الموارد الطبيعية داخل المنطقة، اعتمادا على مقاربة تطورية ما بين 2000 و2020، وكذا دراسة التعرية ارتباطا بالعوامل المسؤولة عنها (الانحدارات والتعریض ...) ثم التغاییر المناخیة التي عرفت تغيراً مهماً وتعتبر أيضاً عاملاً مسؤولاً عن مختلف مظاهر التدهور.

ولتحقيق هذه الأهداف تم الاعتماد على المنهجية التالية:

- البحث البيبليوغرافي؛
- العمل الميداني من خلال دراسة الوسط الطبيعي كالوصف والتصنيف والترتيب خصوصا فيما يتعلق بأشكال التعرية والتكونات السطحية، وعلى زيارتنا الميدانية المتكررة للتأكد من أشكال التعرية الحالية.
- مقاربة خرائطية تعتمد على الدراسة التطورية للمجال لتحديد التطورات الحاصلة خلال النصف الثاني من القرن 20م، وذلك من خلال مقارنة الصور الجوية لسنة 2000 بالصور بالأقمار الاصطناعية لسنة 2020، مما سمح بإيجاز مجموعة من الخرائط لهم المنطقة. ويهدف هذا العمل الخرائطي إلى تحديد المجالات المعروضة للتعرية وتصنيفها حسب نوعية، واليات التعرية المهيمنة وحسب حدتها. ومقارنتها مع أشكال التعرية لسنة 2000، من أجل معرفة سرعة تطور أشكال التعرية، وأهميتها في الدينامية الحالية.
- دراسة التغيرات المناخية المحلية للتساقطات، وتأثيرها على توازن البيئة بالمجال، عبر تحليل سلسلة مناخية لـ 43 سنة (1977-2019).

الاعتماد على نموذج EPM (Erosion Potentiel Méthode) وهو نموذج رياضي، يقدر مختلف أنواع التعرية من التعرية السيلية إلى الانزلاقات الأرضية كإحدى نواتج التعرية السطحية. ويعد من النماذج المناسبة لتقدير التعرية بالمناطق المتضرسة، ويعتمد هذا النموذج على مجموعة من المتغيرات (التركيب الصخري، الانحدار، حالة الغطاء النباتي، التربة، التساقطات ومتوسطات الحرارة).

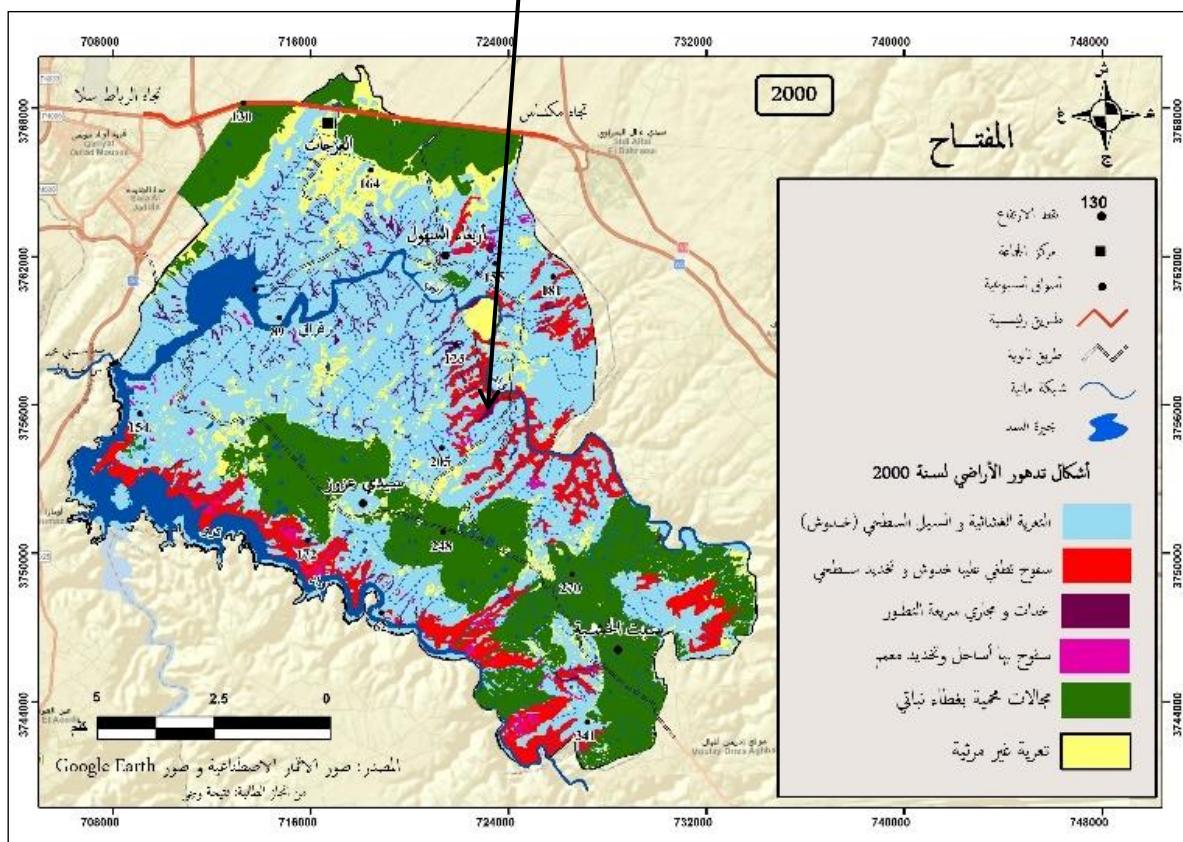


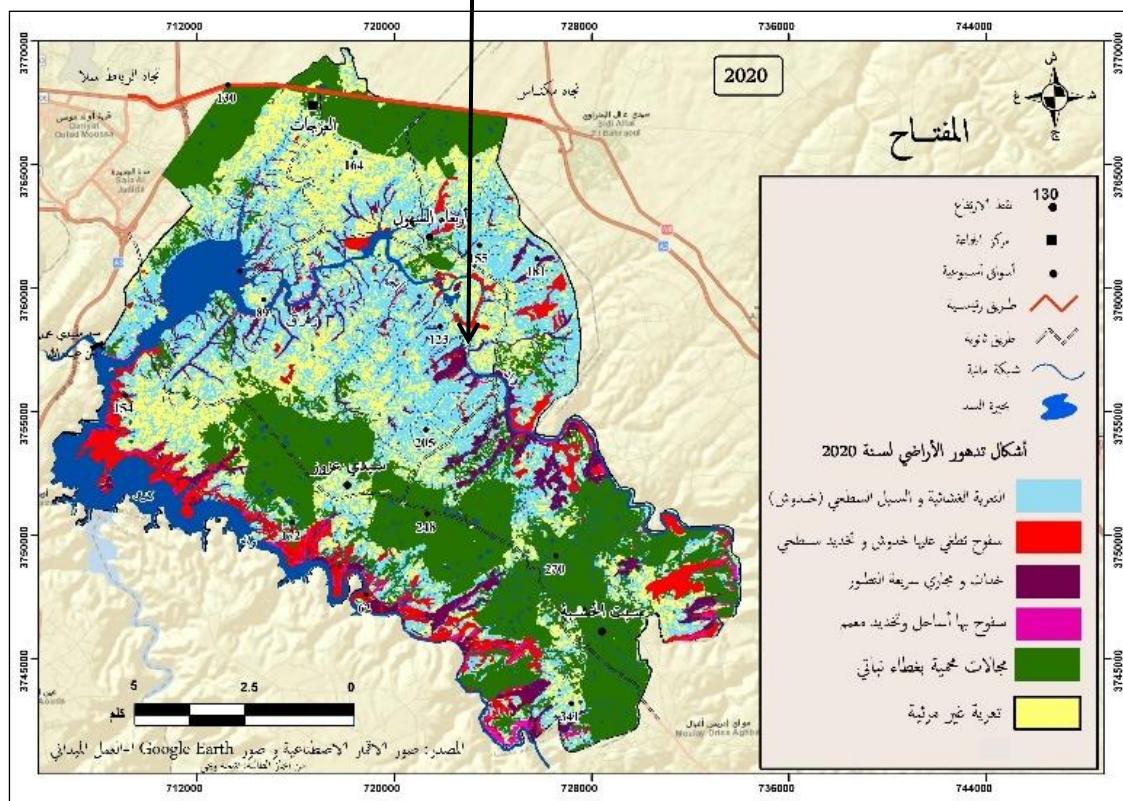
الشكل 1: توطين مجال الدراسة

-1- مظاهر الأشكال الحالية للتعرية وسرعة تطورها:

-1-1- التوزيع المجالي للأشكال التعرية الحالية:

تعرف منطقة السهول مظاهر عدة للتدبور، وذلك ناتجاً للنشاط الكبير لمختلف البنيات التعرية المائية على سفوحه والتي ترسم مختلف مظاهر التدهور عليها (خدات، خدوش، أساحل...). ولضبط التوزيع المجالي لأشكال تدهور الأرضي تم إنجاز خريطة أشكال التعرية (خريطة 2)، والذي يظهر من خلالها الاختلاف الكبير لهذه الأشكال من مجال لأخر وبين السفوح كذلك، بل وقد تختلف في نفس السفح أحياناً.

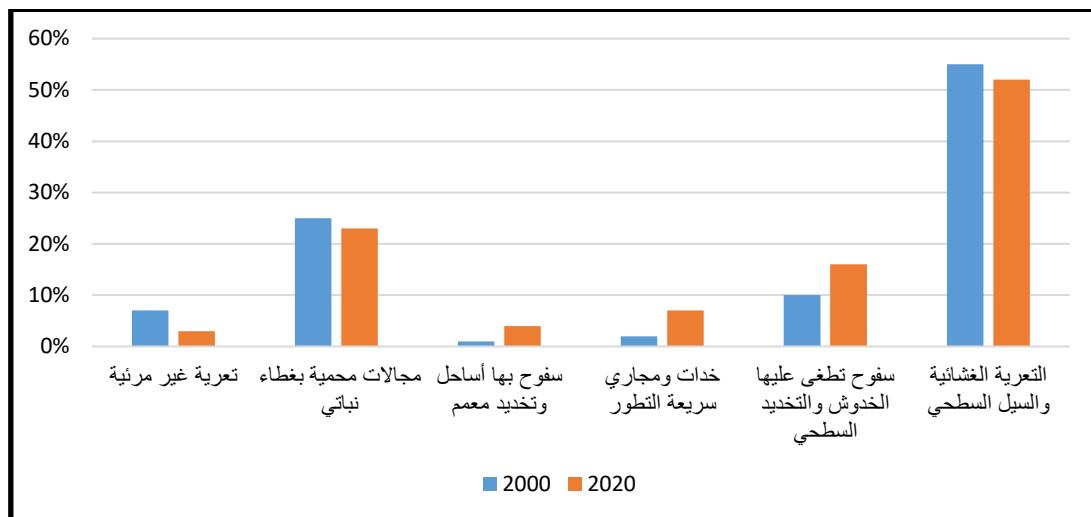




الشكل 2: أهمية أشكال التعرية بمنطقة أربعاء السهول ما بين 2000-2020

ولتحديد طبيعة التغيرات التي قد تكون عرفتها مظاهر التشكيل في عشرين سنة الأخيرة، تم العمل على دراسة منطقة أربعاء السهول حيث تم إنجاز دراسة تطورية لأشكال التعرية، بحيث يهم تدهور الأراضي بالحوض مساحة واسعة، كما يتخذ مظاهر متباعدة في السفوح وعلى سطح الهضبة. فإذا استثنينا المجالات الغابوية التي تشكل نوعاً من الحماية للسطح، والتي

تحفي مع ذلك تعرية غير مرئية، فان سلوك التربة يختلف في المجالات الاخرى حسب درجة تغطيتها النباتية وحسب درجة الانحدار وطبيعة الصخور.



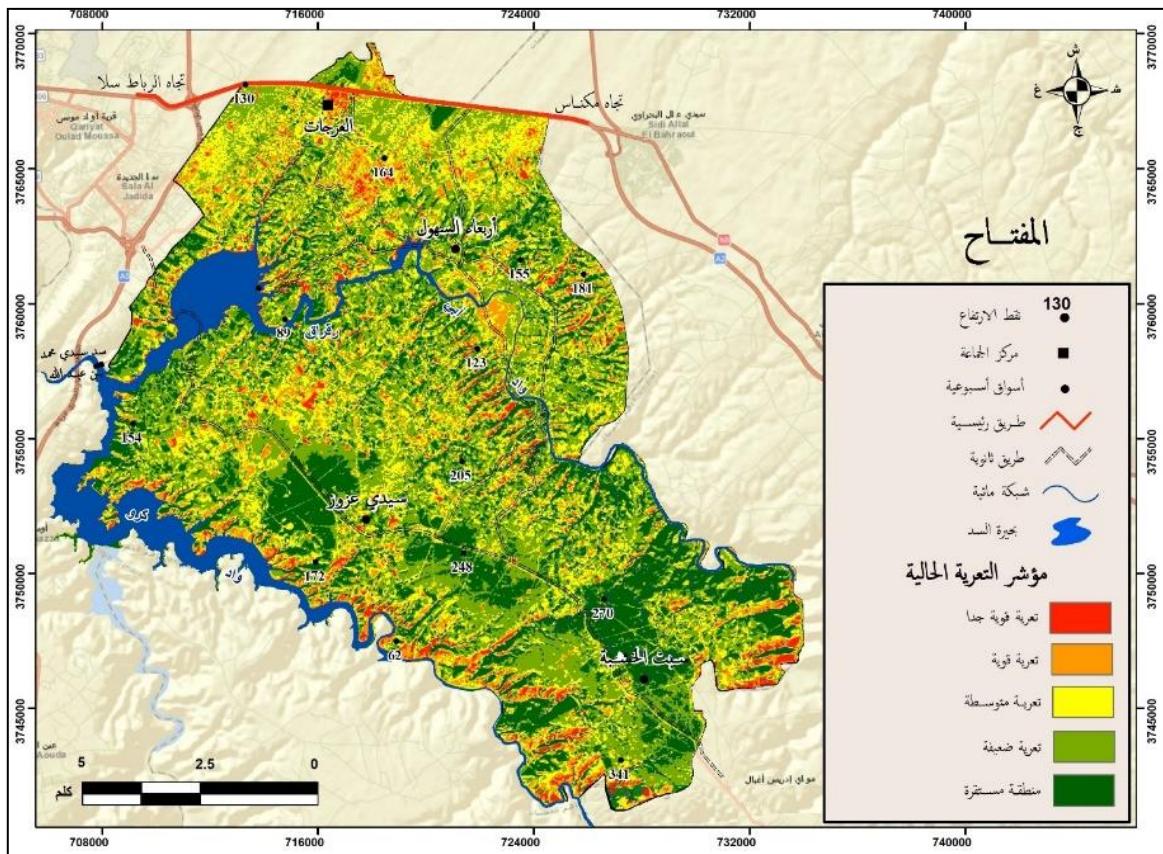
الشكل 3: تطور أشكال التعرية ما بين 2000-2020 بمنطقة السهول

المصدر: صور جوية Google Earth لستي 2000 و2020

يظهر من خلال الرسم المباني (الشكل 3) نتائج هذه الدراسة، حيث ارتفعت نسبة الخدمات بـ6%， وسفوح تطغى عليها الخدوش والتخديد السطحي بنسبة 7% وهي سريعة الحدوث، بينما تراجعت نسبة السهل الغشائي والتعرية الغير مرئية على التوالي بنسبة 5%. وهذا التراجع يعزى الى ان مجموعة من السفوح كان ينشط بها السهل الغشائي وأصبحت عبارة عن خدوش.

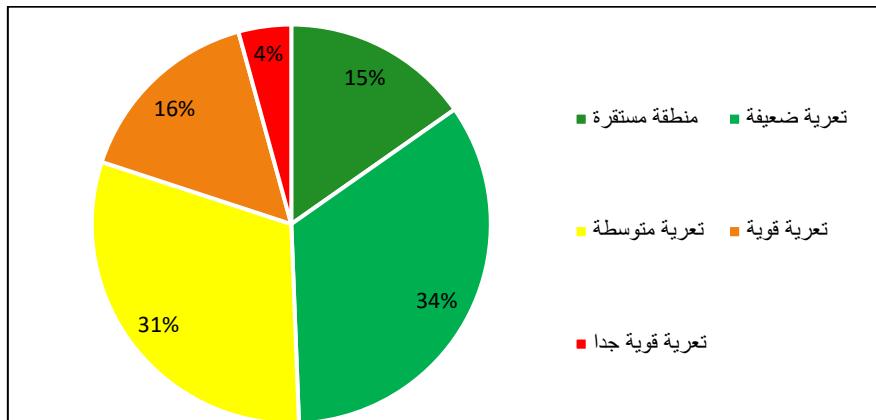
1-2- مؤشر التعرية الحالية (Q):

لحساب هذا المؤشر انطلاقا من صور Landsat والتي تعتمد على الجذر التربيعي للنطاق الثالث (TM3) مقسوم على القيمة القصوى للإشعاع (Qmax). وترجم نتائج هذه المعادلة التوزيع المجهلي لنطاقات التعرية وفقاً لسبة الإشعاع اذ تزداد نسبة الإشعاع بشكل مضطرب مع ارتفاع حدة التعرية.



الشكل 4: مؤشر التعرية الحالية حسب نموذج EPM

يظهر لنا من خلال الشكل (رقم 3 و4) أن المجالات المستقرة تغطي مجال غابة البلوط الفلبيني والماطورال الكثيف على السفوح الظليلية، بنسبة 15% من المساحة الإجمالية للمنطقة، مما يجعل هذه المجالات تعرف تعرية ضعيفة، رغم تواجدها فوق صخور ذات مقاومة ضعيفة.



الشكل 5: أهمية التعرية الحالية حسب نموذج EPM

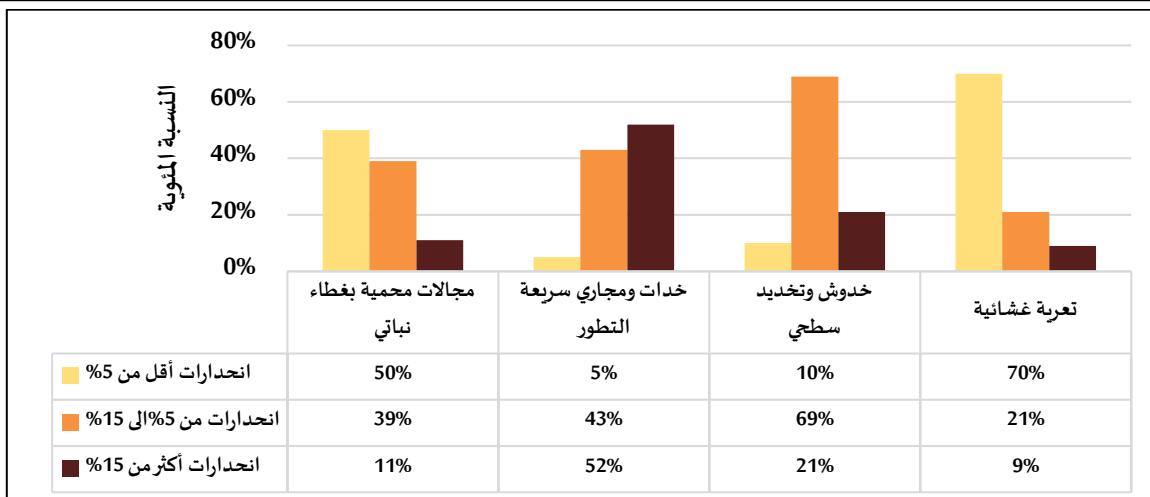
مجالات ذات احتمالية حدوث تعرية ضعيفة: تغطي هذه الفتنة المجالات الواقعية على الجزء الهضبي بكل من هضبة السهول وهضبة المعمورة، وقعر الاودية وتمثل نسبة مهمة من مجال الدراسة 34%， وتعتبر هذه الأوساط قريبة من المجالات المستقرة من حيث الخصائص، ثم مجالات ذات احتمالية حدوث تعرية قوية جداً. نغطي أكثر من 60% من مساحة المنطقة، وتتوافق في مجملها مع الانحدارات القوية والقوية جداً، كما تتوافق أيضاً مع السفوح الجنوبية الشميسية، هذا فضلاً عن وجود أراضي عارية ومتدهرة بهذه الأوساط، مما يجعل الظروف مواتية لكي تكون ذات احتمالية قوية للتعرية وهي تكتسب حساسية طبيعية تجاه التعرية.

2- العوامل الطبيعية المفسرة لمظاهر التدهور:

لإبراز التباين المالي لمظاهر التدهور، وضبط التطور الزمني السريع لها، طرح الإشكال حول الأسباب الكامنة خلف هذا التدهور، وللإجابة عن هذا الإشكال تم الاعتماد على كل من عامل التعریض والانحدار في تفسير ما تعرفه المنطقة من مظاهر للتدهور وتراجع للغطاء النباتي، والاقتصرار على هذين العاملين لا يقلل من أهمية الركيزة الصخرية الحثية وصلصالية، وكذلك الآتية الضعيفة التطور الذين تمتاز بهما المنطقة في حركية السفوح، بل جاء نتيجة للتشابه النسبي لهذه الخصائص في مجموع المنطقة، لذلك لا يمكن اتخاذها عاماً من عوامل تفسير التدهور وكذا اختلاف توزيعها المالي.

1-2 دور درجة الانحدار في الدينامية الطبيعية:

يعد الانحدار من بين العوامل المؤثرة وبشكل كبير في البيات التشكيل بالسفوح في منطقة أربعاء السهول، وربط علاقته بمظاهر التدهور وبالتالي معرفة الى أي مدى يمكن لهذا العامل تفسير التوزيع المالي لهاته المظاهر. وذلك بالاعتماد على نظم المعلومات الجغرافية التي تتيح مراكبة كل من خريطة أشكال التعرية وخريطة الانحدارات بالمنطقة، وذلك لإيجاد العلاقة بين درجة الانحدار والبيات التشكيل، ولمعرفة كيف يمكن للانحدار أن يكون أحد العوامل المفسرة للتدهور سفوح المنطقة.

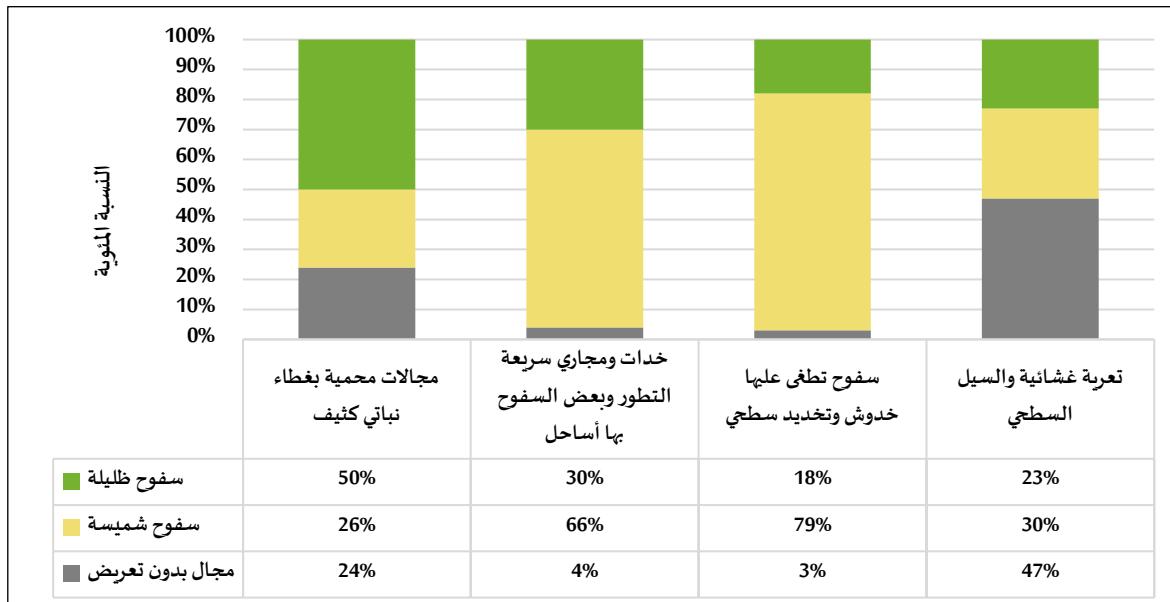


الشكل 6: توزيع أشكال التعرية الحالية وعلاقتها بالانحدار

وأظهرت النتائج أنه كلما ارتفعت درجة الانحدار إلا وارتفعت معها نسبة أشكال التعرية المرتبطة بالسيل المركز نظراً لقوّة التي يكتسبها الماء بفعل الانحدار، كما أظهرت أن السيل الغشائي ينتشر في السفوح الأقل انحداراً بحيث تمثل في السفوح ضعيفة الانحدار نسبة 70% (الشكل 6). إلا أن هذه النتائج لا يمكن تعريفها على المنطقة ككل، فقد أظهرت المعاينة الميدانية أن بعض أشكال التعرية المرتبطة بالسيل المركز (خدوش وخدمات) لم تستثن سفوحها وحدورات ذات انحدارات ضعيفة، الشيء الذي يؤشر على أن ما تعرفه المنطقة من تدهور لا يمكن تفسيره بعوامل طبيعية بحته.

2- دور التعريض في تسريع عمليات التدهور:

وبنفس المنهجية السابقة تمت مراكبة خريطة أشكال التعرية وخريطة التعريض. ومن تمت اتضاح أن أشكال التعرية تختلف باختلاف تعريض كل سفح، كما نلاحظ من خلال (الشكل 7) أن الأشكال المرتبطة بالسيل المركز تطغى على السفوح الشميسية المعروضة نحو الجنوب الغربي كالخدوش السطحية إلى الخدمات العميقه والمتسعة وصولاً إلى الأساحل في بعض السفوح باتجاه الجنوب بنسبة 79%. في حين السفوح الظليلة وتظهر فيها أشكال تعرية متعددة ومختلفة مما يؤدي لتراجعها باستمرار، ونجد على هذه السفوح الخدوش والتخديق السطحي نسبة 79%， بينما تشكل الخدمات والمجاري سريعة التطور وبعض السفوح التي بها الأساحل نسبة 66% على السفوح الشميسية. وتكون خطورة التعرية على هذه السفوح، لكونها تصبح عارية من الغطاء النباتي تحت أمطار الخريف والشتاء، مما يسهل على التعرية المائية القيام بمهامها بشكل يتلاءم مع الانحدار.

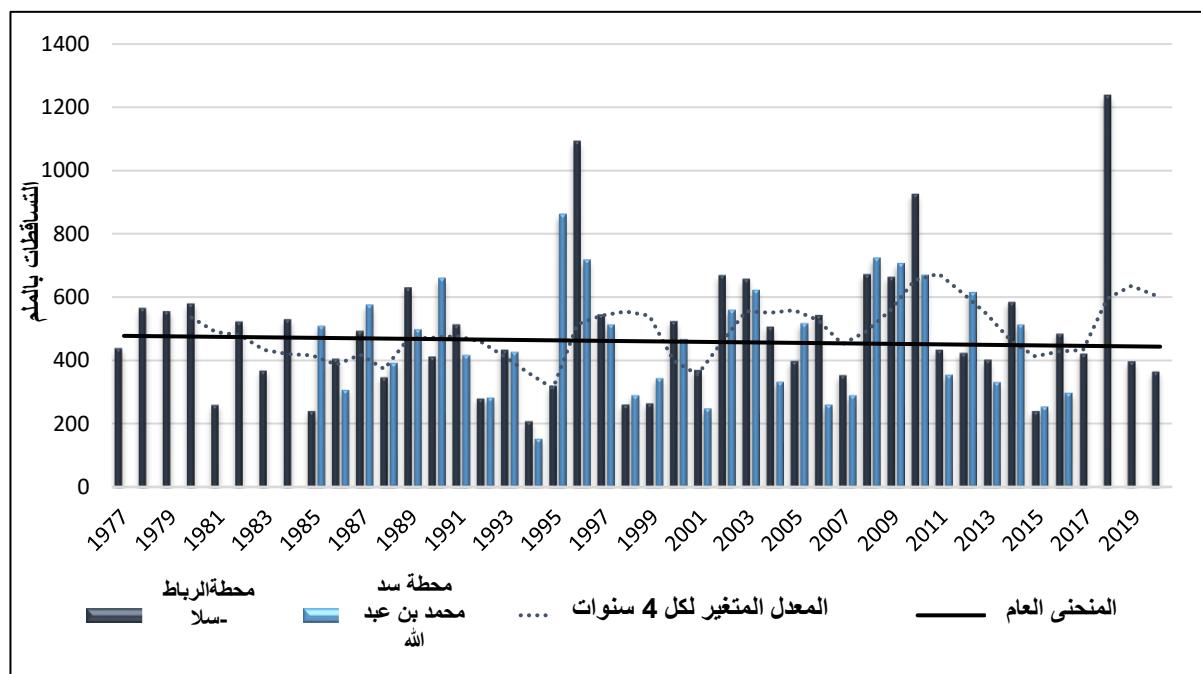


الشكل 7: تعریض السفوح وعلاقته بأشكال التعريفة الحالية

عموماً يمكن القول أن أشكال التعريفة تختلف باختلاف التعریض، حيث تطغى على السفوح أشكال التخديد والخدوش، بينما على السفوح الظليلية تنتشر المجالات المحمية ببطاء نباتي، لكن هي أيضاً أخذت تظهر فيها دروب الحيوانات والسائل الغشائي، إضافة إلى التخديد والأساحل وبعض سفوح أخرى شمسية تعرف استقراراً نسبياً، هذا الاستثناء يدفعنا للقول بأن التعریض هو عامل مفاصيم ومسمى لمظاهر التدهور ولـي مفسراً لجميع هذه المظاهر.

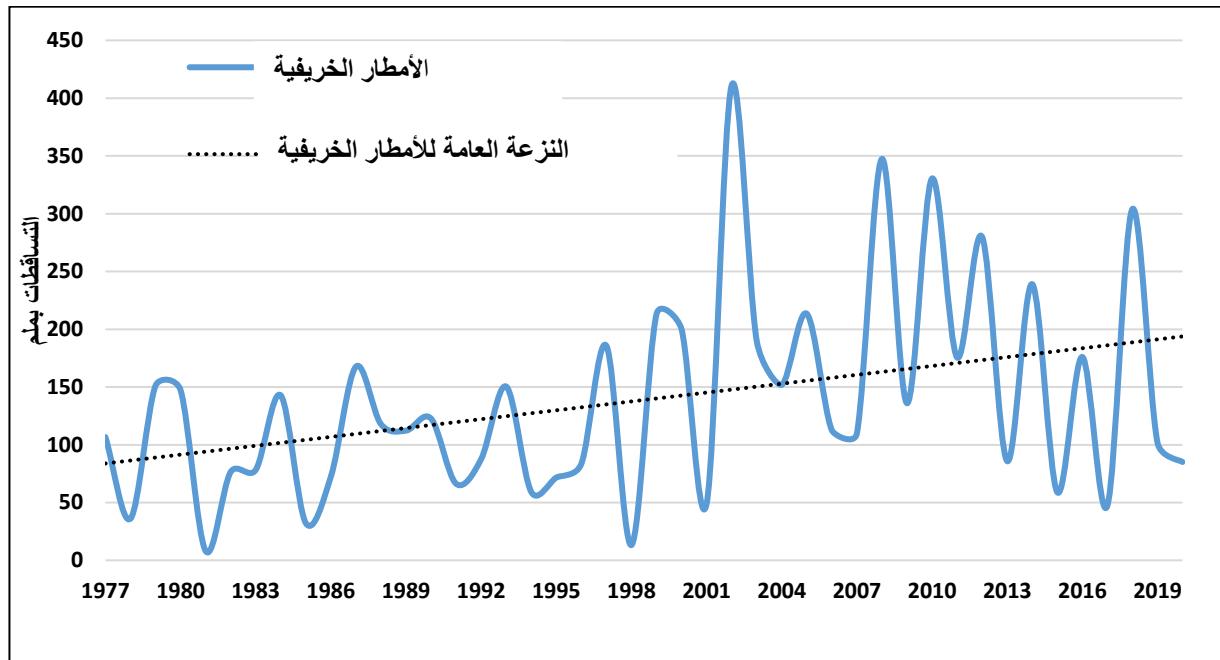
2-3- التغيرات المناخية كعامل مفسر لمظاهر التدهور:

تميّز التساقطات المطرية بمحيطة الرياط سلا بعدم الانتظام على المستوى الزمني من سنة لأخرى وداخل نفس السنة، حيث نجد سنوات سجلت كميات مطرية مهمة ساهمت في ارتفاع المعدل السنوي للتساقطات كما هو شأن سنة 1996 حيث بلغ المعدل 1091 ملم، بينما في السنوات أخرى حيث قلة الأمطار أدى إلى انخفاض المعدل السنوي للتساقطات، حالة سنة 1994 حيث لم يتجاوز المعدل العام للتساقطات 440 ملم، هذه التغيرات من مميزات المناخ المتوسطي، وهذا بدوره ينطبق على منطقتنا حيث أن كمية التساقطات تتغيّر من سنة إلى أخرى، وهذا ناتج عن توالي سنوات رطبة وأخرى



الشكل 8: مقارنة المعطيات الإحصائية للتساقطات لكل من محطة الرباط-سلا ومحطة سد محمد بن عبد الله

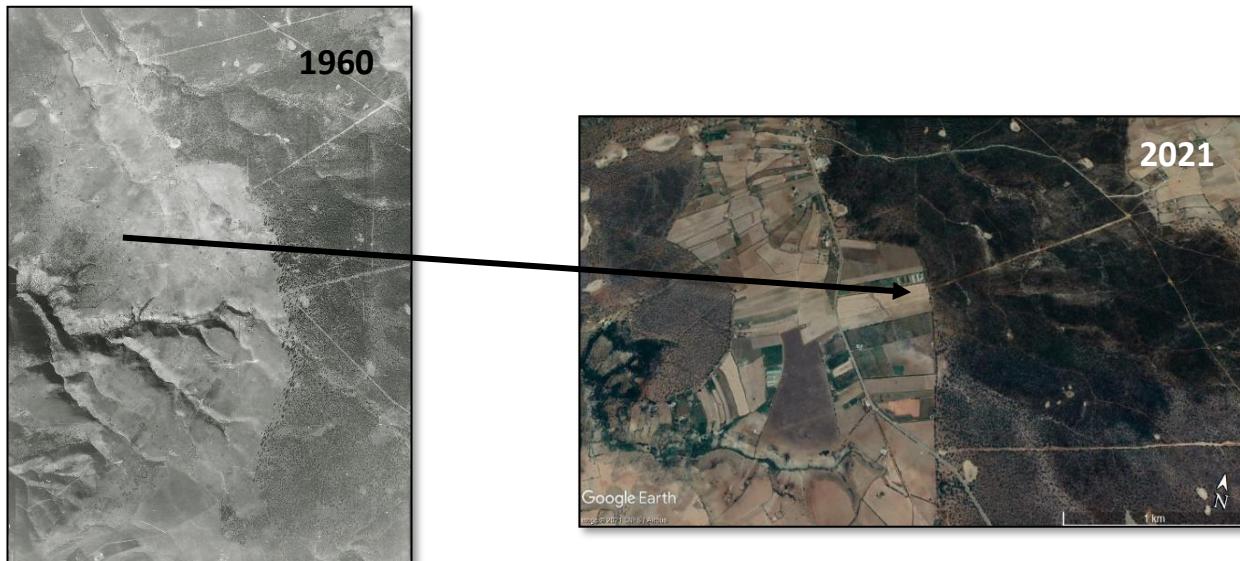
نلاحظ من خلال المبيان أسفله أن النزعة العامة لأمطار الخريفية تمثل نحو الارتفاع وذلك بـ 1 ملم سنويا، على عكس السبعينات التي كانت لا تتجاوز 200 ملم في الخريف وهذا ما يفسر التغير في المناخ وما ينجم عنه من أضرار على الموارد، بحيث تكون التساقطات على شكل عواصف رعدية ذات زخات مهمة، وما يزيد من خطورة هذه التساقطات على السطح حيث تكون التربة عارية وأكثر عرضة لقوة التضارب نتيجة لعراء السطوح، كما تصبح التربة أكثر هشاشة نتيجة تعرضها للتشميس لمدة طويلة قد تزيد عن 7 أشهر؛ مثل سنة 2015 و2020 حيث امتدت الفترة الجافة ما بين (أبريل؛ ماي؛ يونيو؛ يوليو؛ غشت؛ ستنبر؛ أكتوبر)، مما يساعد على تفكك التربة وتهشيمها، إضافة إلى طول الفترة الجافة يؤثر على الغطاء النباتي الذي يصبح عرضة أكثر للتدهور. وما يزيد من خطورة تدهور التربة هو مصادفة التساقطات الخريفية لعمليات الحرش التي يقوم بها الفلاحون، ما يجعل التربة أكثر عرضة للإنجراف.



الشكل 9: التوزعة العامة للأمطار الخريفية ما بين 1977-2020 بمحطة الرباط-سلا

3- العوامل البشرية المساعدة في تسريع الهشاشة الطبيعية بمنطقة أربعاء السهلول:

إذا كانت التعرية ظاهرة طبيعية مرتبطة بالعوامل المناخية والطبوغرافية والصخارة..، فإن التدخل البشري اللاعقلاني يلعب دورا محوريا في تسريع هذه الظاهرة، وذلك من خلال اعتماد أساليب وطرق في الاستغلال لا تتلاءم مع خصوصيات الأرضي، إلى جانب التزايد الديمغرافي الذي يكرس هذا الضغط على المجال وموارده الطبيعية خاصة خلال الفترة الاستعمارية التي عرفت توسيعا كبيرا للمجالات الفلاحية على حساب المجالات الغابوية (صورة رقم 1). بحكم وملاءمتها لانتشار زراعة الحبوب وتربية الماشية. بحيث تستغل الساكنة المحلية بشكل مكثف السفوح ذات الانحدارات الضعيفة، وذلك منذ الاستقلال، الشيء الذي أدى إلى تدهورها وبالتالي اضعاف خصوبة التربة بها خصوصا إنها تربة من نوع ضعيفة التطور وهيكيلية. كما أن الساكنة حاليا، لازالت تقوم بعملية اجتناث أشجار هذه المجالات ذات الانحدار الضعيف والمتوسط، وذلك تحت تأثير استغلالها زراعيا، بالإضافة إلى تواجه مشارات على عكس خطوط التسوية وكذلك ادخال زراعات غير مناسبة. أما المجالات القوية الانحدار، فهي تستغل بدورها قدر الإمكان في الرعي.



صورة 1: التحولات بالقرب من الغابة دوار دعاكرة (سوق سبت الخشبة)

الا أنه رغم التحولات التي شهدتها القطاع الفلاحي خلال العقود الأخيرة، والتطور نحو استعمال المزروعات التسويقية ذات المرودية العالية، فان الفلاحة بمنطقة السهول تحولت نحو الاعتماد على الحبوب بالأمس، وتنتشر على مساحة أزيد من 100 ألف هكتار، الى جانب تربية المواشي وبعض المزروعات الشجرية وزراعة الخضروات والقطاني التي أصبحت بدورها تحتل مكانة مهمة من حيث المساحة المزروعة. الا أن هذا النشاط اعترضته عدة صعوبات مثل خصوبة التربة وغياب التناوب وضعف جودة المراعي نتيجة قلة التساقطات وعدم انتظامها.

خاتمة:

أوضحت نتائج الدراسة أن منطقة السهول تعرف هشاشة متوسطة بسبب تفاعل مجموعة من العناصر الطبيعية والبشرية، حيث أن 31% من مساحة المنطقة هي عبارة عن مجالات ذات قابلية متوسطة للتدحرج. رغم هذا فإن المنطقة تعرف نشاطاً قوياً للدينامية الحالية وتدهوراً مستمراً للمجال الطبيعي. ولاسيما خلال السنوات الأخيرة، كما أكدت نتائج المقارنة التطورية للصور الأقمار الصناعية، على أن السفوح التي كانت مستقرة أصبحت تعرف حالياً تدهوراً مهماً. هذه الوضعية خلفت مجالاً يعرف احتمال تعرية قوية تمتد على 20% من مساحة المنطقة، والذي يتطرق بشكل كبير لانتشار أشكال التعرية المركزة.

قائمة المصادر والمراجع:

1. حسن الكتمور (2004): التحولات المجالية وتأثيرها على الدينامية الحالية بحوض تكيرة (الاطلس المتوسط). أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه. جامعة محمد الخامس كلية الأدب والعلوم الإنسانية.
2. عبد الرحيم وطفة ورشيدة نافع (2002): التعرية المائية وأثرها في تدهور التربات: تحليل المظاهر ومناهج القياس. منشورات جامعة الحست الثاني. مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية عدد 10.

- .3. وطفة عبد الرحيم (1986)، دراسة جيومرفولوجية لمنطقة السهول. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا المعمقة. جامعة محمد الخامس، شعبة الجغرافيا.
- .4. رشيدة نافع وعبد الرحيم وطفة (2002): التعريبة المائية وأثرها في تدهور التربات: تحليل المظاهر ومناهج القياس. مجلة أبحاث، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، العدد العاشر، ص: 139-159.
- .5. علي فالح (2011): التقييم الكمي والنوعي لأنجراف التربة بالريف، منشورات جمعية طاون أسمير، ص200، مطبعة الخليج العربي.
- .6. جمال شعوان 2013: توظيف الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية في دراسة التقييم الكمي للتعريبة المائية بحوض أمزار (الريف الأوسط) من خلال نموذج EPM. مجلة جغرافية المغرب، السلسلة الجديدة، مجلد 28، عدد 1-2، ص 74-89.
- .7. شاكر ميلود، العوينة عبد الله، الكركوري جمال، أدرغال محمد، مشوري نادية، صفي محمد، قاسم نعييمي، (2014). تدهور الأراضي الهماسية بجماعة السهول وعلاقتها بالتغير الشامل. مجلة جغرافية المغرب، السلسلة الجديدة، مجلد 29، العدد 1-2، منشورات الجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة.ص.39-5.
- .8. الميلود شاكر (1997-1998): كتلة بولخواي وسهل العيون، (المغرب الشرقي): الدينامية الحالية للسطح وبين الشاشة الطبيعية والضغط البشري. أي أفاق وأي استراتيجيات. أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه بشعبة الجغرافيا. جامعة محمد الخامس الرباط.
- .9. الفلاحي بلال، ميلود شاكر، عبد الرحيم وطفة (2015): دينامية الأراضي بـ بحيرة سد سيدى محمد بن عبد الله نموذج حوض النخلية، أعمال الملتقى 21 للجيومرفولوجيـن المغاربة، الجمعية المغربية للجيومرفولوجـيا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية عـين الشـق بالدار البيضاء.

10.Laouina A., Aderghal M., Al Karkouri J., Chaker M., Machmachi I., Machouri N., Sfa M., 2010: Utilisation des sols, ruissellement et dégradation des terres, le cas du secteur Sehoul, région atlantique, Maroc. Revue Sécheresse. Volume 21, Numéro 4, 2010. p. 309-316.

11.Laouina A., Chaker M., Aderghal M., Machouri N., Al karkouri J., Sfa M., 2012: Approche pour l'adoption d'une gestion durable des terres fragiles. Revue de Géographie du Maroc (RGM), Nouvelle série, Volume 27, N°1-2, p. 5-23.

12.Machouri N., Laouina A., Chaker M., 2013: Mesures de la végétation et des états de surface du sol pour l'évaluation du fonctionnement hydrologique, application aux techniques de CES dans la commune des sehoul. Publication de l'Association de Recherche en Gestion Durable des Terres (ARGDT). p. 103-118.

تادلا خلال العصر الوسيط والحديث

Tadla during the Middle Ages and the Modern

غزلان حيداوي طالبة باحثة في سلك الدكتوراه جامعة ابن طفيل كلية الآداب والفنون القنيطرة المغرب

haidaoui.ghizlane@gmail.com

الملخص: إن تميز المغرب نابع بالأساس إلى تنوع أقاليمه، حيث أهله ذلك لامتلاك موروث تاريخي غني ومن هنا جاء موضوع مقالتنا حول تاريخ منطقة تادلا في الفترة الزمنية الممتدة من العصر الوسيط إلى العصر الحديث، التي لعبت دوراً كبيراً في تاريخ المغرب باعتبارها المعبر الرئيسي الرابط بين قطبي المغرب التاريخيين فاس مراكش.

الكلمات المفاتيح : تادلا بعد الفتح الإسلامي - تادلا في عهد المرابطين - تادلا في عهد الموحدين - تادلا في العهد المربي تادلا في العهد السعدي - تادلا خلال العهد العلوي.

Abstract : The distinction of Morocco stems mainly from the diversity of its regions, as this qualified it to possess a rich historical heritage. Hence the subject of our article on the history of the Tadla region in the time period extending from the Middle Ages to the modern era, which played a major role in the history of Morocco as the main crossing link between the two poles of Morocco. Historians Fes Marrakech.

Key Words : Tadla after the Islamic conquest - Tadla in the era of the Idrisid - Tadla in the era of the Almoravids - Tadla in the era of the Almohads - Tadla in the Marinid era Tadla in the Saadi era - Tadla during the Alawi era.

مقدمة :

مررت الكتابة التاريخية المغربية من مراحل متعددة، تميزت كل مرحلة بخصائص معينة ارتبطت بالسياق العام السياسي والثقافي الذي شهدته البلاد، كما اختلفت هذه الكتابات من حيث المواقع المعالجة، ومن حيث المقاربات والأدوات المنهجية الموظفة وكذا من حيث تعدد الرؤى والاتجاهات.

وخلال الربع الأخير من القرن العشرين، عرف البحث التاريخي المغربي رصيداً متراكماً ومتنوّعاً، اتجهت معه الكتابة التاريخية نحو "البحث" والنّبش في ذاكرة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي من خلال إنجاز مجموعة من المؤنّغرافيات التي تم اعتبارها بمثابة قاطرة تحديث الذاكرة الجماعية، وذلك باعتماد مجموعة آليات يمكنها المساهمة في تجديد وبعث الروح في الكتابة التاريخية الوطنية، ومن هذا المنطلق بدأ الحديث عن توسيع مفهوم التاريخ، وتطوير وتنوع مجال المصادر، وكذا الانخراط في سلك العلوم الإنسانية الأخرى.

و انطلاقاً من هذا التصور الجديد لمفهوم التاريخ تصاعد الاهتمام بالتاريخ الجهوي، وصار من الأمور الملحة على الساحة الثقافية، لكونه يمكن من الإجابة على الكثير من التساؤلات والإشكالات المطروحة على الواقع المعيش.

لذا شكل الاهتمام بالتاريخ الجهوي تحدٍ جديد، ومرحلة جديدة في البحث التاريخي، فبالإضافة إلى التاريخ العام، والدراسات المونوغرافية، أصبح التاريخ الجهوي يفرض نفسه بقوة لارتباطه "بعملية التثقيف والتنمية الجهويين" على الساحة الثقافية، خاصة بعد بروز تيار جديد من المؤرخين اهتموا بكتابة تاريخ المجتمع وдинاميته، أمثال المختار السوسي وغيرهم.

إن موضوع الاهتمام بتاريخ الهوية الجهوية وتوظيفه كأداة للتنمية أصبح يفرض نفسه بقوة بالنظر للوعي المتزايد لدى المجتمعات بتاريخها لأن خيار الجهة الأساسية لتحقيق تنمية شاملة ومستدامة. وذلك ما سناهول وفي نفس السياق إبرازه من خلال تناول تاريخ منطقة تادلا في العصر الوسيط والعصر الحديث.

المحور الأول : تادلا خلال العصر الوسيط

1 - تادلا بعد الفتح الإسلامي

يجتمع العديد من المؤرخين على أهمية منطقة تادلا بالنسبة للدول المتعاقبة على حكم المغرب، بالنظر إلى أهمية موقعها الاستراتيجي وكذا غنى هذا المجال، وتوفّره على مؤهلات طبيعية وبشرية قبل نظيرها في باقي مناطق البلاد، بل يذهب البعض إلى القول بأننا نقرأ تاريخ المغرب من خلال تاريخ تادلا والأطلس المتوسط فظللت بهذه المكانة تلعب دوراً حاسماً في قيام دول المغرب وسقوطها.

وفيما يتعلق بدخول الفاتحين العرب مجال تادلا نقل صالح بن عبد الحليم في كتاب الأنساب عن دينار بن عبد الرحمن أن عقبة بن نافع لما وصل بلاد هنستيفه في 62 هـ/681 م سُئل عن أميرهم فعرض عليه الدخول إلى الإسلام فدخلوا فيه دون قتال³⁰⁴. وسلك موسى بن نصیر نفس طريق عقبة من سجله إلى أزيدال ثم تادلا، فأعاد فتحها لإرتداد سكان المنطقة عن الإسلام. وفي نهاية القرن الهجري الأول خضعت تادلا ومعها المغرب للخلافة الإسلامية بالشرق³⁰⁵.

2 - تادلا في عهد الأدارسة

رغم فتح تادلا ودخول الإسلام للمجال التادي، ظل السكان الأصليون بالمنطقة أسياد أمورهم وسيطرت على تادلا اتحادات أمازيغية من زناكا واستمرت سيادتهم حتى القرن 2هـ/نهاية القرن 8م.

وتؤكد معظم المصادر التاريخية لهذه الفترة أن ساكنة تادلا، ظلت إلى حدود ق. 8م. تعتنق اليهودية والمسيحية حتى إقام إدريس الأكبر على غزوتها سنة 172هـ/788 م، في إطار استكمال نشر الإسلام بالغرب. وفي هذا يقول ابن أبي زرع "فقد خرج برسم الغزو بما بقي من البرير على دين النصرانية واليهودية والمجوسية، والذين تحصنوا بالمعاقل والمحصون المنيعة، والقلاع التي كانت ببلاد فازاز"³⁰⁶.

وقبل وفاة إدريس الثاني بقليل، ولضمان الأمان والاستقرار في البلاد، قسم المغرب بين أبنائه، فكانت تادلا من نصيب يحيى الذي أوكلت إليه مهمة الإشراف عليها ابتداء من 213هـ/824 م³⁰⁷.

استمر النفوذ الإدريسي بتادلا حتى بعد وفاة إدريس الثاني، إذ قام ابنه محمد بتولية أخيه أحمد على المنطقة. وفي نفس السياق يقول ابن أبي زرع: "وولى أخاه أحمد مدينة مكناسة وببلاد فازاز مدينة تادلا"³⁰⁸.

واستمر التمثيل الإدريسي بتادلا حتى مطلع القرن 10م لتُخضع لسلطةبني يفرن حتى قيام دولة المرابطين.

3 - تادلا في عهد المرابطين:

³⁰⁴- عيسى العربي، قبيلة أيت عتاب، السكان وحياتهم الدينية عبر التاريخ، مطبعة المعارف 2000، ط 1 ص، 13.

³⁰⁵- الملكي الملكي، مرجع سابق، ص: 85.

³⁰⁶- على بن أبي زرع، الآتي المطر بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة، الرباط 1973، ص: 21.

³⁰⁷- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر 1850_1912 اينولتان، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة الطبعية الثانية 1983. ص 79.

³⁰⁸- ابن أبي زرع، مصدر سابق، ص: 20

بعد أن دخل المرابطون أغمات زحفوا نحو تادلا وقضوا على بني يفرن ودانت لهم المنطقة، وفي ذلك يقول ابن أبي زرع "خرج (عبد الله بن ياسين) إلى غزو تادلا، ففتحها وقتل من وجدها من بني يفرن من ملوكها وظفر بلقوط المغراوي فقتله"³⁰⁹. ولما فتح ابن تاشفين فاس سنة 455هـ غزا بلاد فازاز والمناطق التي بأحوازها وبعد ما استقام له الوضع ودان له كامل المغرب قسم أقاليمه على ولاته وعماله فأسند تادلا إلى ابنه تميم، يقول الناصري "عين يوسف ابن تاشفين ولده تميم على مدینتي أغمات ومراكش وبلاد السوس وسائر بلاد المصامدة وبلاد تادلا وبلاد تامسنا"³¹⁰. لتعرف تادلا بعد ذلك استقراراً لزمن طويلاً إذ لم تشر المصادر إلى وجود اضطرابات تستدعي تدخل السلطة المركزية ولعل ما يؤكد هذا انتشار المرابطين إلى الجواز إلى الأندلس والتوسي في باقي دول المغرب العربي³¹¹.

وكان للمرابطين عنابة كبيرة بمجال العلم والثقافة فعملوا على استقدام العديد من رجالاته من بلاد الأندلس فتوافدت جموعهم على العاصمة مراكش. ووجود تادلا على محور فاس مراكش الذي شكل شريان الحياة لمغرب العصر الوسيط والحديث جعلها تنال نصيبها من هذه التأثيرات القادمة من شمال المتوسط.

4 - تادلا في عهد الموحدين:

بعد مبايعة عبد المؤمن بتنمبل ودخوله مراكش توجه إلى تادلا مخترقاً جبال الأطلس الكبير في محاولة للانقضاض على السهل من جهة الجبال ونجد لدى البيدق وصفاً لمسار حملة الجيش الموحدى والمناطق التي دخلها والمعارك التي خاضها، يقول البيدق "اعلم يا أخي أنه لما خرج سيدنا الخليفة أمير المؤمنين للغزو خرج من تنمبل على ناحية الشرق .. فلما سمع تاشفين بنا نزل بأشبار ونحن بموضع يقال له تاساوت ثم لموضع يقال له دمنات وقام تاشفين ونزل على يملتلوا ثم قمنا منه لموضع يقال له بنو نصر وتاشفين بكوية ثم قمنا نحو الفل متاع كوية فخرج أبو حفص عمر ايني بعسكر رجاله دون خيل فغنم ورجع. ثم قلعنا منه لموضع يقال له واوينغت ساق لنا فيه صهاجة المروة وتاشفين بموضع يقال له موران يغيال ثم التقى الجيش بالجيش بموضع يقال له تيزى... فهبطنا لموضع يقال له تاكارت متاع داود بن عائشة ثم رحلنا لموضع يقال له داي".³¹² من خلال هذا النص تبين خطة سير جيش الموحدين الذي عمل على تطويق سهل تادلا واكتساحها من الجبال³¹³ لوضع نهاية للتواجد المرابطي خاصة بعد احتلال داي و تاكارت رمز سلطة الملثمين.

وخلال فترة حكم الموحدين بدأ توافد العناصر الهلالية إلى المغرب واستقر جزء منها بتربة تادلا وفي ذلك يقول الناصري "انزل قبيلة رياح من بني هلال ببلاد البيدق وانزل قبائل جشم بلاد تامسنا البسيط إلى سفح ما بين سلا ومراكش".³¹⁴ ومن بين فروع جشم نجد بني جابر الذين تحيزوا إلى سفح الجبل بتادلا وما ولها يجاورون هناك صناعة من البربر فيسهلون إلى البسيط تارة وياؤون إلى الجبل في حلف البربر وجوارهم تارة أخرى.³¹⁵ وبهذا التوافد تنوع النسيج الاجتماعي والاثني واللغوي بمنطقة تادلا.

5 - تادلا في العهد المربيني :

³⁰⁹ نفسه ص.126.

³¹⁰ الناصري، مصدر سابق ، ص 30.

³¹¹ محمد بن البشير بوسالم، تاريخ قبيلة بني ملال 1854_1916، جوانب من دير الأطلس المتوسط و منطقة تادلا ، مطبعة لمعارف الجديدة 1991 ص 47.

³¹² البيدق ابو بكر الصهاجي، اخبار المهدى بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين، الرباط 1972 ص 50_49

³¹³ محمد بن البشير بوسالم ، مرجع سابق ص 47.

³¹⁴ الناصري، مصدر سابق ص 168.

³¹⁵ عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر، بيروت 1971 ، ج 6، ص 30.

ظلت تادلا تدين بولائهم للسلطة الموحدية حتى إقدام ابو بكر عبد الحق المريني على غزو تادلا" فاستباح حاميتها من بنى جابر عرب جسم واستلهم أبطالهم وألان من حدهم و خضد من شوكتهم³¹⁶ كما قال الناصري.

و كانت لأهل تادلا حظوة خاصة لدى السلاطين المرينيين فاعتمدوا عليهم في المهمات الكبرى من قبيل إشراكهم في الجهاد خاصة أثناء الجواز الرابع لأبي يوسف يعقوب المريني للأندلس منتصف ق 7هـ/1317 م حيث توجه ابنه ابو زيان من الغرب "في جيش كثيف فهم 500 فارس من عرب بنى جابر أهل تادلا مع كبارهم يوسف بن قيطون"³¹⁸.

إلا أن حبال الود بين بنى مرين وأهل تادلا لم تبق موصولة وعادت العلاقات للتوتر على عهد أبي سالم بن الحسن (1351هـ/1331) الذي خرج عليه عامله على مراكش الحسن بن عمر الفودودي و التجأ إلى تادلا بجواز عرب بنى جابر إلى حين اعتقاله رفقة قائد بنى جابر الحسن بن علي الورديغي³¹⁹.

المحور الثاني : تادلا خلال العصر الحديث

1 - تادلا في العهد السعدي :

بعد زوال الحكم المريني آل حكم المغرب إلى الوطاسيين بعدما دعا محمد الشيخ الوطاسي لنفسه في اصيلا ثم في فاس، إلا أن سلطته على البلاد وابناءه من بعده اقتصرت على مجال محدود تمثل في المناطق الشمالية لتصير مجرد سلطة صورية كلما اتجهنا نحو الجنوب واستغلت الامارة السعودية الناشئة جنوب المغرب هذا الوضع لتظهر على مسرح الأحداث التاريخية بالمغرب. خاصة مع الفراغ السياسي والروحي الذي عان منه المغرب وكذا التفاوت القبائل والزوايا حولها بعد الانتصارات التي حققها على البرتغاليين في الثغور الجنوبية.

فتتسارعت وثيرة توسيع الدعوة السعودية، وبدأت تتطلع إلى فاس، آخر معاقل بنى الوطاس، خاصة بعد دخول مراكش، لتدخل تادلا مرحلة جديدة، فقدت فيها إعرابها التاريخي، إذ عاشت كحد فاصل بين مملكة فاس الوطاسية ومملكة مراكش السعودية، استمر هذا الوضع زهاء نصف قرن من الزمن، حيث تشير المصادر أن معظم المعارك بين الطرفين دارت على التراب التادلي بين أم الربيع ووادي العبيد، فتحولت تادلا بذلك إلى مسرح للإشتباك والتنافس على الحكم.

من هنا يمكننا تصوّر قيمة الدعم القبلي والصوفي للمشروع السعودي، وأن تأجيل تحقيق انتصار حاسم وسريع على هذه الجبهة يعني تأخير سقوط آخر الحواجز والعراقيل نحو فاس العاصمة لإتمام الوحدة السعودية، خاصة إذا أخذنا بعين الإعتبار تواجد العديد من الزوايا بالمنطقة، والتي تنتهي كلها إلى الطريقة الجزاولية الشاذلية التي يوجد أقطابها بمراكش وما حولها³²⁰. والتي شكلت قوة إيديولوجية ومادية دافعة للإمارة الناشئة.

ولعل معركة أحد بوعقبة أهم هذه المعارك والتي دارت سنة 1537 م، وفيها انتصر السعديون، ليتم تقسيم المغرب بين الدولتين بعد تحكيم شيوخ الزوايا والقبائل، فكانت تادلا بمثابة المنطقة العازلة بين الملكتين. إلا أن هذا الوضع لم يدم طويلاً إذ سرعان ما تحركت قاطرة التوسيع السعودي باتجاه فاس، فاستولوا في طريقهم إليها على تادلا ابتداء من 1545 م. وبعد مرحلة التوسيع وتحقيق الوحدة، سعى السعديون إلى ضبط الأمن بمجموع البلاد بما فيها تادلا، فنصب المنصور الذهبي ابنه زيدان خليفة على تادلا وضواحها³²¹، كما يتجلّى اهتمام السعديين وعانياهم بالمنطقة في إنشاء قصبة الزيadianية

³¹⁶ الناصري، مصدر سابق ص 18

³¹⁷ محمد بن البشير بوسلام؛ مرجع سابق ص 48.

³¹⁸ الناصري، مصدر سابق ص 60.

³¹⁹ محمد بن البشير بوسلام، مرجع سابق ص 48

³²⁰ أحمد بوκاري؛ مدينة أبي جعد الذاكرة والمستقبل، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية أكدال الطبعة الأولى 2007، ص 53.

³²¹ محمد بوسلام؛ مرجع سابق، 49.

على الضفة اليسرى لأم الربيع، بين قصبة تادلة والفقير بن صالح، واستمر زيدان في منصبه حتى وفاة المنصور، واشتعال نار الفتنة بين أبنائه رغبة في الإنفراد بحكم المغرب، مما سبب من صلاة الدولة وتماسكها، ويعجل بانهيارها، وصعود كيانات سياسية جديدة متطلعة إلى حكم المغرب. وتتجذر الإشارة في هذا المقام إلى حدث لا يخلو من أهمية، في إطار تحول دعم قبائل تادلا للسعديين، وتحيزهم لأهل الدلاء، وهو حدث نقل أحمد بن أبي القاسم الصومي إلى مراكش من طرف المنصور، بعد خلاف مع الأمير زيدان.

وفيما يمكن أن نسميه مكر التاريخ، فقد انتهى التواجد السعدي بالمنطقة، في النقطة التي انطلق منها، وهي منطقة حد بوعقبة، التي شكلت مرة أخرى عام 1638-1639م، منطقة انتهاء قوة ومياديد قوة جديدة. فدانت منطقة تادلا بأكملها للنفوذ الدلائي، وفي ذلك يقول اليفرانى: "وكان السيد محمد الحاج رحمة الله أحسن سيرة وفي أيامه تكامل أمر أهل الزاوية الدلائية وشاع وعلا صيته وذاع حتى ملأ الأسماع، وتمهد لأبي عبد الله محمد الحاج وأولاده وإخوته وبني عمه إلى أن تملك مدينة فاس، ومكناس، وأحوازهما وكافة القطر التادلي"³²².

واستمر النفوذ الدلائي بالمجال التادلي قرابة الثلاثين عاما، ليشهد نهاية هو الآخر، بمناسبة تحرك العلوين من تافيلالت ورغبتهم في الوصول إلى فاس، والإستيلاء عليها، الأمر الذي لن يتم إلا بعد القضاء على الدلائين والسيطرة على تادلا، فتوجه إليها الرشيد بن الشريف في جموع كبيرة، حتى اشرف على الزاوية لتدور معركة فاصلة بين الطرفين عام 1079هـ/1668م في سهل بطن الرمان حسمها الرشيد لصالحه "قدمر الزاوية ووضع حدا لوجودها، وغير محاسنها، وفرق جمعها، وطمس معالمها، وصارت حصيناً كان لم تغن بالأمس"³²³. لتدخل بذلك تادلا دائرة الحكم العلوي، الذي توطد بعد وصول السلطان مولاي إسماعيل.³²⁴

2 - تادلا خلال العهد العلوي

مع تولي م.إسماعيل زمام الأمور بالمغرب، أشرف على إنشاء القصبة الإماماعيلية بتادلا، و التي كانت بمثابة مقر دائم لحامية عسكرية، تشرف على حماية المنطقة، ومراقبة الجبال المشرفة عليها، خاصة وأن المجال التادلي كان يختلف ما سمي في الأدبيات التاريخية بالطريق السلطاني، الرابط بين فاس و مراكش. إلا أنه رغم إنشاء هذه القصبة واستقرار هذه الحامية، فإن تادلا لم تخضع كلياً للنفوذ الإماماعيلي، بل عرفت العديد من التمردات، ويشير محمد القادري إلى ذلك في التقاط الدرر بقوله: "ووقع حرب بين البربر وعرب تادلا مع المخازنية خدام السلطان، وهزم العرب وأخذت تادلا وقصبها ووقعت حروب مع البربر كثيرة".³²⁵

وهذا الأمر اضطر السلطان م.إسماعيل إلى قيادة جيوشه القادمة من مراكش لمواجهة التمرد التادلي، وإخماد هذه الفتن التي طالما هددت استقرار المنطقة.

إلا أنه رغم التقتيل والتنكيل الذي انزله السلطان بالقبائل المتمردة ، فإنه لم يطمئن قط لأمن المجال التادلي ، فعمل على إرسال خليفة له بهذا المجال، ولم يكن هذا الخليفة سوى ابنه احمد الذهبي الذي تولى أمر تادلا و ما والاها منذ العام 1709م، لتصبح بذلك بمثابة عاصمة للجهة ولوسط المغرب.³²⁶

من هنا نستشف مكانة تادلا خلال الحكم الإماماعيلي ، و العناية و الاهتمام اللذان حظيت بهما لكونها ضامناً لأمن و استقرار المنطقة الوسطى بأكملها.

³²² الصغير محمد الإفرياني، نزهة الحادي في ملوك القرن الحادي، النسخة الإلكترونية PDF، الطبعة بدون، ص، 254.

³²³ نفسه، ص ، 304.

³²⁴ محمد بوسالم، مرجع سابق، ص 50.

³²⁵ بوسالم ، مرجع سابق،ص.51. نقلا عن محمد القادري " التقاط الدرر و مستفاد المواقع و العبر من أخبار و أعيان المائة الحادية و الثانية عشر" ص.204.

³²⁶ بوسالم، مرجع سابق، ص.51.

و بعد وفاة م. إسماعيل، عادت الفتن و النعرات ل tumult المغارب بأكمله و ضمنه المجال التادلي، فعند وصول عبد الله بن إسماعيل الى الحكم وجد المغرب غارقا في فوضى عارمة، فحاول فرض سلطته على الجيش و القبائل المتمردة على حد السواء، وفي ذلك يقول الرباطي حول العام 1731 م: "فيها نهض إلى ناحية تادلا فاستولى عليها و على أعمالها".³²⁷ فعرفت المنطقة بعض الهدوء، الذي مالت ان تحول إلى موجة من العصيان و التمرد نهاية حكم م. عبد الله.

وفي بداية حكم ابنه محمد بن عبد الله 1765 م، قاد بدوره حملة لتادلا انتطلاقا من العاصمة مكناس، وفيها يقول الناصري: "خرج من مكناسة الى تادلا للإيقاع بait يمور، فلما بلغها، أرسل إليهم يستفزهم خيلا و رجالا، وأراهم انه يريد أن يذهب بهم في سرية هيأها الآيت و مالو، فلما قدموا عليه، أمر الجنود و القبائل، و كلما مرت عليه قبيلة أوقفها في ناحية عينها لها، و كلما مر بها جيش أوقفه كذلك حتى غصت الأرض بالخيل و الرجل، ولم يبق الا يتيمور، فجاءوا آخر العرض، و لما مثلوا بين يديه، أمر اهل رحاه ان يرمومهم بالرصاص على زناد واحد... وامر العسكريين بهب حلهم فانتسفوها، وسيقت مواشיהם و خيامهم و اثاثهم".³²⁸

و رغم كل الاجراءات التي تم اتخاذها من طرف السلطان م. محمد بن عبد الله لم تعرف المنطقة طعم الاستقرار، فوجه إليها حركة سنة 1769 م ، عاثت فيها فسادا و تقيلا، لتنعم المنطقة ببعض الهدوء، الذي سرعان ما اختفت معالمه على عهد المولى سليمان ، الذي قاد بدوره سنة 1807 م حملة يقول عنها اكتسوس "توجه السلطان لتادلا بالعساكر بقصدبني موسى و ايت عتاب و رفاللة و بنى عياط الذين آتوا بنى موسى ، فوجه لهم العسكري، فهبووا حلل بنى موسى و من آواهم من رفاللة و بنى عياط ، وحرقوا مداشرهم و قطعوا اشجارهم الى أن اذعنوا للطاعة ، وقبضوا زكاتهم و أعشارهم فرجعوا عنهم"³²⁹

ليعود السلطان من جديد بعد سنتين الى المنطقة في إطار حملات التأديب و إعادة الميبة للمؤسسة المخزنية، فأغار على عرب وردية و القبائل الامازيغية ، فدارت حرب هلك فيها عدد كبير من الفريقيين، الا أن م. سليمان مي بهزيمة شناعه عام 1819 م ، بمناسبة حملته على زيان و زمور و كروان و ايت يسدراسن.

و استمرت حملات التأديب في عهد م. عبد الرحمن الذي سير حملة لتادلا عام 1853 م، لتأديب بنى موسى لقتهم واليه احمد بن زيدوح، الامر نفسه الذي سيتكرر مع خلفه محمد الرابع، الذي نظم بدوره حملة مماثلة لقبائل تادلا و بنى موسى ، و لنفس السبب وهو انتفاضتهم على والي الخليفة ، كما أن المولى الحسن الاول نظم حملتين باتجاه تادلا، الاولى سنة 1877 م واستهدفت بنى عمير و بنى موسى، والثانية بعدها بستين و استهدفت ايت عتاب و بنى موسى، فأخضع بذلك هذه القبائل.³³⁰

وفي العهد العزيزي استمرت النزاعات القبلية بتادلا، الا ان تدخل السلطان فيها لم يكن بشكل مباشر، كما كان الشأن مع قبيلي وردية و الاعشاش، حيث اكتفى بإرسال رسالة توبخ لزعماء قبيلة وردية.

و مع السلطان م. عبد الحفيظ دخلت تادلا مرحلة تاريخية جديدة، خيم فيها جو الاحتلال على المنطقة و المغرب بأكمله.

خلاصة :

انتطلاقا مما سبق و بتتبعنا للصيغة التاريخية للجهة، نستنتج أن تادلا ظلت محطة عناء و اهتمام فائقين، من لدن جميع السلاطات التي تداولت حكم المغرب، بحيث كانت السيطرة على تادلا تعني السيطرة على المغرب و اخضاعه بكامله، لكونها المعبر الرئيس الذي يربط بين قطبي المغرب التاريخيين (فاس-مراكش)، سواء في العصر الوسيط او الحديث.

³²⁷ محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدية، تحقيق احمد العماري، الرباط، 1986 ص. 112.

³²⁸ الناصري، مصدر سابق، ج.8، ص. 27.

³²⁹ محمد اكتسوس، الجيش العرمي، ص 248.

³³⁰ العباس ابراهيم، الإعلام بمن حل مراكش، ج. 3، ص 188.

إلا أن إخضاع المجال التادلي للسلطة المركزية لم يكن دائماً سهلاً، وظلاً نسبياً في معظم الفترات التاريخية، إذ كثيرة ما عمت الاضطرابات والتمردات هذا المجال، مما أدخل السلطة المركزية في صراع دائم مع الأهالي، لفرض هيبة الدولة وسطوتها، حتى مجيء الاحتلال الفرنسي، الذي عمل بكل الوسائل على تكسير كل البنية والانساق الاجتماعية التي ظلت سائدة لقرون طويلة، وتمكن من بسط سيطرته على كامل تراب تادلا، سهلها وديرها وجبلها، وإن كان ذلك بعد عناء ومحاكمة كبيرين، إذ طلبت هذه السيطرة على المجال التادلي أزيد من عشرين سنة، ومرة أخرى لعبت جغرافية تادلا دوراً كبيراً في تأخير عملية استكمال احتلال المناطق التادلية.

لائحة المصادر والمراجع :

- أحمد بن خالد الناصري ابو العباس ، الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1956 ، الدولة العلوية الجزء 2.
- أحمد بوکاري: مدينة أبي جعد الذاكرة والمستقبل، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية أكدال الطبعة الأولى 2007.
- أحمد التوفيق، المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر 1850_1912 اينولتان، منشورة كلية الاداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الثانية 1983.
- البيدق ابو بكر الصنهاجي، اخبار المهدى بن تومرت و ابتداء دولة الموحدين، الرباط 1972
- محمد بن البشير بوسلام، تاريخ قبيلةبني ملال 1854_1916 ، جوانب من دير الاطلس المتوسط و منطقة تادلا ، مطبعة معارف الجديدة 1991
- محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق احمد العماري، الرباط، 1986
- محمد اكنسوس، الجيش العرمم، النسخة الإلكترونية PDF الطبعة بدون.
- على بن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط 1973
- عيسى العربي، قبيلة أيت عتاب، السكان وحياتهم الدينية عبر التاريخ، مطبعة المعارف 2000، ط 1
- عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر، ج 6 بيروت 1971.
- العباس ابراهيم، الإعلام بمن حل مراكش، ج 3 الطبيعة بدون
- الصغير محمد الإفراقي، نزهة الحادي في ملوك القرن الحادي، النسخة الإلكترونية PDF، الطبعة بدون.
- العباس ابراهيم، الإعلام بمن حل مراكش، ج 3 الطبيعة بدون

الأهمية الجيوسياسية لحوض النيل

The geopolitical importance of Nile basin

د. سلمى عثمان سيد أحمد الشيخ - جامعة السودان المفتوحة - السودان

Osmansalma178@gmail.com

Dr. Salma Osman Saidahmed Elshaikh

الملخص

تناولت الدراسة الأهمية التي يتمتع بها حوض نهر النيل هذا النهر الذي يشكل منطقة إستراتيجية تربط بين عدة دول في القارة الأفريقية ما يشكل أهمية إستراتيجية قصوى ، تمثل أهمية الدراسة في أن الموقع الإستراتيجي الرابط بين دول حوض نهر النيل جعل لها أهمية وأثار أطماع دول كبرى ، كما تهدف الدراسة إلى تكريس دول حوض النيل جهودها للإستفادة من هذا المورد ، تفترض الدراسة أن أهمية الموقع الإستراتيجي سلاح ذو حدين أي يمكن أن تكون مصدر قوة أو ضعف لأحد الدول حسب مدى الإستفادة أو الضرر منه ، توصلت الدراسة لعدة نتائج منها أن الدول الكبرى لها مصالح إستراتيجية في المنطقة ما جعلها تسعى للتدخل في المنطقة بأسباب مختلفة ، كما توصلت الدراسة لعدة توصيات منها أنه من الضرورة أن تترك الدول خلافاتها جانبًا وأن تستفيد من ما أنعم الله به عليها ، كما استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي والمنهج الاستقرائي في إستنباط واستنتاج المعلومات .

الكلمات المفتاحية: حوض النيل ، دول المصب ، إتفاقيات نهر النيل ، الموقع الإستراتيجي ، الأطماع الدولية .

Abstract :

The study focuses on the importance which the Nile river basin has. This river constitutes a very strategic area linking many countries, which represents extreme strategy for the major western countries. The importance of the study stems from fact that this strategic location of the Nile basin countries formed an element of attraction and aroused greed of the major countries to take the advantage of this location as far as possible and to satisfy her desires by any means. The study hypothesis assumes that the importance of the strategic location represents a double edge sword for the Nile basin countries, as it might be a source of power or weakness for specific country depending on the extent of the earned benefits or the damage that may occurs. The study reached several results, such as: the major countries has strategic interests in the region which made her seek to intervene in the region for various reasons.

Keywords : Nile river basin, upstream countries , downstream countries , strategic location , international ambitions .

تتميز منطقة حوض النيل بأنها منطقة ذات أهمية جيوسياسية بالغة وذلك لقربها من خطوط التجارة الدولية عبر البحر المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي والخليج العربي ، كما يتدخل حوض النيل الشرقي مع القرن الأفريقي فنصف دول الحوض تقريباً من دول القرن الأفريقي ومن ثم فإن الإضرابات الحادثة فيها في الأونة الأخيرة وصراع القوى الخارجية للحصول على موطئ قدم فيها ينذر بالخطر والتهديد الإستراتيجي للأمن الإقليمي والمائي للدول المشاطئة على الحوض ، لا سيما في ظل تغلب لغة الصراع على لغة التعاون في العلاقات بين دول الحوض مما قد يضر بمصالح شعوب المنطقة ويزعزع الأمن والاستقرار في دولها . تعد مياه النيل ثروة مشتركة لدول الحوض جميعاً يحق لها الانتفاع بها بقدر ما أقرته الإتفاقيات السابقة على الاستقلال والإتفاقيات التالية التي تستند إلى قواعد القانون الدولي المنظم لقواعد استخدام الأنهار الدولية والعابرة للحدود في غير الأغراض الملاحية ، إن قضية العجز المائي أصبحت هي الداعية لحدوث الصراعات على المياه فيه سواء من العوامل الداخلية أو من أدوار القوى الخارجية التي تدفع هذه الدول للصراع فيما بينها إذ أن المياه هي العنصر الأساسي لتحقيق الأمن الغذائي للشعوب ، إنأمن منابع النيل أمر مهم لقضايا الأمن القومي لدول حوض النيل وما يحدث فيها من مشكلات ومتغيرات سياسية تفرض نفسها على تشابك أنها القومي ، كما أن هناك اعتبارات متنوعة تؤكد تفاعل الأمن القومي لهذه الدول ناتجة عن خصائص موقعها الجغرافية ومهداتها الجيوسياسية وإمكاناتها المائية واراضيها الزراعية وباقٍ ثرواتها .

مشكلة الدراسة :

تمثلت مشكلة الدراسة في السؤال الرئيسي الآتي وهو : إلى أي مدى أثرت الأهمية الجيوسياسية التي تتمتع بها دول حوض النيل في إستقرار أو زعزعة المنطقة . متناولة بذلك ما مرت به هذه الدول من تجارب ومدى إستفادتها من هذا الموقع الإستراتيجي وإلى أي مدى سمح هذا الموقع بتدخل القوى الكبرى في المنطقة .

فروض الدراسة :

1| تفترض الدراسة أن الموقع الإستراتيجي الذي يتمتع به حوض النيل وضع دولة في مصاف الدول ذات المواقع الإستراتيجية .

2| إن هذا الموقع لحوض النيل يجعل منه سلاح ذو حدين أي من الممكن أن يشكل مصدر قوة أو ضعف لدوله .

3| أن للنيل ثروات وموارد جمة فعلى دول حوض النيل الإستفادة والتمتع بهذه الخيرات والتركيز فيها وترك الخلافات المفتعلة جانباً .

أهمية الدراسة :

تمثلت أهمية الدراسة في لفت النظر إلى ما توصلت له دول حوض النيل جراء هذا الموقع الإستراتيجي الذي آثار أطماع وحفيظة دول كبرى تربطها مصالح بالمنطقة .

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة إلى تحفيز دول الحوض إلى تحويل هذه الميزات الإستراتيجية إلى مواطن قوة وإساس تعامل بين دول الحوض تنبع عنه تنمية كبيرة بالمنطقة .

استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في وصف الموقع الإستراتيجي الذي يتمتع به حوض النيل وبالتالي دولة ومن ثم تحليل مزايا هذا الموقع والذي وضع دول حوض النيل في مصاف الدول ذات الموقع الإستراتيجي ، ومن ثم المنهج الاستنباطي الاستقرائي في تحليل ما تعرضت له دول هذا الحوض من تدخل إثر الاستفادة من هذا الموقع الإستراتيجي

تناولت الدراسة هذا الموضوع في عدة محاور كالتالي :

المحور الأول: دول حوض النيل .

المحور الثاني : الإهمية الإستراتيجية لحوض النيل .

المحور الثالث : إتفاقيات دول حوض نهر النيل .

المحور الرابع : الأطماع الإسرائيلية في منطقة حوض النيل .

أولاً: دول حوض النيل

حوض أي نهر هو مجموع تلك الأنهار التي تغذيه مياهها وأمطارها والتي تنحدر نحو واديه جبالها وتلالها ، ولو كان بعض تلك الأقطار خالياً من المطر أو العيون فأنها تحسّب جزءاً من حوض النهر لأنها لو سقطت فيها أمطار أو تفجرت فيها عيون لأنحدرت إلى واديه لا إلى واد غيره ، فحوض نهر النيل بهذا الاعتبار عظيم المساحة فالنيل في جميع أقطاره هو الظاهرة الجغرافية الكبرى البارزة التي تتضاءل بجانبها كل الظواهر الجغرافية الأخرى ، وهو الذي يصل ما بين أقطار حضارتها أولية وبلا حدود كانت في مقدمة العالم حضارة⁽³³¹⁾ تعادل مساحة حوض النيل حوالي 10% من مساحة اليابسة في قارة أفريقيا ، ينبع نهر النيل من الجنوب من خط الاستواء ويتدفق بإتجاه الشمال عبر شمال شرق أفريقيا ويصب في البحر الأبيض المتوسط ، كما يتكون من ثلاثة مصادر مائية رئيسية وهي النيل الأزرق ونهر عطبرة التي تتدفق من مرتفعات إثيوبيا والنيل الأبيض ، ويحد حوض النيل من جهة الشمال البحر الأبيض المتوسط ويحده من الشرق تلال البحر الأحمر والهضبة الإثيوبية أما من جهة الجنوب فتحده مرتفعات شرق أفريقيا والتي تشمل بحيرة فيكتوريا وهي مصدر نهر النيل ومنبعه ومن الغرب أحواض الكونغو ومجمعات مياه صغيرة بين النيل وتشاد التي تمتد إلى الشمال الغربي لتشمل جبل مرة في السودان⁽³³²⁾.

منابع حوض النيل

يمتد حوض نهر النيل من وسط شرق القارة الأفريقية وشرقها حتى شمال شرق القارة عبر إحدى عشر دولة وهي كالتالي كينيا ، تنزانيا ، يوغندا ، رواندا ، بورندي ، الكنغو ، وإريتريا ، إثيوبيا ، جنوب السودان ، السودان و مصر وجميعها تقع فوق خط عرض 35 وتمتد شماليًّا حتى ساحل البحر الأبيض المتوسط في شمال شرق القارة الأفريقية . تتسنم منابع النهر بوقوعها على هضاب ترتفع كثيراً عن مستوى سطح البحر وبالتالي يسري من ماء النهر في إتجاه الإنحدار إلى مياه البحر

331 - محمد عوض محمد ، نهر النيل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط 3 ، 1952 ، ص 36-38.

332- روان وجيه نجار ، حوض النيل نقلأً عن الموقع الإلكتروني (موضوع) 18- فبراير 2019 م.

المتوسط في مصر كدولة مصب . عموماً تنقسم منابع نهر النيل إلى قسمين رئيسيين وهما منابع هضاب البحيرات الاستوائية جنوباً ثم منابع المرتفعات الإثيوبية شرقاً .

أولاً : منابع هضاب البحيرات الاستوائية :

وتضم منطقة الهضاب الاستوائية بحيرات فكتوريا ، كيوجو ، إدوارد (سميت مؤخراً ببحيرة موبوتو سيسو سيكو) ، ألبرت ، توركانا وتنحدر جميعها نحو الشمال بإنحدار ضعيف يبلغ متوسطه 1 مترًا لكل 50-20 كلم طولي بما يتسبب في تكون الأراضي المغمورة بالمياه والمستنقعات بكثرة في دول هذه البحيرات ، تتصل هذه البحيرات مع بعضها البعض بعدة أنهار تتميز بإنحدارات أعلى قليلاً .

ثانياً : بحر الجبل وانهار جنوب السودان :

عندما يخرج نيل ألبرت من البحيرة التي سُعي بإسمها في إتجاه الشمال تحت مسمى نيل إلبرت أو النيل الأبيض الأعلى ويدخل أراضي جنوب السودان فيتحول إسمه إلى بحر الجبل ، ولكن لسبب عدم الإنحدار في هذه المنطقة يتحول النهر إلى منطقة مُستنقعات وبرك ضحلة وأراضي مغمورة بالمياه ، وعلى ذلك فالمساحة الممتدة من مدينة جوبا عاصمة جنوب السودان وحتى مدينة بور في جنوب السودان هي مناطق إنتشار للمياه وأراضي مغمورة وبرك ومستنقعات وبعدها ينضم نهر بحر الزراف إلى بحر الجبل شمال مدينة بور في جنوب السودان ثم ينضم إليها بحر الغزال وبحر العرب عند بحيرة نو وبعدها يبدأ أول ظهور لمجرى النيل الأبيض والذي كاد أن يختفي تماماً في المسافة من الحدود الأوغندية بجنوب السودان عند مدينة نيمولي وبحيرة نو⁽³³³⁾ .

ثالثاً : منابع الهضبة الإثيوبية :

تضم الهضبة الإثيوبية ثلاثة روافد أساسية وكبرى للنهر وهي نهر السوباط والنيل الأزرق ونهر عطبرة والتي يرتفع مستوى المياه فيها جميماً أربعين ضعفاً أثناء موسم الفيضان ونتيجة لإتساع مساحة الهضبة الإثيوبية وإختلاف الارتفاعات أيضاً فإن معدلات نزول الأمطار تتراوح بين 650 مم بالقرب من نهر السوباط وتصل إلى 2000 مم في أغلب مساحات الهضبة . يعد النيل الأزرق الرافد الأعلى منسوباً فهو ينبع من أعلى الهضبة بارتفاعات تتراوح بين 2000 إلى 3000 متر فوق مستوى سطح البحر .

رابعاً : بحيرة تانا :

تعد بحيرة تانا أكبر بحيرات إثيوبيا وتقع في الشمال الغربي من الهضبة الوسطى للمرتفعات الإثيوبية على منسوب 1800 متر من سطح البحر ، وتعد بحيرة تانا المتبع الرئيسي للنيل الأزرق ويبلغ عمق المياه فيها نحو 14 متراً ومساحة حوض البحيرة بروافدها نحو 11650 كيلومتر مربع .

خامساً : النيل الموحد :

-333- أ.د. نادر نور الدين محمد ، موارد دول حوض النيل المائية والأرضية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات ، الدوحة (قطر) ، 2011 ، ط 1 ، ص 32-34 .

يبدأ النيل الموحد عند إلقاء النيل الأبيض القادم من هضبة البحيرات الإستوائية مع النيل الأزرق القادم من الهضاب الإثيوبية عند مدينة الخرطوم حيث يبدأ السريان الموحد للنهر في إتجاه الشمال بطول نحو 1885 كيلومتر حتى مدينة أسوان جنوب مصر ، يستمر النهر بعد ذلك في السريان شمالاً حتى قناطر الدلتا شمال مصر حيث يبدأ عندها النهر في الإنشار مرة أخرى إلى فرعى دمياط جهة الشرق وفرع رشيد جهة الغرب ، ومن المعلوم ان قناطر الدلتا تم إنشاؤها عام 1861 في عهد الوالي محمد علي باشا ثم أعيد بناؤها وتحديثها عام 1939 ، وعموماً يبدأ النهر في دولة مصر بحوض ضيق عند مدخله جنوب مدينة أسوان ولا يزيد عرض الأرضي الزراعية حول النهر عن كيلومتر واحد نظراً لوجود جبال أسوان التي تعوق إمتداد الأرضي الزراعية بينما يتجاوز عرض الأرضي الزراعية عشرة كيلومترات باتجاه شمالاً في أراضي الجيزة والدلتا⁽³³⁴⁾.

جيولوجيا حوض النيل

منطقة الصخور القديمة :

تمتد من هضبة البحيرات إلى الخرطوم وتتركب من صخور قديمة كالنيس والجرانيت والشست أثرت عليها العوامل الجوية فتفتت سطحها ، وتدخل في منطقة الصخور القديمة مرفعات دارفور وهضبة خط تقسيم المياه بين النيل وال肯غو وتمتد هذه الصخور القديمة تحت أحواض نهيرات النيل المختلفة حتى المكان الذي تقع فيه الخرطوم حالياً وتمتد أيضاً تحت هضبة الحبشة غير أن هذه الصخور القديمة قد تغطت في معظم الجهات .

منطقة الصخور الحديثة :

وتمتد من الخرطوم شمالاً إلى البحر الأبيض المتوسط ، وتتركب من صخور رسوبية مما يستدل به على أن المنطقة الواقعة شمال الخرطوم إرتفعت جراء إضطرابات عظيمة في الجنوب بين الخرطوم وإدفو رسبت فوق الصخور القديمة الطبقة الرملية المعروفة بالخرسان النبوي ولونها يميل إلى الإحمرار وتلي طبقات الخرسان النبوي شمالاً إلى نبع حمادي طبقات أخرى مكونة من رمل وطباسير ، ومن نبع حمادي إلى القاهرة طبقات جيرية ، ومن القاهرة نحو الشمال تكونت طبقات رسوبية من غرين النيل ومنها تتكون دلتا النيل وهي فرات الصخور النارية والبازلت التي يحملها النيل معه في الفيضان⁽³³⁵⁾.

ثانياً : الأهمية الإستراتيجية لحوض النيل

يُعد حوض نهر النيل ظاهرة طبيعية وجغرافية فريدة وهو من أهم أحواض القارة الأفريقية ويختلف إحدى عشرة دولة إفريقية ، وهذه الدول مختلفة في سماتها السياسية والإجتماعية وتركيباتها السكانية والعرقية وعاداتها وموروثاتها الثقافية وأيضاً في الإنتماء العربي أو الأفريقي وكذا في لغاتها ولهجاتها ، ومع هذا التباين نجد أن نهر النيل قد وحدها جميعاً في وحدة مائية مشتركة هي حوض النيل الذي تتقاسم كل هذه الدول مياهه .

334-المصدر السابق ، ص44.

335- محمد محى الدين رزق ، أفريقيا وحوض النيل ، مطبعة عطايا بمصر ، الطبعة الثانية 1934 ، ص99-100

تعد مياه النيل ثروة مشتركة لدول الحوض جمِيعاً يحق لها الانتفاع بها على جميع الأوجه بقدر ما أقرته إتفاقيات حوض النيل السابقة للإستقلال والإتفاقيات التالية التي تستند إلى قواعد القانون الدولي الإنساني المنظم لقواعد استخدام الأنهار الدولية والعابرة للحدود في غير الأغراض الملاحية . وهي قد وضعت معايير قانونية لضبط الإستخدام لكافة أعضاء الحوض النهري وفقاً لظروف هذه الدول مثل عدد السكان وكمية الأمطار الساقطة على إقليم الدولة وجود المياه البديلة أو عدم توفرها وكذا الحقوق المكتسبة أي الإستخدامات السابقة لمياه النهر المستقرة لفترة طويلة.

أما فيما يخص مياه نهر النيل فقد بدأ التنافس عليها يشتد بعدها شمل الجفاف مناطق كثيرة بدول الحوض في الثمانينات من القرن الماضي ومن ثم أصبحت مشكلة العجز المائي تنذر بالخطر وتؤدي إلى نزاعات ثنائية أو إقليمية داخل الحوض ولهذا أصبح مشكل امياد وإدارتها يمثل جزءاً رئيساً من إستراتيجية دول حوض النيل ، إن قضية العجز المائي أصبحت هي الداعية لحدوث الصراعات على المياه في حوضيه الشرقي والجنوبي سواء من العوامل الداخلية أو من أدوار القوى الخارجية التي تدفع هذه الدول للصراع فيما بينها . إذ أن المياه هي العنصر الأساسي لتحقيق الأمن الغذائي للشعوب وتحقيق المطامح الاقتصادية .

إرتبطت عناصر الأمن القومي الإستراتيجية بالعناصر الجيوسياسية التي ترتكز على مطالب الدولة من حيث المساحة لتحقيق إكتفاءها الذاتي ونضارتها من أجل مجالها الحيوي وفكرة صراعها على حدودها السياسية وبقائها أو فنائها . وتعد عوامل السياسة الجغرافية وسياسة الحدود من أهم العوامل المؤثرة إيجاباً وسلباً على علاقات الدول وذلك لتأثيرها المباشر في صياغة العلاقات السياسية الخارجية وتحديد طبيعتها إقليمياً وعالمياً . أما البُعد الجغرافي فإنه يحدد أهمية البُعد الاقتصادي ودوره . إن أمن منابع النيل أمر مهم لقضايا الأمن القومي لدول الحوض على ضوء ما تموج به هذه الدول من مشكلات ومتغيرات سياسية تفرض نفسها على تشابك امنها القومي كما أن هناك اعتبارات متنوعة تؤكد تفاعل الأمن القومي لهذه الدول ناتجة عن خصائص موقعها الجغرافية ومهداتها الجيوسياسية وإمكاناتها المائية واراضيها الزراعية وبقى ثرواتها⁽³³⁶⁾ .

تُعد الموارد الطبيعية وفي مقدمتها المياه المحرك الرئيسي داخل أي دولة لأنشطتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وعلى هذا فمياه النيل ثروة إقليمية مشتركة لكل دول الحوض أقرت حصصها في الإتفاقيات التي أيدتها القانون الدولي ، إذدادت الأهمية الجيوسياسية للمياه إقتصادياً وسياسياً وعسكرياً ، وسادت نظرة إستراتيجية أن الأعوام القادمة ستشهد صراعاً على المياه والذي يدل على ذلك بعض الصراعات الإقليمية التي تؤيدتها وتساندها بعض الدول العظمى من ما يأجج نيران الصراعات وذلك لتحقيق أهدافها الإستراتيجية في المنطقة . تضم منطقة حوض النيل عدة وحدات سياسية وعدة أقاليم مناخية ونباتية كما تختلف في أنواعها السلالات والحضارات واللغات والأديان ويربطها جميعها مشاطئها لنهر النيل والذي يضم ستة أقاليم مختلفة هي (الإستوائي - شبه الإستوائي - الموسمي - الحار - المداري المعتمد (مناخ البحر الأبيض المتوسط)) . هذا التعدد في الأقاليم المناخية يحقق تنوعاً في المحاصيل وأنماط الزراعة ما يمكن معه تحقيق الأمن الغذائي لسكان الحوض كافة ومن ثم تقليل التبعية الاقتصادية وبالتالي السياسية والإعتماد على القوى الخارجية التي بلا شك تقاوم فكرة التكامل بين دول الحوض تنفيذاً لصالحها الاقتصادية وأجندةها السياسية التي تدعو لإنكفاء

336- بدون كاتب ، الصراعات في دول حوض النيل والتغلغل الأجنبي وأثره على الأمن القومي نقاً عن الموقع الإلكتروني www.mogatel.com

الوحدات السياسية للداخل ما يقلل فرص التعاون الإقليمي . ويمكن تصنيف دول حوض النيل الإحدى عشر سياسياً على النحو التالي :

* دول تقع معظم أراضيها أو كلها داخل حوض النيل وهي (مصر ، السودان ، جنوب السودان ، أوغندا ، رواندا ، بورندي ، إثيوبيا) .

* دول تقع مساحات محدودة من أراضيها داخل الحوض وهي (كينيا ، تنزانيا ، الكونغو ، وإريتريا) .

توجهات الإستراتيجية السياسية لدول الحوض

تعيش معظم دول الحوض صراعات داخلية ونزاعات إقليمية ، لهذا فإن أنظمة هذه الدول تسعى لتأمينبقاء النظام الحاكم ، كما أن المعارضة في معظم دول الحوض سواء كانت مسلحة أو غير ذلك تحظى بتأييد دول الجوار الإقليمي المتبادل فيما بينها ، إن قضايا الصراعات فيما بين دول حوض النيل تعكس طبيعة متشابكة ومترادلة حيث يصعب فصل تأثير قضية عن أخرى ، وكثير من دول الحوض تعيش في توتر سياسي داخلي قد تصل لصراعات عرقية في ظل حكم يعتمد على ديموقراطيات هشة تمثل واجهة لتلقي المساعدات الإقتصادية من الدول والمؤسسات المانحة . ونتيجة للتقسيم الإستعماري الذي لم يراعي الإنتشار القبلي في أكثر من دولة نتيجة التقسيم الحدودي القائم على غير دراسة حقيقة ، وتعد مشكلة الهوية المزدوجة أو المتعددة التي تمر بها معظم دول حوض النيل أحد الأسباب الرئيسية التي توفر على علاقات هذه الدول ببعضها ، بل وتوفر أيضاً على توجهها السياسي .

توجهات الإستراتيجية الاقتصادية لدول الحوض :

* ضعف البنية الأساسية لدول حوض النيل إنعكس على ضعف البنية الإقتصادية لها ما أدى إلى عدم تمكن معظم دول حوض من تطوير إقتصادها لتحقيق الرفاه لشعوبها كما أدى الضعف الإقتصادي إلى إعتمادها خارجياً على المنح والقروض التي زادت من تبعيتها السياسية وأثر ذلك على علاقتها بدول الجوار الإقليمي .

* ضعف التبادل التجاري بين دول الحوض فيما بينها ، حيث أنها جمياً تعتمد على تصدير المواد الخام ما أدى بدوره إلى ضعف التبادل التجاري بينها وإعتمادها على الأسواق الخارجية وخاصة الأوروبية منها ، ما خلق حالة من التنافس لصالح الدول الأجنبية في تمكين أسواق لها .

* التبعية الإقتصادية لدول الحوض للدول الغربية إما بحكم أنها كانت من دول الإستعمار الذي ربط عملته بعملة البلد المستعمر حتى بعد الإستقلال ، أو الإعتماد على سوق أوروبية معينة لتصدير المواد الخام والمواد التعدينية فقط مما جعلها غير قادرة على تحقيق مشروعات طموح للتصنيع أو إقامة هضبة تكنولوجية .

* تشكل مشاكل النزوح واللاجئين الناجمة عن الصراعات العرقية والإثنية والممارسات الحكومية الخاطئة لإدارة النزاعات وحلها تُمثل عيناً إقتصادياً على هذه الدول وهي في الأصل ذات إقتصاديات ضعيفة أو منهكة في ظل إعتمادها على المساعدات مع ضعف الإستثمارات الأجنبية فيها⁽³³⁷⁾ .

-337- المصدر السابق

ثالثاً: إتفاقيات دول حوض النيل

على الرغم من أن نهر النيل أحد أطول أنهار العالم فهو من أقل الأنهار إبراداً مقارنةً بأنهار الأمازون وال المسيسي ، ويشاطئ في نهر النيل حوالي إحدى عشر دولة كما ذكرنا آنفًا ويبلغ مجموع عدد سكانها حوالي 500 مليون نسمة⁽³³⁸⁾ ، يرجع توزيع مياه النهر بين الدول المتشاطئة لعدد من الإتفاقيات يعود تاريخها إلى عام 1891 والتي عُقدت بين بريطانيا وإيطاليا ويعرف ببروتوكول راما والذي يحدد نفوذهما في دول الحوض الواقع في شرق أفريقيا حتى مشارف البحر الأحمر ويقضي البند الثالث منه ألا تقوم إيطاليا بتشييد أي أعمال على نهر عطبرة من شأنها أن تقلل إنسابه إلى النيل على نحو محسوس .

إتفاقية عام 1902م والتي تم التوقيع عليها في اديس أبابا على معاهدة بين بريطانيا والإمبراطورية الإثيوبية متمثلة في الإمبراطور ملك الثاني لترسيم الحدود بينها وبين السودان ، تنص المادة الثالثة من الإتفاق على تنظيم إستغلال مياه النيل الأزرق وبحيرة تانا ونهر السوباط وضرورة الإخطار المسبق قبل الشروع في أية مشروعات من قبل أثيوبيا من شأنها أن تؤثر على إنساب المياه .

إتفاقية 1906 والتي تم التوقيع عليها في 9 مايو من نفس العام بين الملك إدوارد السابع ملك المملكة المتحدة والملك نيوبولد الثاني ملك بلجيكا ، تحدد هذه الإتفاقية الحدود بين السودان والكنغو وينص البند الثالث على تعهد حكومة الكنغو بأن لا تقيم أو تأذن بإقامة أية أعمال على نهر سميكي أو أسانجو يكون من شأنها تقليل حجم المياه التي تدخل إلى بحيرة البرت المغذية لنهر النيل إلا بالاتفاق مع الحكومة السودانية أو البريطانية .

إتفاقية 1925 وهي عبارة عن مجموعة من الخطابات المتبادلة بين بريطانيا وإيطاليا وتعترف فيها إيطاليا بالحقوق المائية المكتسبة لمصر والسودان في مياه النيل الأزرق والأبيض وتتعهد بعدم إجراء منشآت مائية عليها من شأنها أن تنقص من كمية المياه المتجهة نحو النيل الرئيسي .

إتفاقية 1929 واهم ما ورد فيها ألا تقام على النيل بغير غتفاق مسبق مع الحكومة المصرية أي أعمال ري أو توليد قوي أو أي إجراءات على النيل وفروعه أو على البحيرات التي ينبع منها سواء في السودان أو في البلاد الواقعة تحت الإدارة البريطانية من شأنها إنقاوص مقدار المياه الذي يصل لمصر أو تعديل تاريخ وصوله أو تخفيض منسوبه على أي وجه يلحق ضرراً بمصالح مصر . وتلتها إتفاقية لندن 1934 والتي أبرمت بين كل من بريطانيا نيابةً عن تزانيا وبين بلجيكا نيابةً عن رواندا وبوروندي وتعلق باستخدام كلا الدولتين لنهر كاجира . وتلتها أيضاً إتفاقية 1953 والتي كانت موقعة بين مصر وبريطانيا نيابة عن أوغندا بخصوص إنشاء خزان أوين عند مخرج بحيرة فكتوريا وهي عبارة عن مجموعة من الخطابات المتبادلة عامي 1949 و 1953 بين حكومة مصر وبريطانيا ، وبعد هذه الإتفاقية كانت إتفاقية عام 1959 والتي كانت بين مصر والسودان بعد استقلالهما وكانت تتعلق بتقسيم حصتها من النيل والتي كانت تقدر مجموع مياه نهر النيل حينها ب 84 مليار متر مكعب فكان نصيب مصر تبعاً لهذه الإتفاقية فالحقوق المكتسبة 48 مليار متر مكعب والحصة الإضافية من السد العالي ب 7,5 فيصير الإجمالي لحصة مصر 55,5 مليار متر مكعب ، أما حصة السودان حسب الإتفاقية فتُقدر ب 4 مليار متر مكعب وحصته من السد العالي تُقدر ب 14,5 وبالتالي يكون إجمال حصته حسب هذه الإتفاقية 18,5 مليار

338- باكيناز زيدان ، نهر النيل بين الطموحات والتحديات ، مجلة فضاء العلوم ، طنطا ، 2018 ، ص 22-23

متر مكعب⁽³³⁹⁾. وجاءت إتفاقية 1991 مؤكدة من يوغندا في تلك الإتفاقية إحترامها لما ورد في إتفاقية 1953 التي وقعتها بريطانيا نيابة عنها وهو ما يُعد إعترافاً ضمنياً بإتفاقية 1929 م.

مبادرة حوض النيل 1999 م وهي تضم مصر والسودان وأوغندا وإثيوبيا والكونغو الديمقراطية وبوروندي وتنزانيا ورواندا وكينيا وأريتريا وجمهورية جنوب السودان في هذه المبادرة الإقليمية ، تم توقيع هذه المبادرة بهدف تدعيم أواصر التعاون الإقليجي الاجتماعي بين هذه الدول من خلال الإستغلال المتساوي للإمكانيات المشتركة التي يوفرها حوض نهر النيل ، وصفت المبادرة بأنها شراكة إقليمية إتحدت في إطار دول حوض النيل في مسعها المشترك نحو التنمية المستدامة لمياه النيل وإدارتها ، وافتقت دول المبادرة على متابعتها بمقتضى ترتيب إنتقالي حق يتم إيجاد إطار قانوني دائم .

إتفاقية الإطار التعاوني 2010 م التي إنفردت بها دول المطبع ، وهي تقوم على مبدأ الإنتفاع المنصف والمعقول فإن الإطار القانوني الذي يتم التفاوض بشأنه في إطار مبادرة حوض النيل والتي مرت بجولات تفاوضية كثيرة نجد أن الخلاف بين دولتي المصب (مصر والسودان) ودول المطبع في حوض النيل على ثلاثة بنود وهي كالتالي :

* الحقوق التاريخية المكتسبة .

* الإخطار المسبق لدولتي المصب .

* طريقة التصويت .

إتفاقية سد النهضة 2015 م والتي وقعت في مارس مبادئ وثيقة سد النهضة من قبل الدول الثلاث (مصر ، السودان ، إثيوبيا) في الخرطوم ، وتضمن الإتفاق ورقة تشمل عشرة مبادئ تلتزم بها الدول الثلاث بشأن سد النهضة ، وإن هذه الوثيقة تؤكد على صيغة تعاونية لإنشاء إدارة سد النهضة وان الوثيقة أيضاً تتضمن حزمة من المبادئ الأساسية الأساسية التي تحفظ في مجلها الحقوق والمصالح المائية لدول حوض النيل⁽³⁴⁰⁾ .

نظرأً لأهمية مسألة الأنهار الدولية وإستخدامها في غير الشؤون الملاحية وما قد ينشأ بسببها من منازعات وصراعات بشأنها أن تهدد السلم والأمن الدوليين ، إهتمت هيئة الأمم المتحدة بهذه المسألة وبمعالجتها وذلك على ضوء قواعد القانون الدولي ، وتعُد إتفاقية الأمم المتحدة المتعلقة بقانون استخدام المجرى المائي الدولي في الأغراض غير الملاحية والموقعة بتاريخ 21 مارس 1997 م والتي تم إعدادها من طرف لجنة القانون الدولي في إطار دورها في المساهمة في تدوين وتقنين احكام وقواعد القانون الدولي ، وبصفة خاصة في مجال إستخدامات مياه الأنهار الدولية من اهم الإتفاقيات الدولية التي شاركت في تدوينها ، كما ان الغالب أن لجنة القانون الدولي في عملها في صياغة المعاهدات الدولية التي قامت بوضع مشروعاتها تأخذ بعين الاعتبار العُرف القائم في مجال كل معاهدة وذلك تحقيقاً للإستقرار بين الدول اطراف المعاهدة ، وتعتبر تلك القواعد العُرفية والمُقْننة في تلك الإتفاقية من قبل اللجنة ملزمة لجميع الدول حتى تلك التي تصبح اطرافاً في الإتفاقية فيما بعد . وباعتبار أن لكل نهر دولي خصوصيته من حيث العوامل الهيدرولوجية والجغرافية والمناخية والمائية وكذلك من حيث المشكلات الفنية الخاصة به والتي يجب أن تُراعى عند وضع القواعد القانونية التي تنظم إستخداماته وكذلك يجب

339- م. باحث محمد مصطفى ، إتفاقيات مياه نهر النيل ، 2016 ، ص12-18

340- المصدر السابق

أن تكون هذه القواعد متفقة مع العرف الإقليمي الذي يحكم تلك الاستخدامات ، وقد راعت لجنة القانون هذه المسألة عند تبنيها لقواعد القانون الدولي المتعلقة باستخدامات مياه الأنهار الدولية حيث من الصعب جداً وضع وصياغة قواعد قانونية تكون جامعة ومانعة للتطبيق على كافة الأنهار الدولية بغض النظر عن الطابع الخاص والمميز لكل مجرى مائي ، ولهذا يجب التأكيد في هذا المقام على أن لجنة القانون الدولي قد بذلت جهداً كبيراً وملموساً في الدراسات والبحوث وذلك من خلال جمع وتحليل كافة الممارسات العملية التي أقرها العرف الدولي في مجال استخدامات الأنهار الدولية وإتضح ذلك جلياً من خلال المشروع النهائي لاتفاقية الأمم المتحدة بشأن قانون استخدامات غير المل hakimية للأنهار الدولية والذي تمت مناقشته بالأمم المتحدة ثم التصويت عليه بعد ذلك⁽³⁴¹⁾.

رابعاً الأطماع الإسرائيليية في نهر النيل

إن محاولة الحركة الصهيونية وإسرائيل للإستفادة من مياه النيل قديمة قدم التفكير الإستيطاني في الوطن العربي ، وظهرت الفكرة بشكل واضح في مطلع القرن الحالي عندما تقدم الصحف اليهودي تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية عام 1903 تقدم إلى الحكومة البريطانية بفكرة توسيع سيناء واستغلال ما فيها من مياه جوفيه وكذلك الإستفادة من بعض مياه النيل ، لقد رفضت الحكومتان المصرية والبريطانية مشروع هرتزل الخاص بتوطين اليهود في سيناء ومدهم بمياه النيل لأسباب سياسية تتعلق بالظروف الدولية والإقتصادية في ذلك الوقت . هنالك أربعة مشاريع أساسية يتطلع إليها اليهود بهدف استغلال مياه النيل وهي كالتالي :

1- مشروع إستغلال الآبار الجوفية : قامت إسرائيل بحفر آبار جوفية بالقرب من الحدود المصرية ، وترى أن بإمكانها إستغلال إنحدار الطبيقة التي يوجد فيها المخزون المائي صوب إتجاه صحراء النقب .

2- مشروع اليسع كالي : في عام 1974 طرح اليسع كالي وهو مهندس إسرائيلي تخطيطاً لمشروع يقضي بنقل مياه النيل إلى إسرائيل ونشر المشروع تحت عنوان (مياه السلام) والذي يتلخص في توسيع ترعة الإسماعيلية لزيادة تدفق المياه فيها وتنقل هذه المياه بطريقه ما إلى أسفل قناة السويس .

3- مشروع يؤر : حيث قدم الخبير الإسرائيلي شاؤول أولزروروف النائب السابق لمدير هيئه المياه الإسرائيلي مشروعاً للسدادات خلال مباحثات كامب ديفيد بهدف إلى نقل مياه النيل إلى إسرائيل عبر شبقات قنوات تحت مياه قناة السويس

4- مشروع ترعة السلام : وهو مشروع أقترح لدراسة عملية كاملة لتوصيل مياه نهر النيل إلى مدينة القدس لتكون في متناول المترددين على المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وحائط المبكى ، ولكن إزاء ما نالت هذا المشروع من معارضة وإنتقادات واسعة لم تكل مساعيه بالنجاح⁽³⁴²⁾ .

341- شرمالی تسعیدت ، ازمه المیاه وتأثیرها علی العلاقات الدولية (دول حوض النيل نمونجاً) ، نیل درجة الماجستير (الجزائر) ، جامعة الجزائر ، 2013 – 2014 ، ص 35-36 .

342- بدون كاتب ، خلفية حول الوضع المائي في حوض النيل ، شركاء التنمية للبحوث والاستشارات والتدريب

ثغرة التدخل الصهيوني في منطقة حوض النيل أوسعت الباب أمام تدفق خبراء في الزراعة على دول أعلى النيل .. مستثمرون .. مستشارون عسكريون كل في مجاله بما يخدم أهداف الصهيونية قبل أي شيء آخر . عادة يتمخض الحوار عن توسيع أحقيتهم في المشاركة والخروج بصيغة تنص على أن لهم حصة من المياه خاصة وأن معظم دول حوض النيل لا تعتمد في حياتها على استخدام مياه النيل في الزراعة ، ويعتمد بعضها الآخر على الزراعة المطيرية لري الأراضي⁽³⁴³⁾ .

يُعد نهر النيل مطمعاً للعديد من القوى الدولية والإستعمارية التي تُريد أن تضع قدمًا بالقرب منه للضغط على دولة مُستقبلاً في حالة إحتياجها للمياه ، أو في حالة طلبهما المياه مباشرةً على غرار ما تفعله إسرائيل .

الخاتمة

النظم السياسية في معظم دول حوض النيل تعاني صراعات داخلية جعلت هذه النظم لا تركز على التنمية الاجتماعية والثقافية ، ولهذا فإن توجهات الدول تركز على تحقيق الولاء السياسي بحكم عدم مقدرتها على تنمية المجتمع ثقافياً وإجتماعياً . ورغم ذلك أن هذه المجتمعات يعلو فيها الولاء القبلي عن الولاء الوطني ، وينتج عن ذلك أن دول حوض النيل لا توجد بينها روابط إستراتيجية حقيقية تؤدي إلى تجمع هذه الدول بدلاً من تفككها وتركها للأطراف الخارجية الفاعلة القادرة على ملأ هذا الفراغ .

وعليه توصلت الدراسة للنتائج الآتية :

- 1- تتمتع دول حوض النيل بموقع إستراتيجي مميز يربط حوض النيل بين دوله ما جعل هذه الدول في مصاف الدول صاحبة الواقع الإستراتيجي .
- 2- هذا الموقع يمكن أن يكون مصدر قوة لدول الحوض إذا ما توحدت ووضعت أهدافها سوياً بالإتفاق والتعقل .
- 3- للنيل ثروات وموارد يمكن الإستفادة منها ودفع عجلة إقتصاد وموارد هذه الدول وترك الخلافات فيما بينها ولا سيما الخلافات المفتولة جانباً .

كما توصلت الدراسة للتوصيات الآتية :

- 1- المحافظة على أمن منابع النيل وإستمرار التدفق الطبيعي لمياه النيل بإعتبار أن المياه مورد إستراتيجي مهم يؤثر على النمو الاقتصادي ومن هنا فإن أي تهديد للمياه يُعد تهديداً للأمن القومي للدول ومن ثم الأمن الإقليمي للحوض كله ، وضمان الإستقرار السياسي لدول الحوض ، حيث يمثل عدم الإستقرار في أي منطقة تهديداً لأمن باقي دول الحوض ما يضر بالأمن الإقليمي للمنطقة .
- 2- مقاومة التدخل الأجنبي هذا التدخل الذي يضر بمصالح دول المجرى والمصب .

343- عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل ، النيل ومشاكل المياه وأطماع إسرائيل ، 2015 ، مكتبة نور الإلكترونية ، ص44-45

3- وجوب إتفاقية جامعة وشاملة لكل دول الحوض ومناقشة المصالح المشتركة بينهم ووضع إستراتيجية شاملة متفق عليها بين جميع دول الحوض ، وضرورة تقييد دول الحوض بالإتفاقيات المبرمة فيما بينها ما يؤدي إلى نشوء نظام قانوني داخل حوض النيل يحقق الإستقرار الإقليمي في المنطقة ويدفع إلى التعاون وليس الإختلاف .

4- ضرورة إهتمام دول الحوض كافة بزيادة الموارد وتقليل الفوائد بإقامة المشروعات المشتركة لتحقيق المطالب الجماعية وإنشاء مشروعات إقليمية .

المراجع

- 1- محمد عوض محمد ، نهر النيل ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1952 ، القاهرة .
- 2- روان وجيه نجار ، حوض النيل نقاً عن الموقع الإلكتروني (موضوع) بتاريخ 18- فبراير 2019 م .
- 3- أ. د . نادر نور الدين محمد ، موارد دول حوض النيل المائية والأرضية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ومركز الجزيرة للدراسات (الدوحة - قطر) ، 2011 ، ط 1.
- 4- محمد محى الدين رزق ، أفريقيا وحوض النيل ، مطبعة عطايا بمصر ط 2 1934 .
- 5- بدون كاتب ، الصراعات في دول حوض النيل والتغلغل الأجنبي وأثره على الأمن القومي نقاً عن الموقع الإلكتروني

www.mogatel.com

- 6- باكيناز زيدان ، نهر النيل بين الطموحات والتحديات ، مجلة فضاء العلوم ،طنطا مصر .
- 7- م. باحث محمد مصطفى ، إتفاقيات مياه نهر النيل ، 2016 .
- 8- شرمالي تسعديت ، أزمة المياه وتأثيرها على العلاقات الدولية (دول حوض النيل نموذجاً) لنيل درجة الماجستير ، جامعة الجزائر ، 2013-2014 .
- 9- بدون كاتب ، خلفية حول الوضع المائي في حوض النيل ، شركاء التنمية للبحوث والإستشارات والتدريب .
- 10- عبد الفتاح عبد الرحمن الجمل ، النيل ومشاكل المياه وأطماع إسرائيل ، مكتبة نور الإلكترونية ، 2015 .

الدعم المغربي للثورة الجزائرية 1956-1962

Moroccan support for the Algerian revolution 1956-1962

-9. الدكتور محمد بن ترار أستاد مساعد قسم بجامعة مصطفى اسطنبولي معسكر الجزائر

الملخص : يعالج المقال الدور الكبير الذي لعبه المغرب في دعم الثورة الجزائرية ، وذلك بتحويل شماله في البداية إلى طريقاً للسلاح والذخيرة التي كانت وقوداً للثورة التحريرية ، وبعد استقلاله ربيع سنة 1956 تحولت أراضيه إلى قواعد خلفية لتدريب الجنود ، وأخرى كمراكز صحية للت�큲ل بالمصابين ، كما ساهم المغرب باحتضان آلاف المهاجرين من أراضيهم والذين استقروا بالإقليم الشرقي ، وسمح لهم ليكونوا وقوداً للثورة دون خوف أو ردع .

من جانب آخر تعالج المقالة التأييد المغربي للقضية الجزائرية سلطة وشعباً ، والعمل على احتضان القيادة السياسية للثورة ودعمها مادياً ومعنوياً لتتمكن من الوقوف ضد المستعمر الفرنسي داخل الجزائر وخارجها

الكلمات المفاتيح: القواعد الخلفية ، التدريب ، الدعم بالسلاح ، المهاجرين ، القيادة ، المراكز الصحية .

Abstract : The article deals with the great role that Morocco played in supporting the Algerian revolution, by turning its north into a path for weapons and ammunition that was fuel for the liberation revolution. After its independence in the spring of 1956, its lands turned into rear bases for training soldiers, and others as health centers to take care of the injured. Morocco also contributed by embracing thousands of displaced people from their lands who settled in the Eastern Province, and allowed them to be fuel for the revolution without fear or deterrence.

On the other hand, the article deals with the Moroccan support for the Algerian cause, both authority and the people, and the work to embrace the political leadership of the revolution and support it financially and morally so that it can stand against the French colonialists inside and outside Algeria.

Key Words : background bases, training, support with weapons, immigrants, leadership, health centers

مقدمة :

منذ اندلاع الثورة التحريرية ، لعبت دول الجوار دوراً كبيراً في احتضان القيادة الجزائرية من قيادة جهة التحرير السياسية وقيادة أركان جيش التحرير الوطني وذلك لإيمانهم بتحرير المغرب العربي كوحدة تجمعها روابط الدين واللغة والمصير المشترك ، وقد كان للمغرب الدور الفعال في دعم القضية الجزائرية ، سياسياً ، عسكرياً وحتى اقتصادياً واجتماعياً

دولة وشعباً وذلك بفعل روابط الجوار والعروبة والإسلام التي ساهمت في تلامِنَ المغارِب سلطة وشعباً إلى جانب أشقاءه الجزائريين في التصدي للمستعمر الغاشم.

على مستوى السلطة السياسية كان موقف المغرب الأقصى واضحاً من خلال موقف جلالَة الملك محمد الخامس رحمة الله القاضي بدعم الثورة الجزائرية، وبعده فتح المغرب الشقيق مصراعيه ليكون قاعدة سياسية خلفية لتسخير الثورة واستقرار قادتها على غرار عبد الحفيظ بوصوف، محمد بوضياف، هواري بومدين تم فرحتَ عباس... أما على المستوى العسكري فقد كان ذلك جلياً من خلال تحول تراب المملكة المغربية إلى طريقاً خصباً لدعم جيش التحرير الوطني بالسلاح القادر من شمال المغرب، كما تحولت أراضي المملكة بعد استقلالها سنة 1956 إلى قواعد خلفية للثورة التحريرية لدعهما بمختلف أنواع المؤن والأسلحة والذخيرة، ناهيك عن تدريب عناصر جيش التحرير على مختلف أنواع الحروب المتطورة، في حين كان حضن المغرب دافئاً في الجانب الاجتماعي لاحتضان المهجّرين الجزائريين من أراضِهم عن طريق القوانين التعسفية، أو الهاربين من وطأة التعذيب واللاحقات القضائية، من جهة أخرى احتضن المغرب أول إذاعة للتعرِيف بالقضية الجزائرية وإذاعة صوتها إلى الخارج والداخل، كما تحول الشرق المغربي إلى قاعدة صحية للتكلف بالجري والمصابين في ساحات الogni ، والعابرين لخط موريس الشائك الذي اقامته السلطات الاستعمارية لطبع الدعم المغربي الذي اتضح للعالم أجمع وقوف المملكة سلطة وشعباً مع القضية الجزائرية.

1/ الدعم السياسي المغربي للثورة الجزائرية :

ارتبطت الجزائر بجاراتها المغرب قبل اندلاع الثورة التحريرية بسنوات، وذلك ضمن بوادر الحركة الوطنية³⁴⁴، وعلق القادة السياسيون أملاً كبيراً في توحيد توجهات الدول المغاربية في كفاحها السياسي أملاً عريضاً على وحدة المغرب العربي بحكم الروابط والمصالح التي تجمع شعوبه، فمنذ عهد نجم شمال إفريقيا وحتى اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية ظلت الأحزاب الوطنية وتنظيماتها الجمعوية تعمل بالتنسيق مع الحركات الوطنية التونسية والمغربية لتأكيد التضامن وتوثيق عرى الوحدة والنضال المشترك.³⁴⁵ وقد أعطت حركة الانتصار للحريات الديموقراطية بعداً مغاربياً لكافحها السياسي إيماناً منها بوحدة نضال الشمال الإفريقي، وفي الوقت الذي نشط فيه أعضاؤها بمكتب المغرب العربي بالقاهرة قرر مؤتمر الحركة الثاني سنة 1949 توجيهه سياسة الحزب الخارجية للبحث عن اتفاق مع الحزب الدستوري الحر بتونس وحزب الاستقلال المغربي لتوحيد العمل العسكري وتكوين تنظيمات عسكرية سرية على غرار المشكّلة بالجزائر³⁴⁶، وظل تعاطف حركة الانتصار للحريات الديموقراطية وتكل "الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات" وكذا الرأي العام الجزائري قوياً مع شعب تونس والمغرب خاصةً إثر حوادث اغتيال فرحتَ حشاد ومظاهرات الدار البيضاء سنة 1952، وبشكل أكبر إثر اندلاع المقاومة المسلحة بتونس وتنحية محمد الخامس عن عرشه³⁴⁷ ما جعل القضية الجزائرية مرتبطة بالجارتين الشرقية والغربية على وجه الخصوص، الأمر الذي جعل المغرب يلعب الدور الفعال في نجاح الثورة الجزائرية منذ اندلاعها، حيث أكدت جبهة التحرير الوطني في بيان أول نوفمبر 1954 على ارتباط الثورة بدائرة المغرب العربي عموماً والمغرب على وجه الخصوص، الذي كان السباق إلى دعم الثورة الجزائرية من خلال المواقف السياسية للمغفور له الملك محمد الخامس في مختلف خطاباته ونشاطاته السياسية، كما احتضن المغرب بعد استقلاله في مارس من سنة 1956

³⁴⁴. ظهر هذا الاتجاه ضمن مخطط حزب نجم شمال إفريقيا الذي ظهرت بوادره بفرنسا منتصف عشرينيات القرن الماضي.

³⁴⁵. حدث محمد عباس مع محمد بوضياف، جريدة الشعب، عدد يوم (17 نوفمبر 1984) ، ص 12.

³⁴⁶. سعيد، جلاوي ، مكتب المغرب العربي بالقاهرة من الاختلاف إلى الاختلاف ، مجلة معارف ، المجلد 11 العدد 21 ، ص ص 235.212

³⁴⁷. لقاء بين مصالي وقادة الأحزاب المغاربية بيته يوم 28 يناير 1952 ، جريدة المنار ، 1، عدد 15، فبراير 1952 ص 2

القاعدة السياسية لجبهة التحرير الوطني بدار الملحاوي³⁴⁸ والتي كانت الرأس المدبب لكل النشاطات السياسية والعسكرية التي كانت تعرفها ساحات الوعي بالجزائر، من خلال عناصر القيادة المتمركزة هناك وفي مقدمتهم "هواري بومدين ، محمد بوضياف ، عبد الحفيظ بوصوف، قبل ان تتحول الى قاعدة بن مهيدى ، هذا وقد تعززت مكانة المغرب السياسية في دعم الثورة الجزائرية من خلال احتضانها مؤتمر طنجة في أبريل سنة 1958 ، والذي تم خلاله رسم من خلاله تأكيد مواصلة الدعم لكافح الشعب الجزائري ودعمه من قبل الدول المغاربية عموما والمغرب على وجه الخصوص ، وتدعم التعریف بالقضیة الجزائریة انطلاقا من المغرب بغية کسب الدعم المغاربی الشعبي لکفاح الجزائری ، واستفادت الجزائر من طاقات التأیید والحماس التي تکنها شعوب المنطقة للثورة الجزائریة ، و العمل مواجهة سیاسة دیغول التي حاول من خلالها عزل القضیة الجزائریة عن قاعدتها الخلیفیة بالمرگر التي صارت النواة السیاسیة لتحریک القضیة الجزائریة عالمیا ، هذا وبالرغم من تحول مقر الحكومة المؤقتة الى القاهرة بمصر لكن المرگر بقی من أهم الدول التي لعبت دورا کبرا في رسم سیاسة الاستقلال بذلك التکتل والتضامن الشعبي المغاربی ، وبذلك وجدت المرگر بصفتها دولة مجاورة للجزائر نفسها مباشرة في قلب النزاع الفرنسي الجزائري³⁴⁹ ، من خلال مضاعفة التضامن مع الثورة الجزائرية ودعمها للحصول على أكبر ما يمكن من مکاسب لفائدها من خلال :

- تأکيد المغرب تأییدها السیاسي لأهداف ومبادئ الكفاح الجزائري وإبداء مواقف مشتركة على صعيدي الدعم السیاسي والمؤازرة الدبلوماسیة للقضیة الجزائریة بالمرگر وخارجھ

- السماح باستخدام مناطق الحدود الغربية كقواعد خلفية لتفعیل نشاط جيش التحریر الوطنی وتقديم تسهیلات في ما يخص مرور الأسلحة والمؤونة عبر شماله .

- مؤازرة اللاجئین الجزائرين الذين اضطروا للنزوح المرگر ، وتقديم مساعدات اجتماعية وتسهیلات إدارية قصد التکفل بمخالف شؤونهم ، وإرساء إشراف مؤسسات جبهة التحریر الوطنی على المهاجرين واللاجئین الذين تحولوا الى وقود جديد للثورة الجزائریة .

- تکریس التضامن الشعبي المغاربی لمناصرة الجزائیر باعتباره تضامنا يعبر عن المطامح العمیقة للشعبین الجزائري و المغاربی ، ويعتبر صمام الأمان لتواصل المؤازرة الحقيقة. للقضیة الجزائریة ودعمها لاستقلال الجزائیر .

- تفعیل النشاط السیاسي والإعلامي من داخل المرگر لکسب التأیید العالی للقضیة الجزائریة ودعمها في المحامل الدوليیة

2- الدعم الدبلوماسي :

لقيت القضیة الجزائریة دعما معتبرا على الصعيد الدبلوماسي فقد أكدت دبلوماسیة المرگر مساندتها الفعالۃ لتدویل قضیة الجزائیر ، والتي بذلت جهودا هامة لإيجاد حلول سلمیة لها ، وکسب التأیید الدولي لمواقفها ، وقد حاولت هذ المرگر في مساعيها الحثیثة الإسهام المباشر في حل القضیة الجزائریة لكن جهوده في الوساطة بين طرفی النزاع اصطدمت بمواقف الرفض الفرنسي³⁵⁰ ، وشكلت مرحلة المفاوضات الفرنسيـ الجزائیرية میدانا هاما من التضامن السیاسي والشعبي المغاربی مع مطالب الحكومة الجزائریة المؤقتة في الوصول إلى مفاوضات عادلة تحقق مطامح الشعب الجزائیر في الاستقلال .

³⁴⁸ لحسن بوزیدي ثورة داخل ثورة ، دار الغرب للنشر ، 2010 ص 97

³⁴⁹ - Chikh Sliman L'Algérie en armes - p 489

³⁵⁰ محمد بزید ، ذکریات عن العمل الدبلوماسي. الدبلوماسیة الجزائیریة، منشورات المركز و، د، ب، ح، و، ث 1954 (سلسلة الندوات) الجزائیر، 1998، ص 109

ودعمت المغرب العربي نشاط الم هيئات الدبلوماسية والسياسية للثورة الجزائرية في الخارج، ونلاحظ بوضوح تعدد مستويات الدعم الدبلوماسي المغربي في المحافل الدولية، والإقليمية، وفي هيئة الأمم المتحدة وعلى مستوى الدول الإفريقية، والأسيوية، وعلى المستوى الإقليمي المغربي.

3- الدعم العسكري المغربي للثورة الجزائرية :

لعب المغرب الدور الفعال في استمرار العمل العسكري لجيش التحرير الوطني ، الذي استطاع إطلاق شارة الثورة في الفاتح نوفمبر بواسطة الأسلحة المحلية وبعض ما حصله القادة من اسلحة من منطقتي الشرق على غرار ليبا وتونس ، وان كانت الأسلحة سببا في تأخر العمل المسلح بالجهة الغربية بسبب فشل صفقة السلاح ما بين محمد بوضياف وعبد الكبير الفاسي³⁵¹ ، فأن استدرراك النشاط ظهر جليا بفعل الدعم الكبير الذي لقيه مجاهدو الولاية الخامسة من أسلحة عبر يخت دينا وما تبعها سفن الذخيرة والأسلحة التي رست بالنازور وأفرغت شحتها والتي حولت إلى الجزائر³⁵² ، الأمر الذي كشفته العديد من التقارير الفرنسية الى القيادة العليا وهو ما عجل باقامة حصارا على الحدود الغربية بفرق خاصة مدعومة بسياج مكهرب وملغم ومحروس³⁵³ .

بعد مؤتمر الصومام المنعقد في 20/08/1956 والذي ترافق مع بداية عهد جديد بالمغرب الذي نال استقلاله ، تحولت الأرضي المغاربية الى أكبر خطر على فرنسا من خلال قواعد الخلفية التي كانت تحتضن تدريب الجيوش على التقنيات الحديثة في القتال ودعم الثورة بالأسلحة والذخيرة بالإضافة إلى العمل السياسي والعسكري والاستعماري خاصة في ظل استحداث مخططات جديدة كمديرية التسليح والاتصالات العامة (المالغ) ومديرية الدعم اللوجستيكي ...³⁵⁴
وظهور العديد من مراكز التدريب على الألغام والأسلحة الثقيلة والخطط العسكرية الجديدة ، وفي أهمها:

* مركز الكبداني :

هو أول مركز للتدريب أنشأته المديرية العامة للتدريب بالمغرب واتخذته مقرا لها ، يقع بالريف المغربي يحتوي على عدة أجنحة ، كمراقد الجنود ، مركز الحراسة ، مركز تحميص الصور ، المحافظة السياسية ، الإذاعة المحلية وقاعة لل الاجتماعات ، ساحة العلم ، وتميز هذا المركز بالتدريب في التخصصات التالية: التدريب القاعدي (Formation de base)، التدريب التكميلي (المشاة)، دفاع الهواون، الصاعقة، الفدائين، الألغام، قاذفات الليب، فرق الضباط، الضباط المترصون ، وبعد تدفق الأسلحة سنة 1961 اضيفت لها تخصصات جديدة كالمدفع المضادة للطائرات ، المدفع الثقيلة ، البازوكا.....³⁵⁵

* مركز واولوت :

هو من اصغر مراكز التدريب يقع بالمغرب قرب من الحدود وسط قبائل بني زناسن على بعد 04 كلم عن ناحية بركان شمال وجدة تحيط بها جنوبا جبال تافوغالت وزقزل ، وتعرف المنطقة بعين تالوت لوجود عين جارية بها، كان جيش التحرير المغربي يتمركز به اثناء حربه ضد الأسبان ، ونظرا لصغر مساحة المركز ووجوده داخل محيط عمراني سكني ، كان يستعمل للتدريب القاعدي فقط³⁵⁶

* مركز بوصافي :

³⁵¹. الطاهر جيلي ، الإمداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الامة للنشر الجزائري، 2013، ص 103-104.

³⁵² محمد الهادي حمدادو ، اضواء على حادثة اليخت دينا ، ومركب اتوس (قصة عمليين لتزويد الثورة بالسلاح)، جسور للنشر الجزائري ، 2013، ص 5652

³⁵³. تقرير القيادة العليا للقوات الفرنسية بالجزائر الناحية العسكرية لميبل جيش وهران ، قيادة الازakan ، المكتب الثاني رقم 428 / ف ج و/س ، ملف 297 و 5

³⁵⁴ محمد بوزيان بنعلي ، وجدة عاصمة الثورة الجزائرية ، مطبعة الجسور وجدة 2019، ص 163-165

³⁵⁵ محمد مصطفى طالب : من ايام حرب التحرير (1954-1962)المديرية العامة للتدريب ، ص 37-43

نفسه ، ص 43-44³⁵⁶

يقع بمنطقة العريش ويبعد عنها بحوالي 10 ، متمركز فوق ربوة ، وهو من المراكز الصغيرة ، استعمل كمركز صحي وإداري قبل بدأ التدريب فيه سنة 1959 واحتضن تخصصات: التدريب القاعدي (المشاة) وتكلته، وكانت تابعة له المدرسة العسكرية للمرضى الواقعه بالمدينة وكان به جناح لإجراء العمليات الجراحية ، ونظراً لأهميته أرسلت بشأنه مصلحة التوثيق الخارجية ومحاربة الجوسسة العديد من التقارير أهمها تقرير 28 جويلية 1958³⁵⁷.

* مركز زغاغن :

هو أكبر مراكز التدريب مساحة يقع في قرية صغيرة تحمل اسمه تقع بين الناظور ودار الكبداني فتح في يناير من سنة 1961 وتحولت إليه معدات واطارات مركز واولوت وبوصافي ، والمدرسة العسكرية للممرضين، كما تحولت إليه قيادة التدريب بعدها كانت في دار الكبداني واستعمل في التدريب العسكري والتكوني الإداري والسمعي البصري³⁵⁸ .

* مركز نواصر :

هو مركز بحري يقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، يقع بين الناظور ومليلية ولا يبعد عنها سوى بكميات قليلة فتح سنة 1961 واستعمل لتكوني البحارة والصفادع البشرية.

بالإضافة إلى هذه المراكز المهمة نجد العشرات من المراكز الصغيرة ذات الأهمية البالغة على غرار مراكز : الزاوية ، سidi بوبكر ، واد سطوف، مركز جباره ومركز أونات رياض³⁵⁹ ، -مركز بوعرفة، مركز تنداره ، مركز طوطو³⁶⁰ ، مركز وجدة، مركز فقيق ، مركز برakan ، مركز القنيطرة ، مركز الرباط ، للتمويل العام، مركز الدار البيضاء وطنجة ، طوان ، مركز بوعنان بوذنيدب.

4- دور المغرب في دعم النشاط الصحي والاجتماعي والعناء باللاجئين:

لعب الغرب دوراً فعالاً في الدعم الصحي للثورة الجزائرية عن طريق فتح مستشفياته لعلاج المرضى والمعطوبين والمصابين من جراء المعارك والألغام ، خاصة أمام الوضع الجديد الذي خلفه خط موريis الذي أقامته السلطات الغربية على الحدود الغربية وما ساهم في تضاعف عدد الجرحى والمصابين حيث سعت جبهة إلى الاتصال مع السلطات الغربية لتوفير مراكز صحية جاهزة بكل من: برakan ، الخميسات ، مكناس ، الرباط ، الدار البيضاء ... للعناية بالمجاهدين الجرحى الذين لم يستطيعوا مواصلة الجهاد كما تم تجهيز هذه المراكز بالوسائل الطبية الضرورية لضمان التكفل الصحي النفسي بهؤلاء المرضى ، كما تم إقامة مركز استراحة بالدار البيضاء للجندو المعاقين نتيجة إصابتهم بألغام خط موريis³⁶¹ .

*. المدن و المستشفيات والمراكز الصحية :

خصصت جبهة التحرير العديد من المستشفيات التي منحتها السلطات الغربية لاستقبال المجاهدين المصابين والمعطوبين والذين أغلبهم من ضحايا الألغام والمعارك الواقعة على الشريط الحدودي والذين تزايد عددهم ، حيث سمح اتصالات عناصر جبهة التحرير الوطني بسلطات المغرب في وجدة بتخصيص العديد من المستشفيات بمختلف عمال المغرب للتکفل بالضحايا والمصابين يمكن تقسيمهما إلى :

A- المدن :

³⁵⁷ – ANOM,SHAT;chateau de vincennes 1H11795.

³⁵⁸ محمد مصطفى طالب : من أيام حرب التحرير (1954-1962)المديرية العامة للتدريب..، مرجع سابق ، ص 45-46

³⁵⁹ الطاهر جبلي ، القواعدخلفية لجيش التحرير على الجبهة الغربية خلال الثورة الجزائرية (1954-1962)، مجلة العكمة للدراسات التاريخية، المجلد 1 العدد 2.

جوان 2013.ص 109-107

³⁶⁰ الطاهر جبلي: المرجع السابق، ص 259

³⁶¹ محمد بوزيان بنعلي ، مرجع سابق ص 228,227

حول المغرب بعد استقلاله أغلب مدنه الشرقية إلى قواعدخلفية لاحتضان الثورة خاصة في مجال تقديم الخدمات الصحية للتكميل بالجراح والمصابين ، خاصة من ضحايا الولاية الخامسة بنواحيها ، فكانت المدن الشرقية والساخنة مراكز صحية كبيرة منها :

*.مدينة أحfir :

تقع هذه المدينة الصغيرة في شمال شرق المغرب تبعد بآقل من 01 كلم عن الحدود الجزائرية وقريبة جداً من مدينة بوكانون وأقاليم مسيرة وباب العزة ، كانت تعد من أحد أهم المدن المغربية استقبلا للإجئين³⁶² الذين تم تأسيس مراكز خاصة لهم³⁶³ ، وقد احتضنت هذه المدينة بعد استقلال المغرب من الاحتلال الفرنسي سنة 1956 مراكز صحية للتكميل بالمصابين خاصة من الجنود الذي كان لهم بهذه المدينة أيضاً مركزاً للتدريب العسكري³⁶⁴ ، وكان يستقبل أغلب المصابين على الحدود خاصة ضحايا الألغام الذين خصص لهم مستوصف خاص لعلاجهم رفقة جنود جيش التحرير الوطني³⁶⁵ ، كما كانت هناك عيادة خاصة تتکفل بعلاج الضحايا من المدنين وقيادة جهة التحرير الوطني³⁶⁶ ، كما كان بهذه المدينة مخزن للهلال الأحمر الذي كان يدعم المراكز الصحية بالأدوية سواء بالراكز الموجودة بالغرب ، أو داخل التراب الجزائري وخصوصاً الولاية الخامسة .

*.مدينة وجدة :

هي أحد أهم المدن المغربية في دعم الثورة الجزائرية بصفتها القاعدة الخلفية الرئيسية ومركز للولاية الخامسة نتيجة قربها من الحدود الجزائرية بمسافة لا تزيد عن 08 كلم عن قرية العقيد لطفي ناحية مغنية التي تبعد عنها بحوالي 20 كلم وكانت تعرف بأنها مركز للتكميل الصحي نتيجة وجود العديد من المؤسسات الصحية بالإضافة إلى مستشفى مورييس لوستو "الفرابي حالياً" نجد العديد من المؤسسات الصحية أهمها :

-مستوصف جيش التحرير الوطني بوسط مدينة وجدة³⁶⁷ ، وقد خصص هذا الهيكل الصحي للتكميل بالمعطوبين ومركز للنقاھة الخاص بجنود جيش التحرير الوطني³⁶⁸ .

-مستوصف حي لإزارى وهو مركز لعلاج الجرحى الذين يحولون إليه واغلبهم من المعطوبين ، يقع بالمسكن رقم 19 بذات الحي ولا يمكن فيه الجرحى أكثر من أسبوعين قبل تحويلهم إلى مراكز الراحة والنقاھة ، به أربعة أقسام كان يستقبل نحو 60 جريح ، كان يشرف عليه مجموعة من المرضين في حين يمر عليه الدكتور هدام مرتين في الأسبوع³⁶⁹ .

-مركز فيلاج الطوبة ، وهو مركز للنقاھة والعلاج للضحايا من ذوي الإصابات الخفيفة يقع بحي الطوبة بوجدة³⁷⁰ .

³⁶² - 1H3114 D1 Ahfir.

³⁶³ - SHD GR1H3103 D2:Organisation FLN a Ahfir ;16/10/1957.

³⁶⁴ 1H3114 D1 Ahfir.

³⁶⁵ SHD GR1H3103 D2:Organisation FLN a Ahfir.

³⁶⁶ SHD GR1H3103 D2: Compas d'Alarmée D'Oran Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc -Orientel,28/07/1958 p2

³⁶⁷ CAO, Organisation FLN dans les villes du Maroc; Aout1958

³⁶⁸ SHD GR1H3103 D2: Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc -Orientel28/07/1958 p3

³⁶⁹ E.M.A.T/S .H 1H1594/D1:MAROC, Aide logistique Fiche N:organismes FLN. AM13(2) ,13/02/1957.

³⁷⁰ SHD GR1H3103 D2: Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Oriental ,28/07/1958 p3.

- مستوصف شارع كولوش (فلاوش)، يقع وراء محطة توليد الكهرباء ، وهو خاص بمعطوبين جيش التحرير الوطني ، حيث كان يعالج الجرحى والمعطوبين بما فيهم ضحايا الألغام يشرف عليهم طاقم طبي متخصص³⁷¹

. فندق المغرب ، ويتوسط مدينة وجدة وخصص كمركز للراحة والنقاهة للجنود بعد علاجهم³⁷²

يضاف الى هذه المراكز الصحية كل من المستوصف الخاص بقيادة الثورة الموجود بالخرج الشمالي لمدينة وجدة على الطريق رقم 56 المؤدي الى بركان ، وكذا مستوصف طريق ليبتون الذي يجاور المسجد والذي يتسع لـ 25 سرير ، هذه المنشآت الصحية جعلت مدينة وجدة مركز علاجيا وصحيا لقيادة الثورة بامتياز بحكم قربها من الحدود وكثرة الضحايا خاصة بعد سياسة التطويق الملغمة التي باشرها المستعمر الفرنسي منذ سنة 1957 والتي تسببت في رفع عدد الضحايا يوم بعد يوم .

*.مدينة بوعرفة:

تعتبر هذه المنطقة التي تقع جنوب عمالة وجدة وعلى الحدود الغربية للمنطقة الثامنة من الولاية الخامسة اهم مركز خصصته السلطات المغربية لقيادة الثورة الجزائرية ، و هي مدينة جمعت بين الهياكل الإدارية والسياسية والصحية لجبهة التحرير الوطني التي عرفت نشاطا قويا بالمنطقة ، هنا وإمام ارتفاع الضحايا بالولاية الخامسة خاصة بعد خط مoris المكهرب وألغامه الخطرة وكذا المعارك التي جرت بالمنطقة الثامنة ، تم إنشاء مركزين صحبيين بذات المدينة لمعالجة الجرحى والمعطوبين ، ويقع المركزين في وسط مدينة بوعرفة وقربين من بعضهما³⁷³ ، كما احتوت المدينة على مكتب للهلال الاحمر الجزائري وقاعدة خاصة لجمة التحرير الوطني، ومكتب للاتصالات ، الأمر الذي جعلها المدينة الأولى بالجهة الجنوبية الشرقية للمغرب والتي كانت على اتصال دائم بالمنطقة الثامنة من الولاية الخامسة³⁷⁴ ، وتتكلفت المراكز الصحية بعلاج العشرات من ضحايا الألغام والمعطوبين والمصابين في معارك جيش التحرير بإقليمي عين الصفراء وبشار

* مدينة الدار البيضاء :

رغم انها بعيدة على الحدود المغربية مع الجزائر ، إلا أنها شكلت مدينة الدار البيضاء مركزا صحيا هاما ، وذلك بفعل وجودها على الشريط الساحلي للمحيط الأطلسي، حيث استقبل المستشفى المدني اغلب جرحى جيش التحرير الوطني ، كما تم تأسيس سنة 1960 مركز صحي على مساحة شاسعة للنقاهة والراحة واستقبال المعطوبين من ضحايا الألغام³⁷⁵ ، كان يشرف على المركز جملة من الممرضين ، إلى جانب مساعدة الأطباء المغاربة لإخوانهم الجزائريين واستقبلوا حتى بعض الأطباء الأوروبيين الذين كانوا يعملون بالمستشفيات المدنية³⁷⁶، حيث كان هذا المركز يستقبل ضحايا الألغام قبل تحويلهم إلى دول صديقة للت�큲ل بهم مثل كوبا ، يوغسلافيا³⁷⁷

.المستشفيات المدنية ومراكم النقاهة

³⁷¹ SHD GR1H3103 D2: Compas d'Alarmée D'Oran Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc -Orientel,28/07/1958 p2

³⁷² FR CAOM/ORAN 151;Brigade Des R G De Marnai ,Notre de renseignement Utilisation par les rebelles d'un hôtel d'Oujda, comme centre du repos d'ébergement,02/04/1958.

³⁷³ SHD GR1H3103 D2:Organisation FLN a Ahfir.

³⁷⁴ SHD GR1H3103 D2:carte des services au Maroc.

³⁷⁵ SHD GR1H3103 D2m C.A.O, carte des services sanitaire au Maroc.

³⁷⁶ Mohammed Guentari, p 297-298

³⁷⁷ خياط مصطفى المدعو مي الغوثي ، شهادة حية

سعت قيادة جبهة التحرير الوطني بفعل علاقتها المتميزة مع الحكومة المغربية الشقيقة التي فتحت ابوابها للجزائريين وسمحت لهم باستغلال المستشفيات المدنية لمعالجة الإصابات الخطيرة وسط جنود جيش التحرير وخاصة مبتدوري الإطراف ، فاستقبلت مستشفيات مكناس ، فاس والرباط العشرات من ضحايا المعارك الألغام³⁷⁸ في حين تحولت المدن الحدودية الى مراكز للنقاوه والراحة للمصابين والمعطوبين ، حيث تم اقامة مراكز الراحة بالمناطق الساحلية على غرار الرباط ، تيطوان ، القنيطرة ، السعيدية وكل مناطق المغرب الاسباني³⁷⁹ .

*.مستشفى موريس لوستو بوجدة (الفارابي حاليا)

حولت السلطات المغربية جزء هام من هذا المستشفى الى قيادة الثورة ، ما يؤكد قوة الدعم المغربي للثورة ، حتى عرف بمستشفى الفلاقة نسبة لكترة نزول المجاهدين للعلاج به³⁸⁰ ، ويقع بشارع بول دومر "Paul Doumer" ، حيث تم تخصيص جناح للتكميل بمعطوي الألغام ومبتدوري الأجسام الناجمة عن خط موريس يداوون فيه بصفة تفضيلية³⁸¹ ، وقد بلغت طاقة استيعاب الجناح المخصص للجرحى والمعطوبين مائة وأربعة عشر (114) سريرا يداوم فيه ثلاثة (03) أطباء دائمين تحت إشراف الدكتور عبد السلام الهدام ، وثلاثة (03) آخرون يقومون بزيارات وفحوصات للجرحى والمعطوبين من حين لآخر ، إضافة الى ثلاثة عشر (13) ممرضا وممرضة ، وكان يستقبل المغاربة والجزائريين الجرحى وفقا لما أدل به الملك محمد الخامس في خطابه خلال الزيارة التي قادته إلى مدينة وجدة شهر سبتمبر 1956³⁸² .

كان هذا المستشفى في البداية يستقبل إعدادا هاما من الجرحى والمعطوبين بداية سنة 1956 ، لكن بعد تأسيس المراكز الصحية لجبهة التحرير الوطني بالمغرب فقد تحول لعلاج الجنود دوي الإصابات الخطيرة ، خاصة ضحايا الألغام خط موريس³⁸³ ، حيث صار يقدم العلاج للمعطوبين من جهة ويقدم تكوينا في الجراحة الاستعجالية والتخصصية من ناحية اخرى ، فكان طلبة الطب المكونين في هذا المركز على أهبة الاستعداد لدخول الجزائر عند إي طاري³⁸⁴ ، حيث كان هذا المستشفى رائداً للتواجد به كل التخصصات بالإضافة إلى العمليات الجراحية التي كانت تقام ليتر أعضاء المتضررين من انفجار الألغام بالحدود ومعالجهم على يد جملة من الأطباء المختصين على رأسهم الدكتور عبد السلام هدام ، بوكيي حسن³⁸⁵ ، فارس ، رحال ، حسن لزرق³⁸⁶ ، محمد علواش ، عمر بوجلاب ، محمد أمير ، محمد وهران ، غوتي هدام ، عبد القادر بوخروفة ...³⁸⁷

هذا وقد استقبل مستشفى موريس لوستو دفعات كبيرة من الجرحى والمصابين على الحدود سواء عن طريق القصف على الحدود أو من خلال الإصابات بآلاف الألغام المزروعة بخط موريس ، والتي غالبا ما تجرى العمليات الصعبة والمعقدة وحتى ليتر الأعضاء المتضررة ، وعلاج ما يمكن علاجه خاصة وانه في بعض الأحيان كان أطباء المستشفى يستقبلون جرحى مبتدوري الأطراف تم بتreatmentهم من قبل ممرضين في الحدود بوسائل بسيطة على غرار المناشير دون تخدیر وذلك بموافقة

³⁷⁸ SHD GR1H3103:C.A.O. Organisation du service sanitaire. p1

³⁷⁹ SHD GR1H3103 D2:carte des services au Maroc

³⁸⁰ فاروق بن عطية، تقديم سعد دحلب ومصطفى مكاسي ، ترجمة: كابوية عبد الرحمن وسام محمد، الإعمال الإنسانية إثناء حرب التحرير 1954-1962 ، دار دحلب للنشر ، 2010، ص60

³⁸¹ محمد بوزيان بنعلي ، مرجع سابق ص229

³⁸² E.M.A.T:1H1594-D1:Maroc- aide logistique FicheN:AM13(3),28/09/1956

³⁸³- SHD GR1H3103 D2: Compas d'Alarmée D'Oran Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc -Oriental,28/07/1958 p2

³⁸⁴ توفيق بنو المغرب الأقصى والثورة الجزائرية ، رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر 2014/2015 ، جامعة وهaran ص125

³⁸⁵ E.M.A.T:1H1594-D1:Maroc- aide logistique FicheN:AM13(6),23/05/1957

³⁸⁶ أ.عائشة مرجع الدعم العربي للثورة الجزائرية 1954-1962:الجانب الصحي أنموذجاً، مجلة جبل العلوم الإنسانية ، عدد 35 ، أكتوبر 2017 ، ص 125
³⁸⁷ دحو ولد قابلية: شهاجدة حية

الجرحى لإنقاذ حياتهم³⁸⁸، ف يتم التكفل بهم من قبل الأطباء بالجناح الخاص بمستشفى موريس لوستو ، فقد كان هناك 400 جندي من جيش التحرير الوطني يعالج بمدينة وجدة سنة 1957، والأغلبية بمستشفى موريس لوستو³⁸⁹ وفي هذا الصدد يشير المجاهد المعطوب مصطفى خياط المدعو "سي الغوتي" انه بعد إصابته في انفجار لغم يوم 21 ماي 1961 لما كان بهم بعبور الحدود بمنطقة تویست القرية من سيدى بوذكر والمواجهة لقرية العابد وتسبب له في إصابة رجله اليسرى ، حيث نقل على جناح السرعة إلى مستشفى موريس لوستو بمدينة وجدة التي كانت تبعد على تویست بحوالي 30 كلم نحو الشمال أين أجريت له عملية جراحية تمثلت في بتر رجله اليسرى ومكث به مدة من الزمن في فترة نقاهة³⁹⁰، من جهة أخرى عالج العربي معمر المعرف ثوري باسم بن أحمد لمدة شهرين بمستشفى لوستو بعد إصابته بلغم ، كما تم معالجة السايج ميسوم بداية 1957 بعد إصابته في معركة وسط الأسلام الشائكة بنفس المستشفى³⁹¹، من جهته يشير العربي بن صفيه انه نقل إلى مستشفى لوستو بعد إصابته بلغم يوم 16/04/1958 من منطقة خليل قرب البويري ومكث هناك ثلاثة أشهر رفقة 12 من ضحايا الألغام الذين بترت إطرافهم في جناح للعلاج قبل التحويل إلى مدينة طنجة³⁹². من جانب آخر وأشار المجاهد محمودي حسين ، الذي أصيب بلغم في رجله اليسرى يوم 05 جويلية 1958 لما كان بهم بعبور الحدود ضمن فوج من المجاهدين لدعم الثورة عبر منطقة بوكانون وقد تم نقله على جناح السرعة إلى مستشفى موريس أيسطو بوجدة أين بترت قدمه وبقي هناك 03 أشهر للعلاج والنقاوة³⁹³ ، من جهة أخرى نقل المجاهد بالي بحسن إلى ذات المستشفى على خلفية إصابته بجرح بليغ في ساقه رفقة 03 من رفاقه في انفجار لغم مرفوق بقنابل مركز مراقبة قريب بعد كشف موقعهم قرب خط السكة الحديدية "وهران. بشار" سنة 1959 حيث قضوا 03 أشهر في العلاج قبل تسريره من الخدمة³⁹⁴ ، من جهة أخرى يشير المجاهد بعوش عبد الكريم انه نقل احد أصدقائه الذي أصيب بلغم إثناء عملية عبور للأسلام الشائكة نواحي بني درار إلى مزرعة صالح مختار ومنها إلى مستشفى لوستو للعلاج³⁹⁵ ، في حين يؤكّد المجاهد مهداوي الجiali انه أصيب رفقة مجاهد آخر يسمى عامري المختار من مسيرة بجروح بليغة في انفجار لغم لما كانوا يحاولون عبور الحدود يوم 1961/04/04 حيث تم نقلهما إلى مستشفى موريس لوستو بوجدة من قبل المجاهد لزعر محمد المدعو "القمرة" أين توفي المجاهد عامري هناك متاثرا بإصابته البليغة في حين تم بتر رجله اليسرى³⁹⁶.

ومن هنا نرى إن مستشفى موريس لوستو تحول إلى أحد أهم الأقطاب الصحية المتخصصة للتكميل بضحايا الألغام الذين ينقلون إليه من مختلف المناطق الحدودية ، حيث كان به جناحا خاصاً ببتر الأعضاء المتضررة ، وإجراء العمليات الجراحية المعقدة وتقويم الأعصاب، بالإضافة إلى التكفل النفسي بالضحايا خلال فترة النقاهة التي تتراوح بين الشهرين والثلاثة أشهر حسب نوعية الإصابة ، حيث كان يشرف عليهم طاقم طبي مختص بقيادة الدكتور عبد السلام الهدام، هذا وقد ساهمت التسهيلات التي قدمتها السلطات المغربية في تسهيل عملية العلاج ، حتى كان في بعض الأحيان يمتحن علاج

³⁸⁸ . فاروق بن عطية ، مرجع سابق ص 59³⁸⁹ - 1H1594-d1 : Maroc. Aïd logistique, Fiche N : A.M 13(1)-12.05.1957³⁹⁰ . مصطفى خياط مصدر سابق³⁹¹ . محمد بوزيان بنعلي ، مرجع سابق ، ص 231³⁹² . بن صفيه العربي شهادة حية³⁹³ . محمود حسين شهادة حية³⁹⁴ ص 91³⁹⁵ . محمد بوزيان بنعلي ، مرجع سابق ، ص 235³⁹⁶ - مهداوي الجiali شهادة حية

الجنود مع المدنيين³⁹⁷ وهذا بفعل جهود المغرب الشقيق وعلاقاته مع قيادة الولاية الخامسة التي كانت توجه جرحى الاشتباكات داخل أسلاك الألغام وانفجاراتها إلى ذات المستشفى ، حيث استقبل مستشفى لوستو بيوم 1957/01/04 العديد من الجرحى أصيبوا في اشتباك داخل الأسلال الشائكة على حدود تلمسان³⁹⁸ ، كما استقبل ذات المستشفى العديد من كبار أعضاء جيش التحرير الوطني على غرار مختار بوزيدي المعروف باسم عقب الليل سنة 1956³⁹⁹ ، وعبد الحفيظ تير شهر ديسمبر 1959 ، حيث تم علاجه من قبل الدكتور قلوش⁴⁰⁰ .

المراكز الصحية الخلفية بالمغرب :

سمحت السلطات المغربية لقيادة الولاية الخامسة بالمغرب بتأسيس العديد من المراكز والقواعد الصحية الخلفية لعلاج المصابين الذين تزداد عددهم بقوة بفعل إقامة خط مورييس سنة 1957 وتحصيناته من الألغام وكهرباء بالإضافة إلى تأثيرات مراكز المراقبة المدعومة التي تقدر بـ 40 مركزاً من مرسي بن مهيدى إلى بشار والمزودة بالمدافع والرشاشات ، والتي ضاعفت من عدد الجرحى والمصابين⁴⁰¹ ، ومن أهم هذه المراكز نجد :

*-قاعدة بن مهيدى :

تعد من أكبر المراكز الذي خصصها المغرب لصالح الثورة بعد سنة 1959 ويسمى أيضاً بالقاعدة رقم 15 ، حيث كان في البداية يقع في مبني داخل أحد الجزائريين بوسط مدينة وجدة تقع بالقرب من طريق الدار البيضاء ، وتسمى بدار الملحاوي⁴⁰² وذكر أيضاً إن ملكية المسكن تعود لل الحاج بن بلة حسين عم احمد بن بلة والذي تبلغ طاقة استيعابه حوالي 400 شخص⁴⁰³ ، استعملت كمركز للعبور كما كان يضم مستوصفاً صغير لاستقبال الجرحى ضمن المنزل الذي كان مخصص للإعمال السياسية لقيادة ، حيث كان يضم مكاتب مختلفة لتسجيل معلومات اللاجئين بالمغرب ، توفير العتاد والعدة والملابس العسكرية ، كان يشرف عليه "سي عقبة" بمساعدة الملازم الأول "عبد الواحد" والمساعدين "عبد الله" و"سي الجيلالي"⁴⁰⁴ ، وقد تم نقل هذا المركز خلال شهر ابريل من سنة 1959 إلى مخيم خاص بالجيش بالقرب من قرية قلوش شمال وجدة على يسار الطريق المؤدي إلى مدينة وجدة ، وينقسم المخيم إلى قسمين ، حيث كان الجزء الأكبر منه مخصص لعبور الجرحى من ضحايا الألغام والمصابين داخل مورييس ، قبل تحويلهم إلى مستشفى لوستو بوجدة أو المدن الداخلية ، حيث استقبلت سنة 1961 حوالي 700 و 800 شخص من المصابين و ضحايا الألغام واللاجئين⁴⁰⁵ .

كانت القاعدة تحوي على مستشفى وعيادة للجراحة يشرف عليه الدكتور علواش ، بمساعدة الدكتور زيري ، و 10 مرضى ، كما ضمت قاعة للتمريض ، قاعة الفحص ، قاعة الانتظار، قاعة العلاج وصيدلية للإسعافات الأولية والاستعجالية في حين كانت تحول الإصابات الخطيرة إلى مستشفيات المغرب⁴⁰⁶ .

³⁹⁷ SHD GR1H3103:C.A.O. L'hôpital Lousteau;06/02/1960

³⁹⁸ - SHD GR1H3103:C.A.O;04/01/1957

³⁹⁹ E.M.A.T:1H1594-D1:Maroc- aide logistique FicheN:AM13(2),26/09/1956

⁴⁰⁰ SHD GR1H3103:C.A.O. L'hôpital Lousteau;06/02/1960

⁴⁰¹ - شهادة حية ، مع المجاهد دحو لولد قابيلية⁴⁰¹ من خلال محاضرة في مركز الجيش

⁴⁰² لحسن بوزيدي ، عقب الليل وثورة داخل ثورة ، مرجع سابق ص 97

⁴⁰³ - SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -"Camps et bases de L'A.L.N. la base15 p10

⁴⁰⁴ - SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -"Camps et bases de L'A.L.N. la base15 p11

⁴⁰⁵ - SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -Camps et bases de L'A.L.N. la base15 p13

⁴⁰⁶- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs;le FLN au Maroc -"Camps et bases de L'A.L.N. la base15 p15

*. مركز بني درار:

هو مركز شبه عسكري خصصته السلطات المغربية للثورة بمنطقة بني درار 15 كلم شمال وجدة على الطريق المؤدي إلى مدينة أحفير يختص في التدريب العسكري للجنود ويحوي مستوصف لعلاج الجرحى من أعضاء جيش التحرير ، والذين كان اغلبهم من ضحايا المعارك بالولاية الخامسة خصوصاً ومعطوبى الألغام خط موريس الذين يحتاجون إلى التدخل العاجل على الخصوص بصفته مركزاً قريباً من الحدود في مواجهة منطقة بوكانون⁴⁰⁷.

ينقسم هذا المركز إلى عدة أجزاء منها غرف الجنود ومستوصف العلاج⁴⁰⁸، ومستوصف كما تفرض فيه نظام قوياً حيث لا تمنع عطل للجنود أو المقيمين بداخله باستثناء الاتصال بالأقارب⁴⁰⁹

*. مركز ملوية :

بدأ هذا المركز في النشاط اثره منحه من قبل سلطات المملكة المغربية لفائدة إطارات الثورة التحريرية بالمغرب على خلفية ارتفاع عدد الضحايا على الحدود الغربية وخاصة وسط أسلاك خط موريس ، حيث فتح أبوابه شهر ديسمبر من سنة 1957 ، ويقع على بعد 20 كلم غرب في مزرعة مواطن جزائري يدعى "مصطفي بلجاج" الكائنة بدار جباره ، وكان هذا المركز سيجمع بين التكوين والتدريب الصعي والعسكري ، بالإضافة إلى النشاط الصحفي بجريدة المجاهد ، كما كان يحتوي على عيادة للتكميل بالجرحى يشرف على المركز المدعو عبد الله محمود ، وبالإضافة إلى نشاط التطبيب ومعالجة المصابين والجرحى ومبتوري الأجساد عمل هذا المركز على التكون الطبي ، حيث كان يتم التكفل بالمتخصصين في مجال الصحة القادمين من مختلف أنحاء الولاية الخامسة⁴¹⁰.

*. مركز برakan :

تسمى أيضاً باسم قاعدة لطفي ، وهي عبارة عن مركز محصن يقع داخل مزرعة تابعة لشخص يدعى ولد بلجاج بمنطقة قرابة الفاكة⁴¹¹ قريباً من برakan في الشرق المغربي⁴¹² ، ويحتل مساحة هامة منها ، ويسمى أيضاً "مستشفى ليد أو centre CR2" ، وهو مختص لاستقبال الجنود ، وكان يشرف عليه الدكتور خاطي⁴¹³ وكان مختص في تقديم الإسعافات الأولية للمصابين من الجنود المصابين الذين ينقلون إليه من الحدود وأغلبهم من ضحايا الألغام أو قصف المراكز داخل خط الأسلاك الشائكة، كما كان يستقبل أسبوعياً فريقاً من المختصين في طب العيون وجراحة الأسنان ، في حين كان يستقبل الجنود الذين يتعرضون إلى الضغوط النفسية خاصة مبتوري الأعضاء والمصابين بإصابات بليغة ، وكان ذلك في

⁴⁰⁷ FR.CAOM/ORAN151:Brigade Des R.G De Mernia N: 1064:Note de renseignement Activité FLN au Maroc - d'un centre paramilitaire utilisées par les rebelles dans la région d'Oujda;10-12-1957

⁴⁰⁸ - SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs ;le FLN au Maroc ;plan de Beni- Drar

⁴⁰⁹ -SHD GR1H3103 D2: C.A.O; Centre d'instruction de Beni- Drar, Septembre1960

⁴¹⁰ SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs;le FLN au Maroc -Camps et bases de l'A LN Camps de Moulouya:05/04/1960 p 1-2

⁴¹² - SHD GR1H3103 D2:Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme}Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Orientel ,28/07/1958 p8

. محمد بوزيان بنعلي ، مرجع سابق ، ص246⁴¹³

جناح خاص يشرف عليه الأخصائي النفسي "فراز فانون"⁴¹⁴، الذي كان يشرف على المرضى ويعد لهم علاجاً نفسياً سيتمثل في النوم لمدة 03 أسابيع أو دوريات علاجية بشاطئ السعيدية على شكل عطل ، كما كان يعمل على عرض أفلام ترفيهية ، أو مباريات رياضية لخلق جو من المرح وأبعاد الكآبة ، وكان جنود الإشارة أكثر الجنود تعرضاً للضغوط النفسية وكذا ضحايا الألغام من مبتدئي الأجسام.

*. مركز فيقيق :

منحت السلطات المغرب هذا المركز لقيادة الثورة بالقواعد الخلفية الجنوبية لعمالة وجدة في مدينة فيقيق المقابلة لمدينة بني ونيف شمال بشار على الخط الحدودي بين الجزائر والمغرب ، لينطلق العمل به بعد ارتفاع عدد الضحايا على الحدود بفعل العام خط موريس والاشتباكات التي تقع به ، حيث فتح أبوابه شهر أكتوبر سنة 1959 ، حيث كانت ينقل إليه المصابين من المنطقة الثامنة خاصة بشار والعين الصفراء ، و80 بالمائة من الإصابات الناتجة عن ألغام خط موريس أو اشتباكات وقعت داخله أو بجواره بجبال عين الصفراء وبشار ، وكان هذا المركز يحوي أسرة تسع لـ 300 جريح أو مصاب⁴¹⁵ ، وكان به الدكتور "حسان لزرق" والدكتور "سعيدي" بالإضافة إلى ثلات ممرضات وهن : خديجة ، سامية ونضيرة واللواتي كان يشرفون على الجرحى للعلاج ، كما كان يستغل هذا المركز للراحة والناهاة لضحايا الألغام ومبتدئي الأجسام جراء الألغام ، قبل نقلهم إلى المناطق الداخلية أو الدول الصديقة للعلاج.

*. مركز برقت :

يقع هذا المركز على بعد 83 كم جنوب مدينة وجدة على الطريق المؤدي إلى فيقيق ، ويقع على بعد 30 كم عن الحدود ، وهو مركز عسكري سلمته السلطات الغربية لقيادة الثورة لاستغلاله عسكرياً لكنه كان يحوي مستوصف في منزل مبني على الطريقة الأوربية ، حيث كان يتكلف بمعالجة جرحى ومصابي خط موريس الشائك تحت قيادة الدكتور "قادة"⁴¹⁶ ، وكانت سعته أصغر بكثير من مركز فقيق لأنه كان عبارة عن مركز عبور عسكري للقوافل الخاصة بالإمدادات المختلفة القادمة من الداخل نحو المنطقة الأولى من الولاية الخامسة ، وتقيم فيه فرق مختصة في عبور وتخريب الأسلاك الشائكة ما جعل الجرحى المعالجين بهذا المركز من ضحايا خط موريس وألغامه ، في أول مرة قبل تحويلهم إلى المراكز المختصة أو مستشفى لوسطو بوجدة .

*. مركز تيولي :

يقع هذا المركز على الطريق الرابط ما بين وجدة ومنطقة سيدي عيسى بالقرب من الحدود الجزائرية المغربية وبمحاداة جبل عصفور ، وهو عبارة عن مركز صحي صغير مختص في استقبال الجرحى من جنود جيش التحرير الوطني الذي تحصل عليه من قبل سلطات عمالة وجدة ، و يعد من أنشط المراكز الصحية خاصة بعد سنة 1957 بفعل وقوعه في مركز عبور لخط موريس ، الذي تضاعف عدد ضحاياه بعد تدعيمه بالألغام والكهرباء ، كان هذا المركز مختص في تقديم التدخلات الاستعجالية الأولية لإيقاف النزيف قبل تحويلهم إلى مستشفى لوسطو للتكميل بهم ، وكان هذا المركز عبارة

⁴¹⁴. فرانز فانون: ولد عام 1925 بجزر المارتينيك ، طبيب نفسي وفيلسوف اجتماعي ، عرف بنضاله من أجل الحرية ضد التمييز ، والعنصرية ، ويعتبر من اكبر المناصرين للثورة الجزائرية توفي عام 1961.

⁴¹⁵- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs;le FLN au Maroc -"Camps de Figuig

⁴¹⁶- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs;le FLN au Maroc Organisation locales, berguent

عن مركز متقدم للعبور الصحي ، يشرف عليه بعض الممرضين وتقل فيه الإمكانيات لكنه يتميز بالتنظيم مما يسمح بتقديم التدخلات الاستعجالية خاصة للمصابين بالألغام خط موريis أو بشظايا القذائف الآتية من المراكز المحاذية⁴¹⁷.

*.مركز العرياش (C. I. I.)

ويسمى أيضا بمركز بوصافي ويقع في مزرعة إسبانية قديمة على طريق "تليتا ريسانا" التي تبعد بـ 14 كم شرق مدينة العرياش الساحلية الواقعة في أقصى شمال غرب المغرب ، وتمتد على ضفاف المحيط الأطلسي ، كان هذا المركز هذية من سلطات المغرب ليكون مركز عسكري يجمع بين التدريب العسكري والتكتوين والتاطير الصحي⁴¹⁸ ، حيث كان المركز يستقبل بين 250 و 300 مريض في مجال التمريض ، كما كان به عيادة تستقبل الجنود المصابين ومبتوري الأعضاء⁴¹⁹ ، حيث تضمن اقامتهم ، اين كان يشرف عليهم الدكتور محمد أمير بن عيسى ، وكان المركز مختص في معالجة المصابين في العمليات العسكرية والألغام وتكوين المتربيين في كيفية معالجتهم و التدخل لاستعجال ، وكان يفرض نظاما قاسيا وينهى الاتصال والاحتکاك بالخارج وينطلق اليوم بالاستيقاظ على الـ 5:30 سا و يستمر إلى النوم بعد المناداة في حدود 21:00⁴²⁰

*.مركز الكبداني :

يعتبر من اكبر المراكز مساحة أسس سنة 1959 يمزج بين التكتوين والتدريب العسكري والتكتف الصحي ، حيث شمل مصلحة صحية هي عبارة عن مستوصف صغير⁴²¹ بداخل المركز وجناح للتمريض

يقع هذا المركز شمال المغرب الأقصى أو ما كان يعرف بالمغرب الإسباني بمنطقة كيدانة التابعة لمنطقة الناظور التي عرفت بأهم منطقة للدعم الخلفي للثورة ، حيث سلمت السلطات المغربية هذا المركز ليكون مقر للأمانة العامة للتدريب وتكوين جنود جيش التحرير الوطني بالشروع المغربي، حيث كان يضم 09 مراكز للتدريب وفي مختلف التخصصات⁴²³ ، كان يستقبل الجرحى والمصابين خاصة مبتوري الأجساد ، خصوصا من القادة وإطارات الثورة الذي عالج الكثير منهم بالمركز نظرا لما كان يحتويه من مخازن مهمة من مختلف الأدوية ، الأسلحة والذخيرة والمعدات وكان يتزود منها جيش التحرير الوطني ومراكز التدريب والتكتف الصحي⁴²⁴ .

* مركز الصحة العسكرية بزنغان:

أسس هذا المركز الذي يقع بالريف المغربي او ما يعرف بالمغرب الإسباني⁴²⁵ على أنقاض ثكنة إسبانية تقع بين الناظور وبركان منتها السلطات المغربية للثورة ، من قبل الدكتور محمد أمير بن عيسى ، وضم هذا المركز بالإضافة إلى أجنحة

⁴¹⁷ - SHD GR1H3103 D2:Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme}Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Orientel ,28/07/1958 p2

⁴¹⁸ SHD GR1H3103 D2: C A O, Centre d'instruction de larache Septembre 1960.

⁴¹⁹ SHD GR1H3103 D2 Corps -D'Armée D'Oran ; Organisation du FLN - ALN du Maroc ,Centre d'instruction de Larache Septembre 1960

⁴²⁰ SHD GR1H3103 D2 Corps -D'Armée D'Oran ;Organisation du FLN - ALN du Maroc, Centre d'instruction de larache, Octobre 1961

⁴²¹ -SHD GR 1H3103 D2: C.A.O, Camp de Segangane- Camp de Kebdani carte des services sanitaire au Maroc.

⁴²² SHD GR1H3103 D2:Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme}Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Orientel Jun1961

⁴²³ SHD GR1H3103 D2:Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme}Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Orientel ,28/07/1958 p4

⁴²⁴-SHD GR 1H3103 D2: C.A.O, FLN a Nador

⁴²⁵ SHD GR1H3103 D2 Corps- D'Armée D'Oran ;Organisation du FLN - ALN du Maroc -Centre d'instruction de Sgangane1961.

التدريب العسكري ، المدرسة العسكرية للمرضى ، التي اشرف عليها الدكتور أمير وتمكن من الإشراف على 850 مريضا في ظرف 03 سنوات (1959-1962) موزعين على 07 دفعات⁴²⁶ ، وهم مرضى عسكريون مختصون في التدخل إثناء الحرب ويتألفون مع متطلباتها ، من خلال التركيز على جانب علاج الجريح ، كما كانت هذا المركز يحتوي على عيادة طبية تستقبل الجرحى والمصابين والمعطوبين والتكميل بهم خاصة معطوب الألغام ومبتوري الأجساد الذين كانوا يتلقون عناية خاصة⁴²⁷

*- مركز الخميسات :

بعد هذا المركز من الواقع الداخلي ومنحه المغرب لقادة الثورة سنة 1957 ليقام داخل مزرعة تعود ملكيتها لمواطن جزائري تقع على الطريق ما بين مدینتي الرباط ومكناس ، كانت في البداية مركزاً للتدريب العسكري تم تحول إلى مركز أيتام يتکفل بالعناية الاجتماعية بأبناء الشهداء ، لكن مع ارتفاع عدد الضحايا خاصة بعد إقامة خط موريس وكثرة ضحايا الألغام خصوصاً خلال سنوات 1958 و 1959 و 1960 تحول المركز إلى التكفل بضحايا الألغام ومركز للراحة والنقاهة بعد إجراء عمليات جراحية في المستشفيات على غرار مستشفى موريس لوسطو في وجدة ، ليتحولوا لاتمام العلاج بمركز الخميسات ، أين كان يشرف عليهم الدكتور بن حمو الذي كان يعمل بمنطقة تسمى تفليت⁴²⁸.

*- مركز الديوان :

يقع هذا المركز شمال مدينة وجدة في الطريق المؤدي إلى مدينة أحفير، منحته السلطات الفرنسية إلى قيادة الثورة وهو يتمركز بقرية صغيرة تسمى الديوانة التي تبعد عن أحفير بـ 15 كلم ، وهي محاذية للحدود الجزائرية المغربية ، وهو مركز عسكري زاوج بين التدريب وتمرين عناصر الجيش لخط موريس ، لكنه كان مركز تدخل صحي استعجالي يتکفل بالعناية الصحية لجنود جيش التحرير الوطني ، وهو مختص في التدخلات الاستعجالية لضحايا الألغام والاشتباكات التي تقع على الحدود أو بالقرب منها ، حيث يقدم التدخل الأولي قبل نقل الجريح إلى مستشفى لوسطو⁴²⁹

*- مركز سيدى يحيى :

هو مركز صغير منحه السلطات المغربية للثورة ويقع هذا المركز بمنطقة سيدى يحيى 06 كلم جنوب وجدة على مقربة من الحدود الجزائرية المغربية ، وهو عبارة عن مركز لتقديم الإسعافات الأولية للضحايا والجرحى من جيش التحرير الوطني المصابين في معارك الحدود وعباري خط موريس القريب من المركز وارتقت طاقته إلى حوالي 35 شخص يوم 1958/07/01⁴³⁰.

*- مركز سيدى بوذكر:

هو مركز متقدم يقع على الحدود الجزائرية المغربية الجزائرية ، تقع في مقابل جهة سيدى الجيلالي الجزائري ، على بعد 30 كلم جنوب عمالة وجدة ، تم تأسيسه من قبل مجموعة الأطباء الجزائريين الذين على اقرب نقطة من الحدود من أجل التكفل بالمصابين والجرحى الذين تزايد عدهم بالمنطقة نتيجة لمخاطر خط موريس في هذه المنطقة القريبة من جبال

⁴²⁶ SHD GR1H3106: Liste Alphabétique Mohamed Amir Benissa.

⁴²⁷ Mohamed Amir Benissa p142

⁴²⁸ SHD GR1H3106:C.A.O.;Liste Alphabétique des membres connus du FLN au Maroc- barkat.

⁴²⁹ - SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -"Cam de Diouana - Maroc.

⁴³⁰ - SHD GR1H3103 D2:Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{ème}Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Oriental ,28/07/1958 p2

عصفور الذي كان أهم مناطق العبور لعناصر التحرير الوطني وقوافل الأسلحة ، وكان هذا المركز متخصص في تقديم الإسعافات الأولية للجرحى وضحايا الألغام بصفة أولية بالإضافة إلى علاج الجروح الخفيفة في حين تحول الإصابات الخطيرة إلى مستشفى موريis لوستو⁴³¹

*. مركز تندرارة :

يقع هذا المركز في الجنوب الشرقي للمغرب ، جنوب عمالة وجدة ويتمركز في إقليم فقيق القريب من بشار ، وهو مركز خاص بالتدخل الاستعجالي الأولي للمصابين في الحدود خاصة الأسلاك الشائكة والألغام والمعارك الواقعة بالقرب من الحدود، كان يشرف على المركز الدكتور "كاستور" الذي كان يأتي من مركز برقت القريب ، بالإضافة إلى بعض المرضين الدائمين بالمركز الذي يعد من أصغر المراكز⁴³².

*. عيادة الدكتور هدام عبد السلام ، والعيادات الخاصة :

أمام ارتفاع عدد ضحايا الألغام والمعطوبين بداية من سنة 1957 ، أصبح الأطباء في المغرب يعيشون ضغطاً رهيباً وأصبح العمل في مستشفى موريis لوستو بوجدة غير كاف ، وإنما حولوا عيادتهم الخاصة ، لمواصلة عملهم وندرو أوقات فراغهم للعمل الإنساني داخل عيادتهم والتكفل بالجرحى والمصابين ، وفي مقدمتهم الدكتور هدام عبد السلام الذي كانت عيادته قرب الملعب البلدي لوجدة في آخر نهج الدار البيضاء⁴³³ ، وكان الدكتور لزرق حسان من أوائل الأطباء ممن التحقوا بهذه العيادة ، التي كانت إضافة إلى معالجة الجرحى وإقامة العمليات الجراحية لإزالة شظايا الألغام والمتفجرات ، كما كانت تعمل على تكوين الأطر الطبية⁴³⁴ ، فكان يشرف على التكوين الدكتور برگات سليمان⁴³⁵ الذي عمل بعيادة الهدام لمدة سنة في معالجة المرضى وتكوين المرضين والأطر الطبية بمعية كل من الدكتور حسن لزرق وهدام عبد السلام وذلك بعد نهاية الدوام إي الساعة 15 مساءً ، حيث يدوم التكوين شهر كاملاً ، يشمل بين التكوين النظري والتطبيقي ، ومكنت العملية من تكوين 03 دفعات أخرىها كانت ربيع 1959 وحول إطارتها إلى الداخل بمختلف إتجاه الولاية الخامسة⁴³⁶ ، هذا وقد ساهمت عيادة الدكتور هدام في رفع عدد الممرضين والمشرفين الطبيين نتيجة قلة مدة التكوين التي تزيد عن شهر

- التكوين الصحي في القواعد الخلفية :

أمام ارتفاع عدد الجرحى والمعطوبين نتيجة للاشتباكات والانفجار داخل خط موريis بالغرب الجزائري ، زاد الطلب على المختصين الطبيين من أطباء وممرضين ، الأمر الذي دفع قيادة الثورة بالمغرب إلى استحداث مراكز لتكوين الإطارات الطبيين وخاصة الممرضين بالعديد من المدن المغرب أهمها:

*. مدارس التكوين الصحية :

⁴³¹ - FG.CAOM- ORAN 92-272 Note des RG sur la presse étrangère (notamment marocaine),Hôpital pour terroristes algériennes à Boubekeur (Maroc).27/09/1956.

⁴³² - SHD GR1H3103 D2:Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme}Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Oriente ,28/07/1958 p2

⁴³³ . هذه العيادة لم يبقى لها وجود اليوم ، إنما أقيمت على أنقاضها بناء حديثة من عدة طوابق ، ينظر محمد بوزيان بنعلي ص . 242.

⁴³⁴ SHD-GR1H3103.D2:C.A.O;A.L.N/Maroc ,Juin 1961

⁴³⁵ SHD :GR1H3106 :Liste Alphabetique, BARKATE

⁴³⁶:SHD-GR 1H3114, D1: Corps d'Armée D'Oran ;Le F.L.N Au Maroc .Stage d'instruction ,p 5.

في بداية الثورة التحريرية كانت الثورة تعتمد على الأطباء المتخرجين من المؤسسات العلمية العليا في الجامعات الغربية خصوصاً للعمل في المراكز الصحية التي كانت منتشرة بالجهة الشرقية للمغرب، إلا إن المرضي الذين كانوا يعملون بهذه المراكز قد تلقوا تكوينهم في مدارس وجدة واكتسبوا الخبرة من خلال التجارب وقليل منهم من تخرج من غير هذه المدارس ومن أهم المدارس:

*.مدرسة تكوين المرضي:

لقد اختلفت الدراسات حول تاريخ تكوين المرضي في الإدارة العامة للتدريب بالمغرب فهناك من يرجعها إلى سنة 1958 تحت إشراف كل من الدكتوران علواش و خروبي بمنطقة وجدة⁴³⁷، في ترجمتها دراسات أخرى إلى تاريخ تخرج أولى الدفعات في نوفمبر 1959⁴³⁸، وكان عدد أفرادها 44 طالباً ، 37 منهم انها تدربيهم كاملاً من بين أفرادها النقيب تركيبة خصيرة الذي يوصف عميد الدفعه ، والذي تولى في ما بعد مسؤولية المساعد المكلف ، هذا وقد تخرجت 05 دفعات تضم 226 مريضاً من هذه المدرسة على رأسهم 45 تلقوا تكويناً أولياً فقط ، وكانت تتواجد هذه المدرسة في مدينة العرائش لكنها تابعة لمركز التدريب بوصافي⁴³⁹ ، حيث كان الطلبة المرضيون في المدرسة نفسها بمعدل ثلاثة (03) أيام في الأسبوع ، يتلقون بعدها راجلين إلى مركز بوصافي لتلقي دروس عسكرية (نظيرية وتطبيقية) ، بالإضافة إلى دروس سياسية وطنية ، إيديولوجية على يد المحافظ السياسي للمركز، كما يتلقون دورساً في التربية الرياضية واللياقة البدنية على يد الضابط المكلف بذلك⁴⁴⁰ ، كان على رأس هذه المدرسة الدكتور محمد أمير بن عيسى⁴⁴¹.

تم تحويل هذه المدرسة إلى مركز زغنهن في شهر أبريل سنة 1961 (بعد 04 أشهر من افتتاحه)، حيث عرفت هذه المدرسة تطوراً كبيراً وأظهرت نشاطاً أكبر وحصلت على نتائج علمية هامة ، وتميزت هذه المدرسة بتغيير المدرب العسكري ومساعده مع كل دفعه ، وكان الطلبة يؤدون ليمين القانونية خلال التخرج ويتوزعون مليئتين من دمهم ويجمعونها في كوب جماعي ويستعمل كحبر يمضي به كل طالب متربص على محضر اليمين القانونية⁴⁴².

*- مدرسة المرضي ببركان :

أسست هذه المدرسة سنة 1956 وسميت بمدرسة المرضي والمساعدين الاجتماعيين ، كانت هذه مهمة هذه المدرسة تعمل على تلبية حاجيات الولايات الأخرى في مجال الصحة، وتخرج من هذه المدرسة عناصر كثيرة زاولوا أعمالهم في صفوف المجاهدين ومراكز اللاجئين ، وقد تكون هي نفسها المسمى مركز التعليم "C.I.B" التي تم إنشاؤها في ضيعة أحد الجزائريين⁴⁴³ .

⁴³⁷.. محمد بوزيان بنعلي ، مرجع سابق ، ص 250

⁴³⁸.. محمد مصطفى طالب ، من أيام حرب التحرير 1954-1962،المديرية العامة للتدريب ،الغربية، ج 1 ، مرجع سابق ص 77

⁴³⁹.. محمد مصطفى طالب شهادة حية مصدر سابق

⁴⁴⁰.. محمد مصطفى طالب ، من أيام حرب التحرير 1954-1962،المديرية العامة للتدريب ،الغربية، ج 1 ، مرجع سابق ص 79.

⁴⁴¹.. الدكتور محمد أمير بن عيسى: من موايد سيدي بعلباس في 8 أكتوبر 1926 أين تابع دراسته إلى غاية المرحلة الثانية قبل أن يلتحق بجامعة باريس أين تحصل على شهادة الدكتوراه في الطب ليحضر بعدها اختصاصاً في أمراض القلب يعتبر من أقدم متخصصي حزب الشعب الجزائري وحركة انتصار الحريات الديمقراطيّة. كما كان منخرطاً في الكشافة الإسلامية الجزائرية من 1941 إلى 1950 يتحقّق بالثورة بفرنسا حيث جند الطلبة وتحول إلى المغرب أين أسس المدرسة الشبيه طيبة بالإدارة العامة للتدريب العسكري وشغل منصب طبيب رئيسي في هيكل الصحة التابعة للقايدة الحدويدة الغربية وبعد الاستقلال عين في مناصب عليا عديدة من بينها مدير عام للصحة العسكرية وأمين عام لرئاسة الجمهورية (1970-1977) وزير العمل والتكون المهني (1977-1979) ورئيس مجلس المحاسبة (1980-1983)، وافتته المنية يوم 25 ديسمبر 1990 عن عمر يناهز 64 سنة.

⁴⁴².. محمد مصطفى طالب ، من أيام حرب التحرير 1954-1962،المديرية العامة للتدريب ،الغربية، ج 1 ، مرجع سابق ص ص 81-80

⁴⁴³.. محمد بوزيان بنعلي ، مرجع سابق ، ص 251

هذا واحتوى هذا المركز على قاعة للعلاج والتمريض ، صيدلية وقد لعبت المدرسة دورا فعالا في التكفل السريع بالجرحى من ضحايا ألغام خط موريس خلال الثورة التحريرية والتكفل بتوفيق النزيف قبل تحويلهم إلى مصالح الجراحة العامة بمستشفى موريس ليستو ، وكان يشرف على هذه المدرسة الدكتور خاطي ، وكان يزورها عدة أطباء في مختلف التخصصات.⁴⁴⁴

*. المدرسة العسكرية للممرضين:

ظهرت هذه المدرسة في نهاية الثلاثي الناي من سنة 1959 ، وعلى الأرجح خلال شهر سبتمبر⁴⁴⁵ ، وكانت موزعة على ثلاث مراكز وهي: بوصافي الواقعة قرب منطقة العرائش ، وزغنون قرب الناظور ، ومركز القيادة الخاص بالولاية الخامسة في بن مهidi ناحية وجدة ، وكانت هذه المدارس الثلاث تكون ممرضين من نوع خاص ، وهم المتخصصين في التدخل ميدانيا لعلاج جراح الضحايا على الشريط الحدود خلال المعارك وانفجار الألغام ، خاصة وسط خط موريس الشائك ، حيث كان المرض يلعب دور الطبيب المعالج والجراح المختص ، خاصة في الأوقات الحرجة عند التدخل لبتر جزء من الجسم ، هذا وقد تكون هؤلاء الممرضين تكوينا طبيا كاملا ، بالإضافة إلى تكوين في الإسعافات الأولية ، كما تلقوا تكوينا عسكريا ، حيث يتحول المرض إلى جندي في وقت الحرب، نتيجة لتكوين العسكري الذي يتلقونه بالمدرسة⁴⁴⁶.

*. المدرسة الطبية :

أسسها الدكتور أمير محمد بن عيسى وتسعى أيضاً بالمدرسة شبه الطبية ، وكانت تابعة للإدارة العامة للتدريب وبادرت نشاطها سنة 1959 ، واختصت في تكوين الأطر الطبية تلبية لسد النقص الذي كان يعاني منه القطاع نتيجة لارتفاع عدد الضحايا ومبتدئي الأجساد على الحدود بفعل ألغام خط موريس وكانت أكثر من 800 ممرض، وتمكنت هذه المدرسة من تكوين 05 دفعات متخصصة ضمت 226 ممراضا بالإضافة إلى 40 آخرين أُحدوا تكوينا أوليا في التدخلات الأولية فقط (des Secouristes)، بفعل المشاكل التي واجهت الدفعة الأولى التي تخرجت في شهر نوفمبر من سنة 1959 حيث كانت تتكون من 44 ممراضا لم يكمل التكوين إلا 37 منهم⁴⁴⁷

5- الدعم الإعلامي والتعریف بالقضية الجزائرية:

لقي النشاط الإعلامي للثورة الجزائرية تشجيعا مميزا في المغرب الأقصى، حيث وفرت سلطاته كل التسهيلات لتأهيل هذا النشاط، وأكّدت مختلف وسائل الإعلام والتعبئة المغربية اهتمامها بالقضية الجزائرية ومرافقتها عن الثورة الجزائرية وشجعها للسياسة الفرنسية. وبذلك وفرت السندي الإعلامي الكافي، لاطلاق الرأي العام المحلي والدولي بتطورات القضية الجزائرية" وقد ظلت شعوب المغرب ومنظماتها الجماهيرية تعبر عن تأييدها المادي والمعنوي للثورة الجزائرية وتناصر باستمرار أهدافها ومبادئها التحريرية، وكانت تبرز بقوة حملات التضامن مع الجزائر تساهُم فيها الأحزاب والجماهير، والمنظمات النقابية العمالية والطلابية والتسوية، مما يؤكّد بشكل قاطع تفاعل جميع فئات شعوب المغرب مع دعم ومؤازرة القضية الجزائرية ومما سبق يبدو لنا أن الثورة الجزائرية لقيت أشكالاً مختلفة من الدعم والمؤازرة من قبل شعب وحكومة المغرب كانت لها خير معين على تقوية نفوذها ومجاهدتها المستعمر حيث لعبت الإذاعة المحلية التي كانت بدار

⁴⁴⁴. عبد الله مقلاتي نشاط الثورة الجزائرية في المغرب الأقصى (1954-1962)، ط1، دار العلم والمعرفة ،الجزائر ، ص ص 218-216

⁴⁴⁵. محمد بوزيان بنعلي ، مرجع سابق ص 250.

⁴⁴⁶. توفيق بربو ، المغرب الأقصى والثورة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 256

⁴⁴⁷. محمد مصطفى طالب ، من أيام حرب التحرير (1954-1962) المديرية العامة للتدريب ، مرجع سابق ص ص 77-81

الكبداني دورا فعالا في التعريف بالقضية الجزائرية⁴⁴⁸. كما عرفت المغرب خلال هذه الفترة ظهور نشاطات جديدة وسط القيادة بالترب المغربي والتي لقيت دعما من المغرب على غرار المسح التي قدمت عدة نشاطات ، وفرق الموسيقى التي ابducted في عزف مقاطع من الأناشيد المدعمة للثورة ، والفرق الرياضية وفي مقدمتها فريق جبهة التحرير الوطني ، وفريق الملاكمه ...⁴⁴⁹

الخاتمة :

تشهد كل الوثائق التاريخية أن المغرب الشقيق لعب دورا فعال سواء من جانب قيادته السياسية آنذاك أو مجتمعه في دعم الثورة الجزائرية ، وبالرغم من فشل بوادر العمل الثوري المشترك في عشرينات القرن الماضي من خلال إقامة وحدة سياسية للنهوض بالمغرب العربي ومناهضة الاستعمار الفرنسي المشترك ، إلا ان اسبقية استقلال المغرب جعل منه حضنا دافئا وقاعدة متينة لدعم الثورة الجزائرية ، ماديا ومعنويا شعريا وسلطنة ، بل تحولت الأرضي المغربية إلى مستقطب لقيادة الثورة التحريرية ومراكز لتدريب ، الجنود على اساليب القتال ناهيك عن طريق خصب لنقل الأسلحة ، ومركز صحي أساسي للتکفل بالمرضى والمصابين ، ومراكز إعلامية للتعريف بالقضية الجزائرية في الخارج ، وحضر خصب لحماية الفارين من التغطرس الاستعماري ، الذي حاول وأد هذا الدعم من خلال بعث التهديدات إلى المغرب تارة ، واقامة مخططات عسكرية خطيرة على غرار خط موريس الشائك والمكهرب من جهة أخرى لكن ذلك لم يزد اخواننا المغاربة إلا إيمانا بالقضية الجزائرية ودعمها إلى غاية الاستقلال في الخامس جويلية 1962.

قائمة المصادر والمراجع

الوثائق الأرشيفية

. تقرير القيادة العليا للقوات الفرنسية بالجزائر الناحية العسكرية لفيлик جيش وهران ، قيادة الاركان ، المكتب الثاني رقم 428 / ج و/س ، ملف 297 و5

ANOM,SHAT;chateau de vincennes1H11795.

- 1H3114 D1 Ahfir.

- SHD GR1H3103 D2:Organisation FLN a Ahfir ;16/10/1957.

1H3114 D1 Ahfir.

SHD GR1H3103 D2:Organisation FLN a Ahfir.

SHD GR1H3103 D2: Compas d'Alarmée D'Oran Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc -Orientel,28/07/1958

CAO, Organisation FLN dans les villes du Maroc; Aout1958.

E.M.A T/S .H 1H1594/D1:MAROC, Aide logistique Fiche N:organismes FLN. AM13(2) ,13/02/1957.

⁴⁴⁸ محمد مصطفى طالب ، من ايام حرب التحرير ظ1، مرجع سابق ، ص 39

⁴⁴⁹ محمد مصطفى طالب من ايام حرب التحرير ، ظ2 ، ص ص 8077

SHD GR1H3103 D2: Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Oriental

,28/07/1958.

SHD GR1H3103 D2: Compas d'Alarmée D'Oran Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc -Orientel,28/07/1958

FR CAOM/ORAN 151;Brigade Des R G De Marnai ,Notre de renseignement Utilisation par les rebelles d'un hôtel d'Oujda, comme centre du repos d'ébergement,02/04/1958.

SHD GR1H3103 D2:carte des services au Maroc.

SHD GR1H3103 D2m C.A.O, carte des services sanitaire au Maroc.

Mohammed Guentari, p p:297-29

SHD GR1H3103:C.A.O. Organisation du service sanitaire. p1

SHD GR E.MA.T:1H1594-D1:Maroc- aide logistique FicheN:AM13(6),23/05/1957

1H3103 D2: carte des services au Maroc

E.MA.T:1H1594-D1:Maroc- aide logistique FicheN:AM13(23/05/1957)

E.MA.T:1H1594-D1:Maroc- aide logistique FicheN:AM13(3),28/09/1956

- SHD GR1H3103 D2: Compas d'Alarmée D'Oran Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc -Oriental,28/07/1958

SHD GR1H3103:C.A.O. L'hôpital Lousteau;06/02/1960

- SHD GR1H3103:C.A.O;04/01/1957

E.M.A.T:1H1594-D1:Maroc- aide logistique FicheN:AM13(2),26/09/1956

SHD GR1H3103:C.A.O. L'hôpital Lousteau;06/02/1960

- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -"Camps et bases de L'A.L.N. la base15 p10

- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -"Camps et bases de L'A.L.N. la base15 p11

- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs ; le FLN au Maroc -Camps et bases de L'A.L.N. la base15 p13

- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs;le FLN au Maroc -"Camps et bases de L'A.L.N. la base15 p15

FR.CAOM/ORAN151:Brigade Des R.G De Mernia N: 1064:Note de renseignement Activité FLN au Maroc

- d'un centre paramilitaire utilisées par les rebelles dans la région d'Oujda;10-12-1957

- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs ;le FLN au Maroc ;plan de Beni- Drar

-SHD GR1H3103 D2: C.A.O; Centre d'instruction de Beni- Drar, Septembre1960

SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -Camps et bases de l'ALN Camps de

Moulouya:05/04/1960 p p1-2

- SHD GR1H3103 D2: Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme} Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Orientel ,28/07/1958 p8

- SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -"Camps de Figuig

SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc Organisation locales, berguent

- SHD GR1H3103 D2: Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme} Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Orientel ,28/07/1958 p2

SHD GR1H3103 D2: C A O, Centre d'instruction de Larache Septembre 1960.

SHD GR1H3103 D2 Corps -D'Armée D'Oran ; Organisation du FLN - ALN du Maroc ,Centre d'instruction de Larache Septembre 1960

SHD GR1H3103 D2 Corps -D'Armée D'Oran ; Organisation du FLN - ALN du Maroc, Centre d'instruction de Larache, Octobre 1961

-SHD GR 1H3103 D2: C.A.O, Camp de Segangane- Camp de Kebdani carte des services sanitaire au Maroc.

SHD GR1H3103 D2: Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme} Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Orientel Jun1961

SHD GR1H3103 D2: Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme} Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Orientel ,28/07/1958 p4

-SHD GR 1H3103 D2: C.A.O, FLN a Nador

SHD GR1H3103 D2 Corps- D'Armée D'Oran ; Organisation du FLN - ALN du Maroc -Centre d'instruction de Sgangane1961.

SHD GR1H3106: Liste Alphabétique Mohamed Amir Benaissa.

Mohamed Amir Benaissa p142

SHD GR1H3106:C.A.O.;Liste Alphabétique des membre connus du FLN au Maroc- barkat.

SHD GR1H3114 D2: Dossier d'objectifs; le FLN au Maroc -"Cam de Diouana - Maroc.

- SHD GR1H3103 D2: Groupement principale Oujda ,Etat Major 2^{emme} Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Oriental ,28/07/1958 p2

- FG.CAOM- ORAN 92-272 Note des RG sur la presse étrangère (notamment marocaine), Hôpital pour terroristes algériennes à Boubeker (Maroc). 27/09/1956.
 - SHD GR1H3103 D2: Groupement principale Oujda, Etat Major 2^e Bureau Répertoire de l'implantation des organismes FLN et ALN du Maroc - Oriente, 28/07/1958 p2
- SHD-GR1H3103.D2:C.A.O;A.L.N/Maroc , Juin 1961
- SHD :GR1H3106 :Liste Alphabétique, BARKATE
- :SHD-GR 1H3114, D1: Corps d'Armée D'Oran ;Le F.L.N Au Maroc .Stage d'instruction ,p p.5

الكتب:

. سعيد ، جلاوي ، مكتب المغرب العربي بالقاهرة من الاختلاف الى الاختلاف ، مجلة معارف ، المجلد 11 العدد 21 .
لحسن بوزيدي ثورة داخل ثورة ، دار الغرب للنشر .2010.

الطاھر جلي ، الامداد بالسلاح خلال الثورة الجزائرية 1954-1962، دار الامة للنشر الجزائر ،2013
محمد الہادي حمداو ، اصوات على حادثة اليخت دينا ، ومركب اتوس (قصة عمليتين لتزويد الثورة بالسلاح) ، جسور
للنشر الجزائر ،2013.

محمد بوزيان بنعلي ، وجدة عاصمة الثورة الجزائرية ، مطبعة الجسور وجدة 2019.

محمد مصطفى طالب : من ايام حرب التحرير (1954-1962)المديرية العامة للتدريب ط 1 ، دار الغرب للنشر

محمد مصطفى طالب : من ايام حرب التحرير (1954-1962)المديرية العامة للتدريب ط 2، دار الغرب للنشر

بلحسن بالي ، أسرة عادية في محنة تلمسان (1954-1962)، منشورات دار تالة 2013.

فاروق بن عطية ، تقديم سعد دحلب ومصطفى مكاسي ، ترجمة : كابوية عبد الرحمن وسام محمد، الإعمال الإنسانية
إثناء حرب التحرير 1954-1962 ، دار دحلب للنشر ،2010.

عبد الله مقلاتي نشاط الثورة الجزائرية في المغرب الأقصى (1954-1962)، ط 1، دار العلم والمعرفة ، الجزائر ،

المجلات والدوريات والاطروحات :

حديث محمد عباس مع محمد بوظياف، جريدة الشعب، عدد يوم (17 نوفمبر 1984)

لقاء بين ميسالي وقادة الأحزاب المغربية بيته يوم 28 يناير 1952 ، جريدة المنار ، س 1، عدد 15، فبراير 1952 .

محمد يزيد، ذكريات عن العمل الدبلوماسي.الدبلوماسية الجزائرية، منشورات المركز و، د، ب، ح، و، ث 1954 (سلسلة
الندوات) الجزائر، 1998

الطاهر جبلي ، القواعد الخلفية لجيش التحرير على الجهة الغربية خلال الثورة الجزائرية (1954-1962)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية ، المجلد 1 العدد 2، جوان .

توفيق بنو المغرب الأقصى والثورة الجزائرية، رسالة دكتوراه في التاريخ المعاصر 2014/2015 ، جامعة وهران
أ.عائشة مرجع الدعم العربي للثورة الجزائرية 1954-1962:الجانب الصحي أنموذجاً ، مجلة جيل العلوم الإنسانية ، عدد 35 ، أكتوبر 2017 ، ص 125 .

AIN AOUADA un centre périphérique: état des lieux et perspectives de développement

AIN AOUADA peripheral center: diagnostic and development prospects

فاطمة الزهراء حمامه : طالبة بسلك الدكتوراه جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء كلية الآداب والعلوم الإنسانية عين الشق

Email :hmamafatimazahrae@gmail.com

ملخص

تدخل النطاقات التي تحيط بمدينتي الرباط وتمارة و سلا، من الجنوب الغربي والشرق، ضمن المجالات الضاحوية المتميزة على مستوى الدينامية الديمغرافية والإقتصادية والمالية... المكونة من بعض الجماعات القروية (مرس الخير، سيدي يحيى زعير، المتره، عامر أم عزة، الصباح...)، التي تحضن عدة مراكز حضرية وقروية ناشئة (عين العودة، عين عتيق، بوقنادل سيدي علال البحراوي سيدي يحيى زعير). وقد ساهمت هذه المجالات الريفية الحضرية، بشكل كبير ومباشر في خلخلة البنية الاجتماعية والإقتصادية التقليدية، وفتحت المجال على مصراعيه للبناء والعمارة وقضم المجال الفلاحي وتوطين الوحدات الصناعية... وتعتبر عين العودة من بين الجماعات التي عرفت طفرة وتطوراً كبيرين خلال السنوات الأخيرة.

كلمات مفتاحية : المجالات الضاحوية ، الدينامية المجالية ، المجالات الريفية الحضرية ، مراكز ناشئة

Summary

The boundary spaces of the Rabat- Salé-Temara constitute the peripheral spaces par excellence of the capital of the country. Comprised of rural communes (Mers Al Kheir, Sidi Yahia Zaer, Menzeh, Sabbah, Ameur, etc.) and urban centres (Ain Aouda, Ain atig, Bouknadel , Sidi Yahia Zaer, Sidi Allal Behraoui). This outskirts on the vital Atlantic metropolitan axis: Tanger-Jorf Lasfar, is characterized by a strong demographic, economic and spatial dynamics... This has contributed to the nibbling of agricultural land, the opening of new land to urbanism, the wave of construction, and the localization of industrial units. The commune of Ain Aouda is a typical example of this rapid metamorphosis.

Keys words: peripheral spaces, spatial dynamics, urban metamorphosis,

Introduction

Grâce à sa position privilégiée, l'embouchure du Bourgreg a attiré l'implantation humaine depuis longtemps , du fait l'agglomération Rabat –Salé s'ajoutant à ceci la ville de Témara en créant une nouvelle conurbation Rabat Salé Témara , qui constitue par sa taille, ses fonctions , et ses particularités socio-économiques une véritable métropole régionale dont le pouvoir attractif se sent à l'ensemble de l'échelle du pays. Par conséquent, cette situation a créée de nouvelles relations entre cette conurbation et son arrière-pays, marquant ainsi l'apparition des centres périphériques tels que : Skhirat,Sidi Yahya Zaer,Bouknadel , Sidi Allal El Bahraoui,Ain El Aouda . En effet, une certaine hétérogénéité s'exerce : d'une part entre de grands centres à croissance plutôt équilibrée avec une concentration d'emplois qualifiés. D'autre part, des zones marquées par une urbanisation disloquée, un indice de développement bas souffrant d'une absence d'opportunités d'emplois et de services en plus d'un désengagement de l'activité agricole.

Cependant leurs structures spatiales et sociales se distinguent par certaines particularités qui mettent en évidence la grande différence entre la ville centre et son périphérique chose accentuant la grande dépendance de ces centres par rapport à Rabat.

Par sa situation stratégique au cœur d'un espace dynamique, précisément à la périphérie immédiate de la conurbation de Rabat – Salé – Témara, la commune de Ain El Aouda est influencée quant à son devenir. Sa mitoyenneté de Temara ,l'importance des terrains disponibles sur son territoire communal et des voies de communication la reliant aux villes de la conurbation, la rendent comme un lieu privilégié et naturel de l'extension de l'urbanisation vers le sud de la zone capitale.

Ain Aouda alors s'est développée par des opérations de recasement de qualité architecturale banale, et particulièrement s'agissant de logements auto-construits, le paysage et espaces urbains sont alors médiocres, et mériteraient un effort de traitement et requalification pour améliorer le cadre de vie des habitants, et la pratique urbaine.

Intérêt de sujet

L'intérêt de ce sujet est d'appréhender et d'analyser les différentes mutations et problèmes spatiaux, sociaux économiques que connaissent les communes situées au sein une conurbation en plein changement, à travers l'étude de la ville de Ain Aouda.

En effet, une bonne maîtrise de l'urbanisation dans ce territoire à fort potentiel attractif de l'arrière-pays immédiat de la capitale du royaume, contribuera inéluctablement à l'équilibre spatial et socio-économique de la deuxième agglomération du pays.

Problématique de recherche

D'un village colonial, Ain El Aouda s'est transformée, en quelques décennies, en une véritable ville satellite de Rabat. Ceci implique que la ville de Ain Aouda se trouve au cœur de plusieurs enjeux sociaux, économiques, environnementaux et aussi spatiaux. La ville a connu et connaît récemment une mutation et croissance rapide, chose qui n'arrive pas à se mettre au niveau des enjeux auxquels elle se trouve confrontée.

Comme est le cas de plusieurs espaces périphériques urbains suffisamment en retrait des principales aires d'influences, Ain Aouda attire et fixe des grandes masses de population pour des raisons diverses, allant de la recherche d'emploi, ou la quête d'un logement à des prix bas. Cependant ne disposant pas d'atouts suffisants tels que bonnes liaisons avec la capitale, le manque total des équipements de base.

Etiquette d'une ville de la périphérie, un lieu de refuge pour le recasement de la population des bidonvilles, ouverte à la construction dans toutes les directions, et ayant reçu des milliers de foyers bidonvilles transplantés d'ailleurs, n'arrive pas de constituer un environnement urbain acceptable. Des quartiers entiers, mal équipés et peu sécurisés, sont devenus de véritables ghettos à la périphérie d'une ville qui vivote. Portant, cette ville abrite une nombreuse population dont la majorité travaille à Rabat, à Témara ou à Tamesna et utilise Aïn Aouda en tant que dortoir.

La question centrale sur laquelle s'articule toute la problématique revient à se demander :

Comment la commune d'Ain Aouda peut changer de son image d'un simple réceptacle des programmes sociaux vers une nouvelle urbanité attrayante au sein d'une conurbation en plein gestation .

La problématique précitée peut être fragmentée en questions élémentaires qui viennent à l'esprit pour mieux guider la réflexion sur le sujet :

- ✓ Le positionnement géo-spatial de la Commune de Ain Aouda et les interactions avec son voisinage constituent une opportunité ou une menace ?
- ✓ Est-ce que la Commune dispose-t-elle les capacités et les potentialités nécessaires la permettant de se doter d'un avantage comparatif et compétitif à l'échelle de la conurbation de Rabat – Salé – Témara ?
- ✓ Comment transformer ses défis externes et internes en opportunités de développement ?

Les hypothèses

- ❖ La pénétration coloniale, la pression démographique, et le développement des infrastructures de communication sont des facteurs principaux dans l'extension de la ville.
- ❖ Ain Aouda a eu la tâche d'accueillir plusieurs opérations de relogement des habitants venant de quartiers insalubres de la capitale, ceci a créé une diversité dans la composition de la population chose qui accentue des tensions sociales ;
- ❖ Cette urbanisation provenant de l'extérieur met cette commune face à plusieurs défis et contraintes, en particulier la pression démographique due à une politique

volontariste de l'Etat qui consiste au relogement de la population des bidonvilles des grandes villes de la conurbation, à savoir Rabat et Témara.

- ❖ L'absence d'une économie forte et une infrastructure insuffisante accrue la dépendance à Rabat en matière d'emploi et d'équipements limite les capacités de développement de Ain Aouda.

Objectif de recherche

L'objectif de cette recherche est de procéder dans un premier temps à un diagnostic territorial qui permettrait de mieux connaître Ain Aouda , sa place dans son environnement et ses interactions avec son voisinage, son fonctionnement, ses contraintes d'une commune de périphérie, ses avantages et ses besoins .

Sources d'information et éléments méthodologiques

a- Sources d'information

- ✚ Documentation bibliographique

La documentation bibliographique se rapporte aux différents ouvrages, études, thèses, mémoires et articles .L'apport de ces écrits nous semble indispensable pour bien asseoir et affiner notre analyse de l'espace.

- ✚ Consultation et dépouillement des documents :

Il s'agit principalement de :

- ✓ L'analyse démographique : Cette analyse s'effectue sur la base des données des recensements généraux de 1982, 1994 et 2004,2014 des études sectorielles, des enquêtes de terrain, etc. ;
- ✓ Dossiers des services communaux ;
- ✓ Rapports de l'agence urbaine, la commune...

b-Eléments méthodologiques

Le présent travail s'inscrit dans le cadre d'une démarche de projet de territoire, qui repose sur le principe de diagnostic territorial .

Il est demandé que le diagnostic cible la problématique urbaine d'Ain Aouda, en identifiant les interactions et la complexité de l'organisation qui caractérisent l'espace en question en se reposant sur l'analyse spatiale de ce territoire.

1-Diagnostic territorial

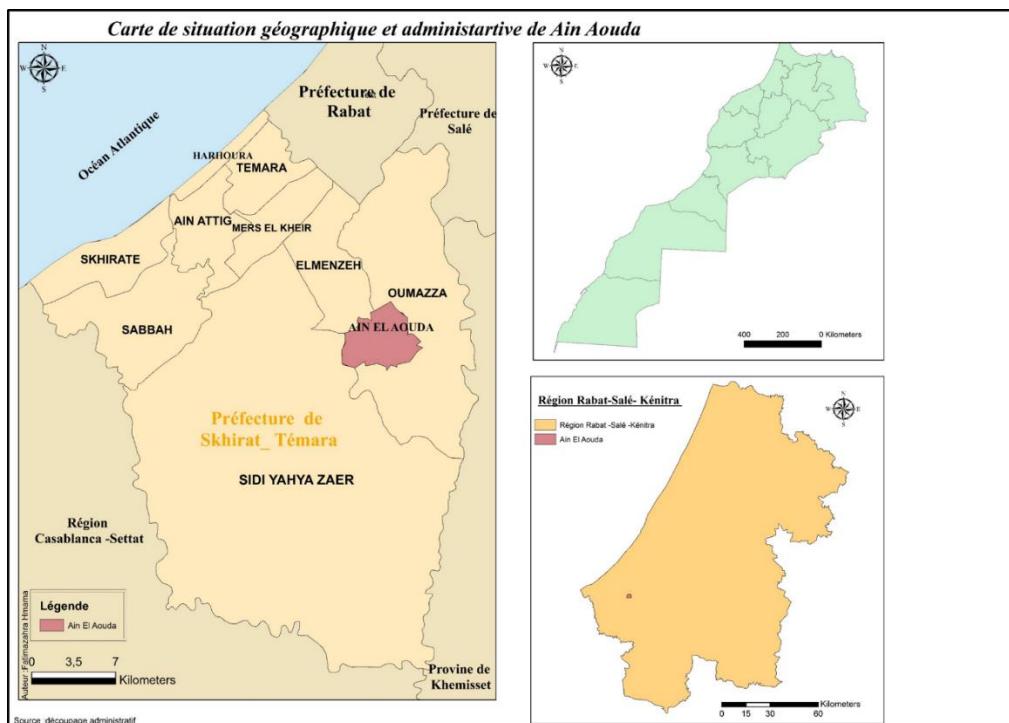
1-1 Situation géographique et administrative

La municipalité de Ain Aouda a été promue au rang de municipalité en 1992 englobant deux communes rurales :Oum Azza et El Manzeh . , Aujourd'hui c'est une commune urbaine qui s'étend sur une superficie de 2500 ha (25 km²), avant la superficie globale de la commune se chiffre à 24600 ha (246 km²), la commune a perdu presque 90% de sa superficie au profit des communes avoisinantes lors des découpages administratifs successifs.

Comme la carte au-dessous l'explique, la Commune de Ain Aouda est bornée géographiquement comme suit :

- ✓ Nord-Ouest, par la commune d'El Menzeh;
- ✓ Au Nord-Est, par la commune d'Oum Azza;
- ✓ de l'ouest par commune de Sidi Yahya Zaer
- ✓ Au Sud, par la commune d'Oum Azza

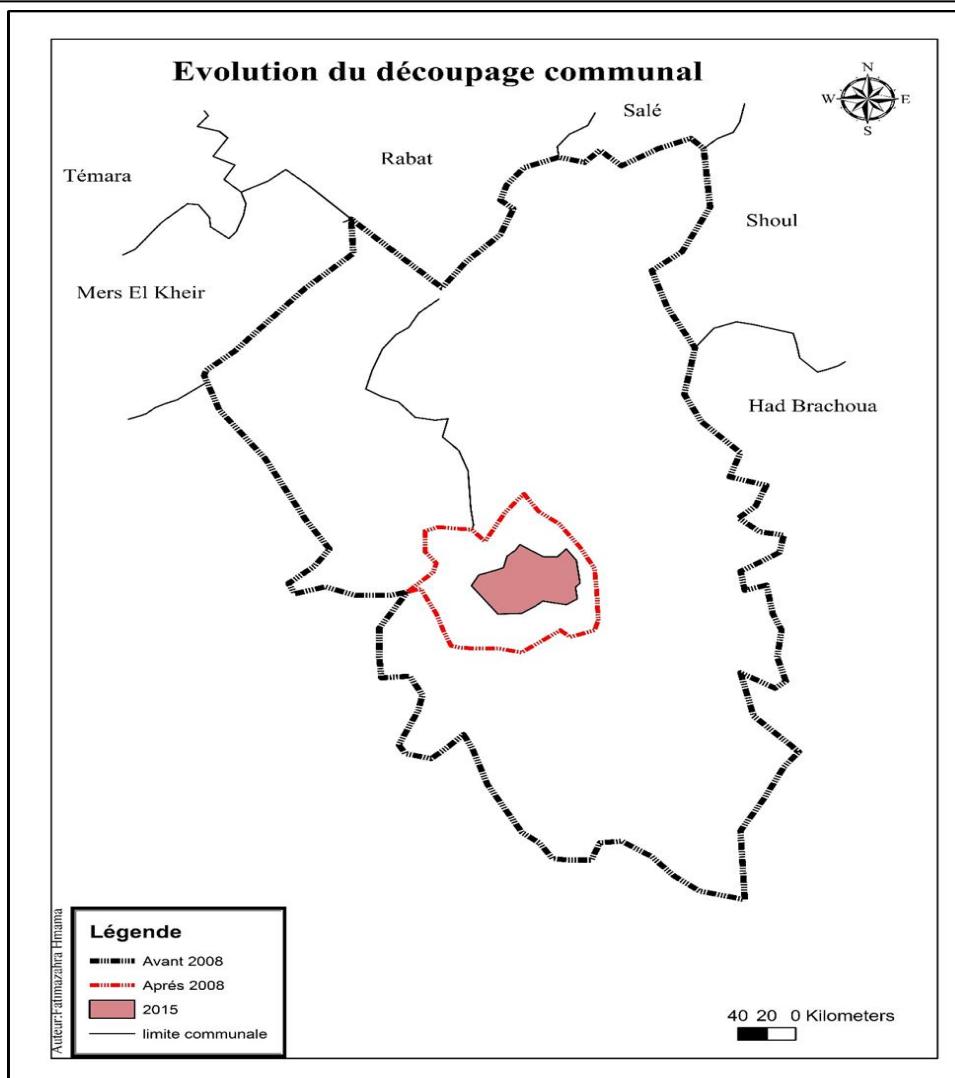
Carte 1 : Situation géographique et administrative de Ain Aouda



Avant le découpage de 1992 ,Ain Aouda était une commune rurale, lors du nouveau découpage administratif en 1992 Ain Aouda est promue au rang de municipalité englobant deux communes rurales Oum Azza et Elmenzeh.⁴⁵⁰, en 2008, ces deux communes ne font plus partie de la commune mère .Selon le découpage de 2015 , encore une fois les limites administratifs de la commune sont changées.

Carte 2 :Evolution du découpage communal

⁴⁵⁰ Monographie de la commune de Ain Aouda 2017 p 10.

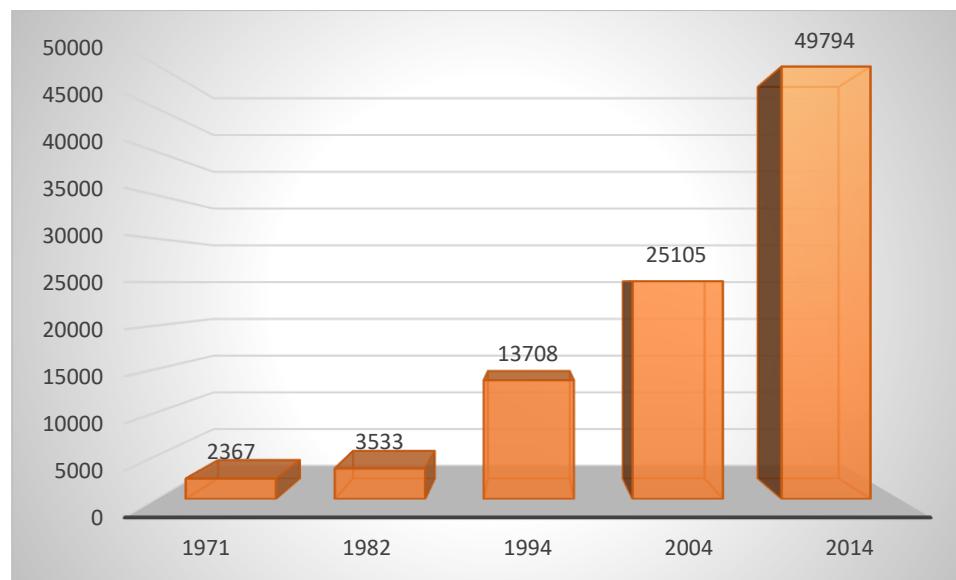


1-2 Etude de la dynamique démographique et socioéconomique

1-1-2 Rythme accéléré de croissance démographique

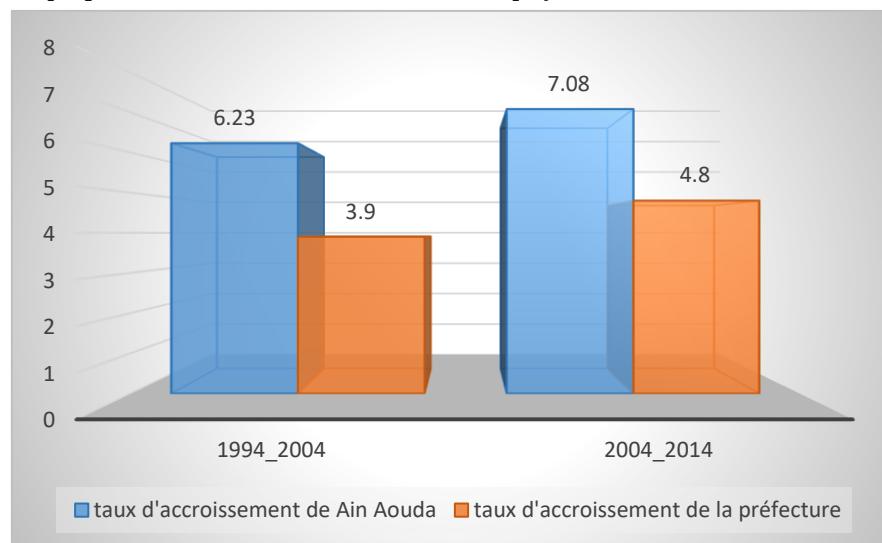
a- Evolution démographique

Ain Aouda vit une croissance démographique accélérée à l'instar des communes périphériques de la Préfecture de Skhirat - Témara. En tenant compte du dernier découpage administratif et les nouvelles délimitations qui en découlent, la commune compte, en 2014, une population de près de 49794 habitants, alors que sa population était 13708 habitants en 1994 et de 25105 habitants en 2004. Donc, la population a doublé en l'espace de 10 ans.

Graphique 1 : évolution de la population de la commune

Source RGPH 1971,1982,1994,2014

Comme le graphe au-dessous l'explique, la Commune a enregistré, à l'intervalle de 10 ans, un taux d'accroissement annuel moyen (TAAM) de 6,2 % entre 1994 et 2004, un taux plus important de 3 points à celui enregistré au niveau de la préfecture de Skhirat-Temara au cours de la même période. Ce taux reste très important aussi entre 2004 et 2014, soit de 7,08 %.

Graphique 2 : Taux d'accroissement communal et préfectoral

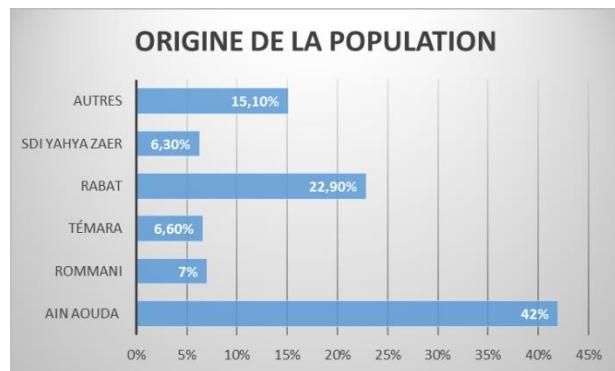
Source RGPH 1994,2004,2014

Le taux d'accroissement laisse apparaître que l'évolution de la population est plus active sur le territoire de la commune que pour la préfecture. Un taux d'accroissement qui

dépasse de loin la moyenne préfectoral ce qui laisse apparaître que la commune est plus dynamique que la préfecture que sur le plan démographique.

b- Explication du rythme accéléré de la croissance démographique

Graphique 3 : Origine de la population de Ain Aouda



Source : Marge et villes entre exclusion et intégration Etude INAU 2013 p12

Comme on le peut remarquer dans le graphe la plupart de la population de la ville sont issue de la commune, suivi de 29,5% des villes avoisinantes : Rabat ,Salé , Témara ; 19% sont de Sidi Yahya Zaer, Oum Azza , Akreuch .ceci laisse apparaître de la commune tissent des relations très fortes avec ses communes avoisinantes.

Actuellement, la commune connaît trois catégories de la population, ce qui marque une hétérogénéité sociale manifeste :

- ❖ Population originaire issue des plaines de Zaaer située à la périphérie et exercent généralement des activités agricoles ;
- ❖ Population d'une catégorie pauvre issue des projets de recasement ;
- ❖ Population d'une catégorie moyenne et aisée à la recherche d'un logement individuel moins cher et des conditions de vie plus favorable ;

1-3Dynamique spatiale et situation des équipements urbains

La compréhension des conditions d'émergence, les mécanismes de développement et les problèmes actuels d'un espace nécessitent avant tout, la fixation des contours historiques qui ont marqué son évolution spatiale et temporelle .Comme c'est le cas de la plupart des centres périphériques, Ain Aouda a émergé avec la période coloniale.

- Bourg rural de colonisation : bourg rural de colonisation dans l'arrière pays de Rabat en 1928
- Ville routière : sa localisation sur la route Rabat Tadla pour devenir une ville de passage avec des activités de route pendant des années avant la construction de l'autoroute
- Ville tampon d'exode rural et ville exutoire de Rabat : installation d'une population en quête de conditions de vie meilleures et pour les classes moyennes

a-Evolution morphologique de la ville

Quoique la création ancienne depuis 1928, l'urbanisation de Ain El Aouda, pendant la période coloniale s'est caractérisée par un rythme lent , et restée lier principalement aux colons , qui ont construit des villas le long de la route nationale et de la route provinciale vers Sidi Yahya Zaer ,d'après les informations recueillis auprès des anciens habitants du centre la part des résidents marocains était insuffisante , alors que les colons exerçaient une prédominance remarquable.

L'extension du tissu urbain d'Ain EL Aouda s'est effectuée à travers différentes périodes et à cause de plusieurs facteurs, un exode rural massif vers le centre, recasement des bidonvilles, lancement des opérations de lotissements.

Après l'urbanisation s'est étalée vers les autres parties de la ville, on peut dire que l'urbanisation d'Ain Aouda prend la forme de tache d'huile qui s'étale sans aucune organisation préalable.

L'extension du tissu urbain d'Ain Aouda s'est effectuée au fur et à mesure, à travers différentes phases. Les causes de cette urbanisation sont liées aux facteurs migratoires, au recasement de la population des bidonvilles, au lancement des opérations de lotissements et à la promotion immobilière. L'appropriation foncière se fait de façon totalement opportuniste et cette logique de développement induisait à des coûts d'urbanisation démesurés. En effet, elle nécessite le développement des infrastructures d'eau et d'électricité sur des dizaines de km et d'importantes infrastructures de transport.

Carte 3 : Genèse du bâti de Ain Aouda



A partir des années 90 – 2000, l'espace urbanisé de la Commune se développait à coup de lotissements économiques et d'opérations publiques, dont une grande partie est destinée au recasement des bidonvilles des préfectures de Rabat ; Salé et Temara, en péréquation (recherche d'équilibre de financement de l'opération de recasement par commercialisation d'une partie des lots). Cette extension s'est effectuée au Sud et Sud-Ouest de la commune, déplaçant ainsi son centre de gravité.

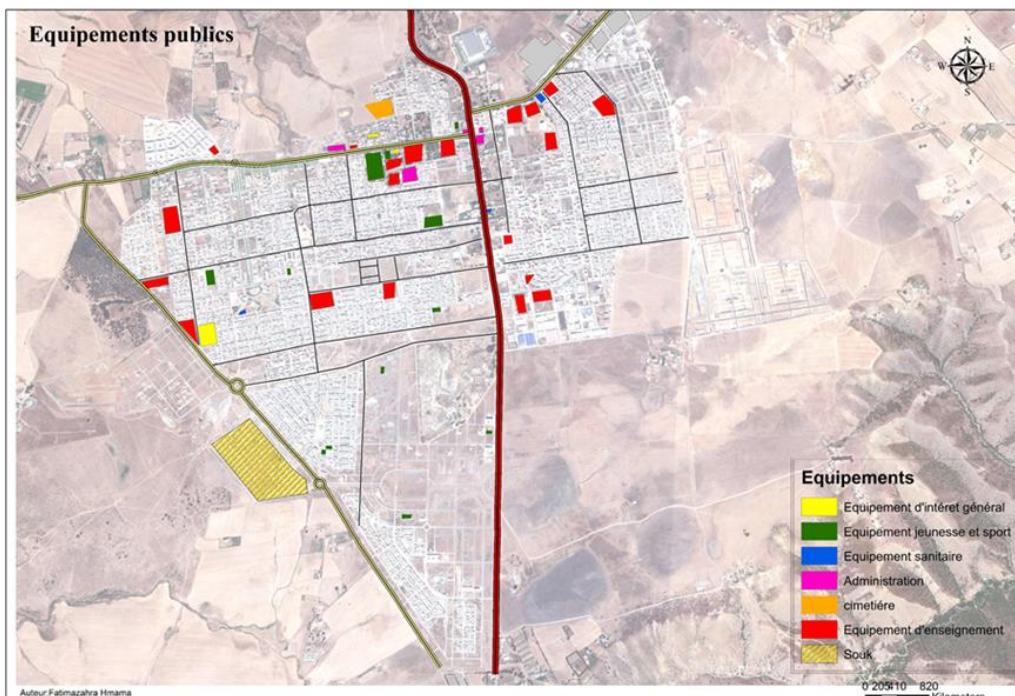
b-Distribution des équipements publics de base

La distribution des équipements dans la ville reste équilibré, notamment pour les équipements scolaires, on note une carence en matière des équipements sociaux : maisons de jeunes , foyer féminins. La desserte en infrastructures scolaires reste satisfaisante et répondent aux besoins de la population .

L'offre sanitaire reste moins satisfaisante à Ain Aouda . Elle compte trois centres de santé et une unité d'accouchement. La proximité de la ville de Temara, permet aux patients d'accéder aux consultations médicales moyennant une distance à parcourir de 20 kilomètres qui se fait généralement par bus ou taxi. Elle assure plus les premiers soins et oriente les patients soit vers l'hôpital régional à Temara, soit vers le Centre Hospitalier Universitaire (CHU) à Rabat, surtout lorsqu'il s'agit d'un acte médical ou chirurgical relevant d'une spécialité pointue.

L'ensemble de ces équipements ne répondent cependant pas complètement aux besoins de la population, les habitants se trouvent obligés de se déplacer à jusqu'à Témara ou Rabat pour les services extérieurs d'administrations publiques.

Carte 4 :Distribution des équipements publics



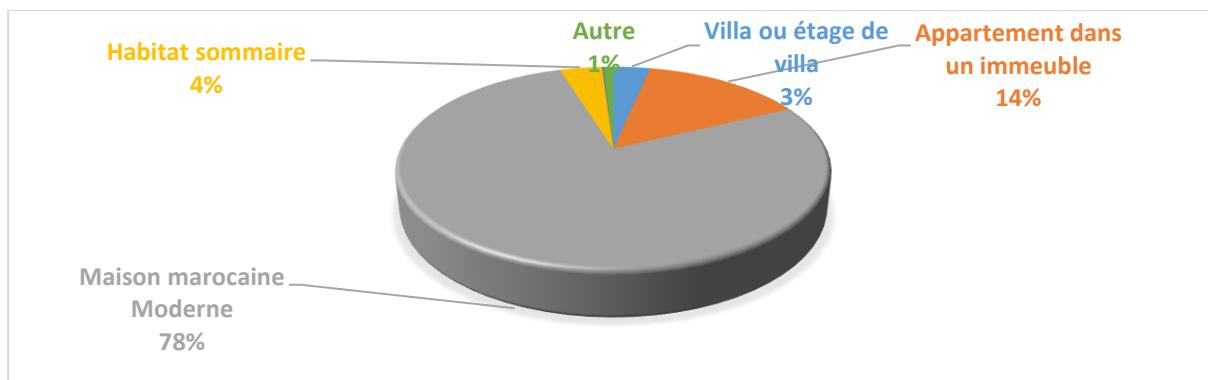
1-4-Caractéristiques de tissu urbain

a-Typologie d'habitat : prédominance de l'habitat économique

Comme l'on peut déduire à travers la figure, et la carte au-dessous, l'habitat économique ou appelé maison marocaine moderne est le type le plus dominant, issu de l'opération de recasement, représentant près de 78 % des différents types d'habitat.

Les immeubles, qui prend une forme diffuse sur le territoire communal, vient en seconde position, avec une proportion de 14 %. La part des villas reste très faible à peine 3% et comprend l'ancien parc colonial, finalement, l'habitat sommaire, avec une proportion de 4%.

Comme l'on peut déduire, la quasi-totalité des constructions au niveau de la Commune sont en dur. La part des constructions sommaires sont très faibles et se concentrent dans l'ancien emplacement du souk. Le nombre des terrains nus est très faible dans les quartiers de recasement.

Graphique 4: Typologie d'habitat

Source :RGPH 2014

b-Précarité du centre

A l'exception de quelques éléments urbains, le centre de Ain Aouda notamment la partie sud présente aujourd'hui une morphologie urbaine qui laisse à désirer, eu égard à la laideur et la monotonie des espaces produits. Le même paysage urbain domine : une juxtaposition d'unités de béton donnant un aspect inachevé de la commune.

A la première vue, le centre de la commune s'apparente à un espace en crise.

Le résultat d'une fabrication urbaine quasi spontanée où l'aspect pseudo-urbain est patent C'est. De ce fait, on n'arrive pas à atteindre un certain degré d'urbanité, ni garder les principales spécificités de la ruralité. D'où une identité composite.

En effet, le mouvement d'étalement de l'habitat que ladite commune a connu depuis les années soixante-dix n'a pas été le produit d'une évolution économique et socio-spatiale équilibrée, mais il a découlé d'une gestion urbaine déficiente conjuguée aux déséquilibres induits par les effets du phénomène de la périurbanisation ayant trait à la polarisation de Rabat.

c-Carence en matière de gestion des déchets

A Ain Aouda existe un service de collecte des ordures ménagères évacuées vers la décharge intercommunale d'Oum Azza .Le niveau de couverture des besoins est 100%. La collecte quotidienne elle est de 15 Tonnes/jour, trois camions assurent le service.⁴⁵¹

Le service de gestion des déchets est assuré par la commune elle-même :avec ses propres moyens ,ceci en résulte des gros problèmes pour le paysage urbain de la ville :rassemblements des déchets ménagers dans les poches vides de la ville .La commune consacre des moyens matériels et humains insuffisants au service de la propreté .Dès la présence sur terrain ,il est facile de constater un dysfonctionnement

⁴⁵¹ Secrétaire générale de la commune

dans la gestion de ce service ,argumenté par des points noirs multiples. Cela contribue activement à la dévalorisation de l'image de la commune.

1-5Pathologies sociales

a-Manque d'espace public de qualité

La ville de Ain Aouda avec une population de 49 000 souffre d'un absence terrible des espaces publiques, la ville se forme d'un ensemble de bloc de construction, l'ensemble des espaces publics sous forme des petites places se repèrent au long de l'avenue Mohamed 6 à la zone villas.

L'espace public représente tous les espaces de passage et de rassemblement qui sont à l'usage de tous et desservent les terrains et les bâtiments privés. Il permet le trajet dans la ville et possède sa propre logique qui renvoie à une convention sociale propre.

b-Absence de sécurité

Se rendre à Ain Aouda reste synonyme d'agression et de manque de sécurité, le territoire de Ain Aouda constitue un terrain de multiplicité des agressions commises , notamment avec la propagation de phénomène de commercialisation de la drogue surtout pendant la nuit s'ajoutant à l'absence de l'éclairage public dans certaines zones de la ville intensifie le degré de criminalité et la non sécurité. « Ain Aouda c'est notre ville natale, ou le beau paysage et les fortes relations familiales mais nous souffrons beaucoup de la criminalité et l'absence de sécurité surtout pendant la nuit, »⁴⁵².

c-Trame viaire et privilège de la motorisation

Quant à la voirie, le maillage viaire urbain mettant en communication les différents secteurs de la ville, dessine pratiquement un plan d'une forme linéaire. La trame viaire renseigne sur un privilège de la motorisation au détriment des chemins piétons et des pistes cyclables.

Les nouveaux lotissements sont desservis par des voies en forme circulaire .

A propos de l'état de la voirie, n'est pas bien finalisée notamment dans le centre. Alors que la majorité des voies secondaires reliant les différents points à du centre sont manifestement dégradées et in Quant à la voirie, le maillage viaire urbain mettant en communication les différents secteurs du centre, dessine pratiquement un plan d'une forme linéaire.

A propos de l'état de la voie urbaine principale, qui met en communication la route régionale et le reste du centre, n'est pas bien finalisée. Alors que la majorité des voies secondaires reliant les différents points à du centre sont manifestement dégradées et incomplètement achevé.

L'armature viaire n'offre pas une lisibilité territoriale, car elle n'émane pas d'un tracé

⁴⁵² Une habitante de Ain Aouda

réfléchi qui anticipe la forme urbaine globale de la commune.

La structure de la voirie est caractérisée par :

- Une faible affirmation du caractère des grands voies qui se distinguent par leur largeur et leur emprise et l'activité commerciales plus que par leur traitement
- Une absence de la requalification et de mise à niveau des axes urbains qui marquent les entrées de la commune ;
- une inégalité entre la voirie de la zone villa et la voirie du reste de la ville.

1-6 Analyse du profil économique de la Commune

a-Activités économiques

L'économie de la commune est marquée par la coexistence d'une dualité économique : une économie portée en principe par les activités soukières, activité industrielle, ainsi que des activités tertiaires.

En fait, le tissu économique reste moins diversifié et modeste, Néanmoins, il est en cours de recevoir de mutations se rapportant à son positionnement géo-spatial et à ses rapports interactifs avec les entités urbaines et rurales. D'ailleurs, la consécration des disponibilités foncières aux grandes opérations de recasement, a lourdement entravé ses possibilités de développement économique.

L'économie d'Ain El Aouda se base essentiellement sur la prédominance des branches d'activités commerciales. On notera tout de même la présence de secteur industriel pharmaceutique, industrie de câblage automobile qui est un important pourvoyeur d'emplois pour la ville d'Ain El Aouda.

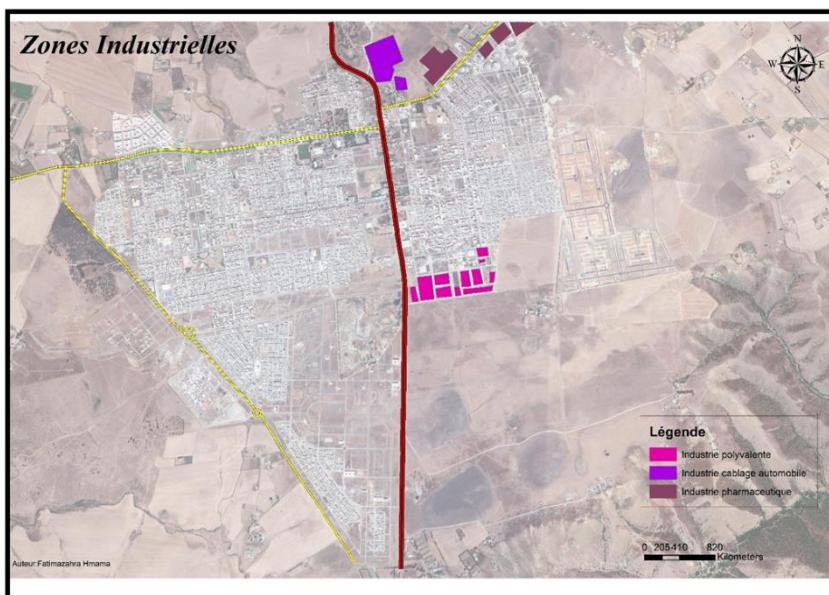
Ain El Aouda, se contente, aujourd'hui, de jour le rôle de petit centre de services, d'échanges et d'acheminement des produits de sa zone (Plaine des Zaers) et une petite plaque tournante des échanges au niveau intercommunal. Ceci le range dans la catégorie des centres à capacité d'encadrement commercial et administratif d'un arrière-pays assez dense en population mais assez défaillant en termes et d'infrastructures économiques.

Le souk est considéré comme la principale centralité de la ville anciennement aujourd'hui l'emplacement a changé vers Sidi Larbi. En plus, on trouve les zones d'activités qui ne représentent pas des pôles à part entière, récemment aménagées, peu d'entreprises y sont déjà implantées.

En ce qui concerne L'activité industrielle dans la zone d'étude reste encore peu développée malgré la présence de grandes unités, telle que l'usine de production de produits pharmaceutiques Pharmaceutical Institute, Beecham installée dans les années 90, et la société Sumitomo Electric Wiring Systems, SEWS, filiale du groupe japonais

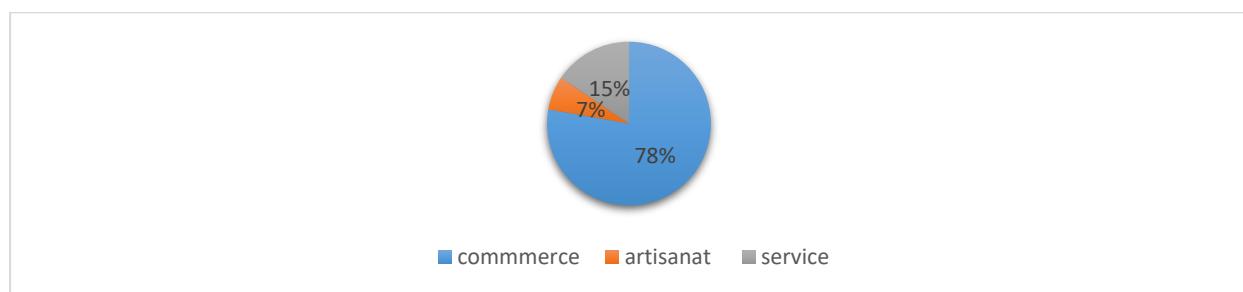
Sumitomo Electric Industries, spécialisée dans la production de câbles pour le constructeur automobile PSA Peugeot-Citroën.

Carte 5 :localisation des zones industrielles à Ain Aouda



Comme l'on peut remarquer à travers un relevé de terrain, les activités économiques peuvent être scindées en 3 grandes catégories : Commerce ; service ; artisanat.

Graphique 5 : Activités économiques au centre de Ain Aouda



Source : Relevé sur terrain (centre de Ain Aouda et avenue Doukkala)

Dans sa dimension actuelle le secteur de l'artisanat à Ain Aouda reste peu développé et d'une portée peu limité, couvrant un taux d'environ 7% .

Une prédominance de l'artisanat de production qui accaparent un taux important et regroupe les métiers suivants : tailleur, cordonnier, menuisier, forgeron. Pour les services se concentrent essentiellement sur les banques, les services de poste, services de réparation électroniques.

On note une importance des locaux de vente des matériaux de construction qui est fortement liée à une demande accrue en matériaux vu que ce domaine qui est en pleine évolution.

b-Ain Aouda un taux de chômage inquiétant

La croissance urbaine ne s'est pas accompagnée d'un développement de la base économique de la commune .Le taux de chômage de la commune est parmi les taux les plus élevés dans la préfecture qui atteint 17% après celui de la commune rurale de Sabbah de 18% ;ceci rejoint essentiellement l' absence des activités génératrices d'emploi malgré l'existence de deux zones industrielles ceci peut être expliquer par les causes suivantes :

- Des structures économiques modestes
- L'urbanisation démesurée non générée par des richesses et des dynamiques spatiales
- Une croissance démographique de la commune non accompagnée par une croissance économique
- Une carence notoire en structures d'accompagnement

2-Vision et orientations stratégiques de développement de Commune de Ain Aouda

Ain Aouda exprime un espace périphérique polymorphe à l'interface des espaces urbains et ruraux. Il s'agit d'un espace avec des caractéristiques physiques et des dynamiques multiples. Cette commune pourrait espérer l'amélioration de sa compétitivité territoriale en dépassant une crise d'efficacité liée à sa morphologie, à sa contenance et à sa gestion urbaine qui conditionne le devenir de cette ville en pleine recomposition socio-spatiale.

Après avoir procédé à un diagnostic détaillé de la commune de Ain Aouda mettant en exergue ses contraintes et ses opportunités de développement, et qui sert comme un élément crucial d'élaboration d'une vision de développement, il est judicieux de prendre en considération d'autres visions concernant cette surnommée ville en grande métamorphose.

a-Ain Aouda et exigences de l'urbanisme durable

La création d'un projet urbain à vocation durable est incontournable pour la mise à niveau de Ain Aouda dans son environnement, mais celle-ci ne doit pas se réduire à la seule problématique de l'habitat et du paysage urbain, elle nécessite d'adopter une vision plus large abordant tous les aspects de développement durable⁴⁵³ permettant de :

- Créer les conditions d'une base économique diversifiée ;
- Réduire la ségrégation sociale et spatiale au niveau des rapports ville ses zones d'influences
- La solidarité de différentes entités spatiales de la Commune qui renvoie à l'efficacité économique, à la répartition des fonctions urbaines, à l'attractivité et à la compétitivité
- .

b-Enjeux de développement de Ain Aouda

Le territoire de Ain Aouda présentent des enjeux territoriaux différents :

✓ *L'enjeu d'intégration urbaine*

Le territoire de Ain Aouda est fortement fragmenté. Cette fragmentation est à la fois spatiale, sociale et fonctionnelle. Il est donc impératif pour nous de l'homogénéiser, le restructurer, dans un projet intégré, la prise en compte de toutes les opérations existantes, en cours de réalisation ou projetées. Ainsi : Au niveau de la commune, il s'agit d'intégrer harmonieusement les opérations futures d'habitat. L'intégration urbaine doit également se faire par rapport à des projets déjà existants.

✓ *L'enjeu de mixité socio-spatiale*

La ville d'Ain Aouda a souvent été un territoire dédié à la résorption des bidonvilles. Cette donne l'a cantonné à une cité dortoir sans vocation spécifique dédiée à la classe la plus pauvre de la région. Son paysage urbain est alors défiguré.

Elle a accumulé des déficits spatiaux et fonctionnels très importants. Son évolution spatiale a donné lieu à une croissance urbaine dissimulée, peu économe de l'espace et, à une dégradation écologique.

✓ *L'enjeu d'identité urbaine*

Ain Aouda souffrent d'un manque d'identité fonctionnelle et spatiale au niveau de la région. Le projet doit donc doter zones de nouvelles identités à la fois articulées, complémentaires, à l'échelle de la région, Ain Aouda : est formée de morceaux urbains fragmentés sans aucune centralité ni fonction bien définie.

✓ *L'enjeu environnemental*

Avec un voisinage rural attractif, Ain Aouda est la porte d'un espace naturel très important, et un environnement diversifié, l'enjeu reste de valoriser ces paysages. Un essai d'imagination de la commune d'Ain Aouda dans l'avenir lointain renvoie à des inquiétudes. Sa localisation au cœur d'une conurbation dynamique et grande consommatrice d'espace, et l'absence des moyens et d'une vision de développement des

⁴⁵³ BLAIS, Pierre, Isabelle BOUCHER et Alain CARON, « L'urbanisme durable : Enjeux, pratiques et outils d'intervention, ministère des Affaires municipales, des Régions et de l'Occupation du territoire, coll. « Planification territoriale et développement durable », 2012, P. 6. [www.mamrot.gouv.qc.ca]

acteurs locaux, exposent Ain Aouda à des risques de consommation continue de ses espaces, d'où la nécessité de constitution d'une vision claire de développement.

Il est important d'attribuer à la commune une vocation, et de renforcer sa vocation commerciale tout en maîtrisant le processus accéléré d'urbanisation .Donc, l'insertion d'Ain Aouda dans son environnement peut se faire à travers les axes stratégiques suivants. Ces dernières peuvent permettre de constituer un territoire d'innovations économiques, sociales et environnementales à travers deux actions principales :

Action 1: Maîtrise du processus de l'urbanisation ; une revitalisation commerciale par le biais d'aménagement du souk hebdomadaire, et création d'une adaptabilité économique.

Action 2 : Repositionnement et insertion de la commune au sein de son environnement ainsi de combler le déficit en matière d'équipements publics.

L'avenir de cette ville dépend du niveau d'équipement et de création de l'emploi qu'elle peut générer, afin de rompre avec le statut actuel de ville dortoir dépendante et d'acquérir le maximum possible de centralité et de d'urbanité.

- Consolider la base économique
- Améliorer les aspects urbains et les équipements sociaux
- corriger l'environnement
- Maintien de l'urbanisation actuelle

Dans son développement, la commune gagnera à favoriser l'implantation d'espaces verts (voies plantées et jardins aménagés) par le biais de ratios imposés aux lotisseurs, mais également à entretenir et préserver les espaces verts existants .Les espaces verts sont très importants pour la santé et le milieu urbain et l'amélioration de la qualité du cadre de vie des citadins, et vont être considérés comme un élément central lors de la planification de tout projet urbain.

L'urbanisation actuelle d'Ain Aouda doit conserver sa forme et limiter son extension vers les communes limitrophes .La création des espaces tampons entre les deux territoires est fondamentale. Rendre inconstructible des espaces fragiles permet de préserver les ressources naturelles, facteurs d'équilibre écologique et d'attrait, Seules sont autorisées les constructions ou installations nécessaires à des services publics ou à des activités économiques.

Egalement, le processus d'octroi des autorisations de dérogations doit être repensé, car il ne génère qu'un émiettement du terrain, une surconsommation de la base foncière et une augmentation des exigences d'équipements de la part des communes.

c-Mise à niveau du cadre urbain : la valorisation de l'existant

La ville d'Ain Aouda ne présente pas les signes d'une urbanité accomplie et est marquée de ce fait d'une image généralement défavorable. Elle accuse l'absence de qualité architecturale, l'inachèvement de ses quartiers, le déploiement parfois désordonné des activités artisanales.

La question de la centralité est une problématique qu'il faudrait repositionner dans le contexte et nature du développement urbain en lotissements de la ville, qui ne dispose alors pas de centralité confirmée.

La centralité est une construction conceptuelle traduite par des éléments physiques et des pratiques sociales, qui renforcent son rôle essentiel de lieu de convergence de tout

un territoire. Elle est fortement liée à la qualité de la composition urbaine et au niveau des équipements et des activités urbaines.

Conclusion

La commune périurbaine de Ain Aouda, malgré la complexité de sa situation liée à un processus d'urbanisation accélérée, et à l'absence des relations de complémentarité avec les Communes limitrophes, la soumission au grignotage de sa base foncière et aux modes de développements de son voisinage, elle peut renverser la tendance en sa faveur.

La Commune de Ain Aouda est entourée par des enjeux externes très importants, issues notamment de son positionnement géo-spatial, sa dynamique et ses influences, rendant sa situation plus complexe et désamorçant ses capacités de développement. Particulièrement dynamique, Ain Aouda jouit de nombreux atouts liés à sa position en tant que maillon de la couronne Sud de Rabat, et à sa structure urbaine. Comme il est déjà indiqué, Ain Aouda connaît une concurrence d'autres pôles urbains avoisinants comme Tamesna et El menzeh , mais elle peut faire valoir son histoire urbaine assez riche comparées à ces deux entités.

Dans ce sens, la Commune dispose des potentialités qui nécessitent être convenablement valorisées. Ces potentialités se résument en plusieurs éléments : le souk hebdomadaire qui se caractérise par une grande attractivité et qui présente d'ailleurs maints dysfonctionnements précédemment évoqués ; la zone industrielle qui est plein essor, la promotion de l'industrie de recyclage .

Bibliographie

Documents et rapports institutionnels :

- Agence urbaine de Rabat – Salé, « L ’étude relative aux interactions entre la conurbation de Rabat - Salé - Skhirat-Témara et les espaces périphériques», AREA, 2007 ;
- MHUAE-Direction d’Aménagement du Territoire,«Etude du Schéma d’organisation fonctionnelle et d’aménagement de l’aire métropolitaine Rabat –Casablanca : Rapport définitif de synthèse », DIRASSET, 2009 ;
- .Etude Institut National d’Aménagement et d’Urbanisme Rabat « Marges et villes entre exclusion et intégration » 2013 ;
- Monographie de Ain Aouda Commune de Ain Aouda 2015 ;

Mémoires et thèses

- ✚ « *Processus et formes d’urbanisation à la périphérie de Rabat Salé* » Thèse de doctorat de 3 éme cycle ; El Mansouri EL Hassan EL MANSOURI ;Université de Poitiers ;1989
- ✚ « *Mécanismes de développement et type d’organisation spatiale d’un centre proche de Rabat* » El Oualid Laraki Houssaini INAU 1996 ;
- ✚ « *Requalification d’un centre périphérique cas de Ain Aouda* »Laila Alouat et Dounia Bouhabel ENA 2001 ;
- ✚ « *Urbanisme temporaire et urbanité événementielle : les nouveaux rythmes collectifs* » Thèse de doctorat Benjamin PRADEL UNIVERSITÉ PARIS-EST 2010 ;
- ✚ « *Réflexions sur l’urbanité et la citadinité d’une aire urbaine américaine (dé) construire Las Vegas* » Thèse de doctorat en Géographie Aménagement Urbanisme ; Pascale NEDELEC ; Université Lumière Lyon 2 ; 2013

Ouvrages

- ✚ Belfquih Mohamed et Fadloulah Abdellah « Mécanismes et formes de croissance urbaine au Maroc : cas de l’agglomération de Rabat Salé » ; Edition Al Maarif ;Rabat 1986 ;
- ✚ Haegel, Florence & Lévy, Jacques, Michel Lussault « Urbanités. Identité spatiale et représentation de la société » : Edition Maison des Sciences de la Ville 1997 ;

Webographie

- ✚ Site officiel de Haut-Commissariat au Plan : [www.hcp.ma]
- ✚ Site officiel de l’agence urbaine de Skhirat – Témara : [www.aust.ma]
- ✚ Site expert ENS/DGESCO de géographie [www.geoconfluences.ens-lyon.fr]
- ✚ [hal.archives-ouvertes.fr]
- ✚ Site de la Comité économique et sociale Européen [http://www.eesc.europ]

L'enseignement de la langue amazighe au Maroc : état des lieux

Daoudi Hamou , Faculté des lettres et des sciences humaines El Jadida. Laboratoire "Etudes et Recherches sur l'Interculturel"

daoudihamou17@gmail.com

Résumé :

La conférence générale de l'UNESCO en 2003 a reconnu les composantes multiples du patrimoine culturel immatériel comme étant le fondement de l'identité et de la diversité culturelle. Les états membres devront prendre des mesures juridiques, administratives et éducatives en vue d'assurer la sauvegarde de ce patrimoine immatériel. Au Maroc, le patrimoine linguistique amazigh, qui véhicule un ensemble de traditions et d'expressions orales, est le garant de la pérennité d'une composante de l'identité nationale marocaine. Dans cet article, nous avons exposé les efforts entrepris au Maroc afin de promouvoir et sauvegarder la langue amazighe. Nous avons présenté, dans un premier temps, un aperçu historique sur cet idiome, l'aire géographique qu'il occupe et le poids de l'amazighe dans le marché linguistique. Dans un deuxième temps, nous avons présenté le processus de l'implantation de l'amazighe dans le système éducatif qui a nécessité certains choix portant sur la langue à enseigner et la graphie à adopter. Nous avons finalement dressé le bilan de l'intégration de la langue amazighe dans le système éducatif qui est encore en deçà des objectifs visés.

Mots-clés : patrimoine immatériel, patrimoine linguistique amazigh, promotion et sauvegarde de la langue amazighe, marché linguistique, enseignement de l'amazighe.

Abstract :

The UNESCO General Conference in 2003 recognized the multiple components of intangible cultural heritage as the foundation of cultural identity and diversity. The signatory states should take legal, administrative and educational measures to ensure the safeguarding of this heritage. The Amazigh linguistic heritage, a vehicle for a set of oral traditions and expressions, is the guarantor of the perpetuation of a part of the Moroccan identity. In this article, we have outlined the efforts undertaken in Morocco to promote and safeguard the Amazigh language. We have presented, in a first step, the weight of Amazigh in the linguistic market. Secondly, we presented the process of the implementation of Amazigh in the educational system which required certain choices concerning the language to be taught and the spelling to be adopted. Finally, we have drawn up an assessment of the integration of the Amazigh language in the educational system, which is still below the targeted objectives.

Keywords: intangible heritage, Amazigh linguistic heritage, promotion and safeguard of the Amazigh language, linguistic market, teaching of Amazigh.

Introduction :

La langue est le principal support d'une panoplie de traditions et expressions orales, sa sauvegarde assure la vivacité de ce patrimoine immatériel ancestral. Dans cette contribution, nous essayons de jeter la lumière sur l'entreprise de la promotion et de la valorisation de la langue amazighe, et principalement dans sa dimension éducative. En effet, la langue et la culture amazighes, longtemps minorées, connaissent un essor considérable favorisé par la création de l'Institut Royal de la Culture Amazighe (IRCAM) en 2001, l'introduction partielle de l'amazighe dans l'enseignement public en 2003 et l'officialisation de cette langue en 2011.

Dans cet article, nous exposons la situation linguistique de l'amazighe marquée par une forte dialectalisation. Ensuite, nous retracions le processus de l'intégration de cette langue dans le système éducatif marocain, entreprise qui a impliqué l'aménagement de l'amazighe et l'adoption du mode de son enseignement. La dernière section est consacrée à l'état des lieux du projet de généralisation de l'enseignement de l'amazighe.

I- L'amazighe : Un aperçu historique

L'amazighe est la langue des populations autochtones de l'Afrique du Nord, elle couvre partiellement un espace qui s'étend de la frontière égypto-libyenne à l'Océan Atlantique et de la rive sud de la Méditerranée à certaines régions de l'Afrique subsaharienne. Les amazighophones de ces régions sont enclavés dans des États nations où leur langue est marginalisée et minorée (Boukous, 2007). La majeure population amazighe se trouve au Maroc, suivi par l'Algérie puis en Libye et les Touaregs dans les pays subsahariens à savoir le Mali et le Niger. Il existe aussi une population amazighe dispersée dans des zones isolées en Egypte (région de Siwa), en Tunisie et en Mauritanie. Les zones amazighophones sont discontinues parce qu'elles sont entourées de populations parlant d'autres langues comme l'Arabe.

Au Maroc, l'amazighe se présente sous forme de plusieurs variétés : le tarifit au nord-est, le tamazight au centre et au sud-est et le tachelhit au sud-ouest. La syntaxe et la morphologie sont presque les mêmes dans les trois variétés, tandis que le système phonique présente quelques évolutions, qui finissent par dissimuler l'uniformité originelle du vocabulaire (Chami, 1987). L'acquisition des variétés amazighes et leur transmission d'une génération à l'autre se fait exclusivement par voie orale.

Selon les dernières données démographiques, révélées par le recensement général de l'habitat et de la population de 2014, 27% des Marocains parlent la langue amazighe, dont 14,2% le Tachelhit, 7,9% le Tamazight et 4,1% le Tarifit. La proportion des amazighophones est plus élevée en milieu rural (36,6%) qu'en milieu urbain (20,1%)⁴⁵⁴. Cependant, il faut signaler que ces statistiques sont rejetées par plusieurs associations du mouvement culturel amazigh qui ont même appelé à boycotter ce recensement. Les nombreuses violations des critères qui devaient servir de base au recensement et le refus d'intégrer la question relative à « la langue maternelle » dans le questionnaire du recensement sont les raisons du rejet des résultats de ce recensement par le mouvement amazigh. La régression du nombre des locuteurs amazighophones est dû à plusieurs facteurs que nous essayons d'étaler dans le point suivant.

⁴⁵⁴ Ces statistiques peuvent être consultées sur le site du haut-commissariat au plan www.hcp.ma

II- L'amazighe au marché linguistique

Boukous (2004) avance que l'amazighe, dépourvu de toute réalité sociolinguistique et de lettres de références historiques, est une langue vernaculaire défavorisée par la marginalisation aussi bien dans l'espace rural, où il est théoriquement en situation d'usage exclusif, que dans l'espace urbain, où il est en situation de compétition inégale face à l'arabe. Evincé du rang de langue cultivée, la communauté amazighophone fut réduite à des illettrés et des ignorants, en dépit d'une riche tradition culturelle orale. Selon l'auteur, l'autre facteur qui affaiblit davantage cet idiome est le recours massif aux emprunts surtout à l'arabe et au français ce qui en fait une langue à la limite de l'obsolescence.

El Mehdi Iazzi (1999) rejoint le même constat, il avance que l'amazigh est incontestablement la langue la plus dévalorisée sur le marché linguistique marocain, il explique aussi que le bilinguisme diglossique amazighe-arabe est souvent un bilinguisme de transition puisqu'il tend vers l'unilinguisme arabe.

De son côté Mouloud Lounaouci (1999) atteste que le berbère a perdu beaucoup de terrain. L'exode rural, l'hégémonie du français et de l'arabe ont entraîné un fort recul. Il ajoute que les espaces berbérophones, qui étaient jusque-là hermétiques, sont aujourd'hui assiégés. Les médias audiovisuels ont pénétré les foyers et des familles de plus en plus nombreuses, même dans les villages les plus reculés, s'expriment dans une autre langue que le berbère. Il confirme que la communauté berbérophone, confinée dans l'oralité et fragilisée par l'environnement idéologique, ne cesse de subir une érosion qui finira par la faire disparaître si des facteurs de réhabilitation n'interviennent pas. Il avance que les Etats nord-africains assoient l'homogénéité et la cohésion de la Nation par l'imposition d'une norme linguistique unique à tous les citoyens : la langue arabe.

Quant à Ennaji (2005), il explique que la régression de l'Amazighe est reliée à trois facteurs : premièrement, le phénomène de l'urbanisation rapide déclenché par la forte migration des zones rurales vers les zones urbaines. Deuxièmement, l'exclusion de l'amazighe du système éducatif depuis l'indépendance. La scolarisation des enfants amazighophones a conduit à leur arabisation et à leur incomptence progressive en Amazighe. Troisièmement, de nombreux Marocains considèrent l'Amazighe comme une langue minoritaire, associée au groupe ethnique Amazigh ; et qu'il ne dispose pas d'un champ large de communication puisqu'il n'est pas utilisé dans les domaines de la finance, de la science, de la technologie et des affaires internationales.

La réhabilitation de la langue amazighe, sa promotion et la garantie de sa survie passent certainement par son implantation dans le système éducatif. Les revendications des mouvements culturels amazighs depuis les années 60 pour une revalorisation de cet idiome ont finalement porté fruit. En effet, à partir de 2003 l'amazighe a été introduit dans l'enseignement primaire. Dans le point suivant, nous étalerons les différentes étapes qui ont précédé l'introduction de l'amazighe dans l'enseignement et les choix retenus afin de mener à bon port ce chantier à savoir l'aménagement de l'amazighe, essentiellement la détermination de la langue à enseigner et le caractère pour la transcrire.

III- L'implantation de l'amazighe dans le système éducatif marocain

1- Le choix de la langue à enseigner

Le passage de l'amazighe au stade de langue de littératie implique l'aménagement du corpus ainsi que la détermination du statut de cet idiome. Les linguistes se trouvaient devant deux choix :

Primo, l'élaboration d'un standard régional de chaque grande variété dialectale orale, c'est-à-dire une norme pour le Tachelhit, une seconde norme pour le Tamazight et une autre pour le Tarifit. Certains chercheurs (Lounaoui, 1999 ; El Mountassir, 2009, entre autres) soutiennent ce choix qui correspond aux véritables pratiques langagières. Cependant, le standard régional, selon Boukous (2009), présente des inconvénients à savoir l'intensification de la division régionale en accentuant les particularismes ; la restriction des éventualités d'un développement endogène de l'amazighe par le croisement des ressources langagières ; le freinage de la circulation des expressions culturelles régionales et leur enrichissement mutuel.

Secundo, opter pour un standard national qui sera enseigné, sur tout le territoire marocain, aux Amazighophones et Arabophones. Il devrait être élaboré à partir de la standardisation par composition des géolectes de l'amazighe dans l'espace national. Les locuteurs devront sentir un continuum entre leur usage quotidien et le standard national qui est nécessaire et indispensable pour garantir la sécurité linguistique et culturelle des locuteurs des différentes aires dialectales amazighes (El Mountassir, Ibid). La décision finale de l'IRCAM fut d'adopter un standard national qui doit servir de langue nationale, officielle et véhiculaire assurant les principales fonctions d'une langue moderne au sein de la société. *La nouvelle grammaire de l'amazighe*, publiée en 2008, explicitent les principes de ce choix :

- « viser l'unité de la langue : on retient comme outils ou morphèmes fondamentaux ce qui est commun aux différentes variétés ou ce qui est le plus fréquent ;
- sauvegarder la richesse de la langue au niveau des outils grammaticaux mais aussi au niveau des structures ;
- laisser une place à la variation : elle est source de richesse linguistique, et pourra être exploitée à des fins stylistiques » (Boukhris et al., 2008 : 12-13)

2- Le choix de la graphie

La promotion d'une tradition écrite de l'amazighe repose sur l'élaboration d'un système graphique qui permettra de revitaliser et de moderniser cette langue pour des besoins scientifiques et technologiques. Un système d'écriture vise à identifier les sons vocaux d'une langue et à assurer leur utilisation permanente. L'amazighe a été noté depuis des siècles dans les alphabets arabe ou latin et les Touaregs sont les seuls qui n'ont jamais perdu l'usage de l'écriture tifinaghe. Le choix d'un support graphique a soulevé et soulève encore une polémique houleuse entre les partisans de chaque caractère.

«Sur le plan des systèmes d'écriture, trois graphies sont en concurrence ; à armes inégales bien sûr. Selon les pays et les régions, c'est l'un des trois systèmes qui domine. Les trois systèmes sont celui des caractères arabes répandu au Maroc (...) ; ensuite le système des caractères latins usité en Kabylie et à un degré moindre au Maroc ; enfin les tifinagh utilisées surtout dans les pays où le berbère est reconnu (Niger, Mali et Burkina Fasso). Il faut de même noter que le Maroc est le seul pays où l'on rencontre les trois graphies. Tant pour les transcriptions que pour les graphies, il y a des défenseurs et des

détracteurs. Les arguments vont de l'idéologie à la science en passant par les commodités présentées par tel ou tel système. » (Benlakhdar, 1994 : 19-24)

Les partisans du caractère arabe évoquent l'homogénéisation du système de transcription nationale, c'est l'écriture du message divin et son choix exprime réellement la volonté de s'intégrer dans la société orientale. Cependant, les détracteurs de cet alphabet pensent que le système d'écriture arabe est un système consonantique inapproprié à écrire la langue amazighe.

Pour les défenseurs de l'alphabet latin, ils y voient la seule condition pour une « langue moderne », qui pourrait ainsi dépasser les frontières du Maghreb et s'internationaliser.

« D'un point de vue pratique et stratégique, le système des caractères latins est le plus attrayant. D'abord, il est économique. Il ne compte qu'un nombre limité de caractères. (...) Ensuite, et si on le vise à long terme, en fonction des rapports de force actuels et futurs, c'est le système qui est le plus utilisé comme support de vulgarisation du savoir, qu'il soit technologique ou autre. » (Idem.)

Ceux qui s'opposent à cet alphabet estiment que l'usage des caractères latins renvoie à la domination politique et culturelle de la France et, à travers elle, celle de l'occident.

Quant aux partisans de l'adoption de la graphie tifinaghe, ils veulent conserver à l'amazighe les caractères dans lesquels elle était écrite depuis l'antiquité et y voient un symbole de l'identité amazighe. D'ailleurs, les associations amazighes adoptent comme symbole le « ⴿ » (z), une lettre de l'alphabet tifinaghe.

L'Institut Royal pour la Culture Amazighe (IRCAM) a pris à contre-pied ces deux options, en optant en 2003 pour l'alphabet tifinaghe en vue de la retranscription officielle de la langue amazighe et de son implantation dans le système scolaire marocain. Ennaji (2005 : 92) explique que ce choix était la solution adéquate pour éviter le conflit entre les islamistes et les activistes amazighs. Les Amazighophones natifs y voient un bon choix parce qu'il renforce l'identité amazighe, consolide l'autonomie de la langue et démontre que la culture Amazighe est l'une des plus anciennes de la région qui remonte à plus de deux mille ans.

3- La modalité de l'enseignement de l'amazighe

L'intégration de l'amazighe dans le système éducatif impliquera la précision du rôle assigné à cette langue : langue nationale à généraliser ou à réservier uniquement à certaines régions ; langue enseignée ou langue d'enseignement des autres matières littéraires, scientifiques, etc. El Mehdi Iazzi (1999) pense que pour généraliser l'enseignement de l'amazighe, il y a quatre formules possibles pour le réglementer :

- **Instaurer un enseignement au choix uniquement dans certaines régions** : cette formule confirme le statut régional reconnu à l'amazighe et implique les attitudes des locuteurs amazighophones ou arabophones installés dans ces régions en leur accordant le libre choix ;
- **Généraliser l'enseignement dans certaines régions** : En effet, tous les citoyens qui vivent dans les régions retenues sont en principe tenus d'apprendre l'amazighe. Cependant, la régionalisation de l'enseignement de l'amazighe signifie que toute personne amazighophone qui choisit de quitter une de ces régions, est obligée de sacrifier sa langue.
- **Laisser le choix au niveau national** : Cette formule laisse le choix à tous les citoyens d'apprendre ou de ne pas apprendre l'amazighe à travers tout le territoire national.

Toutefois, cette option instaure une ségrégation linguistique (langues obligatoires « arabe et français » vs langue optionnelle « amazighe ») ;

- **Généraliser l'enseignement de l'amazighe à tous les citoyens marocains :** Cette option institue l'enseignement de l'amazighe en termes de "devoir national" valable pour tous et partout, elle généralise le bilinguisme amazighe-arabe, atténue le choc des langues, neutralise les clivages linguistiques actuels et favorise la libre circulation des citoyens.

Dès 2003, le Maroc a opté pour une généralisation de l'enseignement de l'amazighe à tout le territoire national, qui couvrira graduellement les six niveaux du cycle du primaire. Il est obligatoire pour les apprenants amazighophones aussi bien que pour les apprenants arabophones. Le ministère de l'éducation nationale a destiné des notes ministérielles à l'organisation de l'enseignement de l'amazighe. Le tableau ci-dessous expose leurs objets et leurs contenus.

(Cf. دليل مدرس (ة) اللغة الأمازيغية في السلك الابتدائي. 2017)

Note N°	Date	Objet	Contenu
108	1 ^{er} septembre 2003	l'introduction de l'enseignement de l'amazighe dans les cursus scolaires	<ul style="list-style-type: none"> - Introduire l'amazighe à l'école ; - Solliciter l'adhésion des enseignants de langue amazighe ; - renforcer et diversifier les activités d'encadrement ; - Proposer un programme favorisant une langue standard.
82	20 juillet 2004	Organisation des sessions de formation en didactique de l'amazighe	<ul style="list-style-type: none"> - Actualiser la carte scolaire concernée par l'introduction de l'amazighe ; - Définir les dates et le nombre des sessions de formation en amazighe.
130	12 septembre 2006	Organisation de l'enseignement de l'amazighe et la formation de ses enseignants.	<ul style="list-style-type: none"> -Des propositions à la lumière de l'évaluation de la situation de l'enseignement de l'amazighe les trois dernières années ; -Etablir un nouveau emploi du temps pour le cycle primaire ; -Réorganiser la structure hebdomadaire des composantes du cours de l'amazighe ; - Créer des programmes de formation en amazighe dans les Centres Régionaux des Métiers de l'Education et de la Formation (formation initiale).

VII- L'intégration de l'amazighe dans le système éducatif : quel bilan ?

Plus de 18 ans après l'amorçage de l'enseignement de l'amazighe à l'école publique, le processus de sa généralisation horizontale et verticale marque un retard exceptionnel. Les raisons de la lourdeur de ce projet sont d'ordres différents. Des entraves d'ordre politique, comme en témoigne en 2005, le communiqué du retrait du conseil d'administration de l'IRCAM publié par sept de ses membres⁴⁵⁵ pour protester contre l'absence de volonté politique du gouvernement de promouvoir l'amazighe, l'immobilisme et le mépris officiel pour les engagements pris. L'autre aspect politique de cette réticence est l'ajournement de la promulgation d'une loi organique qui définit le processus de mise en œuvre du caractère officiel de l'amazighe, ainsi que des modalités de son intégration dans l'enseignement et aux domaines prioritaires de la vie publique, cette loi n'a été voté qu'en 2019 (huit ans après l'adoption de la nouvelle constitution en 2011).

Dans une intervention à la chambre des conseillers en 2018⁴⁵⁶, le premier ministre Saad Eddine El Othmani a présenté certaines statistiques relatives à l'intégration de l'amazighe dans le système éducatif :

- Plus de 4200 établissements scolaires enseignent la langue amazighe totalement ou partiellement ;
- Plus de 500 000 élèves bénéficient de cet enseignement ;
- 5000 enseignants assurent ces apprentissages dont 414 professeurs spécialisés, lauréats des centres régionaux des métiers de l'éducation et de la formation, outre 150 enseignants en formation.
- 71 inspecteurs encadrent l'enseignement de l'amazighe ;
- 11 000 enseignants ont suivi des formations spécialisées en domaines de l'enseignement de la langue amazighe.

En revanche, le niveau du déploiement de l'enseignement de l'amazighe, horizontalement ou verticalement, reste en deçà des chiffres que le ministère de l'Éducation nationale supposait atteindre. La réalisation des objectifs escomptés en matière de la généralisation de l'enseignement de la langue amazighe se heurte à plusieurs obstacles. Le manque de corps enseignant et la faible formation constituent la majeure entrave à laquelle est confronté ce projet. Les professeurs de l'amazighe ne disposent pas de compétences requises pour cet enseignement faute de formation adéquate (excepté les lauréats des CRMEF, créées au titre de l'année scolaire 2012/2013, qui ont suivi une formation pédagogique et didactique), beaucoup n'ont pour formation initiale que quelques jours. Des maîtres de l'arabe et du français ont été engagés sans même que certains d'entre eux soient des locuteurs amazighophones, ils se plaignent du manque d'encadrement de rareté des manuels scolaires. De plus, l'amazighe est

⁴⁵⁵ Les signataires sont Dr Abdelmalek Hocine OUSADDEN, Mohamed BOUDHAN, Hassan BANHAKIA, Mohamed AJAAJAA, Mimoun IGHRAZ, Ali BOUGRINE et Ali KHADAOUI. Consulter le communiqué sur le site : <http://tawiza.byethost10.com/Tawiza103/communiquerFR.htm?i=1>

⁴⁵⁶ Lors de la séance plénière mensuelle tenu dans la chambre des conseillers le 19 juin 2018, le chef du gouvernement répond à une question relative au développement des langues et des expressions culturelles nationales.

rejetée du système d'évaluation et n'est pas prise en compte lors du calcul des moyens ce qui pousse les élèves à ne pas lui accorder d'importance.

En outre, certaines délégations du MEN n'hésitent pas à charger des professeurs de l'amazighe d'enseigner d'autres matières comme l'arabe et le français ce qui montre le dédain que certains responsables de ce ministère ont pour l'amazigh. Dans plusieurs établissements, soit l'amazighe est enseignée uniquement au niveau de la première et la deuxième année, soit il est enseigné d'une façon discontinue ce qui n'augure pas d'une réelle implication de certains cadres scolaires.

Dans le but d'examiner les moyens d'accélérer la généralisation de l'enseignement de l'amazighe dans les trois cycles de l'enseignement, le ministre de l'Éducation Nationale et le recteur de l'IRCAM ont tenu une réunion le 30 décembre 2020. A l'issue de cette rencontre, plusieurs décisions ont été prises :

- La reprise des travaux du comité bilatéral mixte entre le ministère de l'Education Nationale et l'IRCAM ;
- L'augmentation du nombre d'enseignants spécialisés en langue amazighe en formant 1000 enseignants supplémentaires d'ici 2022 ;
- La généralisation de l'enseignement de l'amazighe dans les cycles primaire et collégial entre 2024 et 2030 ;
- La formation de 3000 professeurs d'enseignement primaire et collégial durant la période 2024-2030 ;
- L'introduction d'un module spécialisé en langue amazighe dans la formation de base des inspecteurs et des cadres de l'administration pédagogique ;
- L'augmentation du nombre de cycles des études amazighes dans les universités ;
- La mise à jour des programmes pédagogiques du cycle primaire en y incluant le nouveau curriculum de la langue amazighe ;
- L'élaboration d'un curriculum de l'amazighe du cycle secondaire collégial à partir de la rentrée scolaire 2022, et un curriculum de l'amazighe dédié au cycle secondaire qualifiant à partir de 2023 ;
- Doter la langue amazighe d'outils d'évaluation dans le cadre du programme national d'évaluation à l'instar des autres matières ;
- La réalisation de cours numériques incluant tous les niveaux du cycle primaire et le développement de l'usage des technologies de l'information et de la communication pour l'enseignement de l'amazighe (voir le site de l'IRCAM).

Conclusion

L'expérience de l'enseignement de l'amazighe n'en est encore qu'à ses débuts, mais il est évident que des mesures doivent être prises pour résoudre les divers obstacles qui handicapent cette opération. Certains estiment que l'adoption de la graphie tifinaghe est une difficulté supplémentaire étant donné que les élèves apprennent déjà deux alphabets à l'école (l'arabe et le latin), et que l'un des deux aurait pu être adopté pour écrire l'amazigh. De même, demander à un enseignant d'enseigner l'amazighe qu'il n'a jamais parlé, après une formation de 15 jours, relève de l'irrationnel. La solution serait d'avoir une volonté politique réelle de promouvoir cette langue et d'assurer les ressources humaines et les outils pédagogiques adéquats afin de réussir le projet de la généralisation de l'enseignement de l'amazighe et la sauvegarde de ce patrimoine immatériel.

Bibliographie

Benlakhdar, M. (1994), « Ecrire [le] berbère, une nécessité scientifique ou pratique ? », in *Phonologie et notation usuelle dans le domaine berbère*, Actes de la table ronde internationale (INALCO avril 1993), *Études et Documents Berbères*, N° 11, pp. 19-23

Boukous, A. (2009), « Aménagement de l'amazighe : pour une planification stratégique», in *Asinag*, N° 3, p.13-40.

Boukous, A. (2007), « L'enseignement de l'amazighe (berbère) au Maroc : aspects sociolinguistiques », Revue de l'Université de Moncton, p.81–89.

Boukous, A. (2004), « La standardisation de l'amazighe : quelques prémisses », in *Standardisation de l'amazighe*, Publications de l'Institut Royal de la Culture Amazighe, Rabat, p. 11-22

Calvet, L-J. (1987), *La guerre des langues*, Editions Payot, Paris

Camps, G. (1984), « Avertissement », in *Encyclopédie berbère*, 1 , p.6-48

Chami, M. (1987), *L'Enseignement du Français au Maroc. Diagnostique des Difficultés et Implications Didactiques*, Casablanca, Imp. Najah Eljadida

El Mountassir, A. (2009), « Vers une convergence progressive des variétés dialectales amazighes », in *Asinag*, N°3, p. 89-96

Ennaji, M. (2005), *Multilingualism, Cultural Identity, and Education in Morocco*, Springer

Fitouri, C. (1983), *Biculturalisme, Bilinguisme et Education*, Paris/Neuchatel: Delachaux & Niestlé.

Iazzi, E. (1999), « Aménagement linguistique cas de l'amazighe (berbère) marocain », in تعليم الأمازيغية, université d'été d'Agadir, p.22-44.

Laghouat, M. (1995), « L'Espace dialectal marocain, sa structure actuelle et son évolution récente », dans *Dialectologie et sciences humaines au Maroc*, Publications de la faculté des Lettres et des Sciences Humaine, Rabat, p. 9-41

Lounaoui, M. (1999), « Quelle tamazight enseigner ? Une question à choix multiples », in التعليم الأمازيغي, université d'été d'Agadir, p.45-64

Mabrour, A. (2016), « Les langues au/du Maroc : une présentation sociolinguistique », Le français à l'université

Youssi, A. (2011). “Introduction to the sociolinguistic situation in Morocco”, in Chekayri, A. (2011)

An Introduction to Moroccan Arabic and Culture, Georgetown University Press.